موسوعة

العقيدة الصحيحة

تحقيق

فضيلة الشيخ

أبو عمر محمد بن عبد الملك الزغبي









القاهرة - المنصورة

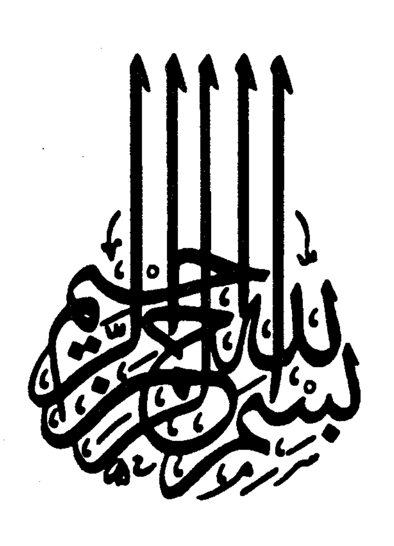
EXCLUSIVE RIGHTS
BY
DAR AL-GHAD AL-GADEED
EGYPT - AL-MANSOURA

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

القاهرة: ٧ ش درب الاتراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش عبد السلام عارف أمام جامعة الأزهر
ت فاكس/ ٢٢١٦٨٩٨/ ٠٠٢٠٥٠
ت فاكس/ ٠٠٢٠٢/٢٥١٤٨٢١٦
٠٠٢٠١٠٥٥٠٢٨٢٨
صندوق بريد: 35111

EMAIL: DAR-ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع: 2010/16735
الترقيم الدولي: I.S.B.N
978-977-372-279-4



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣) (٤).

---

(١) سورة آل عمران (١٠٢).

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الأحزاب (٧٠، ٧١).

(٤) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه» [٢ / ٥٩١ - ٥٩٢] - كتاب النكاح (٦) باب (٣٣) (ح) (٢١١٨)، والترمذي في «سننه» (٣ / ٤١٣ - ٤١٤) كتاب النكاح (٩) باب (١٧) (ح) (١١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» [٦ / ٨٩] كتاب النكاح (٢٦)، وابن ماجه في «السنن» [١ / ٦٠٩ - ٦١٠] كتاب النكاح (٩) (ح) (١٨٩٢)، وعبد الرزاق في المصنف موقوفًا (٦ / ١٨٧ - ١٨٨) (ح) (١٠٤٤٩)، وأبو داود الطيالسي (ص٤٥) (ح) (٣٣٨)، والدارمي في «سننه» (٢ / ١٤٢) كتاب النكاح، والبيهقي في «الكبرى» (٧ / ١٤٦) كتاب النكاح، وأحمد في «المسند» (١ / ٣٠٢ - ٣٩٣)، ورواه مسلم بنحوه مختصرًا في «صحيحه» (٢ / ٥٩٣) كتاب الجمعة (٧) باب (١٣) (ح) (٤٦ / ٨٦٨)، وغيره.

※ فوائد:

أ - خطبة الحاجة هذه سُنة، يقول الصنعاني - رحمه الله: وقوله: «في الحاجة» عام لكل حاجة ومنها النكاح، وقال أبو إسحاق: في كل حاجة، وفيه دلالة على سنية ذلك في النكاح وغيره، ويخطب بها العاقد لنفسه حال العقد، وهي من السنن المهجورة، وذهبت الظاهرية إلى أنها واجبة، ووافقهم من الشافعية أبو عوانة، ولكن الصحيح عدم الوجوب. انظر «سبل السلام» (١٣٠٣ - ١٣٠٤) (ح) رقم (٩١٥). =

ثم أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة [1].

= ب ـ قولنا: نستهديه.. ليست في الحديث، ولم ترد في ذلك أي رواية على حد علمي.

ج ـ قولنا: «نشهد» بصيغة الجمع لم يأت في الحديث بل الثابت الإفراد؛ وذلك لأن الشهادة من أعمال القلوب، والتي لا يجوز فيها الإنابة، فقد جاءت في الحديث بلفظ: «أشهد أن لا إله إلا الله...».

د ـ وقوله: «في خطبة الحاجة من النكاح وغيره» ليست من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما وهم بعض العلماء، وإنما هو من قول أبي إسحاق السبيعي، وقد وضحت في رواية أبي داود الطيالسي (ص ٤٥) (ح) (٣٣٨)، ثم قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: هذه في خطبة النكاح أو في غيرها؟ قال: في كل حاجة. والبيهقي (٧ / ١٤٦).

هـ ـ الذي يأتي بهذه الخطبة هو ولي الزوجة، وليس أحد الجالسين أو المدعوين وإنما يأتي بها افتتاحًا لإنكاح وليته إلى زوجها. وانظر «صفة خطبة النبي ﷺ (ص٦٣)» لأخينا الفاضل عمرو سليم ـ حفظه الله.

قُلتُ: والذي أراه أن الأمر يختلف من شخص لآخر، فيقول شيخنا الإمام الصنعاني رحمه الله في «السبل» (٣ / ٩٧٩) شرح (ح) (٩١٥): «وغيره، ويخطب بها العاقد بنفسه حال العقد وهي من السنن المهجورة».

وقول الإمام الصنعاني هو الراجح عندي بخلاف ما قاله غيره، وليس هذا محل بسط الكلام فيها، والله المستعان.

(١) الحديث صحيح، أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح) [٨٦٧]، والنسائي [٣ / ١٨٨ ـ ١٨٩] صلاة العيدين، وابن ماجه [٤٥] المقدمة.

قُلتُ: وقد ذهب بعض العلماء إلى أن لفظة: «وكل ضلالة في النار» شاذة، تفرد بها عتبة بن عبد الله، أخرجه بهذا اللفظ النسائي [٣ / ١٨٨]، وابن خزيمة (ح ١٧٨٥].

وقد روى هذا الحديث إبراهيم بن عبد الله الخلال، والحسين المروزي عن ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، ولم يذكروا هذه الزيادة.

وكل من روى هذا الحديث لم يذكر هذه اللفظة كالتالي:

أ ـ أخرجه مسلم (٨٦٧)، وابن حبان، والبيهقي، وابن ماجه (٤٥) من طريق عبد الوهاب الثقفي.

ب ـ ومسلم أيضًا (٨٦٧) من طريق سليمان بن بلال.

ج ـ وأحمد في «المسند» (٣ / ٣١٠) من طريق مصعب بن سلام.

د ـ وأحمد أيضًا من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري. =

ثم أما بعد...

معلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة النبوية، أن الأعمال والأقوال إنما تصح

= و ـ وابن خزيمة: من طريق أنس بن عياض (١٧٨٥).

هـ ـ وأحمد (٣ / ٣٣٨): من طريق عبد الله بن الوليد العدني.

جميعهم عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر.

ز ـ وأحمد (٣ / ٣٧١)، ومسلم (٨٦٧) من طريق وكيع عن سفيان به.

قُلتُ: ثم وقفت على قول لشيخنا الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٩١) حول هذه اللفظة فقال:

«ولم يقل ـ أي رسول الله ﷺ : وكل ضلالة في النار، بل يضل عن الحق من قصد الحق، وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب، وقد يفعل بعض ما أمره به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له.

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]..» اهـ.

قُلتُ: ومما قد يعكر قولنا السابق وقول شيخنا ابن تيمية ـ رحمه الله:

أ ـ ما رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٢٤) بسنده.

أخبرنا أسد عن سفيان بن عيينة، عن هلال الوزان، قال: أخبرنا شيخنا القديم عبد الله بن عكيم، عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «أصدق القيل قيل الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ وإن شر الأمور محدثاتها، ألا وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». وسنده حسن، ولله الحمد على ذلك.

ب ـ قُلتُ: واستدلال شيخنا ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، يمكن الاستدراك عليه بقولنا:

١ ـ مقصود الآية كما قال الحافظ ابن كثير (١ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣): «أي إن تركنا فرضًا على جهة النسيان أو فعلنا حرامًا كذلك أو أخطأنا، أي الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي» اهـ.

ويقول القرطبي ـ رحمه الله (٢ / ١٣٤٦): «يعني إن جهلنا، أو أخطأنا يعني: إن تعمدنا، ويقال: إن عملنا بالنسيان والخطأ» اهـ، وله كلام (٢ / ١٣٥٢) فانظره.

قُلتُ: وقول الحافظ ابن كثير الراجح عندي، لأدلة مذكورة في تفسيره فانظره.

فيكون مقصود الحديث : كل ضلالة بعلم مسبق، مع قيام الدليل على صاحب الضلالة، =

وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١) .

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢) والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد دَلَّ كتاب الله وسنة رسوله الأمين، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام.

ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جدًا منها:

قوله سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(٣) الآية.

= فهذه الضلالة بهذا المعنى في النار، ولا خلاف في ذلك، والنقيض إذا كانت هذه الضلالة بجهالة، وبهذا يتم التوفيق بين الآية والحديث، والله أعلم.

٢ - قُلتُ: في لفظ الحديث: «وكل ضلالة في النار» فالمقصود هنا الضلالة وليس صاحبها؛ ولذا فإن لشيخنا العلامة الألباني قاعدة تقول: «ليس كل من وقع الكفر منه، وقع الكفر عليه» فقد يفعل الإنسان الكفر، ولكن لا يُكفر؛ لوجود شبهة ما عنده، مع أن الكفر مذموم على الدوام. والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١ / ١٠٥) (ح) (٢٩): «مراد المصنف [خ] أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفرًا، ولكن يطلق عليها الكفر ولا يراد المخرج من الملة» اهـ.

وهذا اجتهادي في هذه المسألة، ومن وصل إلى أحسن من هذا فليتبعه ولينصحنا في الله، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

(١) سورة المائدة: ٥ .

(٢) سورة الزمر: ٦٥ .

(٣) سورة البقرة: ٢٨٣ .

وأمَّا الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول فكثيرة جدًا، منها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» الحديث، رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب[1].

وهذه الموسوعة الطيبة المباركة والتي هي تحت عنوان: «**موسوعة العقيدة الصحيحة**» تحوي العقيدة الصافية النقية التي كان عليها سلف الأمة، فالله أسأل أن ينفع بها، وأن يتقبلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه سبحانه.

والحمد لله ربِّ العالمين،،،

وكتبه / أبو عمر

محمد بن عبد الملك الزغبي

* * *

---

(1) انظر العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام (ص/ ٣ ـ ٥) للشيخ/ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله.

مصطلحات لابد من معرفتها

المجاز:

المجاز لغة: هو صرف المعنى الظاهر إلى معنى غير مراد. ووقوع المجاز في اللغة والقرآن فيه خلاف كبير بين العلماء.

قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب «التحرير في أصول الفقهاء الأربعة وغيرهم»: المجاز واقع ، ومعنى قوله: إن الفقهاء الأربعة أوقعوا المجاز، أي في اللغة والقرآن.

وخالف في ذلك الإسفراييني الشافعي وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي اختار نفي المجاز في كلام العرب في كتابه «الإيمان».

قال شارح النونية الشيخ بن عيسى:

«الأدلة إذا تكاثرت ودلت على معنى، ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة، وجب الأخذ بتلك الأدلة، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها».

وقد رأيت شيخ الإسلام أثبت المجاز في بعض كلامه، قال في «الفتوى الدمشقية»:

واعلم أن من لم يحكم دلالات اللفظ، ويعلم أن ظهور المعنى من أن يكون بالوضع اللغوي، أو العرفي أو الشرعي، إما في الألفاظ المفردة، وإما في المركبة وتارة مما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم فيه، وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ، أو يبين أن المراد به هو مجازه، إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع إذا لم يقترن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة تبين مراد المتكلم، بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل، فهنا أريد به خلاف الظاهر، كالعموم المخصوص بدليل منفصل... إلى أن قال: إن الألفاظ نوعان:

أحدهما: ما معناه مفرد، كلفظ الأسد، والحمار، والبحر، والكلب، فهذا إذا

قيل: أسد الله وأسد رسوله، أو قيل للبليد: حمار. أو قيل للعالم أو السخي أو الجواد: أمن الخيل بحرًا، وقيل للأسد: كلب، فهذا مجاز، ثم اقترنت به قرينة تبين المراد.

كقول النبي ﷺ لفرس أبي طلحة: «**إن وجدناه لبحرًا**»[1] .

وقوله: «**إن خالدًا سيف من سيوف الله سله الله على المشركين**»[2] .

وقوله لعثمان: «**إن الله مقمصك قميصًا**»[3] .

وقول ابن عباس: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه[4] .

أو كما قال، ونحو ذلك، فهنا اللفظ فيه تجوز، إلى آخر كلامه. فهذا ظاهر في إثبات المجاز والله أعلم. ا . هـ.

وأما ابن القيم رحمه الله تعالى فقد رأيت في كلامه في نونيته، وفي كلامه الذي نقلناه عنه. ولكنه قد بالغ في كتاب «الصواعق المرسلة» في إبطال المجاز، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهًا. ورد على ابن جني كلامه في المجاز من أوجه كثيرة»[5] .

التأويل

يقترن عادة هذا اللفظ بصفات الله، فأهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه نجد في مقابلهم المؤولة من الأشاعرة الذين يصرفون الصفات إلى غير مرادها الحقيقي إلى المعنى المجازي فيؤولون الصفة إلى غير معناها الحقيقي؛ فمثلاً يؤولون الوجه إلى الثواب والذات

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٥٦٢٥ ـ الألباني.

(٢) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٢٠٧ ـ الألباني.

(٣) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٧٩٤٧ ـ الألباني.

(٤) أثر ابن عباس هذا روي موقوفًا وكذلك روي مرفوعًا وبعدة روايات لا تخلو من ضعف.

(٥) شرح القصيدة النونية ـ ابن عيسى ٢ / ١٢٩ بتصرف، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٣٧٧ ـ ٣٧٩].

واليد إلى القدرة والاستواء إلى الاستيلاء وهذا تحريف محض. ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في فتاوى العقيدة[١] :

والتأويل لفظ متعدد الاصطلاحات أحدها صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، والثاني أن التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وغيره في غير موضع «واختلف علماء التأويل» والمعني الثالث هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾[٢] .

التمثيل

المثيل لغة: هو الند والنظير.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين.

وهو كقول المثل له يد كيدي وسمع كسمعي، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد. وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة.

فالمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة: هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه.

ولكن التعبير هنا بنفي: «التمثيل» أولى لموافقة لفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾[٤] .

وقد وقع في التمثيل والتكييف «المشبهة» الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى

---

(١) مجموع فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين ٤ / ١٨٠ ، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص/ ٨٣].

(٢) سورة الأعراف: ٥٣ .

(٣) سورة الشورى: ١١ .

(٤) سورة النحل: ٧٤ .

درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

وقد وقع في التمثيل كل من:

١ ـ الكرامية: أتباع محمد بن كرام السجستاني.

وهم طوائف يبلغ عددهم اثنتى عشرة فرقة وأصولها ستة هي:

١ ـ العابدية.

٢ ـ النونية.

٣ ـ الرزينية.

٤ ـ الإسحاقية.

٥ ـ الواحدية.

٦ ـ الهيصمية [١].

التعطيل

التعطيل مأخوذ من «العطل»: الذي هو الخلو والفراغ والترك ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ [٢] أي أهملها أهلها وتركوا ورودها.

والتعطيل في جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية الملاحدة.

القسم الثاني: تعطيل عبادته عز وجل، أي ما يجب له عز وجل على عباده حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئًا من العبادة لغير الله عز وجل.

القسم الثالث: تعطيل الله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

---

(١) انظر «معجم ألفاظ العقيدة» [ص/ ١٠٣ ـ ١٠٤].

(٢) سورة الحج: ٤٥ .

وهذا القسم الثالث هو الذي نقصده هنا:

فالمراد بالتعطيل في باب الأسماء والصفات هو: نفي الأسماء والصفات أو بعضها وسلبها عن الله.

أو نقول: هو نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله تعالى.

وقد وقع في التحريف والتعطيل طوائف، يجمعها أهل العلم تحت مسمى المعطلة.

وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول: الفلاسفة.

وهم صنفان:

الصنف الأول: أهل الفلسفة البحتة.

الصنف الثاني: أهل الفلسفة الباطنية وهي نوعان:

أ ـ رافضية.

ب ـ صوفية.

والقسم الثاني من المعطلة هم : أهل الكلام وهم خمسة أصناف:

١ ـ الجهمية.

٢ ـ المعتزلة.

٣ ـ الكلابية.

٤ ـ الأشاعرة.

٥ ـ الماتريدية[١] .

التكييف

هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل.

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، د. محمد التميمي ص ٧٥ .

مثال ذلك: قول الهاشمية عن الله «طوله كعرضه».

أو قولهم: «طوله طول سبعة أشبار بشبر نفسه».

وعلى هذا التعريف يكون هناك فرق بين التكييف والتمثيل.

فالتكييف: ليس في تقييد بمماثل.

وأما التمثيل: فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

ولعل الصواب أن التكييف أعم من التمثيل.

فكل تمثيل تكييف لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيف تلك الصفة أي جعل لها حقيقة معينة مشاهدة.

وليس كل تكييف تمثيلاً لأن التكييف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين كقولهم: طوله كعرضه.

ومعنى قول أهل السنة «من غير تكييف» أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم «من غير تكييف» أنهم ينفون الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعميقنا في أمر الكيفية قفوا ما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به[١].

التحريف

التحريف لغة: التغيير والتبديل والإمالة.

فهو في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرته.

والتحريف شرعًا: الميل بالنصوص عن ما هي عليه، إما بالطعن فيها أو بإخراجها

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، د. محمد التميمي ص ٧٨.

عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

أو نقول بعبارة مختصرة: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره.

والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها.

أنواع التحريف:

التحريف نوعان:

النوع الأول: تحريف اللفظ:

وتعريفه: هو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها. وله أربع صور:

١ ـ الزيادة في اللفظ.

٢ ـ النقصان في اللفظ.

٣ ـ تغيير حركة إعرابية.

٤ ـ تغيير حركة غير إعرابية.

ومن أمثلة تحريف اللفظ:

المثال الأول: تحريف إعراب قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[١]، من الرفع إلى النصب وقال: «وَكَلَّمَ اللهَ» أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله، ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد: فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[٢]، فبهت المحرف.

مثال آخر: أن بعض المعطلة سأل بعض أئمة العربية هل يمكن أن يقرأ العرش بالرفع في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٣]؟ وقصد بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق.

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٣) سورة طه: ٥.

النوع الثاني: تحريف المعنى:

وتعريفه: هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ أو نقول تعريفه: هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته ، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وهذا النوع هو الذي جال فيه أهل الكلام من المعطلة وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلاً وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة .

ومن أمثلة تحريف المعنى:

كقول المعطلة في معنى استوى: استولى في قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ .

وفي معنى اليد في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾[1] النعمة والقدرة.

وفي معنى المجيء في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ** ﴾[2] ، وجاء أمر ربك .

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود فهم الراسخون فيه وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة، وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه؛ ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن، دون غيرهم من الأمم.

وقد درج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، وكذلك الجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم من اليهود.

وأصحاب تحريف اللفظ عدلوا باللفظ والمعنى جميعًا عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، بينما أصحاب تحريف المعنى أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرًا من أولئك من هذا الوجه.

فأصحاب تحريف اللفظ لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا لفظًا يصلح له لئلا يتنافر

---

(١) سورة المائدة: ٦٤ .

(٢) سورة الفجر: ٢٢ .

اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدؤوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوه.

وأما كون أصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه؛ فلأن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالاً عند أصحاب التحريف، ولأنه أسهل رواجًا وسوقًا عند الجهلة والعوام من الناس، فيفتن به من ليس لديه زاد من العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة (١) .

* * *

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات، د. محمد التميمي ص ٧٠، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص/ ٨٦ ـ ٨٩].

الخطأ والخطاء

الخطأ والخطاء: ضد الصواب، قال تعالى: ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ** ﴾[(١)] عداه بالباء لأنه في معنى عثرتم أو غلطتم، وأخطأ الطريق، عدل عنه، وأخطأ الرامي الغرض: لم يصبه. والخطأ: ما لم يتعمد، والخطأ: ما تعمد، وقال الأموي: المخطئ: من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ: من تعمد ما لا ينبغي، والخطيئة الذنب على عمد، والخطأ: الذنب في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** ﴾[(٢)] أي إثمًا، وقال تعالى فيما حكاه عن إخوة يوسف: ﴿ **إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** ﴾[(٣)] أي آثمين. . . وقال الراغب في (المفردات): (الخطأ: العدول عن الجهة) ثم ذكر بعض صور الخطأ ومنها: (أن يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال أخطأ فهو خطئ، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل، وهذا المعني بقوله ﷺ : «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**»، وبقوله: «**من اجتهد فأخطأ فله أجر**»، ﴿ **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ﴾[(٤)]) إلى أن يقول: (وجملة الأمر أن من أراد شيئًا فاتفق منه غيره يقال: أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال: أصاب، وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل: إنه أخطأ).

والخلاصة أن معنى الخطأ في اللغة: أن يريد ويقصد أمرًا، فيقع في غير ما يريد، أما الخطء: فهو الإثم أو الذنب المتعمد، والله أعلم.

أما معنى الخطأ في الاصطلاح: فهو قريب من المعنى اللغوي، قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله : (الخطأ: هو أن يقصد بفعله شيئًا فيصادف فعله غير ما قصده، مثل أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلمًا)، أو يظن أن الحق في جهته، فيصادف

---

(١) سورة الأحزاب: ٥ .

(٢) سورة الإسراء: ٣١ .

(٣) سورة يوسف: ٩٧ .

(٤) سورة النساء: ٩٢ .

غيــر ذلك، وقال الجرجاني: (الخـطأ هو ما ليس للإنسان فـيه قصد.. كـما إذا رمى شخصًـا ظنه صيدًا أو حـربيّا فإذا هو مسلم)، وهناك تعـريفات أخرى قريبـة مما ذكر وحاصلها أن الخطأ في الاصطلاح: (كل ما يصـدر عن المكلف من قول أو فعل خال عن إرادته وغير مقترن بقصد منه) [١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: نواقض الإيمان الاعتـقادية وضوابط التكفيـر عند السلف لمحمد بن عـبد الله بن علي الوهيبي ١ / ٣٠٢ .

تعريف التأويل لغة واصطلاحًا

أ ـ مادة (أول) في كل استعمالاتها اللغوية تفيد معنى الرجوع، والعود، جاء في اللسان: (الأول: الرجوع: آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجعه، وآلت عن الشيء: ارتددت.. والإيل والأيل: من الوحش، وقيل هو الوعل، قال الفارسي: سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه... وقال أبو عبيد في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (١). قال: التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه...) وفي تهذيب اللغة: (وأما التأويل فهو تفعيل من أول يؤول تأويلاً ... آل يؤول: أي رجع وعاد) وقال ابن فارس: (أول الحكم إلى أهله: أي أرجعه ورده إليهم... وآل الجسم إذا نحف، أي رجع إلى تلك الحالة، ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (٢) ويقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم ...). إذًا التأويل هو ما أول إليه، أو يؤول إليه، أو تأول إليه، والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به، وهذا هو المعنى الوارد في الكتاب والسنة.

ب ـ أما معنى التأويل في اصطلاح العلماء، فله ثلاثة معان:

الأول:(أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (٣)، ومنه قول عائشة ـ رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد: اللهم اغفر لي**»، يتأول القرآن.

---

(١) سورة آل عمران: ٧ .

(٢) سورة الأعراف: ٥٣ .

(٣) سورة الأعراف: ٥٣ .

الثاني: يراد بلفظ التأويل: (التفسير) وهو اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد ـ إمام أهل التفسير : إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل): صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك ، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفًا لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمى هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ورموا في آثارهم بالشهب. . .)، وهذا التأويل الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في مسألة الصفات والقدر ونحوها .

وهو من أعظم أصول الضلال والانحراف، حيث صار ذريعة لغلاة الجهمية والباطنية والمتصوفة في تأويل التكاليف الشرعية على غير مقصودها أو إسقاطها أو تأويل جميع الأسماء والصفات.

وأهل التأويل المذموم (مراتب ما بين قرامطة وباطنية يتأولون الأخبار والأوامر، وما بين صائبة فلاسفة عامة الأخبار عن الله واليوم الآخر، حتى عن أكثر أحوال الأنبياء، وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر وفي آيات الصفات، وقد وافقهم بعض متأخري الأشعرية على ما جاء في بعض الصفات، وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر، وآخرون من أصناف الأمة وإن كان تغلب عليهم السنة، فقد يتأولون أيضًا مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه. . .)[1] .

الفرق بين التأويل والتفسير:

وقد ذكر الذهبي فروقًا بين التفسير والتأويل هي:

---

(١) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي ٢ / ٢٠ .

١ ـ قال أبو عبيدة وطائفة معه: التفسير والتأويل بمعنى واحد فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير .

٢ ـ قال الراغب : التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني.

٣ ـ قال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع.

٤ ـ قال الثعلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازًا، والتأويل تفسير باطن اللفظ.

٥ ـ التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية.

٦ ـ التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة.

والنسبة بين هذه الأقوال الأربعة الأخيرة هي التباين.

* * *

الإرجاء

هذا المصطلح ظهر عمليًا في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان عندما انحاز فريق إلى الخليفة عثمان وانتحل له الأعذار ، وفريق انحاز إلى خصومه ووضع لهم مبررات الثورة والخروج، وبعض الصحابة توقف عن الحكم حيث اشتبهت عليهم الأمور ونأوا بأنفسهم أن ينحازوا إلى أحد الجانبين واعتزلوا الصراع، اتقاء المشاركة في سفك الدماء وتحرزًا عن الوقوع في الفتنة ومن هؤلاء سعد بن أبي وقاص.

والمرجئة ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة، كغيلان ، وأبي شمر، ومحمد بن شبيب البصري، وهؤلاء داخلون في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية، وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان، وبالجبر في الأعمال، على مذهب جهم بن صفوان، فهم إذًا من جملة الجهمية، والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية والقدرية ، وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية، والغَسَّانية، والثوبانية ، والتومنية، والمريسية، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخَّرُوا العمل عن الإيمان[١] .

المرجئة القدرية:

المرجئة القدرية: وهم الذين اختلفوا في الإيمان فقال أبو شمر: الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبما جاء من عنده مما اجتمعت عليه الأمة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ووطء المحارم ونحو ذلك، وما عرف بالعقل من عدل الإيمان وتوحيده ونفي التشبيه عنه، وأراد بالعقل قوله بالقدر، وأراد بالتوحيد نفيه عن الله صفاته الأزلية.

قال: كل ذلك إيمان، والشاك فيه كافر، والشاك في الشاك أيضًا كافر، ثم كذلك أبدًا. وزعم أن هذه المعرفة لا تكون إيمانًا إلا مع الإقرار.

وكان أبو شمر ـ مع بدعته هذه ـ لا يقول لمن فسق من موافقيه في القدر إنه

---

(١) انظر: «معجم ألفاظ العقيدة» [ص / ٣٠].

فاسق مطلقًا، لكنه كان يقول: إنه فاسق في كذا.

وهذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة أكفر أصناف المرجئة، لأنها جمعت بين ضلالتي القدر والإرجاء، والعدل الذي أشار إليه أبو شمر شرك على الحقيقة لأنه أراد إثبات خالقين كبيرين غير الله تعالى، وتوحيده الذي أشار إليه تعطيل، لأنه أراد به نفي علم الله تعالى، وقدرته، ورؤيته، وسائر صفاته الأزلية وقوله في مخالفيه إنهم كفرة، وإن الشاك في كفرهم كافر مقابلٌ بقول أهل السنة فيه: إنه كافر، وإن الشاك في كفره كافر.

وكان غيلان القدري يجمع بين القدر والإرجاء، ويزعم أن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى، والمحبة ، والخضوع، والإقرار بما جاء به الرسول ﷺ ، وبما جاء من الله تعالى.

وزعم أن المعرفة الأولى اضطرار، وليس بإيمان.

وحكى زُرقانُ في مقالاته عن غيلان أن الإيمان هو الإقرار باللسان، وأن المعرفة بالله تعالى ضرورية فعل الله تعالى وليست من الإيمان.

وزعم غيلان أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه.

وزعم محمد بن شبيب أن الإيمان هو الإقرار بالله، والمعرفة برسله وبجميع ما جاء من عند الله تعالى مما نص عليه المسلمون: من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وكل ما لم يختلفوا فيه.

وقال إن الإيمان يتبعض، ويتفاضل الناس فيه، والخصلة الواحدة من الإيمان قد تكون بعض الإيمان، وتاركها يكفر بترك بعض الإيمان، ولا يكون مؤمنًا بإصابة كله.

وزعم الصالحي أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وأن قول القائل «إن الله تعالى ثالث ثلاثة» ليس بكفر، لكنه لا يظهر إلا من كافر، ومن جحد الرسل لا يكون مؤمنًا، لا من أجل أن ذلك محال، لكن الرسول ﷺ قال: «**من لا يؤمن بي فليس مؤمنا بالله تعالى**»[1] .

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ولكن له أصل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وزعم أن الصلاة ، والزكاة، والصيام، والحج طاعـاتٌ وليست بعبادة لله تعالى، وأن لا عبادة له إلا الإيمان بـه وهو معرفته، والإيمان عنده خـصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص، وكذلك الكفر خصلة واحدة [١] .

التفويض[٢] :

التفويض عقيدة انتهجهـا خلق كثير من العلماء ، وهي تفويض علم معاني آيات الصفـات . ويعد هذا المذهب هو مـذهب السلف بمعنى أنهم يقولون: إن مـعنى اليد والوجه لا نعلمه ونفوض معناه إلى الله، ولكن مذهب السلف الحق هو تفويض كيفية هذه الصفات لا تفويض المعنى.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «درء تعارض العقل والنقل»:

وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه إلى أن قال: «فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعـمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد»[٣] .

التَّسَلْسُل [٤] :

التَّسَلْسُل هو ترتيب أمور غير متناهية، وهو نوعان:

تسلسل في المؤثرين وتسلسل في الآثار، فأمـا الأول فهو محال باتفـاق العقلاء. وأما الثاني ففيه قولان للنظار وغيرهم، وجوازه قول الأبهري والأرموي.

يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية في مجمـوع الفتاوى: «التسلسل الممتنع هو وجود المتسلسلات في آن واحد كوجود خالق للخالق وخالق للخالق أو للخلق خلق وللخلق خلق في آن واحد وهذا ممتنع من وجوه: منهـا وجود ما لا يتناهى في آن واحد وهذا ممتنع مطلقًا ومنها أن كل مـا ذكر يكون «محدثًا» لا «ممكنًا» وليس فيها مـوجود بنفسه

---

(١) الفرق بين الفرق ـ الإسفراييني (ص ٢٠٥) .

(٢) انظر «معجم ألفاظ العقيدة» (ص / ٩٨ ـ ٩٩).

(٣) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١ / ١١٦).

(٤) مجموع فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين ٢ / ٥٦ .

ينقطع به التسلسل، بخلاف ما إذا قيل كان قبل هذا الكلام كلام وقبل هذا الفعل فعل جائز عند أكثر العقلاء»[1] ا . هـ.

فأهل السنة والجماعة وأرباب الكلام كالأشعري والباقلاني وغيرهم على إثبات التسلسل إذا كان يعني دوام فاعلية الرب، وأما الجهمية وأبو الهذيل العلاف فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين الأزل والأبد .

* * *

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٦ / ٣٨٦ .

الإسلام دين خاتم عالمي[(١)]

كانت النبوات والرسالات تترى على مدار التاريخ، حسب حاجة الأمم إلى الرسالة، وحسب بعدهم عن الحق، وقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا يهلك أمة حتى يبعث فيها رسولاً: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[(٢)] .

ولما كانت هذه الأمة هي أشرف الأمم وهي الأمة الوسط، بعث الله إليها سيد ولد آدم محمداً بن عبد الله ، وجعل رسالته الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات السابقة والمهيمنة عليها.

وهذه قضية بدهية مجمع عليها، ومستند هذا الإجماع ما يأتي:

١ ـ قال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[(٣)] .

(فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة)[(٤)] .

٢ ـ يقول الرسول ﷺ مؤكداً هذه القضية بأسلوب رائع: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا موضع اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[(٥)] .

---

(١) انظر: الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي [ص/ ٤٢ ـ ٤٤]. د/ عبد الله إبراهيم ابن علي الطريقي ـ ط ٢ ـ ١٤١٤ هـ.

(٢) سورة الإسراء: ١٥ .

(٣) سورة الأحزاب: ٤٠ .

(٤) عن ابن كثير في التفسير ٣ / ٤٩٣ .

(٥) متفق عليه، واللفظ للبخاري (صحيح البخاري ـ المناقب الباب ١٨، ٤ / ١٦٢، وصحيح مسلم ـ الفضائل ٤ / ١٧٩٠ ـ ١٧٩١ .

٣ ـ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: خلف[١] رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**»[٢] .

والشاهد من هذا الحديث قوله: «**غير أنه لا نبي بعدي**».

وإذا كانت النبوة قد ختمت، وأنه لا نبي بعد محمد ﷺ ، ودينه هو المهيمن على سائر الأديان، فذلك يعطي نتيجة قاطعة هي ليس ثمة دين صحيح يوجد الآن غير دين الإسلام ، وكل الأديان والشرائع الأخرى قد نسخت وبطلت، سواء منها الدين السماوي ـ كدين اليهود والنصارى ـ أم غير السماوي من الملل والنحل والمذاهب والشرائع الوضعية.

كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[٣] وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[٤] .

ومن هنا أصبح هذا الدين عالميًا عامًا لجميع الخلق، كما جاءت بذلك النصوص الصحيحة الصريحة بهذا، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[٥] وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي**... وذكر منها: **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[٦] .

ومن هذه القاعدة العظيمة في الإسلام نقول: إن ما عليه الناس ـ غير المسلمين ـ بكل طوائفهم هو باطل وضلال مهما كان، وإن الحق هو في دين الإسلام فحسب.

---

(١) أي جعله خليفته في المدينة.

(٢) رواه مسلم ـ فضائل الصحابة ٤ / ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ .

(٣) سورة آل عمران: ١٩ .

(٤) سورة النساء: ١٧٠ .

(٥) سورة الأعراف: ١٥٨ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب التيمم الباب الأول برقم ٣٣٥ ، ١ / ٨٦ ، والنسائي في المجتبى، كتاب الغسل ١ / ٢١٠ ـ ٢١١ .

ومن هنا فعلاقـة المسلمين بغيرهم قائمة على هذا الأساس وعلـى هذا الاعتقاد، فلا مساومة على هذا الدين، ولا تنازلات ولا تقارب وإنما هو التميز الواضح.

وإذا كان الأمر كـذلك فإنه لا تناقض بين هذه القاعدة والقاعـدة التي قبلها وهي سماحة الإسلام وإنسانيته.

فالإسلام الذي هو الحق، لا يقر ما عليـه هؤلاء الكفار والمشركون والملحدون بل يغده باطلاً، ومن ثم يدعو جميع الناس إلى الدخول فيه.

ولكنه في الوقت ذاته لا يتعامل مع هؤلاء الناس كلهم بالقسوة والشدة والمقاتلة، بل إن هذا النوع من المـعاملـة لا يكون إلا لمن حـاد الله ورسـوله، وحـارب المؤمنين وظاهر عليهم وصد الناس عن الدخول فيـه وفتنهم في دينهم، أما من سالم ووادع، أو عاهد والتزم فالإسلام يتسامح معه تسامحًا ظاهرًا واضحًا.

* * *

مزايا دين الإسلام[١]

س١ : لماذا يظن المسلمون أن دينهم هو الحق؟ هل لديهم أسباب مقنعة؟

الجواب:

الحمد لله .

السائلة المكرمة تحية طيبة وبعد:

فإن سؤالك يبدو منطقيًا من شخص لم يدخل في دين الإسلام لكن الذي مارس هذا الدين واعتقد بما فيه وعمل به يعرف فعلاً مقدار النعمة التي يعيش فيها وهو يتفيأ ظلال هذا الدين، وذلك لأسباب كثيرة منها:

١ ـ أن المسلم يعبد إلهًا واحدًا لا شريك له ، له الأسماء الحسنى والصفات العلا فتتوحد وجهة المسلم وقصده ويثق بربه وخالقه ويتوكل عليه ويطلب منه العون والنصر والتأييد، وهو يؤمن بأن ربه على كل شيء قدير لا يحتاج إلى زوجة ولا ولد، خلق السموات والأرض، وهو المحيي المميت الخالق الرازق فيتوب إليه العبد إذا أذنب وقصر في عبادته، العليم الخبير الشهيد الذي يعلم النيات والسرائر وما في الصدور فيستحي العبد أن يقترف الذنب بظلم نفسه أو ظلم الخلق؛ لأن ربه مطلع عليه وشاهد، وهو يعلم أن ربه حكيم يعلم الغيب فيثق في اختيار الرب وله قدره فيه وأن ربه لم يظلمه وأن كل قضاء قضاه له فهو خير وإن غابت الحكمة عن العبد.

٢ ـ آثار العبادات الإسلامية على نفس المسلم، فالصلاة صلة بينه وبين ربه إذا دخل فيها بخشوع أحس بالسكينة والطمأنينة والراحة لأنه يأوي إلى ركن شديد وهو الله عز وجل لذلك كان نبي الإسلام محمد ﷺ يقول: «**أرحنا بالصلاة**»[٢] وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [٣] وكل من وقعت له مصيبة فجرب الصلاة أحس بمدد من

---

(١) انظر فتاوى العقيدة: [ص / ٦ ـ ١٣].

(٢) الحديث أخرجه أبو داود (٤٩٨٥ ، الأدب، باب: في صلاة العتمة) بسند صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود (١٣١٩، الصلاة، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل) بسند حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

الصبر وعـزاء عما أصابه ذلك لأنه يتلو كلام ربـه في صلاته وأثر تلاوة كلام الرب لا يُقـارن بأثر قراءة كـلام مخلوق وإذا كـان كلام بعـض الأطباء النفـسانيين فـيه راحـة وتخفيف فما بالك بكلام من خلق الطبيب النفساني.

وإذا جئـنا إلى الزكاة وهي أحـد أركان الإسـلام فإنهـا تطهيـر للنفس من الشح والبخل وتعويد على الكرم ومسـاعدة للفقراء والمحتاجين وأجر ينفع يوم القيامـة كبقية العبادات، ليـست باهظة ومرهقة كضرائب البـشر وإنما في كل ١٠٠٠ يدفع ٢٥ فقط يؤديها المسلم الصادق عن طواعية نفس لا يتهرب منها حتى ولو لم يلاحقه أحد.

وأما الصـيام فامـتناع عن الطعام والشـراب والنكاح عبادة لـله وشعوراً بحـاجة الجائعين والمحرومين وتذكيراً بنعمة الخالق على المخلوق وأجراً بلا حساب.

والحج إلى بيت الله الحرام الذي بناه إبـراهيم عليه السلام التزام بأمـر الله ودعاء مستجاب وتعرف على المسلمين من أقطار الأرض.

٣ ـ أن الإسلام قد أمر بكل خير ونهى عـن كل شر وأمر بسائر الآداب ومحاسن الأخلاق مثل الصـدق والحلم والأناة والرفق والتواضع والحياء والوفـاء بالوعد والوقار والرحمة والعـدل والشجاعة والصـبر والقناعة والعفـة والإحسان والسمـاحة والأمانة والشكر على المعروف وكظم الغـيظ، ويأمر ببر الوالدين وصلة الرحم وإغـاثة الملهوف والإحسان إلى الجار وحفظ مال اليتيم ورعايته ورحـمة الصغير واحترام الكبير والرفق بالخدم والحـيوانات وإمـاطة الأذى عن الطريق والكلمـة الطيبـة والعفو والصـفح عند المقدرة ونصـيحة المسلم لأخـيه المسلم وقضـاء حوائج المسلمين وإنظار المعسـر والإيثار والمواساة والتـعزية والتبـسم في وجوه الناس وإغـاثة الملهوف وعيـادة المريض ونصرة المظلوم والهدية بـين الأصحاب وإكـرام الضيف ومعـاشرة الزوجة بالمعـروف والإنفاق عليها وعلى الأولاد وإفشـاء التحية وهي السلام والاستئذان قـبل الدخول إلى البيوت حتى لا يرى الإنسان عورات أصحاب البيت.

وإذا كان بعض غـير المسلمين يفعلون بـعض هذه الأمور فإنما يفـعلونها من باب الآداب العـامـة لكنهم لا يرجـون جزاءً ولا ثوابًـا من الله ولا فوزًا ولا فـلاحًـا يوم القيامة.

وإذا جئنا إلى ما نهى الإسلام عنه لوجدناه في مصلحة الفرد والمجتمع وكل النواهي لحماية العلاقة بين الرب والعبد وبين الإنسان ونفسه وبني جنسه، ولنأخذ هذه الأمثلة الكثيرة لتوضيح المقصود:

فقد جاء الإسلام بالنهي عن الشرك بالله وعبادة غير الله وأن عبادة غير الله تعاسة وشقاء والنهي عن إتيان الكهان والعرافين وعن تصديقهم والنهي عن السحر الذي يعمل للتفريق بين شخصين أو الجمع بينهما وعن الاعتقاد في تأثير النجوم والكواكب في الحوادث وحياة الناس والنهي عن سب الدهر لأن الله هو الذي يصرفه والنهي عن الطيرة وهي التشاؤم.

والنهي عن إبطال الأعمال كما إذا قصد الرياء والسمعة والمن وعن الانحناء أو السجود لغير الله وعن الجلوس مع المنافقين أو الفساق استئناسًا بهم أو إيناسًا لهم وعن التلاعن بلعنة الله أو بغضبه أو بالنار.

والنهي عن البول في الماء الراكد وعن قضاء الحاجة على قارعة الطريق وفي ظل الناس وفي موارد الماء وعن استقبال القبلة واستدبارها ببول أو غائط .

والنهي أن يمسك الرجل ذكره بيمينه وهو يبول وعن السلام على من يقضي حاجته ونهي المستيقظ من نومه عن إدخال يده في الإناء حتى يغسلها.

والنهي عن التنفل عند طلوع الشمس وعند زوالها وعند غروبها وهي تطلع وتغرب بين قرني شيطان.

والنهي عن الصلاة وهو بحضرة طعام يشتهيه وعن الصلاة وهو يدافع البول والغائط والريح لأن كل ذلك يشغل المصلي ويصرفه عن الخشوع المطلوب.

والنهي أن يرفع المصلي صوته في الصلاة فيؤذي المؤمنين وعن مواصلة قيام الليل إذا أصابه النعاس بل ينام ثم يقوم وعن قيام الليل كله وبخاصة إذا كان ذلك تباعًا.

وأيضًا النهي عن أن يخرج المصلي من صلاته إذا شك في الحدث حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا.

والنهي عن الشراء والبيع وإنشاد الضالة في المساجد لأنها أماكن العبادة وذكر الله

فلا يليق فعل الأمور الدنيوية فيها.

والنهي عن الإسراع بالمشي إذا أقيمت الصلاة بل يمشي وعليه السكينة والوقار والنهي عن التباهي في المساجد وعن تزيينها بتحمير أو تصفير أو زخرفة وكل ما يشغل المصلين.

والنهي أن يصل يومًا بيوم في الصوم دون إفطار بينهما والنهي أن تصوم المرأة صيام نافلة وبعلها شاهد إلا بإذنه.

والنهي عن البناء على القبور أو تعليتها ورفعها والجلوس عليها والمشي بينها بالنعال وإنارتها والكتابة عليها ونبشها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

والنهي عن النياحة وعن شق الثوب ونشر الشعر لموت ميت .

والنهي عن نعي أهل الجاهلية أما مجرد الإخبار بموت الميت فلا حرج فيه.

والنهي عن أكل الربا، والنهي عن كل أنواع البيوع التي تشتمل على الجهالة والتغرير والخداع، والنهي عن بيع الدم والخمر والخنزير والأصنام وكل شيء حرمه الله فثمنه حرام بيعًا وشراءً وكذلك النهي عن النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها كما يحصل في كثير من المزادات والنهي عن كتم عيوب السلعة وإخفائها عند بيعها، والنهي عن بيع ما لا يملك وعن بيع الشيء قبل أن يحوزه، والنهي أن يبيع الرجل على بيع أخيه وأن يشتري على شراء أخيه وأن يسوم على سوم أخيه، والنهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها وتنجو من العاهة، والنهي عن التطفيف في المكيال والميزان، والنهي عن الاحتكار، ونهي الشريك في الأرض أو النخل وما شابهها عن بيع نصيبه حتى يعرضه على شريكه والنهي عن أكل أموال اليتامى ظلمًا واجتناب أكل القمار والنهي عن الميسر والغصب والنهي عن أخذ الرشوة وإعطائها والنهي عن نهب أموال الناس والنهي عن أكل أموالهم بالباطل، وكذلك أخذها بقصد إتلافها، والنهي عن بخس الناس أشياءهم، والنهي عن كتمان اللقطة وتغييبها وعن أخذ اللقطة إلا لمن يعرفها والنهي عن الغش بأنواعه والنهي عن الاستدانة بدين لا يريد وفاءه والنهي عن أن يأخذ المسلم من مال أخيه المسلم شيئًا إلا بطيب نفس منه وما أخذ بسيف الحياء فهو حرام والنهي عن قبول الهدية بسبب الشفاعة.

والنهي عن التبتل وهو ترك النكاح والنهي عن الاختصاء والنهي عن الجمع بين الأختين والنهي عن الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى خشية القطيعة والنهي عن الشغار وهو أن يقول مثلا زوجني ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتي أو أختي فتكون هذه مقابل الأخرى وهذا ظلم وحرام والنهي عن نكاح المتعة وهو نكاح إلى أجل متفق عليه بين الطرفين ينتهى العقد بانتهاء الأجل، والنهي عن وطء المرأة في المحيض وإنما يأتيها بعد أن تتطهر والنهي عن إتيان المرأة في دبرها والنهي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك أو يأذن له والنهي أن تنكح الثيب حتى تستأمر والبكر حتى تستأذن والنهي عن التهنئة بقولهم بالرفاء والبنين لأنها من تهنئة الجاهلية وأهل الجاهلية كانوا يكرهون الإناث، والنهي أن تكتم المطلقة ما خلق الله في رحمها، والنهي أن يحدث الزوج والزوجة بما يكون بينهما من أمور الاستمتاع والنهي عن إفساد المرأة على زوجها والنهي عن اللعب بالطلاق والنهي أن تسأل المرأة طلاق أختها سواء كانت زوجة أو مخطوبة مثل أن تسأل المرأة الرجل أن يطلق زوجته لتتزوجه، ونهى المرأة أن تنفق من مال زوجها إلا بإذنه ونهي المرأة أن تهجر فراش زوجها فإن فعلت دون عذر شرعي لعنتها الملائكة والنهي أن ينكح الرجل امرأة أبيه والنهي أن يطأ الرجل امرأة فيها حمل من غيره والنهي أن يعزل الرجل عن زوجته الحرة إلا بإذنها والنهي أن يطرق الرجل أهله ويفاجئهم ليلاً إذا قدم من سفر فإذا أخبرهم بوقت قدومه فلا حرج ، ونهى الزوج أن يأخذ من مهر زوجته بغير طيب نفس منها، والنهي عن الإضرار بالزوجة لتفتدي منه بالمال.

ونهي النساء عن التبرج والنهي عن المبالغة في ختان المرأة والنهي أن تدخل المرأة أحداً بيت زوجها إلا بإذنه ويكفي إذنه العام إذا لم يخالف الشرع والنهي عن التفريق بين الوالدة وولدها والنهي عن الدياثة والنهي عن إطلاق النظر إلى المرأة الأجنبية وعن إتباع النظرة النظرة.

والنهي عن الميتة سواء ماتت بالغرق أو الخنق أو الصعق أو السقوط من مكان مرتفع وعن الدم ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وما ذبح للأصنام.

والنهي عن أكل لحم الجلالة وهي الدابة التي تتغـذى على القاذورات والنجاسات وكذا شرب لبـنها وعن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مـخلب من الطير وأكل لحم الحـمار الأهلي والنهي عن صـبر البـهائـم وهو أن تمسك ثم ترمى بشيء إلى أن تموت أو أن تحبس بلا علف، والنهي عن الذبح بالسن والظفر وأن تذبح بهيمة بحضرة أخرى وأن تحد الشفرة أمامها.

في اللباس والزينة:

النهي عن الإسـراف في اللباس وعن الذهب للرجـال والنهي عن التعـري وعن المشي عريانًا وعن كشف الفخذ.

والنهي عن إسبال الثياب وعن جرها خيلاء وعن لبس ثوب الشهرة.

والنهي عن شهادة الزور والنهي عن قذف المحصنة والنهي عن قذف البريء وعن البهتان.

والنهي عن الهمز واللمز والتـنابز بالألقاب والغيبة والنميمـة والسخرية بالمسلمين وعن التفـاخر بالأحساب والطعن في الأنســاب وعن السباب والشـتم والفحش والخنا والبذاءة وكذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم.

والنهي عن الكذب ومن أشـده الكذب في المنام مـثل اخـتلاق الرؤى والمنامـات لتحصيل فضيلة أو كسب مادي أو تخويف لمن بينه وبينهم عداوة.

والنهي أن يزكى المرء نفسه والنهي عن النجـوى فلا يتناجى اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه، وعن لعن المؤمن ولعن من لا يستحق اللعن.

والنهي عن سب الأموات والنـهي عن الدعاء بالموت أو تمنيه لـضر نزل به وعن الدعاء على النفس والأولاد والخدم والأموال.

والنهي عن الأكل مما بين أيدي الآخرين وعن الأكـل من وسط الطعام وإنما يأكل من حافته وجوانبه فإن البـركة تنزل وسط الطعام وعن الشرب من ثلمة الإناء المكسور حـتى لا يؤذي نفســه وعن الشـرب من فم الإناء والنهي عن التنـفس فيــه وأن يأكل الشخص وهو منبطح على بطنه، والنهي عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر.

والنهي عن ترك النار في البيت موقدة حين النوم والنهي أن يبيت الرجل وفي يده غمر مثل الزهومة والزفر والنهي عن النوم على البطن، والنهي أن يحدث الإنسان بالرؤيا القبيحة أو أن يفسرها لأنها من تلاعب الشيطان.

والنهي عن قتل النفس بغير حق، والنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر والنهي عن الانتحار والنهي عن الزنا والنهي عن اللواط وشرب الخمر وعصره وحمله وبيعه والنهي عن إرضاء الناس بسخط الله، والنهي عن نهر الوالدين وقول أف لهما، والنهي عن انتساب الولد لغير أبيه والنهي عن التعذيب بالنار والنهي عن تحريق الأحياء والأموات بالنار والنهي عن المثلة وهي تشويه جثث القتلى، والنهي عن الإعانة على الباطل والتعاون على الإثم والعدوان والنهي عن إطاعة أحد في معصية الله والنهي عن الحلف كاذبًا وعن اليمين الغموس والنهي أن يستمع لحديث قوم بغير إذنهم والنهي عن النظر إلى العورات والنهي أن يدعى ما ليس له والنهي أن يتشبع بما لم يعط وأن يسعى إلى أن يحمد بما لم يفعل والنهي عن الاطلاع في بيت قوم بغير إذنهم والنهي عن الإسراف والتبذير والنهي عن اليمين الآثمة والتجسس وسوء الظن بالصالحين والصالحات والنهي عن التحاسد والتباغض والتدابر والنهي عن التمادي في الباطل والنهي عن الكبر والفخر والخيلاء والإعجاب بالنفس والفرح والمرح أشرًا وبطرًا والنهي أن يعود المسلم في صدقته ولو بشرائها، والنهي عن استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره والنهي عن عدم العدل في العطية بين الأولاد، والنهي أن يوصى بماله كله ويترك ورثته فقراء فإن فعل فلا تنفذ وصيته إلا في الثلث والنهي عن سوء الجوار والنهي عن المضارة في الوصية والنهي عن هجر المسلم فوق ثلاثة أيام دون سبب شرعي والنهي عن الخذف وهو رمي الحصاة بين أصبعين لأنها مظنة الأذى مثل فقوء العين وكسر السن، والنهي عن الوصية لوارث لأن الله قد أعطى الورثة حقوقهم، والنهي عن إيذاء الجار، والنهي عن إشارة المسلم لأخيه بالسلاح والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً خشية الإيذاء والنهي أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما، والنهي عن رد الهدية إذا لم يكن فيها محذور شرعي، والنهي عن الإسراف والتبذير، والنهي عن إعطاء المال للسفهاء، ونهي الناس أن يتمنى ما فضل الله بعضهم على بعض من

الرجال والنساء والنهي عن إبطال الصدقات بالمن والأذى، والنهي عن كتمان الشهادة، والنهي عن قهر اليتيم ونهر السائل، والنهي عن التداوي بالدواء الخبيث فإن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها والنهي عن قتل النساء والصبيان في الحرب، والنهي أن يفخر أحد على أحد، والنهي عن إخلاف الوعد، والنهي عن خيانة الأمانة والنهي عن سؤال الناس دون حاجة والنهي أن يروع المسلم أخاه المسلم أو يأخذ متاعه لاعبًا أو جادًا والنهي أن يرجع الشخص في هبته وعطيته إلا الوالد فيما أعطى ولده والنهي عن ممارسة الطب بغير خبرة والنهي عن قتل النمل والنحل والهدهد والنهي أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة والنهي عن الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما والنهي عن جعل السلام للمعرفة وإنما يسلم على من عرف ومن لم يعرف والنهي عن جعل اليمين حائلة بين الحالف وعمل البر بل يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه والنهي عن القضاء بين الخصمين وهو غضبان أو يقضي لأحدهما دون أن يسمع كلام الآخر والنهي أن يمر الرجل في السوق ومعه ما يؤذي المسلمين كالأدوات الحادة المكشوفة، والنهي أن يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يقعد فيه، والنهي أن يقوم الرجل من عند أخيه حتى يستأذن .

إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي التي جاءت لسعادة الإنسان وسعادة البشرية، فهل رأيت أو عرفت أيتها السائلة دينًا مثل هذا الدين؟

أعيدي قراءة الجواب ثم سائلي نفسك: أليس من الخسارة ألا تكوني أحد أتباعه؟

قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(١) .

وختامًا أتمنى لك ولكل من قرأ هذا الجواب التوفيق لسلوك سبيل الصواب واتباع الحق، والله يحفظنا وإياكم من كل سوء.

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥ .

سماحة الإسلام، والمظاهر الإنسانية فيه[١]

الإسلام دين اليسر ورفع الحرج والمشقة، فلا عسر فيه ولا أغلال ولا آصار.

وهذه ميزة للإسلام خاصة لا يشاركه فيها دين آخر، وقد كانت الأمم السابقة تكلف بتكاليف عسيرة، وفرض عليها فرائض شديدة، وربما يحظر عليها بعض المباحات والطيبات، وهذا ليس لأنه طبع الدين المنزل من عند الله، وإنما لأن بعض الأمم كانت مطبوعة على العناد والشكوك وكثرة السؤال.

لهذا جازاهم الله تعالى بالأحكام العسيرة جزاء وفاقًا ، ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾[٢] وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾[٣] أما هذه الأمة المحمدية ـ الأمة الوسط ـ فبما رحمة من الله سمعت وأطاعت واستجابت لكل ما طلب منها، فخفف الله عنها ووضع عنها الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة.

ولهذا فالمسلم يلجأ إلى ربه قائلاً: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[٤] .

ويقول رسول الله ﷺ : «**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه استطعتم**»[٥] .

---

(١) انظر: «الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي ـ د/ عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي ـ ط ٢ ـ ١٤١٤ هـ. [ص/ ١٦ ـ ٢٨] بتصرف يسير.

(٢) سورة الكهف: (٤٩).

(٣) سورة النساء: (١٦٠).

(٤) سورة البقرة: (٢٨٦).

(٥) متفق عليه واللفظ للبخاري. (صحيح البخاري ـ الاعتصام الباب ٢، ٨ / ١٤٢)، و(صحيح مسلم ـ كتاب الحج ٢ / ٩٧٥).

كما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**إني أرسلت بحنيفية سمحة**»[١] .

وانطلاقًا من هذه القاعدة . . . فقد شمل الإسلام بيسره ورفقه الناس حتى غير المسلمين، فتسامح معهم في كثير من القضايا والأحكام، ومنحهم كثيرًا من الحقوق، حتى أصبحت هذه الأمور قضايا إنسانية عامة، وكل هذا بسبب رحمة الله تعالى لعباده ولطفه بهم، اللذين عَمَّا الناس كلهم ـ دون تخصيص ـ بل وكل الدواب في هذه الأرض، كما جاء في الحديث الصحيح «**إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**»[٢] .

أهم جوانب التسامح وصوره مع غير المسلمين:

١ ـ مشروعية الرحمة العامة:

من أسماء الله تعالى الحسنى «الرحمن الرحيم» ومن صفاته: الرأفة والرحمة وقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ رحمة للخلق ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٣] .

ومن هنا. . حض الإسلام على رحمة الناس والرأفة بهم، وجاءت النصوص الكثيرة حول هذا، ومنها:

قوله ﷺ : «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»[٤] .

---

(١) رواه أحمد عن عائشة ٦ / ١١٦، ٢٣٣، قال الحافظ في الفتح ١ / ٩٤: (إسناده حسن)، وروى البخاري في صحيحه تعليقًا «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» كتاب الإيمان الباب ٢٩، ١ / ١٥ ـ ورواه مسندًا في الأدب المفرد بلفظ : سئل النبي ﷺ أي الأديان أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «**الحنيفية السمحة**» الحديث رقم ٢٨٧ .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (صحيح مسلم ـ التوبة ٤ / ٢١٠٨) ورواه أحمد في مسنده ٤ / ٣١٢، وروى نحوه البخاري في صحيحه ـ الأدب الباب ١٩ ، ٧ / ٧٥ .

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٤) متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله واللفظ للبخاري (انظر صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد الباب ٢، ٨ / ١٦٥، وصحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ٤ / ١٨٠٩) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من لا يرحم لا يرحم**»[١].

قال في الفتح عند الحديث الأخير: «قال ابن بطال[٢]: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، المملوك منها وغير المملوك»[٣].

فالرحمة إذًا شاملة لجميع الخلق، وليست خاصة بالمسلمين، وسبب هذه الرحمة ظاهرة، فإن وجود معنى الحيوانية في الشيء سواء كان إنسانًا أم حيوانًا، أمر يدعو للرحمة، ولهذا لما سئل ﷺ هل في الإحسان إلى البهائم أجر قال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**»[٤] ودواعي الرحمة في الإنسان آكد منه في الحيوان.

ثم إن وجود الكفر أو الفسوق أو العصيان في شخص ما أمر يدعو للرحمة والتأسف، لأنه مبتلى، والمبتلى لا ينبغي تعنيفه أو إظهار التعالي عليه، بل إن على المسلم التقي المعافى، أن يحمد ربه على العافية ، ويرحم هذا المبتلى، بتوجيه النصح إليه ودعوته إلى طريق الحق بالأسلوب المناسب.

فقد روى الإمام الترمذي عن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى صاحب بلاء**[٥] **فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك الله به وفضلني على**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب (الباب ١٨ الحديث رقم ٥٩٩٧، ٧ / ٧٥)، ومسلم (الفضائل ٤ / ١٨٠٨، ١٨٠٩).

(٢) ابن بطال: هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال المغربي المالكي المعروف بابن اللجام، محدث مشهور، شرح الجامع الصحيح للبخاري، توفي سنة ٤٤٩ هـ (سير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٧).

(٣) انظر فتح الباري ١٠ / ٤٤٠ .

(٤) متفق عليه عن أبي هريرة (البخاري ـ الأدب، الباب ٢٧ ، ٧ / ٧٧)، ومسلم السلام ٤ / ١٧٦١ واللفظ للبخاري.

(٥) قال في تحفة الأحوذي: «من رأى صاحب بلاء» أي مبتلى في أمر بدني كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عرج أو اعوجاج يد ونحوها، أو ديني بنحو فسق وظلم وبدعة وكفر وغيرها» ٩ / ٣٩٠ مطبعة الاعتماد.

كثير ممن خلق تفضيلاً، إلا عوفي من ذلك البلاء كائنًا ما كان ما عاش» [(١)] .

وسيرة رسول الله ﷺ في دعوته لقومه، مثل أعلى في هذا المجال، بل وصل به الحال إلى إرهاق نفسه، حتى نزل قوله سبحانه: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[(٢)] وقوله: ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ [(٣)] .

فالمسلم ـ ولا سيما الداعية إلى الله ـ يرحم الناس ويهتم بهم، لكن لا ينبغي أن تصل به هذه الرحمة وهذا الاهتمام إلى حد الأسى وتعذيب النفس وإرهاقها ، إذ الهداية بيد الله، وما على الداعي إلا البلاغ.

ورسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ـ بالرغم مما كان يعانيه في سبيل الله من المشقة والجهد والتحدي ـ قال لما طلب منه أن يدعو على المشركين: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**»[(٤)] .

هذا هو المسلم، إنه ذو رحمة ورأفة وعطف وتواضع، وليس هذا عنوانًا للاستكانة والذلة والضعف بل إنه طبع الأقوياء الأعزاء.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ** ﴾[(٥)] حيث وصف الله محمداً وصحبه بأنهم أشداء على الكفار غلاظ عليهم، وهذا يتنافى مع الرحمة؟

قلنا: يفسر ذلك قوله سبحانه: ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم**

---

(١) سنن الترمذي ٥ / ٤٩٣، وقال الترمذي حديث غريب، ورواه ابن ماجه كذلك باختلاف يسير عن ابن عمر ص ١٢٨١، وانظر موطأ مالك ص ٦١٠، وقد رمز له السيوطي بالحسن (الجامع الصغير ٢ / ٦٠٢) وانظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني الحديث رقم ٦٠٢).

(٢) سورة الكهف: (٦). ومعنى باخع نفسك أي قاتلها هما وغما.

(٣) سورة فاطر: (٨).

(٤) رواه مسلم (كتاب البر والصلة ٤ / ٢٠٠٦، ٢٠٠٧).

(٥) سورة الفتح: (٢٩).

مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١] .

فهذه الآيات توضح لنا أن من أبدى عداء للمسلمين وأضمر شرًا لهم فلا بد أن يكون المسلمون أشداء عليهم ـ جزاء وفاقًا ـ وهو المقصود ـ والله أعلم، بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية، فالكفار الذين أمرنا أن نكون أشداء عليهم هم من جاءت أوصافهم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ .

تلك الأوصاف هي: مقاتلة المسلمين وفتنتهم عن دينهم، والاعتداء على المسلمين في ديارهم وإخراجهم منها، وكذلك مظاهرة هؤلاء ومساعدتهم؛ ثم إن الشدة لا تتنافى مع الرحمة كما قيل:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليقس أحيانًا على من يرحم

فإن هذه الشدة من أجل مصلحة الإنسان نفسه.

أما من أبدى تعاطفًا وسلمًا أو كان له عهد وذمة، فالمشروع في حقه أن يُبر ويحسن إليه علاوة على الرحمة، ولعل هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية [٢] .

وكما أشارت إليه آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٣] . والعلم عند الله تعالى.

٢ ـ مشروعية البر والإحسان إلى المسالمين:

يحث الإسلام على البر والإحسان وبذل المعروف والنصح لجميع الناس إلا من حارب الله ورسوله وتربص بالمسلمين الدوائر، وهم من يسمون بـ «الحربيين».

---

(١) سورة الممتحنة: (٧، ٨، ٩).

(٢) انظر ما قاله الرازي عند قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ ١٦ / ٢٢٨ .

(٣) سورة الأنفال: (٦١).

أما من عداهم - حتى من غير المسلمين - فالدين لا يمانع من برهم والعطف عليهم؛ ما داموا مسالمين موادعين كأهل الذمة وأهل الصلح ونحوهم.

يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [١].

قال ابن جرير الطبري عند الآية الأولى، بعد أن ساق أقوال المفسرين في المراد بالذين لا ينهى الله عن برهم.. قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: ﴿ **الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ** ﴾ جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ»[٢].

ويقول الشوكاني حول الآية الأولى أيضًا: «ومعنى الآية أن الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ألا يظاهروا الكفار عليهم»[٣].

ويظهر لنا مما تقدم: أن الإحسان وبذل المعروف مرغوبان لكل أحد، ولو كان من غير المسلمين، وقد أوضح ابن المرتضى[٤] ذلك فقال: «المخالفة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف ونحو ذلك يستحب بذله لجميع

---

(١) سورة الممتحنة: ٨، ٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٨ / ٤٣ (ط دار المعرفة).

(٣) «فتح القدير» ٥ / ٣١٣، وانظر أيضًا «أحكام القرآن» للجصاص ٣ / ٤٣٦، و«أحكام القرآن» للكيا الهراسي (٤ / ٤٦١).

(٤) ابن المرتضى: هو محمد بن إبراهيم المرتضى بن المنصور اليمني، ولد سنة ٧٧٥ هـ من أئمة الزيدية وقد رد عليهم في كتابه «العواصم والقواصم» واختصره في الروض الباسم، شارك في كثير من العلوم («البدر الطالع» للشوكاني ٢ / ٨١).

الخلق إلا ما كان يقتضي مفسدة كالذلة ، فلا يبذل للعدو في حال الحرب»[١] .

وهذا القيد ـ الذي ذكر ابن المرتضى ـ أعني ألا يقتضي ذلك مفسدة قيد في محله، ففعل البر كله لا بد أن يكون من يد عليا عزيزة، فإذا كان يفضي إلى ذل واستكانة فلا ينبغي فعله لغير المسلم.

ولعل أهم الذين يتعين برهم والإحسان إليهم من غير المسلمين هم الوالدان، ثم الأقربون على حسب درجات قربهم.

يقول تعالى مقرراً حق الوالد المشرك ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[٢] .

وقد ثبت عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما، أنها قالت لرسول الله ﷺ : قدمت أمي علي راغبة [٣] وهي مشركة ، أفأصلها ؟ قال : « **نعم صلي أمك**»[٤] .

بل إن صلة الرحم مأمور بها لكل الأقارب وإن كانوا غير الأبوين كما قال سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾[٥] .

قال ابن العربي [٦]: «واتفقت الملة أن صلة ذوي الأرحام واجبة وأن قطيعتها

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» ص ٤٠٨ دار ومكتبة الهلال، وكذلك انظر ما قاله الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣ / ١٨٩ .

(٢) سورة لقمان: ١٥ .

(٣) راغبة أي ترغب صلتي، أو ترغب أن تسألني شيئًا (انظر فتح الباري ٥ / ٢٣٤) والمقصود أن أم أسماء وهي (قتيلة) قدمت من مكة إلى المدينة من أجل صلة بنتها.

(٤) متفق عليه (صحيح البخاري ـ الأدب الباب ٧ ، ٨ الحديث رقم ٥٩٧٨، ٥٩٧٩، ٧ / ٧١ وصحيح مسلم الزكاة ٢ / ٦٩٦).

(٥) سورة النساء: ١ .

(٦) ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي رحل إلى المشرق فلقي الغزالي والطرطوشي وغيرهما. له مؤلفات كثيرة. وهو غير ابن عربي الطائي صاحب وحدة الوجود انظر: (سير أعلام النبلاء ٢٠ / ١٩٧).

محرمة. . . ولتأكيدها دخل الفصل في صلة الرحم الكافرة»[١] .

ومن ذلك نعلم أن صلة الرحم من أبرز جوانب البر والإحسان المقدمة لغير المسلمين.

غير أنه لابد من الإشارة إلى أن ذا الرحم إذا كان محاربًا معاندًا محادّا لله ورسوله والمؤمنين، فإنه لا يلزم بره ولا صلته[٢] .

وممن يتعين بره كذلك الجار وإن كان مشركًا كما جاء في الحديث: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»**[٣] قال القرطبي: «والوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلمًا كان أو كافرًا وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه»[٤] .

ومما يجدر التنبيه عليه والإشارة إليه أن البر والإحسان إلى أهل الذمة ونحوهم والعطف عليهم ـ سواء أكانوا أقرباء أم أجانب ـ لا يعني حبهم ومودتهم وموالاتهم التي نهي الله عنها في قوله: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾[٥] الآية.

يقول ابن الجوزي عند قوله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾ الآية: « وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم، وإن كانت الموالاة منقطعة عنهم»[٦].

---

(١) «الأحكام» لابن العربي ١ / ٣٠٧، وانظر «أحكام القرآن» للقرطبي ٥ / ٦ و«فتح الباري» السابق. و«كتاب السير الكبير» للشيباني ١ / ٩٦ تحقيق صلاح الدين المنجد. و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم ص ٣٠١ .

(٢) انظر «كتاب السير الكبير» للشيباني ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة وغيره ـ الإيمان ١ / ٦٩ ، ورواه البخاري بلفظ: **«فلا يؤذ جاره»** (الصحيح ـ كتاب الرقاق الباب ٢٣ برقم ٦٤٧٥، ٧ / ١٨٤) وقد أخرجه مسلم أيضًا بهذه الرواية (صحيح مسلم السابق).

(٤) تفسير القرطبي ٥ / ١٨٤ .

(٥) سورة المجادلة: ٢٢ .

(٦) زاد المسير ٨ / ٢٣٧، وانظر «أحكام القرآن» للإمام الشافعي ٢ / ١٩١، و«أحكام القرآن»=

٣ ـ الرفق بأهل الذمة:

يشرع في حق كل ذي ذمة أن يعامل معاملة حسنة لا أذى فيها ولا غلظة، ودون سب وشتم، أو قهر ونهر، أو إذلالاً وإهانة، لأن في كل هذه الأشياء إلحاق أذى بهم، والدين لا يبيح أذيتهم بحال .

وواضح أن إلحاق الأذى بهم يزهدهم في الإسلام ويرغبهم عنه وتسوء نظرتهم إلى الإسلام سوءًا قد تحجبهم عن الدخول فيه.

من هنا نقول: إن الإسلام فيما يبدو لنا يدعو إلى حسن معاملتهم والتأدب معهم والرِّفق بهم، وأدلة هذا متضافرة، نقتطف منها الآتي:

١ ـ يقول جل شأنه: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[١] .

يقول الإمام الطبري عند هذه الآية: «قوله: ﴿**إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، وقوله: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ أي الذين امتنعوا عن أداء الجزية ونصبوا دونها الحرب»[٢] .

٢ ـ وروت عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام[٣] عليكم، قالت عائشة: ففهمتها. فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ : « **قد قلت وعليكم**»[٤] .

هكذا كانت معاملة رسول الله ﷺ لغير المسلمين ، ولنا فيه أسوة حسنة.

= لابن العربي (ص ٩٠٧) والفتاوى الهندية «٥ / ٣٤٧».

(١) سورة العنكبوت: ٤٦ .

(٢) تفسير الطبري ٢١ / ٢ ، ٣ .

(٣) السام: الموت.

(٤) متفق عليه (صحيح البخاري ـ كتاب الأدب الباب ٣٥ ، ٧ / ٨٠) وصحيح مسلم كتاب السلام ٤ / ١٧٠٦ .

٣ ـ ذكر ابن إسحاق في مغازيه أن وفد نصارى نجران لما وفدوا على النبي ﷺ دخلوا عليه في مسجده بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ : «**دعوهم**»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم [١] .

ويعقب ابن القيم على هذه الحادثة مستنبطًا فقهها ـ فيقول: « فيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضًا إذا كان ذلك عارضًا ولا يمكنون من اعتياد ذلك » [٢] .

٤ ـ ورسول الله عليه الصلاة والسلام ـ وهو يذكر لأصحابه واحدة من علامات نبوته ـ يقول: «**إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا** » [٣] .

فيوصي بأهل مصر خيرًا: مع أنهم وقتئذٍ أقباط.

تلك وصايا الإسلام حول أهل الذمة ونحوهم، وهي وصايا تنبئ عن تسامح كبير معهم.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «الطبقات» لابن سعد ١ / ٣٥٧ دار صادر بيروت، و«سيرة ابن هشام» ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠ تحقيق خليل هراس. و «زاد المعاد » لابن القيم ٣ / ٦٢٩ تحقيق الأرناؤوط . وابن كثير في السيرة ٤ / ١٠٨ تحقيق مصطفى عبد الواحد. ط ٢ . و«ابن كثير في التفسير ١ / ٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) زاد المعاد ٣ / ٦٣٨، وانظر أيضًا «أحكام القرآن» للجصاص ٣ / ٨٨، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم ١ / ١٩١ .

(٣) قوله: «**فإن لهم ذمة ورحمًا**» الذمة: الحرمة والحق، وأما الرحم فسببها كون هاجر أم إسماعيل (أبي العرب) منهم.

الغلو[1]

تعريف الغلو في اللغة:

تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر.

قال ابن فارس: الغين واللام والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السِّعْرُ يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه.

وغلا الرجل في الأمر غلواً - إذا جاوز حَدَّه[2].

وقال ابن منظور: غلا في الدين والأمر، يغلو غُلُوا: جاوز حده[3].

معني الغلو في الشرع:

ورد النهي في القرآن الكريم عن الغلو، وجاء الخطاب في النهي موجهًا لأهل الكتاب علي وجه الخصوص ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[4] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[5].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (ينهى - تعالى - أهل الكتاب عن الغلو والإطراء،

---

(١) انظر مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر « الأسباب والآثار العلاج » د / عبد الرحمن بن معلا اللويحق [١ / ٢٠ - ٢٩]. ط ٢ - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بتصرف يسير وهو مرجع غاية في الأهمية.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة - مادة (غلو): (٨١٢)، وانظر المرجع السابق.

(٣) انظر «لسان العرب»: مادة «غلا» والمرجع السابق.

(٤) سورة النساء: ١٧١ .

(٥) سورة المائدة: ٧٧ .

وهذا كثير في النصـاري، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتـى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلـهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قـالوه سواء كان حقا أو باطلاً، أو ضالا أو إرشادًا، أو صـحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[1] .

وهاتان الآيتـان وإن تعلقتـا بأهل الكتاب ابتـداء، فإن المراد منهـما مـوعظة هذه الأمة؛ لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة [2] .

وفي سنة الرسول ﷺ أحـاديث ، فيها نهيـه ﷺ عن الغلو، وتحذيره من سلوك طرق السابقين بالغلو في الدين، وهذه بعض منها:

١ ـ عن عبد الله بن عـباس ـ رضي الله عنهما ـ قـال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: «**هلمَّ القط لي الحصى**» فلقطت له حصـيات من حصى الخـذف ، فلما وضعهن في يده، قال: « **نعم بأمثال هـؤلاء وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين** » [3] .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله:

(وهذا عام في جمـيع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعـمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل: الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنها أبلغ من الصغـار، ثم علله بما يقـتضي مجـانبة هديهم، أي هدي مـن كان قبلنا؛ إبـعادًا عن

---

(١) سورة التوبة: ٣١ ، وانظر تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٩).

(٢) ينظر محمد الطاهر بن عاشور: «مقاصد الشريعة الإسلامية»: (٦٠).

(٣) رواه أحمد: (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧)، وابن خزيمة: (٤ / ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨)، والنسائي: (٥ / ٢٦٨)، كتاب الحج ، باب التقاط الحصى، وابـن ماجه: (حديث ٣٠٢٩)، كتاب المناسك، باب قدر حـصى الرمي ، والحاكم: (١ / ٤٦٦)، وصححـه على شرط الشيخين، ووافـقه الذهبي ، والحديث صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» : (١ / ٢٨٩)، والنووي في «المجموع»: (٨ / ١٣٨).

الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك)(١)

٢ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا (٢) .

قال النووي: (هلك المتنطعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم) (٣) .

٣ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم؛ فإن قومًا شددوا فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**» (٤) .

ولقد اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلو في عبارة موجزة. وهذه بعض تلك التعريفات (٥) :

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله: (الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك)(٦) . وبنحو هذا التعريف

---

(١) نقلاً عن الشيخ سليمان بن عبد الله: «تيسير العزيز الحميد»: (٢٧٥)، ولم أجده في كتابات شيخ الإسلام التي بين يدي إلا نحوه في «الاقتضاء»: (١ / ٢٨٩).

(٢) رواه مسلم (٣ / ٢٠٥٥)، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، وأبو داود: (٥ / ١٥، رقم ٤٦٠٨)، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وأحمد: (١ / ٣٨٦).

(٣) «شرح صحيح مسلم»: (١٦ / ٢٢٠).

(٤) أخرجه أبو داود: (٥ / ٢٠٩ ـ ٢١٠، رقم ٤٩٠٤)، كتاب الأدب، باب في الحسد، وأبو يعلى: (حديث ٣٦٩٤)، وفي سنده: سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، وثقه ابن حبان، وقال الذهبي في «الكاشف»: «وثق» وقال ابن حجر في «التقريب»: «مقبول»، وقال الهيثمي: «رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة»، «مجمع الزوائد»: (٦ / ٢٥٦)، وينظر ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم»: (٤ / ٣١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور»: (٤ / ١٧٨)، والهندي في: «كنز العمال»: (حديث ٥٣٤٦)، وقال محقق «مسند أبي يعلى»: «إسناده حسن»: (٦ / ٣٦٥).

(٥) انظر: «مشكلة الغلو» (١ / ٢٩ ـ ٣٠).

(٦) «اقتضاء الصراط المستقيم»: (١ / ٢٨٩).

عرفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[(١)] ـ رحمه الله .

٢ ـ وعرفه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بأنه: (المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد)[(٢)] .

وهذه التعاريف كلها متقاربة، وتفيد أن الغلو هو تجاوز الحد الشرعي بالزيادة. و(الحدود: هي النهاياتُ لما يجاوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به)[(٣)] .

ويزيدُ الشيخ سليمانُ بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ الأمر وضوحًا، فيحدد ضابط الغلو فيقول:

(وضابطه تعدي ما أمر الله به. وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[(٤)]) [(٥)] .

وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط. يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله ـ في كتاب أرسله إلى رجل يسأله عن القدر: (... وقصَّر قوم دونهم[(٦)] فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم)[(٧)] .

قال الحسن البصري ـ رحمه الله : (سننكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما: بين الغالي والجافي)[(٨)] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله : (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه،

---

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (٢٥٦).
(٢) «فتح الباري»: (١٣ / ٢٧٨).
(٣) ابن تيمية: «الفتاوى»: (٣ / ٣٦٢).
(٤) سورة طه: ٨١ .
(٥) «تيسير العزيز الحميد»: (٢٥٦).
(٦) دونهم أي دون السلف: الصحابة رضي الله عنهم.
(٧) رواه أبو داود: (٥ / ١٩ ، رقم ٤٦١٢)، كتاب السنة، باب لزوم السنة، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها»: (٣٠)، وابن بطة في «الإبانة»: (١ / ٣٢١).
(٨) رواه الدارمي: (١ / ٦٣ ، رقم ٢٢٢)، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي.

كالوادي بين جبلين، والهدي بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد) [١] . (وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط، وهو معنى قول مطرِّف بن عبد الله: «الحسنة بين السيئتين» [٢] ، وبه تعلم أنَّ من جانب التفريط والإفراط، فقد اهتدى) [٣] .

* * *

(١) «مدارج السالكين»: (٢ / ٤٩٦)، و«الفوائد»: (١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) نص قوله ـ رحمه الله ـ: (خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السيئتين، وشر الأمور الحقحقة)، ينظر ابن رجب الحنبلي: «المحجة في سير الدلجة»: (١٨).

(٣) الشنقيطي : «أضواء البيان»: (١ / ٤٩٤).

نوعا الغلو

١ ـ الغلو الكلي الاعتقادي .

٢ ـ الغلو الجزئي العملي[١] .

والمراد بالغلو الكلي الاعتقادي: الغلو المتعلق بكليات الشريعة، وبمسائل الاعتقاد، مثل: الغلو في الولاء والبراء، كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي. ومثل الغلو في التكفير؛ كالتكفير بالمعصية. وهذا الغلو الكلي الاعتقادي أشد خطرًا من الغلو الجزئي العملي (ذلك أن هذه الفرق، إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي أو الفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرقُ عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية)[٢] .

فمن أسباب نشوء الفرق: غلوها غلوًا كليًا اعتقاديًا، ولذلك فإن ثمة أوصافًا وخصائص تجمع بين الفرق الغالية على مر التاريخ، ذكر أهل العلم بعضًا منها. ومما يطَّرد كثيرًا في فرق الغلاة وصفان يجمعهما حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في حديث قصة الرجل الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ وإعطائه صناديد نجد أكثر من غيرهم ، وفيه: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله، فقال النبي ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**»[٣] .

---

(١) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (١ / ٢٨٩).

(٢) الشاطبي: «الاعتصام»: (٢ / ٧١٢) .

(٣) رواه البخاري : (٨ / ٥٢) ، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم: (١ / ٧٤٠، رقم ١٠٦٣)، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

وهذا تفصيل هذين الوصفين:

الأول: عدم فهم القرآن: فهم يقرؤونه دون فقه، وعدم فهمهم القرآن جعلهم يأخذون آيات نزلت في الكفار فيحملونها على المسلمين، فقد قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الخوارج: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»(١) .

الثاني: التكفير، ويضم بعضهم إلى التكفير استحلال الدماء: وهذا يكاد يكون مشتركًا بين أكثر أهل البدع. قال أبو قلابة: (ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف)(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفِّرون من خالفهم في بدعهم)(٣) .

وأما الغلو الجزئي العملي: فهو ما كان متعلقًا بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة العملية، سواء كان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح. وذلك مثل قيام الليل كله.

وإذا كان الغلو الجزئي العملي مرتبطًا بعقيدة فاسدة، انتقل إلى كونه غلوّا كليّا اعتقاديًا. وذلك مثل من يعتزل مساجد المسلمين؛ لأنه يراها مساجد ضرار، فهذا غالٍ غلوًا كليًا اعتقاديًا.

وكذا إذا تعددت أبواب الغلو الجزئي العملي، تحول إلى غلو كلي اعتقادي؛ إذ إن المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة للغلو في أمر اعتقادي كلي(٤) .

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا: (٨ / ٥١)، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين. . ، وأفاد الحافظ في «الفتح»: (١ / ٢٨٢) أن الطبري وصله في «تهذيب الآثار» من مسند علي بإسناد صحيح.

(٢) رواه الدارمي: (١ / ٤٤ ، رقم ١٠٠)، المقدمة، باب اتباع السنة.

(٣) «الرد على البكري»: (٢ / ٢٥٥).

(٤) ينظر الشاطبي: «الاعتصام»: (٢ / ٧١٣).

وقد عالج النبي ﷺ صوراً من الغلو العملي التي حدثت في عصره ـ عليه الصلاة والسلام، فمن ذلك:

١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ ؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[(١)] .

فاستنكر ﷺ هذا الأمر الذي فيه نوع غلو في الدين ، وجعله خروجًا عن سنته وهديه، فوقف الصحابة عند الحد، والتزموا هديَ النبي ﷺ .

٢ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دخل وعندها امرأة، فقال: **«من هذه»**؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها . قال: **«مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل اللهُ حتى تملوا»** وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه[(٢)] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (عليكم بما تطيقون: أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه. فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق)[(٣)] .

٣ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما كان النبي ﷺ يخطب، إذ هو برجل قائم، فسأل عنه ، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد،

---

(١) رواه البخاري: (٦ / ١١٦)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم: (٢ / ١٠٢٠، رقم ١٤٠١)، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.

(٢) رواه البخاري: (١ / ١٦)، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، و(٢ / ٤٨)، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم: (١ / ٥٤٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

(٣) «فتح الباري»: (١ / ١٠٢).

ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. فقال النبي ﷺ: **«مروه فليتكلم، وليستظل ، وليقعد، وليتم صومه»**(١) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه: أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً، مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافيًا ، والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله، فلا ينعقد به النذر)(٢) .

إنه في ضوء النصوص الناهية عن الغلو، والنصوص التي فيها معالجة لبعض قضاياه، والنصوص التي فيها بيان قيام الدين على اليسر ورفع الحرج، تتضح ملامح الغلو فيما يلي:

ملامح الغلو:

١ ـ أن يكون الغلو متعلقًا بفقه النصوص، وذلك بأحد أمرين:

أ ـ تفسير النصوص تفسيراً متشدداً، يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية، فيشدد على نفسه وعلى الآخرين.

ب ـ تكلف التعمق في معاني التنزيل ما لم يكلف به المسلم (ومن طماح النفوس إلى ما لم تكلف به، نشأت الفرق كلها أو أكثرها)(٣) .

٢ ـ أن يكون الغلو متعلقًا بالأحكام، وذلك بأحد أمور:

أ ـ إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل عبادة وترهبًا . وذا معياره الذي يحدده الطاقة الذاتية؛ حيث إن تجاوز الطاقة وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل، يعتبر غلوّا ، كما في حديث أبي إسرائيل السابق ذكره، والقضية في هذا تختلف باختلاف الناس، قال الشاطبي ـ رحمه الله:

---

(١) رواه البخاري: (٧ / ٢٣٤)، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ، وأبو داود: (٣ / ٥٩٩ ـ ٦٠٠، رقم ٣٣٠٠)، كتاب الأيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية.

(٢) «فتح الباري»: (١١ / ٥٩٠).

(٣) الشاطبي: «الموافقات»: (٢ / ٨٩).

(الفرق بين المشقة التي لا تعد مشقة عادة أو التي تعد مشقة ، هو أنه إن كان العملُ يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع عنه، أو عن بعضه، أو وقوع خلل في صاحبه في نفسه أو ماله، أو حال من أحواله، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك في الغالب، فلا يعد في العادة مشقة)[١] .

ب ـ تحريم الطيبات التي أباحها الله ـ عز وجل ـ على وجه التعبد، فهذا من الغلو. كما يتضح ذلك في بعض روايات النفر الثلاثة، حيث حرَّم بعضهم على نفسه أكل اللحم.

ج ـ ترك الضروريات أو بعضها، وذلك كالأكل والشرب والنوم والنكاح، فتركها يعتبر غلوا ، ويتضح ذلك في قصة النفر الثلاثة.

٣ ـ أن يكون الغلو متعلقًا بالموقف من الآخرين، وذلك بأحد أمرين:

أ ـ أن يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه سواء كان فردًا أو جماعة إلى درجة العصمة، فيجعله مصدر الحق.

وإنما مصدر الحق: كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ .

ب ـ أن يقف الإنسان من بعض الناس أفرادٍ أو جماعات موقف الذام الغالي، فيصم المسلم بالكفر والمروق من الدين، أو يصم المجتمع المسلم بأنه مجتمع جاهلي.

* * *

(١) المصدر السابق: (٢ / ١٢٣).

مقترحات العلماء في معالجة الغلو(١)

يختلف كلام العلماء في مقترحاتهم لمعالجة الغلو، حيث يلتفت كل عالم بحسب المناسبة إلى وضع جملة من الحلول . وممن كتب في معالجة الغلو كلامًا إجماليًا ذكر فيه جملة من المعالجات: شيخ الأزهر السابق: الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله ـ حيث وضع جملة من المقترحات أهمها:

١ ـ إعادة صياغة مناهج الدراسة في التعليم العام، وأن تزاد العناية بمناهج اللغة العربية والدين الإسلامي، بدرجة تفي بالتنشئة الصحيحة للصغار والشباب، وفي كافة المراحل الدراسية حتى الجامعية، مع العناية بتحفيظ قدر مناسب من القرآن الكريم.

٢ ـ تأهيل طلاب المعاهد الأزهرية بحفظ القرآن الكريم جميعه، مع مداومة النظر في المناهج الدراسية، حتى تكون مناسبة ، وتدعيم هذه المعاهد ، وكافة هيئات الأزهر تمكينًا له من أداء رسالته.

٣ ـ مواجهة المشكلات الاقتصادية، وما يتبعها من أزمات تضر بآمال الشباب، مثل أزمة الإسكان وأزمة العمل.

٤ ـ علاج الخلل الإداري في بعض أجهزة الدولة، الذي يعوق وصول الخدمات لطالبيها.

٥ ـ الوضوح السياسي، حتى ينشأ الشباب على بينة من أمر بلاده داخليا وخارجيا، وبما لا يضر بمصالح وأمن البلاد، وحتى لا يقع تحت مؤثرات خارجية، وأخبار غير صحيحة تذيعها المصادر التي تعمل على عدم الاستقرار في مصر . . . ولابد لوسائل الإعلام المتنوعة أن تباشر حوارًا حول التطرف وأبعاده وأسبابه المختلفة، وبين كافة التيارات حوارًا هادفًا هادئًا في كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، مبصرًا بالمخاطر الحقيقية التي يمثلها التطرف والعنف والإرهاب،

(١) انظر مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر «الأسباب ـ الآثار ـ العلاج» د/ عبد الرحمن ابن معلا اللويحق ـ ط ثانية [٣ / ١٠٤٠ ـ ١٠٤٢].

بغض النظر عن الثوب الذي يرتديه، وهل هو محلي أو وافد أو موفد. وأن تكفَّ وسائل الإعلام عن إشاعة الفرقة والتنابز بالألقاب والأحقاد؛ فإن الشباب غض القلب. وأن تكف وسائل الإعلام عن تقديم ما يضر بالمجتمع دينيّا وثقافيّا واجتماعيّا وسياسيًا. وأن تكون الكلمة مثمرة لا مدمرة، فلا يحق لوسيلة إعلامية أن تطعن المجتمع في دينه، أو أن تقوم بتجريح المجتمع، ونشر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وازدراء المتدينين والعلماء، وقلب الحقائق وتزييف التاريخ.

٦ ـ تطهير المجتمع ممن احترفوا الموبقات والمنكرات والرذائل، فأشاعوا الفساد.. والعمل على إذاعة الفضيلة، ورعاية الآداب العامة في المجتمع، وحجب تلك الموضوعات المثيرة للغرائز والاختلاف.

٧ ـ مواجهة التيارات الخارجية، التي تبث العنف، وتعمل على إثارة القلاقل، بكشف مصادرها ومقاصدها ... وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن في إسرائيل مركزي قيادة عالمية لطائفتي: الأحمدية القاديانية، والبهائية في حيفا وعكا.

٨ ـ التمكين للقضاء، ليظل حارسًا للعدل، وتنفيذ أحكامه دون تعطيل أو تأويل.

٩ ـ الكف عن نسبة الأخطاء والحوادث والكوارث إلى المتدينين وعن السخرية بهم، وبث الأمان والاطمئنان في قلوب القائمين على الدعوة، وإلغاء القوانين التي أقامت القيود على كلمة المسجد.

١٠ ـ مراجعة القوانين التي أصبحت تمثل ظلمًا اجتماعيّا، مثل قوانين العلاقة بين المالك والمستأجر في الإسكان والزراعة.

١١ ـ النزول عند رغبة الأمة، باستمداد تشريعاتها من شريعة الإسلام الذي تدين به. ففيها الغناء والكفاء والحماية والحصانة، واتخاذ إجراءات استصدار التشريعات التي تم إعدادها.

١٢ ـ توفير الرعاية للأسرة، وتشجيع الأم على التفرغ لتربية أولادها.

١٣ ـ حث الناس على الرجوع في أمور الفتوى في الدين إلى العلماء

المتخصصين، والأخذ على يد أولئك الذين يتصدون للفتوى بغير علم، في الوقت الذي لا يجرؤون فيه على احتراف أي علم آخر، خوفًا من العقاب الذي رتبه القانون. والحرص على تكريم العاملين في مجال العمل الإسلامي والاجتماعي الرشيد.

١٤ ـ لابد أن نحلل أسباب التطرف، بغض النظر عن نوعيته، ومظاهره وقنواته؛ فإنه يلبس أثوابًا عديدة، ويلبس لكل حالة لبوسها.

ومرة أخرى، لا نسارع إلى نسبته إلى الدين فنبغِّض الدين إلى الناس، ونصرفهم بهذا الترهيب عن التدين، مع أنه في ذاته عصمة من الزلل ، وطاعة لله، ونزول على حكمه.

ولابد أن نواجه التطرف الفكري بالفكر المثمر، والحوار البنَّاء الهادف إلى الإيضاح والإفصاح. ولنقف بحزم ضد مروجي الفتن، ولنتثبت من الأنبياء والأخبار وقبول التهم [1].

* * *

---

(١) «التطرف الديني وأبعاده أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا»: (٢٠ ـ ٢٤).

خصائص العقيدة الإسلامية

مصادر العقيدة الإسلامية:

مصادر العقيدة هي مصادر الدين عقيدة وفقهًا وهي الكتاب والسنة، وليس هناك مصادر غير ذلك، لكن بعض العلماء يذكر مصدرًا ثالثًا، وهو الإجماع، وهو ليس مصدرًا مستقلاً، بل عبارة عن حصيلة فهم النصوص، فأحيانًا ينبني الإجماع على نص، أو على مجموعة نصوص، وأحيانًا ينبني الإجماع على قاعدة أو قواعد أخذت من نصوص وأحيانًا ينبني الإجماع على فهوم صحيحة سليمة من قبل الراسخين في العلم من النصوص، فعلى هذا الإجماع قد يعتبر مصدرًا ثالثًا، وقد يقال إنه مصدر تابع، ولا مشاحة في الاصطلاح [١].

١ - أنها ربانية المصدر:

أي أن مصدرها من عند الله، وأنها لم تتغير ولم تتبدل، وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا، وأن السعادة تكمن في تنفيذها، وأن الشقاء يترتب على تركها:

أ - فالخير والبركة والسعادة ووفرة الإنتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [٣].

ب - وما دامت ربانية من الله عز وجل فإنها مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الحيف والظلم، لأن الله له المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ أَفَلَا

---

(١) ملخص من دروس العقيدة في الأكاديمية الإسلامية المفتوحة للمستوى الثالث، د/ ناصر عبد الكريم العقل - بتصرف.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) سورة المائدة: ٦٦.

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [١] .

ج ـ وما دامت ربانية فهي التي تشبع جوعة الفطرة للعبادة لا يسدها إلا منهاج الله، ولا تملأها النظم الفلسفية، ولا السلطان السياسي، ولا الثراء المالي.

وهذه الجوعة الفطرية للجوع (تحول) إلى قوة عليا تبرز بادية للعيان أمام الأعاصير والكوارث والمحن، فهذا (ستالين) الذي كان يقول: (لا إله والحياة مادة، والدين علقة تمتص دماء الشعوب) يضعف أمام هول الحرب العالمية الثانية، فإذا به يخرج القساوسة من السجن حتى يدعوا له بالنصر، ومرة ثانية أمام شدة المرض يرسل وراء القسيس حتى يصلي له ويستغفر.

د ـ وما دامت ربانية فالناس أمامها سواء لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، فالله خالق الناس أجمعين فكلهم عبيده، وهو لا يفضل لونًا على لون. قال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [٢] .

ولذا فهي العقيدة الوحيدة التي تنصف الناس وتعدل بينهم، والناس يقفون فيها على قدم المساواة حاكمهم ومحكومهم سواء **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [٣] .

٢ ـ ومن خصائص هذه العقيدة أنها ثابتة:

قال تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [٤] .

وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا

---

(١) سورة النساء: ٨٢ .
(٢) سورة النحل: ٩٧ .
(٣) سورة الأنعام: ١١٥ .
(٤) سورة الروم: ٣٠ .

ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر.

والإنسان يتحرك ويتطور وينمو، ولكن داخل إطار العقيدة الثابت الذي يتسع لحركة الإنسان ونموه، وإذا خرج الإنسان من الإطار الثابت فإنه يسبح كالنجم الذي يفلت من مداره، ويسير إلى نهايته التي تؤدي إلى اصطدامه بكوكب آخر، فيتحطم ويحطم معه غيره.

ولابد من شيء ثابت يرجع الناس إليه، حتى يطمئنوا ويستريحوا ويكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها ، أما الذين يقولون بأن كل شيء متطور في الحياة حتى الدين والأخلاق والنظم، فهذا يؤدي إلى فوضى كبيرة، فلا نعرف الحكم على أي شيء [١].

٣ ـ ومن خصائص العقيدة: أنها توقيفية غيبية:

فعقيدة الإسلام موقوفة على كتاب الله، وما صح من سنة رسوله محمد ﷺ، فليست محلاً للاجتهاد؛ لأن مصادرها توقيفية. وذلك أن العقيدة الصحيحة لابد فيها من اليقين الجازم، فلابد أن تكون مصادرها مجزوم بصحتها، وهذا لا يوجد إلا في كتاب الله وما صح من سنة رسوله ﷺ. وعليه فإن جميع المصادر الظنية، كالقياس والعقل البشري، لا يصح مصادر للعقيدة، فمن جعل شيئًا منها مصدرًا للعقيدة فقد جانب الصواب وجعل العقيدة محلاً للاجتهاد الذي يخطئ ويصيب [٢].

وغيبية بمعنى أنها في أصولها، وفي منطلقاتها غيبية، قد يكون فيها بعض الجوانب يدركها الإنسان بعقله السليم وفطرته، لكن إدراك إجمالي، وتبقى أصولها وتفاصيلها غيبية.

٤ ـ ومن خصائص العقيدة وسماتها: الشمول:

شمول لجميع حاجات الفرد، في قلبه وعاطفته وأحاسيسه وفي مشاعره وجوارحه وفي متطلبات حياته الفردية والأسرية والاجتماعية والعالمية، فهي شاملة لكل ما يحتاجه أو ما يحقق السعادة للناس في الدنيا والآخرة.

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل ـ أ. د/ عبد الله عزام ـ رحمه الله (١ / ٤٤ ـ ٥٢) بتصرف.

(٢) من مقال بعنوان: «خصائص العقيدة الإسلامية. أ. د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين،

٥ ـ ومن خصائص العقيدة أنها محفوظة:

فهي محفوظة بحفظ الدين، محفوظة بجميع جزئياتها وليس فقط قواعده وأصوله، فهي عبارة عن كنز موجود واضح بين نقي ليس فيه غموض، يقول النبي ﷺ: «**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[١] فهلاك الناس هي التي جعلتهم يقصرون في البحث عن بعض المسائل أو حل مشكلاتهم من الدين، لا لأن الدين ضاع منه شيء، فإن الدين محفوظ وإلى قيام الساعة.

٦ ـ ومن خصائص العقيدة: الوضوح:

فالعقيدة الإسلامية عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، فهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات إلهًا واحدًا مستحقًا للعبادة هو الله تعالى الذي خلق الكون البديع المنسق وقدر كل شيء فيه تقديرًا، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد، فهذا الوضوح يناسب العقل السليم؛ لأن العقل دائمًا يطلب الترابط والوحدة عند التنوع والكثرة، ويريد أن يرجع الأشياء المختلفة إلى سبب واحد.

وكما أن العقيدة الإسلامية واضحة فهي كذلك لا تدعو إلى الاتباع الأعمى، بل على العكس فإنها تدعو إلى التبصر والتعقل قال تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٢].

ولأن العقيدة مما تحار العقول المجردة فيها ولا تصل إلى إدراكها إلا من طريق الشارع الحكيم، فقد رجع كثير من الفلاسفة وأهل الكلام من المسلمين عن مناهجهم العقلية المجردة إلى منهج الكتاب والسنة. ومن هؤلاء الفخر الرازي ـ وهو من كبار الفلاسفة المسلمين ـ إذ يقول بعد عمر طويل في البحث العقلي:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

٧ ـ ومن خصائصها أنها تتميز بالسهولة واليسر:

العقيدة الإسلامية ليس فيها ألغاز، ولا فلسفات، ولا غموض، فالعقيدة في الكتاب

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن، وانظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (٥٩).

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

والسنة، سهلة ميسورة، يفهمها العامي بقدر والمثقف بقدر، وطالب العلم بقدر، والعالم الراسخ بقدر، كل يفهمها، ليس في ثوابت العقيدة ما لا يُفهم، ليس فيها ما هو عسير، بعكس عقائد أهل الأهواء والبدع، وهذا أمر عجيب، كل أهل الأهواء والبدع يوجد في أصولهم ما لا يفهمه إلا الخاصة منهم بدون استثناء، لا يفهمه العوام، ولا حتى طلاب العلم إلا المتخصص منهم، ما عدا العقيدة الإسلامية، عقيدة أهل السنة والجماعة، العقيدة الحق تتميز بالسهولة واليسر والإحكام والوضوح، وأيضًا ثبوت المصطلحات، أصول العقيدة كلها، مصطلحاتها الشرعية ثابتة إلى قيام الساعة، لا تختلف من بين وقت ووقت.

٨ ـ ومن خصائصها : أنها عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط:

قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[١] فهي ـ مثلاً ـ وسط بين التسليم الساذج والتقليد الأعمى في العقائد، وبين الغلو والتوغل بالعقل لإدراك كل شيء حتى الألوهية، فهي تنهي عن التقليد الأعمى، حيث عاب الله على القائلين: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾[٢] وتنهى عن التوغل بالعقل لإدراك كيفية صفات الرب عز وجل فقال تعالى: ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾[٣] . وقال: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾[٤] . وتدعوهم إلى التوسط والأخذ بالمدركات كوسائط قال تعالى: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾[٥] [٦] .

هذه بعض ما تيسر ذكره من خصائص هذه العقيدة الإسلامية العظيمة.

ونسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفقنا إلى الحق ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، والحمد لله رب العالمين[٧] .

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣ .

(٢) سورة الزخرف: ٢٣ .

(٣) سورة طه: ١١٠ .

(٤) سورة الإسراء: ٣٦ .

(٥) سورة الذاريات: ٢٠ ـ ٢١ .

(٦) من مقال بعنوان: «خصائص العقيدة الإسلامية» بتصرف.

(٧) ومن أراد الوقوف على هذه الخصائص عليه العودة إلى شرح العقيدة الطحاوية ص ٥، ٦ .

المراد بالوسطية في الدين [١]

التوسط في الدين أو الوسطية : أن يكون الإنسان بين الغالي والجافي ، وهذا يدخل في الأمور العلمية العقدية ، وفي الأمور العملية التعبدية . فمثلاً في الأمور العقدية انقسم الناس فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته إلى ثلاثة أقسام : طرفان ووسط، طرف غلا في التنزيه فنفى عن الله بما وصف به نفسه ، وقسم غلا في الإثبات فأثبت لله ما أثبته الله لنفسه من الأسماء بالصفات ، لكن باعتقاد المماثلة ، وقسم وسط أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، لكن بدون اعتقاد المماثلة ، وأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته .

مثال الأول الذين غلوا في التنزيه الذين يقولون: إن الله تعالى لا يوصف إلا بصفات معينة حدودها ، وادعوا أن العقل دل عليها ، وأن ما سواها لا يثبت ، لأن العقل بزعمهم لم يدل عليها ، فمثلاً أثبتوا، صفة الإرادة لله وقالوا : إن الله تعالى مريد، لكنهم نفوا صفة الرحمة عنه وقالوا: معنى الرحمة الإحسان أو إرادة الإحسان، وليست وصفاً في الله عز وجل ، فتجد هؤلاء أخطؤوا حيث نفوا ما وصف الله به نفسه، بل نفوا ما كانت دلالة العقل فيه أظهر من دلالة العقل على ما أثبتوه ، فإن إثباتهم للإرادة بالطريق العقلي أنهم قالوا : إن تخصيص المخلوقات بما تختص به مثل : هذه سماء وهذه أرض وهذا بعير وهذا فرس ، وهذا ذكر ، وهذه أنثى، هذا التخصيص يدل على إرادة الخالق أنه أراد أن يكون الشيء على هذا فكان ، فتقول لهم : إن دلالة نعم الله عز وجل ودفع نقمه تدل على الرحمة أكثر مما يدل التخصيص على الإرادة ، ولكن مع ذلك نفوا الرحمة وأثبتوا الإرادة ، بناءً على شبهة عرضت لهم .

القسم الثاني الذين غلوا في الإثبات وهم أهل التمثيل ، قالوا: نثبت لله عز وجل الصفات ، لكن على وجه مماثل للمخلوق ، وهؤلاء ضلوا وغفلوا عن قول الله

---

(١) نور على الدرب ، الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (٢/ ٥).

تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) .

والقسم الثالث الوسط قالوا: نثبت لله كل ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو فيما صح عن رسوله ﷺ ، من الأسماء ، والصفات ، مع اعتقاد عدم المماثلة ، وأن ما يثبت للخالق من ذلك مخالف لما يثبت للمخلوق، فإن ما يثبت للخالق أكمل وأعلى، كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) .

هذا في العقيدة ، كذلك أيضاً في الأعمال البدنية : من الناس من يغلو فيزيد ويشدد على نفسه ، ومن الناس من يتهاون ويفرط فيضيع شيئاً كثيرًا ، وخير الأمور الوسط ، والوسط الضابط فيه : ما جاءت به الشريعة فهو وسط ، وما خالف الشريعة فليس بوسط ، بل هو عائل إما للإفراط وإما إلى التفريط وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في « العقيدة الواسطية » خمسة أصول ، بين فيها ـ رحمه الله ـ أن أهل السنة فيها وسط بين طوائف المبتدعة ، فيا حبذا لو أن السائل رجع إليها ، لما فيها من الفائدة .

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) سورة النحل : ٦٠ .

مصادر العقيدة ومنهج السلف في تلقيها[(١)]

العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع ، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلمُ بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله ﷺ ، ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقِّي العقيدة مقصوراً على الكتاب والسنة.

فما دل عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به، واعتقدوه وعملوا به . وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ نفَوْهُ عن الله تعالى ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد ، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد واتحاد المنهج، قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾[(٢)] .

وقال تعالى: ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴾[(٣)] .

ولذلك سُمُّوا بالفرقة الناجية؛ لأن النبي ﷺ شهد لهم بالنجاة حين أخبر بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ولما سئل عن هذه الواحدة قال : «**هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٤)] .

وقد وقع مصداق ما أخبر به ﷺ ، فعندما بنى بعض الناس عقيدتهم على غير الكتاب والسنة من علم الكلام، وقواعد المنطق الموروثَيْن عن فلاسفة اليونان؛ حصل الانحرافُ والتفرق في الاعتقاد مما نتج عنه اختلافُ الكلمة، وتفرُّقُ الجماعة، وتصدع بناء المجتمع الإسلامي.

---

(١) انظر عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقضها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك ـ للشيخ / الفوزان ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع [ص / ١١ ـ ١٢].

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٣) سورة طه: ٢٣ .

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد.

الانحراف في حياة البشرية [١]

خلق الله الخلق لعبادته. وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[٢] .

والنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالألوهية محبة لله تعبده لا تشرك به شيئًا. ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ، فالتوحيد مركوز في الفطر، والشرك طارئ ودخيل عليها.

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[٣] .

وقال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٤] فالأصل في بني آدم التوحيد.

والدين الإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قرونًا طويلة قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٥] .

وأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح، فكان عليه السلام أول رسول: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[٦] .

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» د/ صالح الفوزان [ص / ٥ ـ ٧] ط سلسلة المطبوعات العربية رقم (١٢).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨ .

(٣) سورة الروم: ٣٠ .

(٤) الحديث صحيح: رواه أحمد (١٥٦٢٧)، والدارمي (٢٤٦٣)، وابن حبان (١٣٢)، والطبراني (٨٣٤)، والحاكم (٢٥٦٦)، وأبو نعيم في الحلية» (٨/ ٢٦٣) والبيهقي (١١٩٢٣)، والضياء (١٤٤٦).

(٥) سورة البقرة: ٢١٣ .

(٦) سورة النساء: ١٦٣ .

قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

قال ابن القيم (١) : وهذا القول هو الصواب قطعًا، فإن قراءة أُبي بن كعب يعني في آية البقرة: « فاختلفوا فبعث الله النبيين» .

ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا** ﴾(٢) .

بمعنى أن بعثة النبيين سببها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح لما كانت العرب بعد ذلك على دين إبراهيم عليه السلام حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي فغير دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة فعبدت من دون الله ـ وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها ـ إلى أن بعث الله نبيه محمدًا خاتم النبيين فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم وكسر الأصنام وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على العالمين. وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال وبسبب البناء على القبور متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين وادعاء المحبة لهم حتى بنيت الأضرحة على قبورهم واتخذت أوثانًا تعبد من دون الله بأنواع القربات من دعاء واستعانة وذبح ونذر لمقاماتهم. وسموا الشرك توسلاً بالصالحين، وإظهاراً لمحبتهم وليس عبادة لهم بزعمهم . ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حيث يقولون: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾(٣) ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديمًا وحديثًا فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما يشركون في العبادة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾(٤) . ولم يجحد وجود الرَّبّ إلا نزر يسير من البشر كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان ـ وفجورهم به من باب

---

(١) انظر «إغاثة اللهفان» [٢ / ١٠٢].

(٢) سورة يونس: ١٩ .

(٣) سورة الزمر: ٣ .

(٤) سورة يوسف: ١٠٦ .

المكابرة وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة أنفسهم كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1] .

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لابد له من خالق وكل موجود لابد له من موجد وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لابد له من مدبر حكيم قدير عليم. ومن أنكره فهو إما فاقد لعقله أو مكابر قد ألقى عقله وسفه نفسه وهذا لا عبرة به.

* * *

(١) سورة النمل: ١٤ .

بيان الانحراف عن العقيدة وسبل التوقي منه[١]

الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق عليه حياته ثم يحاول التخلص من هذا الضيق بإنهاء حياته ولو بالانتحار، كما هو الواقع من كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيراً ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة؛ لأن هذه المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [٣].

فقوة العقيدة يجب ألا تنفك عن القوة المادية؛ فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار؛ كما هو المشاهد اليومَ في الدول الكافرة التي تملكُ مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.

---

(١) انظر عقيدة التوحيد [ص / ١٣ ـ ١٨] للشيخ الفوزان ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع.

(٢) سورة المؤمنون: ٥١ .

(٣) سورة سبأ: ١٠ ـ ١٣ .

والانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها، من أهمها :

١ ـ الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيلٌ لا يعرفُ تلك العقيدة ، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً ، والباطل حقا، كما قالَ عمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية».

٢ ـ التعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلاً، وترك ما خالفه وإن كان حقًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ** ﴾ (١) .

٣ ـ التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة ، وأشاعرة وصوفية، وغيرهم، حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

٤ ـ الغُلُو في الأولياء والصالحين ، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يَقدر عليه إلاَّ اللهُ من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد، كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: ﴿ **لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ (٢) .

وكما هُو الحاصلُ من عبَّاد القُبور اليومَ في كثير من الأمصار.

٥ ـ الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظمون البشر،

---

(١) سورة البقرة: ١٧٠ .

(٢) سورة نوح: ٢٣ .

ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبلُ: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾[١] وكما يقول الإنسان ﴿**هَذَا لِي**﴾[٢]، ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ**﴾[٣].

ولم يتفكروا وينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشرَ وأعطاهُ المقدرةَ على استخراج هذه الخصائص، والانتفاع بها ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[٤].

﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**﴾[٥].

﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾[٦].

٦ - أصبح البيتُ في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٧] فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

٧ - إحجامُ وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتهما، فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا، أو لا تهتم به أصلاً، وأصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تُعْنى بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق،

---

(١) سورة القصص: ٧٨.

(٢) سورة فصلت: ٥٠.

(٣) سورة الزمر: ٤٩.

(٤) سورة الصافات: ٩٦.

(٥) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٦) سورة إبراهيم: ٣٢ - ٣٤.

(٧) أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه.

ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى ينشأ جيلٌ أعزلُ أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها.

وسبل التوقِّي من هذا الانحراف تتلخص فيما يلي:

١ ـ الرجوع إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإلى سنة رسوله ﷺ لتلقِّي الاعتقاد الصحيح منهما، كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شُبههم للرد عليها والتحذير منها؛ لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

٢ ـ العناية بتدريس العقيدة الصحيحة ـ عقيدة السلف الصالح ـ في مختلف المراحل الدراسية، وإعطائها الحصص الكافية من المنهج ، والاهتمام البالغ في تدقيق الامتحانات في هذه المادة.

٣ ـ أن تُقرر دراسةُ الكُتُبِ السَّلفيةِ الصافيـة، ويبتعد عن كتب الفرق المنحرفة، كالصوفية والمبتدعة، والجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة والماتريدية، وغيرهم إلا من باب معرفتها لرد ما فيها من الباطل والتحذير منها.

٤ ـ قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها.

❊ ❊ ❊

افتراق الأمة، والفرقة الناجية(١)

اعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»(٢)، وأن الله جل وعلا - أمرنا بالاجتماع على الحق ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾(٣)، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾(٤)، ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾(٥)، فنهانا عن التفرق وأمرنا بالاجتماع والاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ، فقال: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾(٦) فلا يجوز التفرق والاختلاف تبعًا للأهواء، أو تقليدًا للآباء والأجداد أو تقليدًا لليهود والنصارى، إذ الاختلاف لا يجوز في أمور العقيدة وأصول الدين، وإنما يجب الاتفاق والاجتماع عليها.

وأما الاختلاف في المسائل الفقهية فهذا يحصل ولكن يجبُ الرجوع إلى ما قام عليه الدليل من الأقوال، قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾(٧) إذًا الاختلاف في العقيدة لا يجوز؛ لأن العقيدة توقيفية، ليست محل اجتهاد.

وأما في مسائل الفقه، والاستنباط: فكلٌ يجتهدُ ويستنبط من أهل العلم المؤهلين للاجتهاد، وقد يختلفون في وجهات نظرهم ولكن لا يبقون على الاختلاف، بل

---

(١) انظر: «شرح السنة» (ص/ ٢٤٨ - ٢٥٠).

(٢) الحديث: رواه أحمد (٣ / ١٤٥)، (٤ / ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (١ / ١٢٨)، وابن ماجه (٤٠٤٠، ٤٠٤١).

(٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٦) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٧) سورة النساء: ٥٩.

يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمن كان معه الدليل تبعوه وأخذوا بقوله، وتركوا رأيهم. هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الذي أرشدنا الرسول ﷺ إليه، أما أن نقول: اتركوا الناس كل يأخذ برأيه، واختلاف الأمة رحمة كما يقولون، فنقول: هذا باطل، الله جل وعلا يقول: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾(١) ، فدل قوله: ﴿ **إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ على أن الذين رحمهم الله لم يختلفوا ، وعلى أن الاختلاف عذاب وليس رحمة، الرحمة: للذين لم يختلفوا، وإن اختلفوا رجعوا إلى الكتاب والسنة فأخذوا بالصحيح وتركوا الخطأ ، هذه طريقة أهل السنة والجماعة ، أما أن يبقى كل على رأيه، وما قال به فلان وفلان، فليست هذه طريقة المسلمين ، هذه طريقة أهل الأهواء وأهل الشهوات، يتلمسون ما يوافق أهواءهم من الأقوال ، ويوافق رغبتهم، وما يخالف رغبتهم يتركونه، ولو قال به الإمام الذي يأخذون بقوله، يعني لا يأخذون من أقوال الأئمة والعلماء إلا ما يوافق رغباتهم، أما ما يخالف رغباتهم فإنهم يرفضونه. فهذا دليل على أنهم يتبعون أهواءهم، فما وافق هواهم أخذوا به، وما خالف هواهم تركوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا هو الذي ينادى به الآن في الصحف والمجلات والندوات والمؤتمرات في الغالب وفي الفضائيات، يروجون الخلاف ويقولون: نوسع للناس! بماذا نوسعُ للناس؟ بترك الكتاب والسنة، والذهاب مع الأقوال التي أهلها ليسوا معصومين، يخطئون ويصيبون؟! وهم ينهوننا أن نأخذ من أقوالهم إلا ما وافق الدليل، هم ينهوننا عن أخذ أقوالهم إذا خالفت الدليل ، فهذا أمر يجب معرفته؛ لأن الناس اليوم ابتلوا بهؤلاء الذين يلبسون على الناس.

واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» هذا الحديث صحيح بمجموع طرقه ورواياته الكثيرة ، قد خرجه الأئمة وأثنوا عليه، والواقع يصدقه ، حيث أخبر ﷺ أن هذه الأمة المحمدية ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة . وهذه أصول الفرق، وهناك أكثر من هذه الفرق ، لكن هذه أصولها، كلها في النار، يعني اثنتين وسبعين كلها في النار، إلا واحدة، وهي

---

(١) سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩ .

الثالثة والسبعون وهي من كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فهذه ناجية من النار، ولذا تُسمى الفرقة الناجية، ويسمون أهل السنة والجماعة ، وما عداهم فهم مخالفون، ومتوعدون بالنار، فمنهم من يدخل النار لكفره، ومنهم من يدخل النار لفسقه ، ومنهم من يدخل النار لمعصيته. ليسوا سواءً في دخولهم النار. فلا يؤخذ من هذا الحديث أن هذه الفرق كلها كافرة.

قوله: (وهي الجماعة) الجماعة: من كان على الحق ولو كان واحدًا، هذا هو الجماعة، أما الكثرة وحدها فلا تدلُّ على الحق، قال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [(١)] ، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [(٢)] ، ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ [(٣)] ، فليست العبرة بالكثرة، العبرة بمن كان على الحق ولو كانوا قليلين، ولو كان واحدًا فهو الجماعة.

قوله: قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: « **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » [(٤)] هذا هو الطريق الصحيح، من كان على ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه فهو الجماعة.

* * *

---

(١) سورة الأنعام: ١١٦ .

(٢) سورة يوسف: ١٠٣ .

(٣) سورة الأعراف: ١٠٢ .

(٤) الحديث: سبق تخريجه.

الفرقة الناجية والفرق الثنتان والسبعون[١]

١ ـ من هي الفرقة الناجية المشار إليها في الحديث؟

٢ ـ وهل تدخل الفرق الأخرى غير أهل الحديث كالشيعة والشافعية والحنفية والتيجانية وغيرها في الاثنتين والسبعين فرقة التي نص الرسول الكريم على أنها في النار؟

٣ ـ وإذا كانت هذه الفرق في النار إلا واحدة فكيف تسمحون لهم بزيارة بيت الله الحرام؟ هل كان الإمام الكبير على خطأ أم قد حدتم عن الجادة المستقيمة؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد:

ج: أولاً: ما ذكره الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في مختصر السيرة طرفًا من حديث صحيح مشهور رواه أصحاب السنن والمسانيد كأبي داود والنسائي والترمذي وغيرهم بألفاظ عدة منها: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»[٢] وفي رواية: «**على ثلاث وسبعين ملة**»[٣] وفي رواية: قالوا: يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[٤] وفي رواية قال: «**هي الجماعة، يد الله على الجماعة**»[٥] .

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ جمع وترتيب الشيخ / عبد الرزاق الدويش [٢ / ١٥١ ـ ١٥٦].

(٢) رواه الإمام أحمد ٢ / ٣٣٢ ، ٣ / ١٢٠ وأبو داود برقم (٢٦٤٢) والترمذي برقم (٢٦٤٢) وابن ماجه برقم (٤٠٣٩) والحاكم في المستدرك ١ / ١٢٨ والآجري في الشريعة ص ٢٥ .

(٣) رواه الترمذي برقم ٢٦٤٣ .

(٤) رواه الطبراني برقم ٧٢٤ في الصغير والترمذي برقم ٢٦٤٣ .

(٥) رواه الإمام أحمد ٣ / ١٤٥ ، ٤ / ١٠٢ وأبو داود برقم ٤٥٩٧ والدارمي في السنن ٢ / ٢٤١ وابن ماجه برقم ٤٠٤٠ ، ٤٠٤١ والحاكم في المستدرك ١ / ١٢٨ والآجري في الشريعة ص ١٨ .

ثانيًا: الفرقة الناجية قد بينها رسول الله محمد ﷺ في بعض روايات الحديث المتقدم بصفتها ومميزاتها في جوابه على سؤال أصحابه:

من الفرقة الناجية؟ حيث قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وفي رواية أخرى قال: «**هي الجماعة يد الله على الجماعة**» فوصفها بأنها هي التي تسير في عقيدتها وقولها وعملها وأخلاقها على ما كان عليه محمد ﷺ وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فتنهج نهج الكتاب والسنة في كل ما تأتي وما تذر، وتلزم طريق جماعة المسلمين وهم الصحابة رضي الله عنهم حيث لم يكن لهم متبوع إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فكل من اتبع الكتاب والسنة قولية أو عملية وما أجمعت عليه الأمة ولم تستهوه الظنون الكاذبة ولا الأهواء المضلة والتأويلات الباطلة التي تأباها اللغة العربية التي هي لسان رسول الله ﷺ وبها نزل القرآن الكريم وتردها أصول الشريعة الإسلامية كل من كان كذلك فهو من الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة.

ثالثًا: أما من اتخذ إلهه هواه وعارض الكتاب والسنة الصحيحة برأيه أو رأي إمامه وقول متبوعه حمية له وعصبية أو تأول نصوص الكتاب والسنة بما تأباه اللغة العربية وترده أصول الشريعة الإسلامية فشذ بذلك عن الجماعة فهو من الفرق الثنتين والسبعين التي ذكر الرسول المعصوم محمد ﷺ بأنها جميعها في النار، وإذًا فأمارة هذه الفرق التي بها تعرف مفارقة الكتاب والسنة والإجماع بلا تأويل يتفق مع لغة القرآن وأصول الشريعة ويعذر به صاحبه فيما أخطأ فيه.

رابعًا: المسألة التي ذكرها إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر أنها من أجل المسائل، وأن من فهمها فقد فهم الدين ومن عمل بها فهو المسلم - هي ما تقدم بيانه في الفقرة الثانية من الإجابة، من تميز الفرقة الناجية بما ميزها به النبي محمد ﷺ وأن الفرق الأخرى على خلافها ، فمن ميز بين الفرق الناجية والفرقة الهالكة بما ميز به النبي ﷺ وفهم الفرق الناجية والهالكة على وفق بيانه، فقد فهم الدين وميز بين من يجب أن يلزم جماعتهم ومن يجتنبهم ويفر منهم فراره من الأسد. ومن أخذ نفسه بالعمل بهذا الفهم الصحيح فلزم جماعة الهدى والحق وإمامهم فهو المسلم؛ لأنه

ينطبق عليه وصف الفرقة الناجية علمًا وعقيدة وقولاً وعملاً.

ولا شك أن هذا من أجل المسائل وأعظمها نفعًا وأعمها فائدة، فرحم الله الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رجل البصيرة النافذة والفهم الدقيق لنصوص الدين ومقاصده، حيث نبه على ما يهم المسلمين في أمر دينهم بالإشارة أحيانًا كما هنا وبالعبارة والبيان أحيانًا أخرى كما في كثير من مؤلفاته.

خامسًا: لم يجعل رسول الله ﷺ الألقاب التي اشتهرت بها الطوائف المنتسبة للإسلام سمات تعرف بها الفرق الثنتان والسبعون ولا عنوانًا يتمايز به بعضها عن بعض ، وإنما جعل أمارتها مفارقة الكتاب والسنة وإجماع الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، اتباعًا للظن وما تهوى الأنفس، وقولاً على الله بغير علم وعصبية لمتبوعهم سوى رسول الله ﷺ ، يعادون في ذلك ويوالون، كما جعل شعارًا للفرقة الناجية اتباع الكتاب والسنة ولزوم جماعة المسلمين، وإيثار ذلك على مداركهم وظنونهم وأهوائهم، فهواهم تبعًا لما جاءت به الشريعة الإسلامية، يوالون في ذلك ويعادون، فمن يتخذ ميزانًا يزن به الطوائف سوى بيان رسول الله ﷺ ويعرف به فرقها ليميز الفرقة الناجية من الفرق الهالكة فقد تكلم بغير علم وحكم في الفرق بغير بصيرة فظلم بذلك نفسه، وظلم الطوائف المنتسبة للإسلام، ومن رجع في تمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكة إلى بيانه ﷺ عدل في حكمه وعرف أن جماعات الأمة درجات متفاوتة: فمنهم من هو أحرص على اتباع الشريعة والاستسلام لها، وأبعد الناس عن الابتداع في الدين والتحريف في نصوصه، والزيادة فيه أو النقص منه فهؤلاء أسعد الناس بأن يكونوا من الفرقة الناجية، فعلماء الحديث وأئمة الفقه في الكتاب والسنة منهم من هو أهل للاجتهاد، يحرص على الشريعة ويسم لها، إلا أنه قد يتأول بعض نصوصها تأويلاً يخطئ فيه فيعذر في خطئه لكونه في موارد الاجتهاد، ومنهم من ينكر بعض نصوص الشريعة، إما لكونه حديث عهد بالإسلام، وإما لأنه نشأ في أطراف البلاد الإسلامية فلم يبلغه ما أنكره، ومنهم من يرتكب معصية أو يبتدع بدعة لا يخرج بها عن حظيرة الإسلام، فهو مؤمن مطيع لله بما فيه من طاعة، مسيء بما ارتكب من معصية وابتداع من البدع، فكان في مشيئة الله

إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(١) وقال: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾(٢) فهؤلاء وهؤلاء ليسوا بكفار بتأويلهم الخاطئ أو جحدهم ما جحدوا بل يعذرون ويدخلون في عداد الفرقة الناجية وإن كانوا دون الأولى.

ومنهم من جحد معلومًا من الدين بالضرورة بعد ما تبين له واتبع هواه بغير هدى من الله أو تأول بعض نصوص الشريعة تأويلاً بعيدًا مخالفًا في ذلك من سبقه من جماعة المسلمين، ولما بين لهم الحق وأقيمت عليهم الحجة بالمناظرات وغيرها لم يرجعوا، فهؤلاء كفار مرتدون عن الإسلام وإن زعموا أنهم مسلمون وإن اجتهدوا في الدعوة إليه على عقيدتهم وطريقتهم؛ كجماعة القاديانية الأحمدية الذين أنكروا ختم النبوة بمحمد ﷺ وزعموا أن غلام أحمد القادياني نبي الله ورسوله أو أنه المسيح عيسى ابن مريم أو تقمصت روح محمد أو عيسى بدنه فكان بمنزلته في النبوة والرسالة.

سادسًا: لأهل السنة والجماعة أصول ثابتة بالأدلة يبنون عليها الفروع، ويرجعون إليها في الاستدلال على المسائل الجزئية وفي تطبيق الأحكام على أنفسهم وعلى غيرهم.

ومنها: أن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكلما زاد المسلم في الطاعة زاد إيمانه، وكلما فرط فيها أو ارتكب معصية بحيث لا ينتهي به ذلك إلى الكفر الصريح نقص إيمانه، فالإيمان عندهم درجات والفرقة الناجية طبقات متفاوتة بعضها فوق بعض حسب الأدلة وما كسبوا من الأقوال والأفعال.

ومنها: أنهم لا يكفرون أحدًا معينًا أو طائفة معينة من أهل القبلة ويتحرجون من ذلك؛ لإنكار النبي ﷺ على أسامة بن زيد بن حارثة قتله رجلاً من الكفار بعد أن قال لا إله إلا الله، ولم يقبل من أسامة اعتذاره عن قتله بأنه قالها متعوذًا ليحرز بها

---

(١) سورة النساء: ٤٨ .

(٢) سورة التوبة: ١٠٢ .

نفسه بل قال له: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**»[١] يعني أقالها خالصًا من قلبه أم لا.

إلا إذا أتى بما هو كفر واضح، كإنكاره لمعلوم من الدين بالضرورة أو مخالفة لإجماع قاطع وتأويله لنصوص صريحة لا تقبل التأويل ثم يرجع عن ذلك البيان.

وقد لزم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله طريقة أهل السنة والجماعة وسار على أصولهم، فلم يكفر أحدًا معينًا ولا طائفة معينة من أهل القبلة بمعصية أو تأويل أو بدعة إلا إذا قام الدليل على الكفر بذلك، وثبت البلاغ والبيان، ولم تختلف الحكومة السعودية رعاها الله وأيدها بتوفيقه عن ذلك في معاملتها لرعيتها وحكمها فيهم، ولا في موقفها من المسلمين في الدول وخاصة من يفد إلى بيت الله الحرام لأداء نسك الحج أو العمرة، فهي تحسن الظن بالمسلمين وتعتبرهم إخوانًا لها في الدين وتتعاون معهم على ما يشد أزرهم ويحفظ حقهم ويرد إليهم ما سلب منهم، وترحب بمن يفد إليها وتقوم بما يسهل عليهم أداء نسكهم أو مهمتهم خير قيام بعطف وحدب يعرف ذلك من خبر أحوالها ووقف على شؤونها وما تبذله من جهود وأموال في سبيل الإصلاح العام للمسلمين وتوفير الراحة لحجاج بيت الله الحرام.

ولهذا تسمح لطوائف المسلمين المختلفة بزيارة بيت الله الحرام دون التنقيب عما خفي من عقائدهم عملاً بالظاهر دون التنقيب عما في البواطن، والله يتولى السرائر، فإذا وضح لها كفر شخص أو طائفة معينة كالقاديانية مثلاً وثبت ذلك لدى العلماء المحققين من الدول الإسلامية فلا يسعها إلا أن تمنع من ثبت كفره وردته من أداء الحج والعمرة حماية لبيت الله الحرام أن يقربه من في قلبه رجس، وعملا بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٤ / ٤٣٩ ، ٥ / ٢٠٧ والبخاري برقم ٤٢٦٩ ، ٦٨٧٢ (الفتح) ومسلم برقم ٩٦ وأبو داود برقم ٢٦٤٣ وابن ماجه برقم ٣٩٧٧ .

(٢) سورة التوبة: ٢٨ .

(٣) سورة الحج: ٢٦ .

ومما تقدم يتبين وجه أهمية المسألة العظيمة التي أشار إليها إمام الدعوة في عصره الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجاء طلب بيانه في السؤال ، كما يتضح أنه رحمه الله سار على النهج السليم حيث لزم أصول أهل السنة والجماعة، وأن الحكومة السعودية في معاملتها للمسلمين في العالم لم تحد عن الجادة بل التزمت أصول أهل السنة والجماعة أيضًا كما لزمها إمام الدعوة ، فأخذت المسلمين بظواهرهم ولم تنقب عن قلوبهم فتسامحت مع من خفي أمره وقست على من كشف عن جريمته، وأصر على ردته بعد المناظرات المتتالية والبيان المتتابع.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن سليمان بن منيع	عبد الرزاق عفيفي	إبراهيم بن محمد آل الشيخ

❋ ❋ ❋

العرض الإجمالي لمذهب السلف
وسبب رجحانه على المذاهب الهدامة [(١)]

إن مذهب سلف الأمة وأئمتهم هو: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [(٢)] .

وليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله [(٣)] .

وقد أثبت السلف ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من صفات، مع نفي مماثلة المخلوقين أي بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض واحد من السلف إلى التأويل، وأجمعوا على إجراء الصفات على ظاهرها كما وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ .

والسلف تطلق عند علماء الاعتقاد على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسان ، وتابعيهم، وأئمة الإسلام العدول، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم والتزموا عقيدة السلف [(٤)] .

ومذهب السلف هو طريقهم في الاعتقاد المنسوب إليهم.

وبدأت الحاجة إليه عند تفرق الأمة الإسلامية وتعدد الاتجاهات الفكرية حول أصول الدين، ونشأة الفرق المبتدعة من جهمية ومعتزلة. . . إلخ.

---

(١) انظر «تحرير الاعتقاد» (ص / ٢٦٧ ـ ٢٦٩).

(٢) سورة الشورى: ١١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥ / ١٩٥ .

(٤) لوامع الأنوار، للسفاريني ١ / ٢٠ .

وكانت مميزات العقيدة السلفية[(١)] :

أ ـ تقديم الشرع على العقل مع أن العقل الصحيح لا يعارض النص الصريح بل هو موافق له.

ب ـ رفض التأويل الكلامي.

ج ـ طلب العلم بالمطالب الإلهية عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

والعقيدة السلفية بُنيت على أصولٍ ثلاثة:

الأول: التصديق بما جاء في خبر الله عن نفسه وفي خبر الرسول ﷺ عن ربه.

الثاني: نفي التمثيل، فلا مماثل يماثل رب العالمين في صفاته، كما أنه لا مثيل له في ذاته.

الثالث: التفويض، وذلك بأن يوكل العلم بكيفيات الصفات وحقيقتها الوجودية إلى علم رب العالمين، فهو تفويض في الكيفية دون المعنى.

ثُمَّ إن المدقق في هذا المنهج وأسسه وقواعده يعلم أنه الطريق الوحيد للنجاة، وأدلة هذا:

أولاً: أن هذا الطريق تدلُّ عليه نصوص الكتاب والسنة.

ثانيًا: أن هذا الطريق سلكه الصحابة، والتابعون، وأئمة الدين.

فالإيمان بالصفات هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً أن يكون من أهل العرفان.

ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى مُنْكِرَ الصفات مسيء الظن به سبحانه وتعالى، وتوعَّده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر ، فقال سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا**

---

(١) من مقدمة كتاب نظريات ابن تيمية في السياسة لهنري لاوست ص ٣٢ ـ ٣٧ بقلم أ. د/ مصطفى حلمي.

﴿يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

فأخبر سبحانه وتعالى أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به، وأنه هو الذي أهلكهم.

وقد قال للظانين به ظن السوء: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (٢).

ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه. وجَحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به ـ تبارك وتعالى.

ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به، وهو شر من الشرك، فالمعطِّل شرٌّ من المشرك، فإنه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والطعن في أوصافه هو، والتشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطِّلون أعداء الرسل بالذات، بل كل شرك في العالم أصله التعطيل (٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة فصلت: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) الفتح: ٦.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم ٣ / ٣٤٧.

بداية الشرك والدعوة إلى التوحيد والإيمان بالأنبياء

بداية الشرك في قوم نوح[١] :

كان الناس في عهد آدم وبعده إلى عشرة قرون، كُلهم على توحيد الله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ثم وقع الشرك في قوم نوح فعبدوا مع الله ودّاً وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا كما ذكر الله ذلك في سورة نوح، فأرسل الله إليهم نوحًا عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى توحيد الله وينذرهم نقمة الله وعقابه، فاستمروا في طغيانهم وكفرهم وضلالهم ، ولم يؤمن به منهم إلا القليل، فأكثرهم ومعظمهم استكبروا عن ذلك كما بين الله ذلك في كتابه العظيم، فماذا فعل الله بهم؟ فعل بهم ما بينه لنا في كتابه العظيم من إهلاكهم بالطوفان ، وهو الماء العام الذي ملأ الأرض وعلا فوق الجبال، وأغرق الله به من كفر بالله وعصى رسوله نوحًا، ولم ينج إلا من كان مع نوح في السفينة ، كما قال سبحانه: ﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[٢] وهذا عقابهم في العاجل في الدنيا، ولهم عقاب آخر في الآخرة، وهو العذاب في النار يوم القيامة. نسأل الله العافية.

قوم عاد سلكوا مسلك قوم نوح في الشرك: ثم جاءت عاد بعد ذلك وأرسل الله إليهم هودًا بعد نوح، فسلكوا مسلك من قبلهم من قوم نوح في الفساد والكفر بالله والضلال، فأرسل الله عليهم الريح العقيم، فأهلكوا عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا من آمن بهود وهم القليل.

قوم صالح سلكوا مسلك قوم نوح في الشرك:

ثم جاء بعدهم قوم صالح وهم ثمود فسلكوا مسلك من قبلهم من الأُمتين أُمة نوح وأُمة هود، فعصوا الرسل واستكبروا عن الحق، فأخذهم الله بعقاب الصيحة والرجفة حتى هلكوا عن آخرهم، ولم ينج إلا من آمن بنبيه صالح عليه الصلاة

---

(١) انظر أركان الإسلام [ص / ٤٤ ـ ٥١].

(٢) سورة العنكبوت: ١٥ .

والسلام.

جميع الأنبياء دعوا إلى التوحيد:

ثم جاء بعدهم الأمم الأخرى أمة إبراهيم وأمة لوط وشعيب وأمة يعقوب وإسحاق ويوسف. ثم جاء بعدهم موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء، كُلُّهم دعوا الناس إلى توحيد الله كما أُمروا ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١) .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٢) .

وكُلهم أدوا ما عليهم من البلاغ والبيان عليهم الصلاة والسلام، بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وبينوا لهم معنى هذه الكلمة «لا إله إلا الله»، وبينوا أن الواجب إخلاص العبادة لله وحده، وأنه هو الذي يستحق العبادة دون كل ما سواه، وأن الأشجار والأحجار والأصنام والكواكب والجن والإنس وغيرهم من المخلوقات، كُلُّهم لا يصلحون للعبادة؛ لأن العبادة يجب أن تصرف لله وحده.

وفرعون لما بغى وطغى وعاند موسى وخرج لقتله ، ساقه الله جلَّ وعلا للبحر وأغرقه ومن معه فيه في لحظة واحدة، وهذا عذاب معجل وهو الغرق، وبعده عذاب النار. نسأل الله العافية والسلامة.

النبي ﷺ دعا الناس إلى عبادة الله وحده:

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام دعا الناس إلى عبادة الله ، وبشر بالجنة من آمن، وحذر بالنار من كفر، فآمن من آمن وهم القليل في مكة، ثم بسبب الأذى له ولأصحابه أمره الله بالهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها ومن آمن معه ممن استطاع الهجرة، فصارت المدينة دار الهجرة، والعاصمة الأولى للمسلمين، وانتشر فيها دين

---

(١) سورة النحل: ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥ .

الله، وقامت فيها سوق الجهاد بعد تعب عظيم وإيذاء شديد من قريش وغيرهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه في مكة.

كل ذلك من أجل هذه الكلمة «لا إله إلا الله»، الرسل تدعو إليها، ومحمد خاتمهم عليه الصلاة والسلام يدعو إلى ذلك، يدعو إلى الإيمان بها، واعتقاد معناها، وتعطيل الآلهة التي عبدوها من دون الله وإنكارها وإخلاص العبادة لله وحده، والمشركون يأبون ذلك، ويقولون إنهم سائرون على طريقة أسلافهم، ويقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(١) .

فأمة العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ ، سلكوا مسلك من قبلهم في العناد والكفر والضلال والتكذيب، ونبينا عليه الصلاة والسلام طيلة ثلاث عشرة سنة في مكة يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى ترك الشرك بالله، فلم يؤمن به إلا القليل، وهكذا بعد الهجرة إلى المدينة، استمروا في طغيانهم، وقاتلوه يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، عنادًا وكفرًا وضلالاً، وساعدهم من ساعدهم من كفار العرب، ولكن الله جلَّت قدرته أيَّدَ نبيه والمؤمنين وأعانهم، وجرى ما جرى يوم بدر من الهزيمة على أعداء الله، والنصر لأولياء الله، ثم جرى ما جرى يوم أحد من الامتحان الذي كتبه الله على عباده، وحصل ما حصل من الجراح والقتل على المسلمين بأسباب بيَّنَها في كتابه العظيم سبحانه وتعالى، ثم جاءت وقعة الأحزاب بين الرسول ﷺ وبين أهل الكفر، فأعز الله جنده ونصر عبده وأنزل بأسه بالكفار ، فرجعوا خائبين لم ينالوا خيرًا ، ونصر الله المسلمين ضد أعدائهم، ثم جاءت بعد ذلك غزوة الحديبية عام ست من الهجرة، وحصل فيها ما حصل من الصلح والمهادنة بين الرسول ﷺ وأهل مكة، ولمدة عشر سنين حتى يأمن الناس، وحتى يتصل بعضهم ببعض ، وحتى يتأملوا دعوته عليه الصلاة والسلام وما جاء به من الهدي، ثم نقضت قريش العهد فغزاهم النبي ﷺ عام ثمان من الهجرة في رمضان، وفتح الله عليه مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا والحمد لله.

---

(١) سورة الزخرف: ٢٣ .

الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا:

فهذا الدين العظيم وهو الإسلام يحتاج من أهله إلى صبر ومصابرة وإخلاص لله ودعوة إليه وإيمان به وبرسله، والوقوف عند حدوده وترك لما نهى عنه عز وجل. هذا هو دين الله، الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه، وهو الدين الذي بعث به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، وهو توحيد الله والإخلاص له والإيمان برسوله محمد ﷺ ، والانقياد لشريعته قولاً وعملاً وعقيدة . وأصله وأساسه شهادة أن لا إله إلا الله، التي بعث الله بها جميع الرسل. فلا إسلام إلا بها من عهد نوح إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام. لا إسلام إلا بهذه الكلمة: «لا إله إلا الله» قولاً وعملاً وعقيدة . فيقول المسلم «لا إله إلا الله» بلسانه ويصدقها بقلبه وأعماله، فيوحد الله ، ويخصه بالعبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه.

ولابد مع هذا من الشهادة للنبي بالرسالة عليه الصلاة والسلام، لابد من الإيمان بالله وحده وإخلاص العبادة له، لابد من التصديق للرسل الذين بعثوا بذلك من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ ، لابد من الشهادة بأنه «لا إله إلا الله» والإيمان بالله: من تصديق نوح عليه الصلاة والسلام، فلا إسلام إلا بذلك.

وفي عهد هود كذلك لا إسلام إلا بتصديق هود عليه الصلاة والسلام، مع توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بمعنى لا إله إلا الله، وهكذا في عهد صالح لا إسلام إلا بذلك. . . بتوحيد الله والإخلاص له، والإيمان بصالح ، وأنه رسول الله حقّا عليه الصلاة والسلام، وهكذا من بعدهم، كل نبي يبعث إلى أمته، لابد في الإسلام من توحيد الله والإيمان بذاك الرسول الذي بعث إليهم وتصديقه.

وآخرهم عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل وآخر الأنبياء قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا إسلام إلا لمن آمن به، واتبع ما جاء به. ولما أنكرته اليهود وكذبوه صاروا كفاراً بذلك.

ثم بعث الله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وآخرهم، وجعل الدخول في الإسلام لا يتم ولا يصح إلا بالإيمان به عليه الصلاة والسلام. فلابد من توحيد الله والإيمان بهذه

الكلمة، وهي: «لا إله إلا الله» واعتقاد معناها . وأن معناها توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه، وأنه لا نبي بعده.

هكذا علم الرسول أمته عليه الصلاة والسلام، وهكذا دل كتاب الله على ذلك، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (١) .

لابد من الإيمان بالأنبياء جميعًا:

لابد من الإيمان بالنبيين جميعًا ، وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام. ولما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»** (٢) .

فلابد مع الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، من الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، والإيمان بجميع الملائكة، والكتب المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا ، ولابد من الإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، وأن ذلك حق لابد منه. ولكن أصل ذلك وأساسه الإيمان بالله وحده، وأنه هو المستحق للعبادة.

هذا هو الأصل، وهذا هو الأساس والبقية تابعة لذلك ، فمن أراد الدخول في الإسلام والاستقامة عليه والفوز بالجنة والنجاة من النار، وأن يكون من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام الموعودين بالجنة والكرامة، فإنه لا يتم له ذلك إلا بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فتحقيق الأولى وهي: «لا إله إلا الله» بإفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الجنة والنار والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧ .

(٢) سبق تخريجه .

لابد من الإيمان بأن محمدًا رسول الله:

وأما تحقيق الثانية: وهي شهادة أن محمدًا رسول الله، فبالإيمان به ﷺ ، وأنه عبد الله ورسوله أرسله الله إلى الناس كافة إلى الجن والإنس، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به، واتباع ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام مع الإيمان بجميع الماضين من الرسل والأنبياء ، ثم بعد ذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده، على يد رسوله محمدﷺ ، والأخذ بها والاستمساك بها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك.

وكانﷺ إذا سئل عن عمل يدخل به الجنة وينجو به من النار، قال له: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، وربما قال له: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا**»، فعبر له بالمعنى، فإن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا.

ولهذا لما سأله جبريل عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أخبرني عن الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا**».

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، فهذا يفسر هذا: فإن شهادة أن لا إله إلا الله معناها: إفراد الله بالعبادة، وهذا هو عبادة الله وعدم الإشراك به مع الإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام.

وجاءه رجل فقال: يا رسول الله : دلّني على عمل أدخل به الجنة وأنجو به من النار. قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا**»، ثم قال: «**وتقيم الصلاة**» إلى آخره.

فعبادة الله وعدم الإشراك به هذا هو معنى لا إله إلا الله . قال الله تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾**[1] يعني: اعلم أنه المستحق للعبادة، وأنه لا

(١) سورة محمد: ١٩ .

عبادة لغيره، بل هو المستحق لها وحده، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة لغيره عز وجل.

وإنكار المشركين لها يُبين معناها؛ لأنهم إنما أنكروها لما علموا أنها تبطل آلهتهم، ويُبين أنهم على ضلالة ولهذا أنكروها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(١)، وقال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾(٢)، فعرفوا أنها تبطل آلهتهم وتبين زيفها، وأنها لا تصلح للعبادة، وأنها باطلة، وأن الإله الحق هو الله وحده سبحانه وتعالى، ولهذا أنكروها. فعبادتهم للأصنام أو الأشجار أو الأحجار، أو الأموات أو الجن أو غير ذلك عبادة باطلة.

جميع المخلوقات مملوكون لله:

فجميع المخلوقات ليس عندهم ضر ولا نفع، كلهم مملوكون لله سبحانه وتعالى وعبيده جل وعلا، فلا يصلحون للعبادة، لأن الله سبحانه خالق كل شيء وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(٤) فالواجب على كل مكلف، وعلى كل مؤمن ومؤمنة من الجن والإنس التبصر في هذا الأمر، وأن يعتني به كثيراً، حتى يكون جليا عنده، واضحًا لديه، لأن أصل الدين وأساسه عبادة الله وحده، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

* * *

---

(١) سورة ص: ٥.

(٢) سورة الصافات: ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) سورة البقرة: ١٦٣.

(٤) سورة طه: ٩٨.

الغاية العظمى التي من أجلها خلقنا

العبادة (١)

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) .

إن المتأمل لهذه الآية العظيمة يجد أنها بينت الغاية العظمى التي من أجلها خلقنا، وهي تحقيق العبودية لله تعالى في أرضه، هذه المهمة العظيمة التي من قام بها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها باتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل.

والعبادة التي من أجلها خلقنا الله هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده.

شروط العبادة (٣) : ولكي تكون العبادة صحيحة لابد لها من شروط ثلاثة:

الأول: صدق العزيمة: فهذا شرط في وجودها، ومعناها ترك التكاسل والتواني وبذل الجهد في أن يصدق قوله بفعله، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾(٤) .

الثاني: إخلاص النية: ومعناه أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾(٥) .

الثالث: موافقة الشرع الذي أمر الله به: فلا يعبد الله إلا بوفق ما شرع، وهو

---

(١) انظر خلاصة الكلام في أركان الإسلام، أ. د/ عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار، [ص/ ٦٠ ـ ٦٢] ط ثانية ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ السعودية.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦ .

(٣) «معارج القبول» (١ / ٣٩٩).

(٤) سورة الصف: ٢ ، ٣ .

(٥) سورة البينة: ٥ .

دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[١] .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[٢] .

فهذه ثلاثة شروط للعبادة لا قوام لها إلا بها، فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون العبادة مقبولة إلا باجتماعها.

أما الأصول التي تبنى عليها العبادة فهما أصلان:

الأول: كمال الحب.

الثاني: كمال الذل.

ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد[٣].

قال تعالى في وصفه للمؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٤] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[٥] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٦] .

* * *

(١) سورة آل عمران: ٨٥ .

(٢) صحيح البخاري (٢ / ١٦٦)، ومسلم (٥ / ١٣٢).

(٣) «معارج القبول» (١ / ٣٩٧).

(٤) سورة البقرة: ١٦٥ .

(٥) سورة المؤمنون: ٥٧ .

(٦) سورة الأنبياء: ٩٠ .

معنى العبودية في الإسلام(١)

س: أرجو توضيح معنى العبودية في الإسلام (العبودية لله والعبودية للناس)؟

الجواب:

الحمد لله.

عبودية المسلم لله عز وجل هي التي أمر بها سبحانه في كتابه وأرسل الرسل لأجلها كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٢).

والعبودية في اللغة مأخوذة من التعبيد تقول: عبدت الطريق أي ذللته وسهلته، وعبودية العبد لله لها معنيان عام وخاص، فإن أريد المعبد أي المذلل والمسخر فهو المعنى العام ،ويدخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوي والسفلي من عاقل وغيره ومن رطب ويابس ومتحرك وساكن وكافر ومؤمن وبَر وفاجر؛ فالكل مخلوق لله عز وجل مسخر بتسخيره مدبر بتدبيره ولكل منهم حدٌّ يقف عنده.

وإن أريد بالعبد العابد لله المطيع لأمره كان ذلك مخصوصًا بالمؤمنين دون الكافرين لأن المؤمنين هم عباد الله حقًّا الذين أفردوه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ولم يشركوا به شيئًا.

كما قال تعالى في قصة إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(٣) .

أما العبادة التي أمر الله بها فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة والبراءة مما ينافي ذلك، فيدخل في هذا التعريف الشهادتان

(١) انظر «فتاوى العقيدة» [ص / ٣٦ ـ ٣٧].

(٢) سورة النحل: ٣٦ .

(٣) سورة الحجر: ٣٩ ـ ٤٢ .

والصلاة والحج والصيام والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله والملائكة والرسل واليوم الآخر. وقوام هذه العبادة الإخلاص بأن يكون قصد العابد وجه الله عز وجل والدار الآخرة قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[١] .

فلابد من الإخلاص ثم لابد من الصدق: بأن يبذل المؤمن جهده في امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه والاستعداد للقاء الله تعالى وترك العجز والكسل وإمساك النفس عن الهوى كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢] .

ثم لابد من متابعة الرسول ﷺ فيعبد العابد الله تعالى بوفق ما شَرَع عز وجل لا بحسب ما يهوى المخلوق ويبتدع. وهذا هو المقصود باتباع النبي المرسل من عند الله محمد ﷺ ، فلابد من الإخلاص والصدق والمتابعة. فإذا عُرفت هذه الأمور تبين لنا أن كل ما يضاد هذه التعاريف من العبودية للناس فالرياء هو عبودية للناس والشرك هو عبودية للناس وترك الأوامر وإسخاط الرب مقابل رضى الناس عبودية للناس وكل من قدم طاعة هواه على طاعة ربه فقد خرج عن مقتضى العبودية وخالف المنهج المستقيم، ولذلك قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وتعس عبد الخميصة وتعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**».

والعبودية لله تجمع وتتضمن المحبة والخوف والرجاء، فالعبد يحب ربه ويخاف عقابه ويرجو رحمته وثوابه؛ فهذه أركانه الثلاثة التي لا تقوم إلا بها.

والعبودية لله شرف وليست مذلة كما قال الشاعر:

ومما زادني شرفًا وتيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

نسأل الله أن يجعلنا من عباده الصالحين وصلى الله على نبينا محمد.

---

(١) سورة الليل: ١٧ ـ ٢١ .

(٢) سورة التوبة: ١١٩ .

أول ما يجب على العباد[1]

أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسبه تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

الأمر الذي خلق الله الخلق لأجله:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[4] .

معنى العبد:

العبد إن أريد به المعبد أي المذلل المسخر فهو بهذا المعنى شامل لجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية من عاقل وغيره ورطب ويابس ومتحرك وساكن وظاهر وكامن ومؤمن وكافر وبر وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق لله عز وجل مربوب له، مسخر بتسخيره، مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه وحد ينتهي إليه وكل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[5] ، وتدبير

---

(١) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب).

(٢) سورة الدخان: ٣٨ ـ ٣٩ .

(٣) سورة الجاثية: ٢٢ .

(٤) سورة الذاريات: ٥٦ .

(٥) سورة الأنعام: ٩٦ .

العدل الحكيم، وإن أريد به العابد المحب المتذلل خص ذلك بالمؤمنين الذين هم عباده المكرمون ، وأولياؤه المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

العبادة:

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده.

ويكون العمل عبادة: إذا كمل فيه شيئان وهما كمال الحب مع كمال الذل.

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾[١] .

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾[٢] .

وقد جمع الله تعالى بين ذلك في قوله: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)**﴾[٣] .

وعلامة محبة العبد ربه: أنه يحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يسخطه، فيمتثل أوامره ويجتنب مناهيه، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، ولذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه.

وعرف العباد ما يحبه الله ويرضاه: بإرسال الله تعالى الرسل وإنزاله الكتب آمرًا بما يحبه الله ويرضاه، ناهيًا عما يكرهه ويأباه، وبذلك قامت عليهم حجته الدامغة، وظهرت حكمته البالغة.

قال الله تعالى: ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[٤] .

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٥] .

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥ .

(٢) سورة المؤمنون: ٥٧ .

(٣) سورة الأنبياء: ٩٠ .

(٤) سورة النساء: ١٦٥ .

(٥) سورة آل عمران: ٣١ .

وشروط العبادة ثلاثة :

الأول: صدق العزيمة وهو شرط في وجودها.

الثاني: إخلاص النية.

والثالث: موافقة الشرع الذي أمـر الله تعالى ألا يدان إلا به . وهما شرطان في قبولها.

* * *

معنى شهادة أن لا إله إلا الله[1]

معناها: نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله، وإثباتها لله عَزَّ وَجَلَّ وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[2] .

شروطها سبعة:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثاني: استيقان القلب بها.

الثالث: الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا.

الرابع: القبول لها، فلا يرد شيئًا من لوازمها ومقتضياتها.

الخامس: الإخلاص فيها.

السادس: الصدق من صميم القلب، لا باللسان فقط.

السابع: المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها.

دليل اشتراط العلم من الكتاب والسنة:

قول الله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي بلا إله إلا الله ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وقول النبي ﷺ : «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[4] .

---

(١) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية) مع تحقيقي للنصوص.

(٢) سورة الحج: ٦٢ .

(٣) سورة الزخرف: ٨٦ .

(٤) الحديث صحيح : رواه مسلم (٢٦) وأحمد (٤٦٤)، وابن حبان (٢٠١)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٥٣)، وعبد بن حميد (٥٥)، وأبو عوانة (١٠).

دليل اشتراط اليقين من الكتاب والسنة:

قول الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١) .

وقول النبي ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»(٢) .

وقال ﷺ لأبي هريرة: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة**»(٣) كلاهما في الصحيح.

دليل اشتراط الانقياد من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾(٤) .

وقال الله تعالى في شأن من لم يقبلها: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الآيات(٥) .

وقال النبي ﷺ : «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل ما لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به**»(٦) .

---

(١) سورة الحجرات: ١٥ .

(٢) الحديث صحيح: رواه مسلم (٢٧)، وأحمد (٩٤٤٧).

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم (٣١) ، وأبو عوانة (١٧) ، وابن حبان (٤٥٤٣).

(٤) سورة لقمان: ٢٢ .

(٥) سورة الصافات: ٢٢ ـ ٣٦ .

(٦) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٣)، وابن حبان (٣)، والبزار (٣١٦٩)، والرامهرمزي (١٢).

دليل اشتراط الإخلاص من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[(١)] .

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[(٢)] .

وقال النبي ﷺ: **«أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»**[(٣)] .

وقال ﷺ: **«إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[(٤)] .

دليل الصدق من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ إلى آخر الآيات[(٥)] .

وقال النبي ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»**[(٦)] .

وقال للأعرابي الذي علمه شرائع الإسلام إلى أن قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها. فقال رسول الله ﷺ : **«أفلح إن صدق»**[(٧)] .

---

(١) سورة الزمر: ٣ .

(٢) سورة الزمر: ٢ .

(٣) الحديث صحيح : رواه البخاري (٩٩)، وأحمد (٨٨٤٥) ، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٢).

(٤) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٣٣)، والطيالسي (١٢٤١)، وابن خزيمة (١٦٥٣)، والطبراني (٥٠)، والبيهقي (٢٠١٧٩).

(٥) سورة العنكبوت: ١ ـ ٣ .

(٦) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨) ، ومسلم (٣٢) ، وبنحوه البخاري في التاريخ (١ / ١٨٤).

(٧) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٤٦) وانظر (١٧٩٢ ، ٢٥٣٢ ، ٦٥٥٦)، ومسلم (١١).

دليل اشتراط المحبة من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(١) .

وقال النبي ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(٢) .

دليل الموالاة لله والمعاداة لأجله:

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٣) إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ (٤) الآيتين.

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(٥) الآية.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾(٦) إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات.

فالواجب على جميع المسلمين أن يحققوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتى

---

(١) سورة المائدة: ٥٤ .

(٢) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (١٦)، وانظر (٥٦٩٤، ٦٥٤٢) ومسلم (٤٣)، وأحمد (١٣٤٣١)، وابن حبان (٢٣٧)، وأبو يعلى (٣٢٧٩)، والبيهقي في الشعب (١٦٢٤).

(٣) سورة المائدة: ٥١ ـ ٥٥ .

(٤) سورة التوبة: ٢٣ .

(٥) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٦) سورة الممتحنة: ١ .

وجد من المسلم معناها والاستقامة عليه فهو مسلم حرام الدم والمال وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط لأن المقصود هو العلم بالحق والعمل به وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة، والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله كما قال الله عز وجل: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا ﴾[(١)] .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[(٢)] .

ومن كان لا يرضى بذلك من المعبودين من دون الله كالأنبياء والصالحين والملائكة فإنهم ليسوا بطواغيت، وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم وزينها للناس، نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل سوء.

وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله والتي تنافي كمالها الواجب فهو: أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادها كدعاء الأموات والملائكة والأصنام والأشجار والأحجار والنجوم ونحو ذلك والذبح لهم والنذر والسجود لهم وغير ذلك .

فهذا كله ينافي التوحيد بالكلية ويضاد هذه الكلمة ويبطلها وهي لا إله إلا الله، ومن ذلك استحلال ما حرم الله من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كالزنا وشرب المسكر وعقوق الوالدين والربا ونحو ذلك، ومن ذلك أيضًا جحد ما أوجب الله من الأقوال والأعمال المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كوجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان وبر الوالدين والنطق بالشهادتين ونحو ذلك.

أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان وتنافى كمالها الواجب فهي كثيرة ومنها: الشرك الأصغر: كالرياء والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان، أو هذا من الله ومن فلان ونحو ذلك، وهكذا جميع المعاصي كلها تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كمالها الواجب .

فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابهما، والإيمان

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل: ٣٦ .

عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك كثيرة أوضحها أهل العلم في كتب العقيدة وكتب التفسير والحديث، فمن أرادها وجدها والحمد لله، ومن ذلك قول الله ـ تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1]

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2] .

وقوله سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[3] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

* * *

(١) سورة التوبة: ١٢٤ .

(٢) سورة الأنفال: ٢ .

(٣) سورة مريم: ٧٦ .

معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ[١]

هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمدًا عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾[٢] .

فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي وفيما أحل من حلال وحرم من حرام، والامتثال والانقياد لما أمر به، والكف والانتهاء عما نهى عنه، واتباع شريعته والتزام سنته في السر والجهر مع الرضا بما قضاه ، والتسليم له، وأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته معصية الله؛ لأنه مبلغ عن الله رسالته، ولم يتوفه الله حتى أكمل به الدين، وبلغ البلاغ المبين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

والعبد لا يدخل في الدين إلا بهاتين الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) وأنهما متلازمتان فشروط الشهادة الأولى هي شروط في الثانية كما أنها هي شروط في الأولى.

* * *

---

(١) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية).

(٢) سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦ .

من معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ[1]

ومن معنى هذه الشهادة:

إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام.

لأن من معنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. هذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[2].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾[3].

فالواجب على المسلم أن يمتثل ما جاء في الأحاديث عن رسول الله ﷺ، لأنها الوحي الثاني بعد القرآن. لأن أصول الأدلة في الإسلام المجمع عليها:

أولاً: القرآن.

ثانيًا: السنة النبوية.

ثالثًا: الإجماع.

هذه أدلة لا يجوز للإنسان أن يقول: أنا لا أستدلُ إلا بالقرآن فقط، ولا أستدلُّ بالسنة، كما تقوله الخوارج ومن نحا نحوهما، ويقولون: إن القرآن متواتر، ومعصوم من الخلل، وأما السنة فهي من رواية الرواة يتطرق إليها الخلل.

هذا اتهامٌ للأمة وعلمائها والصحابة والتابعين الذين نقلوا الأخبار بعدم الثقة وعدم الأمانة. وقد أخبر النبي ﷺ عن هؤلاء بقوله: «**يُوشك رجل شبعان على**

---

(١) انظر «شرح السنة» للبربهاري (ص ١٩٧ ـ ٢٠٠).

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

أريكته يقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه»، ثم قال ﷺ: «**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وبلغها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام لما خطب في عرفة: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[٢] فالذي سمع يبلغ عن الرسول ﷺ ، هذه أمانة قام بها رواة الحديث ورجال الحديث جزاهم الله خيرًا، وصانوا السنة النبوية عن الدخيل والكذب، وبلغوها نقية صافية كما وردت عن النبي ﷺ بأمانة، وهذا من معجزات هذا الرسول ﷺ . فالسنة ليست محل توقف أو اتهام بل يجب التصديق بها، ويجب العمل بها، كما يجب العمل بالقرآن ؛ لأنها وحي من الله، قال تعالى في حق الرسول ﷺ : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[٣] .

فالأحاديث وحي من الله، وإن كانت ألفاظها من الرسول ﷺ ، أما القرآن فلفظه ومعناه من الله ـ جل وعلا ـ أما السنة والأحاديث النبوية فمعناها من الله وألفاظها من كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فألفاظه ﷺ معصومة وصدق، ولا يتطرق إليها شك ،فمن أنكر السنة فإنه كافر؛ لأنه عطل الأصل الثاني.

والقرآن لابد له من السنة لأنها تبينه وتوضحه: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[٤] .

فالسنة موضحة للقرآن ومفسرة له؛ لأن القرآن جاء بأشياء مجملة مثل: الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، والسنة بينتها ووضحتها ، وبينت الزكاة ومقاديرها، والصيام متى يبدأ ومتى ينتهي، ومناسك الحج كيف يحج الإنسان، قال ﷺ:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» (٣٣).

(٢) صحيح.

(٣) سورة النجم: ٣ ـ ٤ .

(٤) سورة النحل: ٤٤ .

«لتأخذوا عني مناسككم»[١] ، وقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٢]، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٣] .

فالسنة تفسر القرآن وتوضحه وتدل عليه، والذي يقول: أعمل بالقرآن ولا أعمل بالسنة كذاب ، لم يعمل بالقرآن لأن القرآن فيه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٤] .

وفيه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٥] .

وفيه: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦] . فلما ترك العمل بالسنة لم يعمل بالقرآن الذي يدعي أنه يعمل به.

ومن الناس من يفرق بين الأحاديث فيقول: الحديث المتواتر يفيد العلم، والحديث الآحاد يفيد الظن . وهذا باطل؛ لأن كل ما صح عن الرسول ﷺ وثبت فإنه يفيد العلم، سواءٌ كان متواترًا أو آحادًا، فلا تفريق بين دلالات الحديث الصحيح، الكل يجب امتثاله والعمل به بدون تفريق.

والصوفية أيضًا لا يعملون بالسنة، ولا بالقرآن، وإنما يعملون بأذواقهم ومواجيدهم، ويقولون: نحن نأخذ عن الله مباشرة، ولا نأخذ عن طريق الرسول لأننا وصلنا إلى الله فلسنا بحاجة إلى الرسول ﷺ ، وإنما الرسول للعوام الذين ما وصلوا إلى الله. وهذا من أبطل الباطل وأفضح الكفر ـ والعياذ بالله.

قوله: (أو ينكر شيئًا) الذي ينكر السنة عمومًا ويقول: إنه لا يعمل بالسنة، وإنما يعمل بالقرآن، أو ينكر بعض السنة وهي الأحاديث الصحيحة، ويقول: لا يعمل بها، وبعضهم يقول: لا يعمل بالحديث إلا بشرط: أن يوافق القرآن. وهذا باطل، واتهام

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥).
(٣) سورة الأحزاب: ٢١ .
(٤) سورة الحشر: ٧ .
(٥) سورة النجم: ٣ ـ ٤ .
(٦) سورة النحل: ٤٤ .

للرسول ﷺ بأنه قد يأتي بشيءٍ يخالف القرآن، فهذا القول لا يجوز.

وقد يأمر الرسول ﷺ بأشياء ليست في القرآن مثل: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، هذا ليس في القرآن، القرآن فيه النهي عن الجمع بين الأختين، والرسول ﷺ قال: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها**» فيجب العمل بما قاله الرسول ﷺ .

قوله: (فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديء المذهب والقول) قائل هذا إما أن يكون من الخوارج ، وإما أن يكون من الجهمية والمعتزلة، وإما أن يكون من الصوفية الذين يزعمون أنهم ليسوا بحاجة إلى الأحاديث، لأنهم وصلوا إلى الله، ويأخذون عن الله مباشرة، ويقولون: أنتم تأخذون دينكم من ميتٍ عن ميتٍ، ونحن نأخذ عن الحي الذي لا يموت.

ولا يطعن على رسول الله ﷺ ؛ لأنه معصوم من الله جل وعلا، فالذي يتهم الرسول أو يطعن فيه، وأنه عنده هوى، وأنه يظلم ونحو ذلك، فهذا كافر بالله عز وجل.

❊ ❊ ❊

وجوب طاعته ﷺ والاقتداء به[١]

وتجب طاعة النبي ﷺ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة تارة مقرونة مع طاعة الله كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢] . وأمثالها من الآيات.

وتارة يأمر بها مفردة كما في قوله: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٣] ، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤] .

وتارة يتوعد من عصى رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥].

أي تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو عذاب أليم في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو غير ذلك من العقوبات العاجلة وقد جعل الله طاعته واتباعه سببًا لنيل محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٦] .

وجعل طاعته هداية ومعصيته ضلالاً قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٧] .

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» [ص / ٨٥ ـ ٨٦] بتحقيقي في ما نقلته من المصدر.

(٢) سورة النساء: ٥٩ .

(٣) سورة النساء: ٨٠ .

(٤) سورة النور: ٥٦ .

(٥) سورة النور: ٦٣ .

(٦) سورة آل عمران: ٣١ .

(٧) سورة النور: ٥٤ .

بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [١] .

وأخبر سبحانه وتعالى أن فيه القدوة الحسنة لأمته فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [٢] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو أربعين موضعًا من القرآن. فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب فإن الطعام والشراب إذا فات الحصول عليهما حصل الموت في الدنيا وطاعة الرسول واتباعه إذا فات الحصول عليها حصل العذاب والشقاء الدائم، وقد أمر ﷺ بالاقتداء به في أداء العبادات وأن تؤدى على الكيفية التي كان يؤديها بها فقال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي** ». وقال: «**خذوا عني مناسككم**»[٣] وقال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٤] وقال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»[٥] إلى غير ذلك من النصوص التي فيها الأمر بالاقتداء به والنهي عن مخالفته.

❊ ❊ ❊

(١) سورة القصص: ٥٠ .

(٢) سورة الأحزاب: ٢١ .

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم (١٢٩٧)، وابن خزيمة (٢٨٧٧)، وأبو داود (١٩٧٠).

(٤) الحديث صحيح: رواه مسلم (١٧١٨)، وأحمد (٢٥١٧١)، وأبو عوانة (٦٤٠٩) والدارقطني (٤ / ٢٢٧).

(٥) الحديث: صحيح: رواه البخاري (٤٧٧٦) عن أنس، وابن حبان (٣١٧)، والبيهقي (١٣٢٢٦).

تحقيق المتابعة [(١)]

وليعلم أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة:

الأول: السبب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًا فهي بدعة مردودة على صاحبها. مثال ذلك أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ، فالتهجد عبادة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا.

وهذا الوصف - موافقة العبادة للشريعة في السبب - أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس فلابد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها. فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة مثال ذلك أن يضحي رجل بفرس فلا تصح أضحيته لأنه خالف الشريعة في الجنس فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام الإبل، والبقر، والغنم.

الثالث: القدر فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمسًا فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجله ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم وجهه فنقول وضوؤه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان، فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان.

وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقربًا لله تعالى بالذبح

---

(١) انظر الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع - للشيخ / محمد بن صالح العثيمين - [ص/ ٢١ - ٢٤] إعداد - فهد بن ناصر السليمان، وكالة المطبوعات والبحث العلمي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية (١٤٢٩ هـ).

وهذا العمل بدعة على هذا الوجه؛ لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية والهدي والعقيقة.

أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر على الذبح كالذبح في عيد الأضحى فبدعة، وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.

السادس: المكان، فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح؛ وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد. ولو قالت امرأة أريد أن أعتكف في مصلى البيت فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان.

ومن الأمثلة لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه؛ لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾[١] .

فالعبادة لا تكون عملاً صالحًا إلا إذا تحقق فيها شرطان:

الأول: الإخلاص.

الثاني: المتابعة، والمتابعة لا تتحقق إلا بالأمور الستة آنفة الذكر.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الحج: ٢٦ .

الإيمان[١]

جاء في تعريف الإيمان مذاهب عدة، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر إلى أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وذهب الطحاوي وهو من فقهاء الحنفية إلى أنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

والكرامية قالت إن الإيمان هو إقرار باللسان فقط فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان ولكن يستحقون الوعيد.

وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وظاهر هذا القول أن فرعون كان مؤمنًا لأنه عرف صدق موسى وهارون ولكن لم يؤمن بهما، وكذلك أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم ولم يؤمنوا به، وكذلك أبو طالب عند الجهم يكون مؤمنًا لأنه قال:

ولقد علمت أن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا لأنه لم يجهل ربه.

ولمعرفة مذاهب أخرى في الإيمان فكتاب «تبصرة الأدلة» للنسفي هو خير من بسط في هذه المذاهب.

ومدار الخلاف في تعريف الإيمان حول الركن الثالث وهو العمل بالأركان، فقد جعله البعض شرطًا لصحة الإيمان كالمعتزلة والبعض شرطًا لكمال الإيمان كمذهب السلف رضوان الله عليهم.

فالخوارج والمعتزلة أخرجوا من الإيمان من ترك العمل ولكنهم اختلفوا فالخوارج أخرجوه من الإيمان وأدخلوه في الكفر .

---

(١) انظر معجم ألفاظ العقيدة (٥٨ ـ ٥٩).

والمعتزلة قالوا هو في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة قالوا: إن العمل لا دخل له بالإيمان والتصديق هو الأساس(١) .

والإيمان قول وعمل .

قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه.

الأدلة على ذلك:

قال تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾(٣) .

وهذا معنى الشهادتين اللتين لا يدخل العبد في الدين إلا بهما وهي من عمل القلب اعتقاداً ومن عمل اللسان نطقًا لا تنفع إلا بتواطئهما.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾(٤) .

يعني صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة. سمى الصلاة كلها إيمانًا وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

وجعل النبي ﷺ الجهاد وقيام ليلة القدر وصيام رمضان وقيامه وأداء الخمس وغيرها من الإيمان وسئل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال : « **إيمان بالله ورسوله**»(٥) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق د. عبد الله التركي ٢ / ٤٥٩ .

(٢) سورة الحجرات: ٧ .

(٣) سورة الأعراف: ١٥٨ .

(٤) سورة البقرة: ١٤٣ .

(٥) الحديث: بلفظ : أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة لمواقيتها**» الحديث، رواه البخاري (٢٦٣٠)، ومسلم (٨٥)، وأحمد (٣٩٩٨)، وبلفظ : «أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ «**إيمان بالله ورسوله** » الحديث، أخرجه ابن عساكر (٤٧ / ٦٢)، وانظر «كنز العمال» (١٤٢٠).

وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[(١)] .

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[(٢)] .

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[(٣)] .

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[(٤)] .

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[(٥)] .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[(٦)] .

﴿فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[(٧)] .

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[(٨)] . وغير ذلك من الآيات.

وقال ﷺ: **«لو أنكم تكونون في كل حالة كحالتكم عندي لصافحتكم الملائكة»** أو كما قال... الحديث[(٩)] .

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[(١٠)] .

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ

---

(١) سورة الفتح: ٤ .
(٢) سورة الكهف: ١٣ .
(٣) سورة مريم: ٧١ .
(٤) سورة محمد: ١٧ .
(٥) سورة المدثر: ٣١ .
(٦) سورة التوبة: ١٢٤ .
(٧) سورة آل عمران: ١٧٣ .
(٨) سورة الأحزاب: ٢٢ .
(٩) الحديث صحيح: رواه مسلم (٧١٤٢) ، والطبراني في «الأوسط» (٧١١١)، والحاكم (٧٦٢٢) وقال: صحيح الإسناد، ورواه أحمد، وعبد بن حميد، وابن حبان، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة.
(١٠) سورة الواقعة: ١٠ ـ ٢٧ .

مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[(١)] .

وقال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[(٢)] الآيات.

وفي حديث الشفاعة: «**إن الله يخرج من النار من كان في قلبه وزن دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان**».

وفي رواية : «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»[(٣)] .

وقال النبي ﷺ في حديث وفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان بالله وحده**» قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا من المغنم الخمس**»[(٤)].

وقول النبي ﷺ لما قال جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٥)].

وقال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[(٦)] .

---

(١) سورة الواقعة: ٨٨ ـ ٩١ .

(٢) سورة فاطر: ٣٢ .

(٣) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٠٦)، ومسلم (١٩٣)، وأحمد (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٣١٢)، والطيالسي (٢٠١٠)، وعبد بن حميد (١١٨٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٤٣)، وابن حبان (٦٤٦٤).

(٤) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٠ ، ١٣٤٣ ، ٢٩٢٨، ٣٣١٩، ٥٨٢٢)، ومسلم (١٧) كتاب الأشربة ـ باب النهي عن الانتباذ في المزفت رقم (١٧).

(٥) الحديث صحيح: رواه مسلم (٨)، وأحمد (٣٦٧)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠) وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٢١)، وابن ماجه (٦٣) وابن خزيمة (٢٥٠٤)، وابن حبان (١٦٨) وغيرهم.

(٦) سورة البقرة: ١٧٧ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [١].

والإيمان بالله عزَّ وجلَّ:

هو التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى الذي لم يسبق بضد ولم يعقب به، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، حي قيوم أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [٢] وتوحيده بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

وقال في شرح العقيدة الواسطية [٣]:

«وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّة والجمَاعَة: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ...»:

«والدينَ»: هو ما يدان به الإنسان أو يدين به؛ فيطلق على العمل ويطلق على الجزاء.

ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [٤] فالمراد بالدين في هذه الآية الجزاء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [٥] أي: عملاً تتقربون به إلى الله.

ويقال: كما تدين تدان؛ أي: كما تعمل تُجازى.

والمراد بالدين في كلام المؤلف ـ رحمه الله: العمل.

«وأما الإيمَان»: أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة التصديق.

ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى: الكلمة، فإنها تتعدى بتعديتها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فتقول مثلاً: صدقته، ولا تقول: آمنته، بل تقول: آمنت به، أو: آمنت له. فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازمًا لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعدٍ ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة «صدقت»

---

(١) سورة القمر: ٤٩.

(٢) سورة الإخلاص: ٣ ـ ٤.

(٣) انظر «شرح العقيدة الواسطية» [٤٠٩ ـ ٤١٩].

(٤) سورة الانفطار: ١٨ ـ ١٩.

(٥) سورة المائدة: ٣.

لا تعطي معنى كلمة «آمنت»؛ فإن «آمنت» تدل على طمأنينة بخبره أكثر من «صدقت».

ولهذا؛ لو فسر الإيمان بالإقرار؛ لكان أجود، فتقول: أقر به، كما تقول: آمن به، وأقرُّ له، كما تقول: آمن له - هذا في اللغة.

وأما في الشرع فقال المؤلف رحمه الله[1] : «قول وعمل»:

وهذا تعريف مجمل فصله المؤلف بقوله: **«قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ»**.

قال ابن عثيمين: فجعل المؤلف رحمه الله - للقلب قولاً وعملاً، وجعل للسان قولاً وعملاً.

أما قول اللسان؛ فالأمر فيه واضح، وهو النطق، وأما عمله فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس.

وأما قول القلب؛ فهو اعترافه وتصديقه، وأما عمله؛ فهو عبارة عن تحركه وإرادته، مثل الإخلاص في العمل، فهذا عمل القلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف، فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب.

وأما عمل الجوارح فواضح: ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيمانًا شرعًا؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان.

فإذا قال قائل: أين الدليل على أن الإيمان يشمل هذه الأشياء؟

قلنا: قال النبي ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**» فهذا قول القلب: أما عمل القلب واللسان والجوارح، فدليله قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2] فهذا قول اللسان

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين [٤١٠ - ٤١٩].

(٢) الحديث صحيح: رواه مسلم (٣٥)، وأحمد (٩٣٥٠)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والنسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجه (٥٧)، وابن حبان (١٦٦) عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد رواه الطبراني في الأوسط (٩٠٠٤) وقال الهيثمي(١ / ٣٧): رجال إسناده مستورون (الزغبي).

وعمله وعمل الجوارح، والحياء عمل قلبي، وهو انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

فتبين بهذا أن الإيمان يشمل هذه الأشياء كلها شرعًا.

ويدل لذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(١) ، قال المفسرون: أي: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فسمى الله تعالى الصلاة إيمانًا، مع أنها عمل جوارح وعمل قلب وقول لسان. هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وشموله لهذه الأشياء الأربعة لا يعني أنه لا يتم إلا بها، بل قد يكون الإنسان مؤمنًا مع تخلف بعض الأعمال، لكنه ينقص إيمانه بقدر ما نقص من عمله.

وخالف أهل السنة في هذا طائفتان بدعيتان متطرفتان:

الطائفة الأولى: المرجئة: يقولون: إن الإيمان هو الإقرار بالقلب، وما عدا ذلك، فليس من الإيمان!

ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم؛ لأنه إقرار القلب، والناس فيه سواء، فالإنسان الذي يعبد الله آناء الليل والنهار كالذي يعصي الله آناء الليل والنهار عندهم، ما دامت معصيته لا تخرجه من الدين!

فلو وجدنا رجلاً يزني ويسرق ويشرب الخمر ويعتدي على الناس، ورجلاً آخر متقيًا لله بعيدًا عن هذه الأشياء كلها؛ لكانا عند المرجئة في الإيمان والرجاء سواء، كل منهما لا يعذب؛ لأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان.

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وإنها شرط في بقائه، فمن فعل معصية من الكبائر خرج من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: إنه كافر، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين منزلتين، فلا نقول: مؤمن، ولا نقول: كافر، بل نقول: خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، وصار في منزلة بين منزلتين.

هذه أقوال الناس في الإيمان.

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣ .

قوله: «وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَة، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ»:

هذا معطوف على قول: «**أَنَّ الدينَ...**» إلخ؛ أي: أن من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص.

ويستدلون لذلك بأدلة من الكتاب والسنة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ **لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** ﴾[٢] وهذا صريح في ثبوت الزيادة.

وأما النقص، فقد ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ وعظ النساء وقال لهن: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»[٣] . فأثبت نقص الدين.

ثم لو فرض أنه لم يوجد نص في ثبوت النقص، فإن إثبات الزيادة مستلزم للنقص، فنقول: كل نص يدل على زيادة الإيمان ، فإنه متضمن للدلالة على نقصه.

أسباب زيادة الإيمان أربعة:

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ فإنه كلما ازداد الإنسان معرفة بالله وأسمائه وصفاته؛ ازداد إيمانه.

الثاني: النظر في آيات الله الكونية والشرعية: قال الله تعالى: ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾[٤] .

---

(١) سورة التوبة: ١٢٤ .

(٢) سورة المدثر: ٣٣ .

(٣) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٨٠)، وابن حبان (٥٧٤٤) عن أبي سعيد، وعن ابن عمر رواه مسلم (٧٩)، وأحمد (٥٣٤٣)، وابن ماجه (٤٠٠٣) ، وعن ابن مسعود رواه ابن حبان (٣٣٢٣)، والحاكم (٢٧٧٢) وقال: صحيح الإسناد (الزغبي).

(٤) سورة الغاشية: ١٧ ـ ٢٠ .

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[(١)].

وكلما ازداد الإنسان علمًا بما أودع الله تعالى في الكون من عجائب المخلوقات ومن الحكم البالغات؛ ازداد إيمانًا بالله عز وجل، وكذلك النظر في آيات الله الشرعية يزيد الإنسان إيمانًا بالله عز وجل، لأنك إذا نظرت إلى الآيات الشرعية ، وهي الأحكام التي جاءت بها الرسل، وجدت فيها ما يبهر العقول من الحكم البالغة والأسرار العظيمة التي تعرف بها أن هذه الشريعة نزلت من عند الله، وأنها مبنية على العدل والرحمة، فتزداد بذلك إيمانًا.

الثالث: كثرة الطاعات وإحسانها؛ لأن الأعمال داخلة في الإيمان وإذا كانت داخلة فيه؛ لزم من ذلك أن يزيد بكثرتها.

السبب الرابع: ترك المعصية تقربًا إلى الله عز وجل ، فإن الإنسان يزداد بذلك إيمانًا بالله عز وجل.

أسباب نقص الإيمان أربعة:

الأول: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية، فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلوب.

الثالث: قلة العمل الصالح ، ويدل لذلك قول النبي ﷺ في النساء: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**» قالوا: يا رسول الله، كيف نقصان دينها؟ قال: «**أليست إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**»[(٢)].

الرابع: فعل المعاصي؛ لقوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة يونس: ١٠١ .

(٢) الحديث متفق عليه: وسبق تخريجه.

(٣) سورة المطففين: ١٤ .

وخالف أهل السنة والجماعة في القول بالزيادة والنقصان طائفتان:

الطائفة الأولى : المرجئة.

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة.

الطائفة الأولى : المرجئة قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الأعمال ليست من الإيمان، حتى يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها، فالإيمان هو إقرار القلب، والإقرار لا يزيد ولا ينقص.

ونحن نرد عليهم فنقول:

أولاً: إخراجكم الأعمال من الإيمان ليس بصحيح؛ فإن الأعمال داخلة في الإيمان، وقد سبق ذكر الدليل.

ثانيًا: قولكم: إن الإقرار بالقلب لا يختلف زيادة ونقصانًا: ليس بصحيح، بل الإقرار بالقلب يتفاضل، فلا يمكن لأحد أن يقول: إن إيماني كإيمان أبي بكر ، بل يتعدى ويقول: إن إيماني كإيمان الرسول ﷺ .

ثم نقول: إن الإقرار بالقلب يقبل التفاضل، فإقرار القلب بخبر الواحد ليس كإقراره بخبر اثنين، وإقراره بما سمع ليس كإقراره بما شاهد، ألم تسمعوا قول إبراهيم: ﴿ **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾[1] ، فهذا دليل على أن الإيمان الكائن في القلب يقبل الزيادة والنقص.

ولهذا قسم العلماء درجات اليقين ثلاثة أقسام: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، قال الله تعالى : ﴿ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ** ﴾[3] .

الطائفة الثانية: المخالفة لأهل السنة: طائفة الوعيدية ، وهم الخوارج والمعتزلة،

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٠ .

(٢) سورة التكاثر: ٥ - ٧ .

(٣) سورة الحاقة: ٥١ .

وسموا وعيدية؛ لأنهم يقولون بأحكام الوعيد دون أحكام الوعد؛ أي: يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد، فيخرجون فاعل الكبيرة من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: إنه خارج من الإيمان داخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: خارج من الإيمان غير داخل في الكفر، بل هو في منزلة بين منزلتين.

ومناقشة هاتين الطائفتين المرجئة والوعيدية في الكتب المطولات.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ.

أي مع قولهم: إن الإيمان قول وعمل.

« لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ»:

أهل القبلة هم المسلمون، وإن كانوا عصاة؛ لأنهم يستقبلون قبلة واحدة، وهي الكعبة.

فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر.

«كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ»: يعني: الذين يقولون: إن فاعل الكبيرة كافر، ولهذا خرجوا على المسلمين، واستباحوا دماءهم وأموالهم.

يعني: أن الأخوة بين المؤمنين ثابتة، ولو مع المعصية، فالزاني أخ للعفيف، والسارق أخ للمسروق منه، والقاتل أخ للمقتول.

قال ابن عثيمين: ثم استدل المؤلف لذلك فقال: **«كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾**[1] ».

آية القصاص هي قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾** إلى قوله: **﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾** [2] الآية. والمراد بـ **﴿أَخِيهِ﴾** هو المقتول.

ووجه الدلالة في هذه الآية أن فاعل الكبيرة لا يكفر لأن الله سمى المقتول أخًا للقاتل، مع أن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب.

قوله: « ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ

(١، ٢) سورة البقرة: ١٧٨ .

فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١) ».

وهذا دليل آخر لقول أهل السنة: إن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان.

﴿اقْتَتَلُوا﴾ جمع، و﴿بَيْنَهُمَا﴾ مثنى، و﴿طَائِفَتَانِ﴾ مثنى، فكيف يكون مثنى وجمع ومثنى آخر والمرجع واحد؟!

نقول: لأن قوله: ﴿طَائِفَتَانِ﴾ الطائفة عدد كبير من الناس فيصح أن أقول: اقتتلوا، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾(٢) ولم يقل: لم تصل. فالطائفة أمة وجماعة ، ولهذا عاد الضمير إليها جمعًا فيكون الضمير في قوله: ﴿اقْتَتَلُوا﴾ عائدًا إلى المعنى، وفي قوله: ﴿بَيْنَهُمَا﴾ عائدًا إلى اللفظ.

فهاتان الطائفتان من المؤمنين اقتتلوا وحمل بعضهم السلاح على بعض، وقتال المؤمن للمؤمن كفر، ومع هذا قال الله تعالى بعد أن أمر بالصلح بينهما للطائفة الثالثة التي لم تدخل القتال: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٣) فجعل الله تعالى الطائفة المصلحة إخوة للطائفتين المقتتلتين.

وعلى هذا؛ ففي الآية دليل على أن الكبائر لا تخرج من الإيمان.

وعلى هذا؛ لو مررت بصاحب كبيرة، فإني أسلم عليه؛ لأن النبي ﷺ ذكر من حقوق المسلم على المسلم: «إذا لقيته فسلم عليه»(٤) . وهذا الرجل ما زال مسلمًا، فأسلم عليه؛ إلا إذا كان في هجره مصلحة، فحينئذٍ أهجره للمصلحة، كما جرى لكعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن غزوة «تبوك»، فهجرهم المسلمون

---

(١) سورة الحجرات: ٩ ـ ١٠ .

(٢) سورة النساء: ١٠٢ .

(٣) سورة الحجرات: ٩ ـ ١٠ .

(٤) الحديث صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٢٥) ومسلم (٢١٦٢)، وأحمد (٨٨٣٢)، وابن حبان (٢٤٢). (الزغبي).

خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم[١] .

وهل نحبه على سبيل الإطلاق أو نكرهه على سبيل الإطلاق؟

نقول: لا هذا ولا هذا، نحبه بما معه من الإيمان، ونكرهه بما معه من المعاصي، وهذا هو العدل.

قال ابن عثيمين: **قوله: «وَلاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ...»**:

«الْفَاسِق»: هو الخارج عن الطاعة.

والفسق ـ كما أشرنا إليه سابقًا ـ ينقسم إلى فسق أكبر مخرج عن الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ** ﴾[٢] وفسق أصغر ليس مخرجًا عن الإسلام؛ كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ** ﴾[٣] .

والفاسق الذي لا يخرج من الإسلام هو الفاسق الملي، وهو من فعل كبيرة، أو أصر على صغيرة.

فأهل السنة والجماعة لا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية فلا يمكن أن يقولوا: إن هذا ليس بمسلم، لكن يمكن أن يقولوا: إن هذا ناقص الإسلام أو ناقص الإيمان.

قال ابن عثيمين: **قوله: « وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار»**: معطوف على قوله: **«وَلاَ يَسْلُبُونَ»**، وعلى هذا يكون قوله: **«كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ»**، عائدًا للأمرين؛ لأن المعتزلة يسلبونه الإسلام ويخلدونه في النار، وإن كانوا لا يطلقون عليه الكفر.

وقال: **قوله: « بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإيمَان المطلق»** مراد المؤلف بـ **«الْمُطْلَق»** هنا يعني: إذا أطلق الإيمان، فالوصف يعود إلى الاسم لا إلى الإيمان، كما سيتبين من

---

(١) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).
(٢) سورة السجدة: ٢٠ .
(٣) سورة الحجرات: ٦ .

كلام المؤلف رحمه الله ، فيكون المراد به مطلق الإيمان الشامل للفاسق والعدل.

وقال: قوله: «كـمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[1] »: فإن المؤمنة هنا يدخل فيه الفاسق.

فلو أن إنسانًا اشـترى رقيقًـا فاسقًا وأعتـقه في كفارة؛ أجـزأه، مع أن الله قال: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ فكلمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ تشمل الفاسق وغيره.

وقال: قوله: «وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ»؛ أي: في مطلق اسم الإيمان.

«كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[2]»:

فـ ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصـر؛ يعني: ما المـؤمنون إلا هؤلاء، والمراد بالمؤمنين؛ يعني: ذوي الإيمان المطلق الكامل.

فـلا يدخل في المؤمنين هنا الفسـاق؛ لأن الفـاسق لو تلوت عليه آيات الله، مـا زادته إيمانًا ،ولو ذكرت الله له، لم يَوْجَل قلبه.

فبين المؤلف أن الإيمان قد يراد به مطلق الإيمان ، وقد يراد به الإيمان المطلق.

فإذا رأينـا رجلاً: إذا ذكر الله، لـم يوجل قلبه، وإذا تليت عليـه آياته، لم يزدد إيمانًا، فيصح أن نقول: إنه مـؤمن ، ويصح أن نقول: ليس بمؤمن، فنقول : مؤمن؛ أي: معه مطلق الإيمان؛ يعني : أصله، وليس بمؤمن؛ أي: ليس معه الإيمان الكامل.

قال ابن عثيمين: **قوله: « وَقَوْلُهُ: ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[3]** .

---

(١) سورة النساء: ٩٢ .

(٢) سورة الأنفال: ٢ .

(٣) الحديث متـفق عليه: رواه البخاري (٦٤٢٥)، ومسلم (٥٧)، والتـرمذي (٢٦٢٥)، وقال: حسن صـحيح غـريب، وأبو داود (٤٦٨٩)، وأحمـد في «مسنده» (١٠٢٢٠)، وابن حِـبَّان (٤٤١٢)، وعبد الرزاق (١٣٦٨٦).

هذا مثال ثانٍ للإيمان الذي يراد به الإيمان المطلق؛ أي: الكامل.

وقال: وقوله ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» هنا نفى عنه الإيمان الكامل حين زناه، أما بعد أن يفرغ من الزنا، فقد يؤمن، فقد يلحقه الخوف من الله بعد أن يتم الزنا فيتوب، لكن حين إقدامه على الزنا لو كان عنده إيمان كامل؛ ما أقدم عليه، بل إيمانه ضعيف جدًا حين أقدم عليه.

وتأمل قوله: «**حِينَ يَزْنِي**»: احترازًا من أنه قبل الزنا وبعده تختلف حاله؛ لأن الإنسان ما دام لم يفعل الفاحشة، ولو هم بها؛ فهو على أمل ألا يقدم عليها.

وقوله: «**وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»؛ أي: كامل الإيمان؛ لأن الإيمان يردعه عن سرقته.

وقال: قوله: «وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؛ أي: كامل الإيمان.

«**وَلاَ يَنْتَهِبُ نهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ**»: «**ذَاتَ شَرَفٍ**»؛ أي: ذات قيمة عند الناس، ولهذا يرفعون إليه أبصارهم؛ فلا ينتهبها حين ينتهبها وهو مؤمن؛ أي: كامل الإيمان.

وهذه أربعة أشياء: الزنا «وهو الجماع في فرج حرام»، والسرقة «وهي أخذ المال المحرَّم على وجه الخفية من حرز مثله»، وشرب الخمر «والمراد تناوله بأكل أو شرب، والخمر كل ما أسكر على وجه اللذة والطرب»، والنهبة التي لها شرف وقيمة عند الناس. «قيل: الانتهاب أخذ المال على وجه الغنيمة»، لا يفعل هذه الأشياء الأربعة أحد وهو مؤمن بالله حين فعله لها.

فالمراد بنفي الإيمان هنا: نفي تمام الإيمان.

قال ابن عثيمين: **قوله: «وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ»**:

هذا بيان للوصف الذي يستحقه الفاسق الملي عند أهل السنة والجماعة.

والفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق: أن الشيء المطلق هو الشيء الكامل، ومطلق الشيء؛ يعني: أصل الشيء وإن كان ناقصًا.

فالفاسق المِلي لا يُعطى الاسم المطلق في الإيمان، وهو الاسم الكامل، ولا يسلب مطلق الاسم، فـلا نقول: ليس بمؤمن، بل نقـول: مؤمن ناقص الإيمان، أو: مـؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو المذهب العدل الوسط.

وخالفهم في ذلك طوائف:

المرجئة: يقولون : مؤمن كامل الإيمان.

والخوارج: يقولون: كافر.

والمعتزلة: يقولون: في منزلة بين منزلتين.

* * *

العمل من الإيمان[١]

جاء في كتاب «شرح السنة» للبغوي رحمه الله تعالى:

«قال الشيخ الحسين بن مسعود رحمه الله: اتفقت الصحابة، والتابعون، فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢].

فجعل الأعمال كلها إيمانًا» اهـ.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله[٣]: «وأما قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾[٤] فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرًا من عمل صالح تصدقُ قيله وتحققه، من قبل طلوع الشمس من مغربها... ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقًا ولفرائض الله مضيعًا، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة، إذ هي طلعت من مغربها أعمالهُ إن عمل، وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك، كما حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾[٥] يقول: كسبت في تصديقها خيرًا: عملاً صالحًا، فهؤلاء أهل القبلة وإن كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرًا، فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها، وإن عملت بعد الآية خيرًا قبل منها».

---

(١) انظر: «عقيدة الأمة» الشيخ / علاء سعيد [ص / ٩٢ - ٩٧].
(٢) سورة الأنفال: ٢ - ٤ .
(٣) انظر تفسير الطبري (٨ / ٧٦).
(٤) سورة الأنعام: ١٥٨ .
(٥) سورة الأنعام: ١٥٨ .

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: كما نقله شيخ الإسلام في (الفتاوى)[١] مقرّاً له أنه سئل عن الإيمان ما هو؟ فقال: «هو قول ونية وعمل وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة»[٢] .

وقال الحميدي رحمه الله[٣]: ونقله شيخ الإسلام[٤] عنه مقرّاً له حيث قال: «أُخبرت أن ناسًا يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه، إذا كان يقر بالفرائض واستقبل القبلة.

فقلت : هذا الكفر الصراح ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلماء المسلمين.

قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾[٥] .

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يقول: من قال هذا فقد كفر بالله، ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به».

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله «السنة» لعبد الله بن أحمد[٦] ، و«الشريعة» للآجري[٧] : «الإيمان قول وعمل. قال: أخذناه ممن قبلنا: قول وعمل، وأنه لا يكون قول إلا بالعمل».

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧ / ١٧١).
(٢) انظر الإبانة (٢ / ٨١٤).
(٣) انظر أصول الاعتقاد للالكائي (٥ / ٨٨٧).
(٤) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧ / ٢٠٩).
(٥) سورة البينة: ٥ .
(٦) انظر كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١ / ٣٤٦).
(٧) انظر كتاب الشريعة للآجري (١ / ٢٧١).

قال أبو طالب المكي رحمه الله كما قال شيخ الإسلام(١):

«الإيمان والإسلام أحدهما مرتبط بالآخر، فهما كشيء واحد، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه من حيث اشترط الله للأعمال الصالحة الإيمان، واشترط للإيمان الأعمال الصالحة؛ فقال في تحقيق ذلك: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** ﴾(٢) .

وقال في تحقيق الإيمان بالعمل: ﴿**وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى** ﴾(٣) .

فمن كان ظاهره أعمال الإسلام ولا يرجع إلى عقود الإيمان بالغيب فهو منافق نفاقًا ينقل عن الملة، ومن كان عقده بالإيمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام فهو كافر كفرًا لا يثبت معه توحيد؛ ومن كان مؤمنًا بالغيب مما أخبرت به الرسل عن الله عاملاً بما أمر الله فهو مؤمن مسلم.. فلا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بعقد.

ومثل ذلك مثل العمل الظاهر والباطن أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وعمل الجوارح.

ومثله قول رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» أي لا عمل إلا بعقد وقصد، لأن (إنما) تحقيق للشيء ونفي لما سواه؛ فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات، وعمل القلوب من النيات. فمثل العمل من الإيمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام إلا بهما؛ لأن الشفتين تجمعان الحروف، واللسان يظهر الكلام، وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام، وكذلك في سقوط العمل ذهاب الإيمان».

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧ / ٣٣٣).

(٢) سورة الأنبياء: ٩٤ .

(٣) سورة طه: ٧٥ .

قال الخطابي رحمه الله[١]:

«أصل الإسلام: الاستسلام والانقياد، وأصل الإيمان: التصديق. وقد يكون المرء مستسلمًا في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر».

وقال ابن بطة العكبري رحمه الله[٢]: «فقد تلوت عليكم من كتاب الله عز وجل ما يدل العقلاء من المؤمنين أن الإيمان قول وعمل، وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذبًا وخارجًا من الإيمان، وأن الله لا يقبل قولاً إلا بعمل ، ولا عملاً إلا بقول».

وقال شيخ الإسلام[٣]:

«وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبًا ظاهرًا ، ولا صلاة ولا زكاة ولا صيامًا ولا غير ذلك من الواجبات ، لا لأجل أن الله أوجبها ، مثل أن يؤدي الأمانة ويصدق الحديث، أو يعدل في قسمه وحكمه، من غير إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر، فإن المشركين وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور ، فلا يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم فعل شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ ».

وقال أيضًا[٤]: «ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا إيمانًا ثابتًا في قلبه، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقته لا مع إيمان صحيح، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع عن السجود الكفار».

---

(١) انظر «شرح السنة» للبغوي (١ / ١١).

(٢) انظر «الإبانة» (٢ / ٧٩٥).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية» (٧ / ٦٢١).

(٤) انظر «مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية» (٧ / ٦١١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: «الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل كما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف، وعلى ما هو مقرر في موضعه. فالقول تصديق الرسول، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنًا. . . وأيضًا فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط ، فمن لم يفعل لله شيئًا فما دان لله دينًا ومن لا دين له فهو كافر».

قال ابن القيم رحمه الله[٢]: «الإيمان له ظاهر وباطن ، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك. فتخلف العمل ظاهرًا مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان».

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله[٣]: «ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب.

قال النبي ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٤] ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة، أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرًا وباطنًا، لم يعنوا مجرد التصديق».

* * *

(١) انظر «شرح العمدة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٨٦).

(٢) انظر «الفوائد» لابن القيم ص ٢٨٣.

(٣) انظر «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (٢ / ٢٣).

(٤) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٥٢)، وأبو داود (٣٣٢٩، ٣٣٣٠)، والترمذي (١٢٠٥).

من قال كذا فهو صاحب سنة[(١)]

قوله: (ومن قال: الإيمان قـول وعمل يزيد وينقص ، فقد خـرج من الإرجاء أوله وآخره) لما ذكر أن المرجـئة من أصول الفرق الضـالة بين مذهب أهل السنة والجمـاعة وأنه ضـد مذهبـهم، لأن أهل السنة يرون أن الإيمان قـول وعمل واعـتقـاد وأنه يزيد وينقص؛ كمـا دلت على ذلك الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بـخلاف مذهب المرجئة الذين يرون أن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان.

قوله: (ومن قال: الـصلاة خلف كل بر وفـاجر، والجهـاد مع كل خليفـة، ولـم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح) هذا بريء من فرقة الخوارج؛ لأنه ذكر الفرق الأربع، فـمن التزم بالسمع والطاعة لولي أمر المـسلمين، ولم يخرج عليه بسبب خطأ أخطأ فـيه وهو دون الكفر، أو معصـيةٍ وقع فيها وهي دون الكفـر، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الصلاة خـلف الأمراء من المسلمين، والجهاد معهم في سبيل الله، والدعاء لهم بالصلاح والتـوفيق، هذا مذهب أهل السنة والجماعة مع ولاة الأمور، فمن خـالف في شيء من ذلك فعنده نزعة من نزعـة أهل الضلال، من نزعة الخوارج.

(والجهاد مع كل خليفة) إذا أمر بالجهاد فإنه يجب الجهاد معه.

فهـذا هو الواجب: السمع والطاعـة، والصلاة خلفهم، والجـهاد معـهم، وعدم الخروج عليهم بالقتال كما تفعـل الخوارج، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة في ولاة الأمور، عكس ما تقوله الخوارج والمعتزلة.

قوله: (ومن قال: المقادير كـلها من الله عز وجل، خيرها وشـرها، يضل من يشاء ويهدي من يشـاء فقد خـرج من قول القـدرية أوله وآخره) كل شيءٍ يحدث فهو من قدر الله: الكفر والإيمان، والمعصية والطاعة، والفقر والغنى، والمرض والصحة، وغير ذلك، كل ما يجري في الكون فإنه بقضـاء الله وقدره، لا يخرج شيء عن قضاء الله

---

(١) انظر «شرح السنة» (ص / ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

وقدره، هذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للقدرية بقسميها: النفاة والمجبرة.

(يضلُ من يشاء) ولا يُضل إلا من ارتكب سبب الضلالة، فالله يضله، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾[1] ، ولم يأت في القرآن إهلاك أو إضلال أو عذاب إلا ويذكر سببه من قبل العبد، وأن الله قدره عليه بسبب من العبد؛ ولذلك نقول: يضل من يشاء بعده، يقيم العدل على أهل الضلال، ولا يجعلهم مثل أهل الهدى، قال تعالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[2] ويهدي من يشاء بفضله سبحانه وتعالى.

* * *

---

(١) سورة الصف: ٥ .

(٢) سورة القلم : ٣٥ ـ ٣٦ .

الفرق بين الإيمان والإسلام [١]

هذه المسألة وقع فيها شيء من الخلاف بين أهل السنّة والجماعة، وإن كان جمهور أهل السنّة يقولون بالفرق بينهما ، حتى قيل : « إن السلف لم يرو عنهم غير التفريق» »[٢] .

وممن روي عنهم عدم التفريق البخاري ومحمد بن نصر وابن منده، ونصر هذا القول ابن حزم [٣].

وممن نصر القول بأن الإسلام يفترق عن الإيمان الإمام الخطابي في معالم السنن، وفي أعلام الحديث[٤] ، والإمام البغوي في شرح السنة، »[٥] والحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم[٦].

وقد تصدى المصنف رحمه الله تعالى في كتاب« شرح حديث جبريل» لهذه المسألة وأود من الأدلة الظاهرة من الكتاب والسنّة ما يبين أن الفرق بين الإسلام والإيمان هو القول الصواب، ولكن على أي حال فهذه المسألة ليست من المسائل التي يبدع فيها المخالف ،والخطب فيها هين .

ومن الأدلة التي تدل على أن هناك فرقًا بين الإسلام والإيمان قي القرآن الكريم ـ كما ذكر المصنف ـ ما يلي :

١ـ قوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٤] .

---

(١) انظر « كتاب السنة للخلال (٦٠٢ ـ ٦٠٨) .

(٢) الفتح لابن رجب (١/ ١٣٠) .

(٣) الدرة فيما يجب اعتقاده (٣٥٩).

(٤) معالم السنن في تفسير كتاب السنن لأبي داود (٤/ ٣١٥) ،وأعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (١/ ١٦٠).

(٥) شرح السنة (١/ ١٠) .

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦، ١٠٧) .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦].

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأما السنّة فقد ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « أعطى رسول الله ﷺ رجالاً ولم يعط رجلاً، فقلت: يا رسول الله، أعطيت فلاناً، وتركت فلاناً وهو مؤمن، فقال: أو مسلم؟ قال: ثم غلبني ما أجد، فقلت: يا رسول الله، أعطيت فلاناً وفلاناً، وتركت فلاناً وهو مؤمن، فقال: أو مسلم؟ مرتين أو ثلاثاً، وذكر في تمام الحديث أنه يعطي رجالاً، ويدع من هو أحب إليه منهم، خشية أن يكبهم الله في النار على مناخرهم ».

فالنبي ﷺ أجاب عن عدم إعطاء الرجل الذي كلمه فيه سعد بجوابين:

الأول: أن هذا الرجل قد يكون مسلماً لا مؤمناً.

الثاني: أنه ﷺ ـ وإن كان هذا الرجل مؤمناً ـ قد يعطي من هو أضعف إيمانًا منه، لئلا يحمله منع العطاء على الردة، فيكون من أهل النار.

والجواب الأول هو المطلوب، وهو إثبات الفرق بين الإسلام والإيمان.

وعلى هذا فالإسلام أوسع من الإيمان، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

« ويقولون في قول النبي ﷺ: « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة (يعني دائرة)، ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها، وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر »[1].

والإحسان كذلك عبارة عن دائرة أصغر من دائرة الإيمان تقع في جوفها أيضاً، فكل محسن مؤمن، وليس كل مؤمن محسناً.

---

(١) شرح حديث جبريل (٣١٠).

ومثال ذلك أن الإسلام والإيمان والإحسان كمثل بيت واحد من ثلاث طبقات، فالطبقة العليا هي الإحسان ، والطبقة الوسطى هي الإيمان، والطبقة الدنيا هي الإسلام، فإذا خرج من الإحسان لم يخرج من الإيمان ، وإذا خرج من الإيمان لم يخرج من الإسلام [١].

والأقوال في الإسلام والإيمان والفرق بينهما أربعة أقوال :

القول الأول: أن الإسلام هو الإيمان .

القول الثاني: أن الإسلام هو الكلمة ، والإيمان العمل ، ونقل هذا القول عن الإمام الزهري .

القول الثالث: أن الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، وهذا قول الأشاعرة [٢].

القول الرابع : أن الإسلام والإيمان ، كالشهادتين ،وكاسم الفقير والمسكين ،إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. .

فإذا اجتمعا افترقا وصار الإيمان هو الأعمال الباطنة، والإسلام هو الأعمال الظاهرة.

وإذا افترقا اجتمعا ، فإذا ذكر الإسلام مفرداً، دخل فيه الإيمان ، وإذا ذكر الإيمان مفرداً دخل فيه الإسلام .

وهذا القول هو الذي نصره المصنف رحمه الله في كتاب « شرح حديث جبريل»[٣] وكذلك في كتابه « الإيمان الكبير » [٤]،وهو القول الراجح الذي تؤيده الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنّة، وهو ما عليه جمهور السلف الصالح رضوان الله عليهم .

---

(١) الإيمان (٢٨١).

(٢) قال القاضي أبو بكر الباقلاني في تمهيد الأوائل(٣٩٠) :« فإن قال قائل : ما الإسلام عندكم؟ قيل له: الإسلام هو الانقياد والاستسلام ، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى، واستسلم فيها لأمره فهي إسلام ، والإيمان خصلة من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانًا »، .

(٣)شرح حديث جبريل (٤٨٢- ٤٨٣) .

(٤) الإيمان (٢٠٤) .

ولشيخ الإسلام رحمه الله تفريق بين الإسلام والإيمان من حديث الأفضلية، يقول رحمه الله : « ولهذا صار الناس في الإيمان والإسلام على ثلاثة أقوال :

فالمرجئة يقولون : الإسلام أفضل ، فإنه يدخل فيه الإيمان .

وآخرون يقولون : الإيمان والإسلام سواء، وهم المعتزلة والخوارج ، وطائفة من أهل الحديث والسنّة، وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم ، وليس كذلك .

القول الثالث : أن الإيمان أكمل وأفضل،وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنّة في غير موضع ،وهو المأثور عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان[١] .

ويفرق المصنف بين الإسلام والإيمان بقوله:« وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينًا ، إذا خضع وذل ، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده ، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه ، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر، لم يكن مسلمًا ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا ، والإسلام هو الاستسلام لله ، وهو الخضوع له ، والعبودية له ، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم ، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة ، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له فلهذا فسر النبي ﷺ الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمس . . » [٢] .

فأما القول الأول : فقد رد المصنف عليه ،ومن ذلك أن الله عزّ وجل لم يعلق دخول الجنة إلا باسم الإيمان ، لا باسم الإسلام «مع إيجابه الإسلام ،وإخباره أنه دينه الذي ارتضاه، وأنه لا يقبل دينًا غيره ،ومع هذا فما قال:إن الجنة أعدت للمسلمين ، ولا قال: وعد الله المسلمين بالجنة بل إنما ذكر ذلك باسم الإيمان . . »[٣] .

---

(١) المصدر السابق (٣٢٣).

(٢) المصدر السابق (٢٠٧).

(٣) المصدر السابق (٢٧٢).

ولتوضيح العلاقة المتلازمة بين الإسلام والإيمان يشبه المصنف الإسلام والإيمان في تلازمهما بالروح والبدن ، وليس يلزم من تلازمهما أن يكون أحدهما هو الآخر، «إذا قيل : إن الإسلام والإيمان التام متلازمان، لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر، كالروح والبدن ، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن ،ولا يكون البدن حيّا إلا مع الروح ، بمعنى أنهما متلازمان، لا أن مسمى أحدهما هو الآخر »[١] .

ويذكر لذلك تشبيهًا آخر فيقول:« وليس كل من صلى ببدنه يكون قلبه منوراً بذكر الله والخشوع وفهم القرآن، وإن كانت صلاته يثاب عليها ، ويسقط عنه الفرض في أحكام الدنيا. فهكذا الإسلام الظاهر بمنزلة الصلاة الظاهرة ، والإيمان بمنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبر القرآن ، فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه، ولا ينعكس. . »[٢] .

وأما القول الثاني : وهو قول من يقول: الإسلام الكلمة ،والإيمان العمل، فينظر في المراد بذلك، فإن كان مراد من قال ذلك أنه بالكلمة يدخل في الإسلام،ولم يأت بتمام الإسلام فنعم ،وإن كان مراده أنه أتي بجميع الإسلام فهذا غلط قطعًا .

فمن قال: إن الأعمال الظاهرة ليست من الإسلام فقوله باطل أيضاً[٣] .

وأما القول الثالث : وهو قول الأشاعرة الذين جعلوا الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، فقد تصدى له المصنف بالرد والإبطال، وبين تناقضهم ، حيث قال بعد أن أورد كلام الباقلاني الذي تقدم قريباً :« وهذا الذي ذكروه مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنة هو تناقض ، فإنهم جعلوا الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، فالطاعات كلها إسلام ،وليس فيها إيمان إلا التصديق، والمرجئة وإن قالوا: إن الإيمان يتضمن الإسلام، فهم يقولون :إن الإيمان هو تصديق القلب واللسان، وأما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب، فلا تكون الشهادتان، ولا الصلاة ولا الزكاة ولا غيرهن من

---

(١) المصدر السابق (٢٨٨).

(٢) المصدر السابق (٢٨٨) .

(٣) المصدر السابق (٢٩٠).

الإيمان، وقد تقدم ما بينه الله ورسوله، من أن الإسلام داخل في الإيمان، فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يكون مسلمًا ، كما أن الإيمان داخل في الإحسان ، فلا يكون محسناً حتى يكون مؤمنًا .

وأما التناقض ، فإنهم إذا قالوا : الإيمان خصلة من خصال الإسلام ، كان من أتى بالإيمان إنما أتى بخصلة من خصال الإسلام ، لا بالإسلام الواجب جميعه، فلا يكون مسلمًا حتى يأتي بالإسلام كله، كما لا يكون عندهم مؤمنًا حتى يأتي بالإيمان كله ، وإلا فمن أتى ببعض الإيمان عنده لا يكون مؤمنًا، ولا فيه شيء من الإيمان، فكذلك يجب أن يقولوا في الإسلام، وقد قالوا: كل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً ، وهذا إن أرادوا به أن كل إيمان هو الإسلام الذي أمر الله به، ناقض قولهم: إن الإيمان خصلة من خصاله ، فجعلوا الإيمان بعضه ولم يجعلوه إياه، وإن قالوا: كل إيمان فهو إسلام ، أي هو طاعة لله، وهو جزء من الإسلام الواجب، وهذا مرادهم ، قيل لهم : فعلى هذا يكون الإسلام متعدداً بتعدد الطاعات ، وتكون الشهادتان وحدهما إسلامًا ، والصلاة وحدها إسلاماً، والزكاة إسلامًا ، وكل تسبيحة في الصلاة أو غيرها إسلامًا .

ثم المسلم إن كان لا يكون مسلمًا إلا بفعل كل ما سميتموه إسلامًا ، لزم أن يكون الفساق ليسوا مسلمين، مع كونهم مؤمنين ، فجعلتم المؤمنين الكاملي الإيمان عندكم ليسوا مسلمين، وهذا شر من قول الكرامية ، ويلزم أن الفساق من أهل القبلة ليسوا مسلمين، وهذا شر من قول الخوارج والمعتزلة وغيرهم ، بل وأن يكون من ترك التطوعات ليس مسلماً . إذا كانت التطوعات طاعة لله، إن جعلتم كل طاعة فرضًا أو نفلاً إسلاماً.

وإن قلتم: بل كل من فعل طاعة سمي مسلمًا ، لزم أن يكون من فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بالشهادتين مسلمًا، ومن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه أن يكون مسلمًا عندكم ، لأن الإيمان عندكم إسلام، فمن أتى به فقد أتى بالإسلام ، ويكون مسلمًا عندكم من تكلم بالشهادتين وما أتى بشيء من الأعمال » [١].

---

(١) المصدر السابق (١٢٦ ، ١٢٧)، وانظر شرح حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان» المعروف باسم كتاب « الإيمان الأوسط » لابن تيمية ـ دراسة وتحقيق الدكتور / علي بن بخيت الزهراني .رسائل جامعية (ص٢٠٤ ـ ٢١٠) حيث نقلت هذا الفرق من هذا المرجع بهوامشه ـ طبعة ـ دار ابن الجوزي ـ الطبعة الثالثة .

الاستثناء [١]

يتعلق هذا اللفظ عادة بالإيمان، فهل يجوز للإنسان المؤمن أن يستثنى في الإيمان بمعنى أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ؟ وقد بسط القول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في الفتوى الحموية فقال [٢] :

الاستثناء في الإيمان: أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله.

وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: تحريم الاستثناء، وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم. ومأخذ هذا القول: أن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه وهو التصديق الذي في القلب، فإذا استثنى فيه كان دليلاً على شكه، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان «شكاكًا».

والثاني: وجوب الاستثناء ، وهذا القول له مأخذان:

١ ـ أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، فالإنسان إنما يكون مؤمنًا وكافرًا بحسب الموافاة، وهذا شيء مستقبل غير معلوم. فلا يجوز الجزم به، وهذا مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم، لكن هذا المأخذ لم يعلم أن أحدًا من السلف علل به وإنما كانوا يعللون بالمأخذ الثاني وهو:

٢ ـ أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه، ولو جزم لكان قد زكى نفسه وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار، وكان ينبغي على هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة وهذه لوازم ممتنعة .

القول الثالث: التفصيل فإن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم، بل كفر، لأن الإيمان جزم والشك ينافيه، وإن كان صادرًا عن خوف

---

(١) انظر «معجم ألفاظ العقيدة» [ص / ٣٢ ـ ٣٣].

(٢) مجموع فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين ٤ / ٩٧ .

تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً واعتقادًا، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور ، وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة ، أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان.

والتعليق بالمشيئة على هذا الوجه - أعني بيان التعليل - لا ينافي تحقيق المعلق، فإنه قد ورد التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ ﴾ (١) .

وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء، بل لابد من التفصيل السابق والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة الفتح: ٢٧ .

نواقض الإسلام(١)

ذكر أهل العلم أن هناك عشرة نواقض هامة هي:

١ ـ الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢) .

٢ ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة. كفر إجماعًا.

٣ ـ من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم . كفر إجماعًا.

٤ ـ من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر.

٥ ـ من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به. كفر إجماعًا . والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٣) .

٦ ـ من استهزأ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(٤) .

٧ ـ السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ (٥) .

٨ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٦) .

---

(١) انظر الولاء والبراء [ص / ٧٧ ـ ٧٨].

(٢) سورة النساء: ١١٦ .

(٣) سورة محمد: ٩ .

(٤) سورة التوبة: ٦٥ ـ ٦٦ .

(٥) سورة البقرة: ١٠٢ .

(٦) سورة المائدة: ٥١ .

٩ ـ من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر.

١٠ ـ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [١] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، ومن أكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه[٢] .

* * *

---

(١) سورة السجدة: ٢٢ .

(٢) الدرر السنية ٨ / ٨٩ ـ ٩٠، وانظر مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب ٥ / ٢١٢ ـ ٢١٤ .

التكفير

التكفير من كفر أي ستر وغطى ، يقال: كفر الزارع البذر في الأرض إذا غطاه بالتراب[١] . وفي الاصطلاح ضد الإيمان، والكفر حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فما دل الكتاب والسنة على أنه كفر فهو كفر، وما دل الكتاب والسنة على أنه ليس بكفر فليس بكفر. ولابد في التكفير من شروط أربعة:

الأول: ثبوت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو السنة.

الثاني: ثبوت قيامه بالمكلف.

الثالث: بلوغ الحجة.

الرابع: انتفاء مانع التكفير في حقه.

فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل ، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة ، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر، لأن ذلك من القول على الله بلا علم وقد قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾[٣] .

وإذا لم يثبت قيامه بالمكلف فإنه لا يحل أن يرمى به بمجرد الظن لقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾[٤] . ولأنه يؤدي إلى استحلال دم المعصوم بلا حق.

---

(١) القاموس المحيط، فصل الكاف/ باب الراء، وانظر «معجم ألفاظ العقيدة» [ص/ ٩٩ ـ ١٠١].

(٢) سورة الأعراف: ٣٣ .

(٣) سورة الإسراء: ٣٦ .

(٤) سورة الإسراء: ٣٦ .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**» (١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**»(٢) .

وإذا لم تبلغه الحجة فإنه لا يحكم بكفره لقوله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾ (٤) .

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (٦) .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٧٠٩ ـ الألباني.
(٢) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٥٤٣١ ـ الألباني.
(٣) سورة الأنعام: ١٩ .
(٤) سورة القصص: ٥٩ .
(٥) سورة النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥ .
(٦) سورة الإسراء: ١٥ .

الكفر الأكبر

تعريفه وحكمه[1]

الكفر في الاصطلاح: كل اعتقاد أو قول أو فعل أو ترك يناقض الإيمان.

فالكفر الأكبر يكون بالاعتقاد، ويكون أيضًا بالقول، ويكون كذلك بالفعل ولو لم يكن مع أي منهما اعتقاد.

وحكم الكفر الأكبر: هو حكم الشرك الأكبر، كما سبق بيانه.

وإذا وقع المسلم في الكفر أو الشرك وحكم بكفره فهو (مرتد) له أحكام المرتدين، ومنها أنه يجب قتله إن لم يتب ويرجع إلى الإسلام لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[2]. رواه البخاري.

ولقوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[3]. رواه البخاري ومسلم.

* * *

---

(١) انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية [ص / ٨٨].

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كلمة لابد منها في
تكفير المسلم وتكفير المجتمع

التحذير من التسرع في التكفير[١] :

إن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي وقعت فيها بعض الجماعات وبعض الشباب اليوم، إذ لا يتورع أحدهم أن يقول عن أخيه بأنه كافر، وذلك لأنه وقع في ذنب أو خالف سنة ونحو ذلك، والرسول ﷺ يقول فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٢] .

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما رجل كفر رجلاً فأحدهما كافر**»[٣] .

وعنه أيضًا قال ﷺ: «**إذا قال الرجل لصاحبه: يا كافر، فإنها تجب على أحدهما، فإن كان الذي قيل له كافرًا فهو كافر، وإلا رجع إليه ما قال**»[٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**»[٥] .

وعن ثابت بن الضحاك أن رسول الله ﷺ قال: «**.. ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف بكفر فهو كقتله**»[٦] .

قال ابن حجر رحمه الله:

«وهذا يقتضي أن من قال لآخر: أنت فاسق، أو قال له أنت كافر، فإن كان ليس

---

(١) انظر فتنة التكفير ـ للشيخ / الألباني ـ رحمه الله ـ تقريظ الشيخ / ابن باز، وتعليق الشيخ/ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ جمع وإعداد / علي بن حسن أبو لوز، [ص / ٤٧ ـ ٤٨] .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورقم (٦١٠٤) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣، ٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٢ / ٤٤ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ١٠٥)، وقال أحمد شاكر (٢٠٣٥ ، ٥٠٧٧ ، ٥٢٥٩ ، ٥٨٢٤): إسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٥).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧).

كما قال، كـان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كمـا قال، لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيمـا قال، ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسـقًا ولا كافرًا ألا يكون آثمًا في صورة قـوله له أنت فاسق؛ بل في هذه الصورة تفصـيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز؛ لأنه مأمور بالسـتر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى، فـمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفـعله بالعنف، لأنه قد يكون سبـبًا لإغوائه وإصـراره على ذلك الفعل، كمـا في طبع كـثير من الـناس من الأنفة، لا سـيمـا إذا كان الآمر دون المأمـور في المنزلة»[(١)] ا. هـ.

إن المجتمع المسلم الذي يدين أهله جميعهم بالإسلام ويعملون بشرائعه، لا يجوز لأحدهـم أن يطلق مثل هذه الألفـاظ على غيـره من إخوانه المسلمين؛ لأن من تـأكد دخولـه بالإسلام لم يجـز الحكم عليه بالكفـر أو التفـسيق أو اللعن، إلا إذا جـاء بما يوجب لعنه أو تفسيقه أو تكفيره.

* * *

(١) فتح الباري (١٠ / ٤٨١).

الحكم بالتكفير[(١)]

يقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين:

من المعلوم أن الحكم بالتكفير يحتاج إلى شيئين مهمين[(٢)] :

الأول: دلالة النص على أن هذا كفر، وكفر مخرج من الملة؛ لأن في النصوص ما يطلق عليه كفر وليس بكفر مخرج عن الملة، فلابد أن تعلم أن النص دل على أن هذا العمل كفر، أو هذا الترك كفر كفراً مخرجًا عن الملة.

الثاني: تطبيق هذا النص على من صدر منه الفعل الذي دل النص على أنه كفر، لأنه ليس مَن فَعَلَ المكفر يكون كافرًا، كما دلت عليه النصوص من القرآن والسنة:

أما الكتاب:

فقال الله عز وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(٣)] .

فإذا أُكرِهَ الإنسان على الكفر قولاً أو فعلاً ففعل ما أكره عليه فقد دل الكتاب العزيز على أنه لا يكفر، مع أن الفعل كفر.

مثال ذلك: إنسان أكره على أن يسجد لصنم فسجد، فالسجود للصنم كفر لا إشكال فيه، لكنه مكره وقلبه مطمئن بالإيمان، يؤمن بأن هذا الصنم لا يستحق أن يُسْجَدَ له، وأن السجود له كفر، فلا شيء عليه.

وإنسان أكره على أن يقول كلمة الكفر، فيقول: إن الله ثالث ثلاثة، أيكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؟ الجواب: لا يكفر.

---

(١) انظر «فتنة التكفير» [ص / ٥٥ ـ ٥٧].

(٢) جواب لفضيلة الشيخ ابن عثيمين على سؤال في جريدة المسلمون العدد (٥٩٣) ، بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٤١٧ هـ الموافق ١٤ / ٦ / ١٩٩٦م.

(٣) سورة النحل: ١٠٦ .

وأما السُّنة:

فقد تحدث النبي ﷺ عن فـرح الله تعالى بتوبة العبد، وأخبـر أن الله أشد فرحًا بتوبة العبـد من رجل أضل ناقته وعليهـا طعامه وشرابه فطلبهـا فلم يجدها واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، فبـينما هو كذلك إذا هو بناقته قائمة عنده فـأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح[1] ، وهل هو كافر ؟ الجواب: لا.

كذلك الرجل الذي كان مـسرفًا على نفسه وخاف من عـقوبة الله قال لأهله: إذا أنا متُّ فأحـرقوني واسحقـوني وذروني في اليم، فوالله لئن قدر علي ربي ليـعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، ففعلوا ،فجمعه الله ـ عز وجل ـ ثم سأله ، وأخبره أنه فعـل ذلك خوفًا من اللـه وظن أن الله لا يقدر عليـه، فغفـر الله له[2] ، مع أن الشك في قدرة الله كُفْر؛ لأنه لم يرد أن يصف الله بالعجز، ولكن خوفًا من الله عز وجل، فظن أن هذا الفرار من الله يمكنه أن ينجو من عقابه، إذًا لابد من أمرين هامين في التكفير:

الأمر الأول: دلالة النصوص على أن هذا كفر، وكفر مخرج عن الملة.

الثاني: انطبـاق هذا الحكم على الشـخص المعين؛ لأنه قد تـكـون هناك مـوانع تمـنع من التكفير ؛ وإن كان القول أو الفعل كفرًا، والموانع معروفة من الشريعة والحمد لله.

فإذا لم يتم الشرطان، فمن كفر أخاه صار هو الكافر؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن مَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال يا عدو الله وليس كذلك، فإنه يعود إليه فيكون هو الكافر، وهو عدو الله.

فـإذا قال إنسـان: كيف يكـون هو كافـر، وهو إنما كفـر هذا الرجل غـيرةً لله عـز

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجـه البخـاري برقم (٦٤٨٠)، ومسلم برقم (٢٧٥٦) من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وجل؟

قلنا: إنه كفر؛ حيث اتخذ نفسه مشرعًا مع الله، وحكم على هذا بالكفر، والله تعالى لم يكفره، فجعل نفسه ندّاً لله عز وجل في التكفير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: قد يطبع على قلبه والعياذ بالله ، وتكون نهايته أن يكفر بالله كفرًا صريحًا واضحًا ، فالمسألة خطيرة جدّاً.

فليس لنا أن نكفر من لم يكفره الله ورسوله.

كما أنه ليس لنا أن نحرم شيئًا لم يحرمه الله ورسوله.

ولا أن نبيح شيئًا لم يبحه الله ورسوله.

ولا نوجب شيئًا لم يوجبه الله ورسوله.

* * *

التحذير من التسرع في التكفير[١]

التكفير خطير:

إن التسرع في تكفير أفراد المسلمين جناية على النفس والدين لا يصدر ممن يخشى الله حق خشيته . قال الشوكاني ـ رحمه الله: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، هكذا في الصحيح[٢]. وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: **«من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»**[٣] أي رجع، وفي لفظ في الصحيح: **«فقد كفر أحدهما»** ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير ـ ثم قال ـ:

فإن الإقدام على ما فيه بعض البأس لا يفعله من يشح على دينه ، ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه ولا عائدة، فكيف إذا كان يخشى على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول الله ﷺ كافراً ؟! ا . هـ[٤] .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: والتجاسر على تكفير من ظاهره الإسلام من غير مستند شرعي ولا برهان مرضٍ يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة، وهذه الطريقة هي طريقة أهل البدع والضلال، ومن عدم الخشية والتقوى فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال ا.هـ[٥] .

---

(١) انظر «الإلمام بشرح نواقض الإسلام» عبد العزيز بن ريس الريس [ص / ١٧ ـ ١٩] دار التأصيل.

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٥١٤) الأدب، ومسلم (٢/ ٤٩) الإيمان ، ومالك (٢/ ٩٨٤) الكلام والترمذي (١٠/ ٣٠) الإيمان ، وأبو داود (٤٦٦٢) السنة.

(٣) رواه مسلم (٢/ ٤٩) الإيمان .

(٤) كتاب السيل الجرار (٤ / ٥٧٨).

(٥) الرسائل والمسائل النجدية (٣ / ٢٠).

هذا التشديد الشرعي هو في تكفير الأفـراد ، فكيف بتكفير الجماعات والدول ؟ لا شك أن الأمر فيـه أخطر لما يترتب عليه من سفك الدمـاء وإزهاق الأنفس وزعزعة الأمن وإضعاف القيام بالدين.

ومما ينبغي تذكره مـا بين حين وآخر أن التكفير من الألفاظ الشرعـية، فالمتكلم به متكلم باسم الدين وموقـع عن رب العالمين، فيا ويل من تفوه فـوه فيه بلا علم، وإنما بالحماسة المفرطة.

قال ابن القيم: وقد حرم الله سبـحانه القول عليه بغير علم في الفتـيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبـة العليا منها، فقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[١] .

فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ، ثم ثنى بما هو أشد تحـريمًا منه وهو الإثم والظلـم، ثم ثلث بما هو أعظم تحـريمًا منهـمـا وهو الشـرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحـريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وفي دينه وشرعه، وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٢]ا. هـ[٣] .

فواعجبًا لمن علم جهل نفسه بالأحكام الشرعية العملية اليومية كالصلاة وما يتعلق بها من أركان وواجـبات ومستحبـات، وأحكام سجود السهو والتلاوة، والصـيام وما يتعلق به من مفسدات وواجبات ومستحبات، والبيع وما يتعلق به من شروطه وشروط فيه، والتمييز بين البيع الصحيح والفاسد، ثم تراه في التكفـير مندفعًا متبجحًا بتسرعه وتكفيره للحكام والعلماء.

---

(١) سورة الأعراف: ٣٣ .

(٢) سورة النحل: ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) إعلام الموقعين: ١ / ٣٨ .

أما وقف مع نفسه وذكرها بصعوبة وخطورة ما يقترف، وأن الحماسة والعجلة والأصحاب لن ينفعوه يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [١] .

وقال: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [٢] .

أليس أحدنا إذا احتاج إلى معرفة أحكام الشرع في نفسه كمسائل الطلاق والحيض والبيوع سأل العلماء الربانيين وأخذ عنهم ولا يلتفت إلى خلاف من خالفهم؟ فإذا كان الحال كذلك في عامة مسائل الشرع، فلماذا إذًا ندع أقوال العلماء الأجلاء في مسائل عظام كالتكفير إلى قول غيرهم؟ أليس هذا نوعًا من الهوى الخفي.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين: ومن العجب أن أحد هؤلاء لو سئل عن مسألة في الطهارة أو البيع ونحوهما لم يفت بمجرد فهمه واستحسان عقله، بل يبحث عن كلام العلماء ويفتي بما قالوه، فكيف يعتمد في هذا الأمر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدها خطرًا على مجرد فهمه واستحسانه؟ فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين ، ويا محنته من تينك البليتين، ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ا . هـ [٣] .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان: والعجب كل العجب من هؤلاء الجهال الذين يتكلمون في مسائل التكفير، وهم ما بلغوا في العلم والمعرفة معشار ما بلغه من أشار إليهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين في جوابه الذي ذكرناه قريبًا من أحدهم لو سئل عن مسألة في الطهارة أو البيع ونحوهما لم يفت بمجرد فهمه واستحسان عقله، بل يبحث عن كلام العلماء ويفتي بما قالوه، فكيف يعتمد في هذا الأمر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدها خطرًا على مجرد فهمه واستحسان عقله؟ ا. هـ [٤] .

---

(١) سورة البقرة: ٢٨١ .

(٢) سورة عبس: ٣٤ ـ ٣٧ .

(٣) بواسطة كتاب منهاج أهل الحق والاتباع لابن سحمان ص ٧٧ .

(٤) منهاج أهل الحق والاتباع ص ٨٠ .

وقال الشوكاني رحمه الله[١] :

« . . . وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ [٢] .

فلابد من شرح الصدر بالكفر ، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر، لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام.

ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه» [٣] .

وأين من يتجرأ على تكفير المسلمين من قول النبي ﷺ : **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[٤] .

ومن قوله ﷺ : **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله»**[٥] .

ومن قوله ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**[٦] ؟

قال القرطبي في تفسيره لسورة الحجرات: وليس قوله: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [٧] . بموجب أن يكفر الإنسان وهو لا يعلم ، فكما أن الكافر لا يكون مؤمنًا إلا باختياره الإيمان على الكفر، كذلك لا يكون المؤمن كافرًا من حيث لا يقصد الكفر ولا يختاره بالإجماع [٨] .

* * *

---

(١) انظر «العذر بالجهل» د/ أحمد فريد (ص / ٩ ـ ١٠).

(٢) سورة النحل: ١٠٦ .

(٣) السيل الجرار (٤ / ٥٧٨) بتصرف .

(٤) رواه البخاري (١ / ١١٠) الإيمان، ومسلم (٢ / ٥٤) الإيمان.

(٥) رواه مسلم (١٦ / ١٢٠) البر والصلة ورواه الترمذي (٨ / ١١٥) البر والصلة بلفظ: **«لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله»**.

(٦) رواه مسلم (١٦ / ١٢١) البر والصلة وهو جزء من الحديث السابق، ورواه أبو داود (٤٨٦١) الأدب ، والترمذي (٨ / ١١٥) البر والصلة.

(٧) الحجرات: ٢ .

(٨) تفسير القرطبي (٧ / ٦١٢٨) ط. الشعب.

موانع التكفير

إن المسلم قد يقع في بعض أنواع الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر والتي قال أهل العلم: (من فعلها فقد كفر)، ولكن قد لا يحكم على المسلم المعين بالكفر، وذلك لفقد شرط من شروط الحكم عليه بالكفر[١]، أو لوجود مانع من ذلك[٢] كأن يكون جاهلاً، كما في قصة الذي أمر أولاده إذا مات أن يحرِّقوه ثم يذروا رماده في يوم شديد الريح في البحر وقال: « **والله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذب به أحدًا**»، فغفر الله له [٣] رواه البخاري ومسلم.

فهو قد شك في قدرة الله على إعادة خلقه، بل اعتقد أن لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ومع ذلك غفر الله له لجهله وخوفه من ربه.

ومن موانع التكفير للمعين أيضًا: التأويل: وهو أن يرتكب المسلم أمرًا كفريًا معتقدًا مشروعيته أو إباحته له لدليل يرى صحته أو لأمر يراه عذرًا له في ذلك وهو مخطئ في ذلك كله. فإذا أنكر المسلم أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة مثلاً، أو فعل ما يدل على إنكاره لذلك، وكان عنده شبهة تأويل، فإنه يُعذر بذلك ولو كانت هذه الشبهة ضعيفة إذا كان هذا التأويل سائغًا في اللغة وله وجه في العلم، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة.

وعلى وجه العموم فعذر التأويل من أوسع موانع تكفر المُعيّن.

ولهذا ذكر بعض أهل العلم أنه إذا بلغ الدليلُ المتأوِّل فيما خالف فيه ولم يرجع وكان في مسألة يحتملُ وقوع الخطأ فيها، واحتمل بقاء الشبهة في قلب من أخطأ فيها

---

(١) ومن هذه الشروط أن يكون الواقع في الكفر عالمًا عامدًا، وهذا مجمع عليه بين أهل العلم.

(٢) وذلك كأن يكون مكرهًا، أو جاهلاً جهلاً يعذر مثله به، كحديث العهد بالإسلام ومن نشأ ببادية بعيدة عن العلم وأهله ونحو ذلك، أو يكون مخطئًا بسبق لسان أو اجتهاد أو غيرهما، أو يكون ناسيًا، أو حاكيًا لقول غيره لتعليم أو شهادة أو غيرهما. أما الخوف الذي لم يصحبه إكراه: فقيل: إنه ليس عذرًا، وقيل: إنه عذر.

(٣) سبق تخريجه.

لشبه أثيرت حولها أو لملابسات أحاطت بها في واقعة معينة أنه لا يحكم بكفره، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (١) .

ولذلك لم يكفر بعض العلماء بعض المعينين من الجهمية الذين يعتقدون بعض الاعتقادات الكفرية في صفات الله تعالى (٢) .

ومن أجل مانع التأويل أيضًا لم يكفر بعض العلماء بعض من يغلون في الموتى ويسألونهم الشفاعة عند الله تعالى (٣) .

ومن أجل مانع التأويل كذلك لم يكفر الصحابة - رضي الله عنهم - الخوارج الذين خرجوا عليهم وحاربوهم، وخالفوا أمورًا كثيرة مجمعًا عليها بين الصحابة إجماعًا قطعيًا. وعلى وجه العموم فمسألة تكفير المعين مسألة كبيرة من مسائل الاجتهاد التي تختلف فيها أنظار المجتهدين، وللعلماء فيها أقوال وتفصيلات ليس هذا موضع بسطها.

ولهذا ينبغي للمسلم ألا يتعجل في الحكم على الشخص المعين أو الجماعة المعينة بالكفر حتى يتأكد من وجود جميع شروط الحكم عليه بالكفر، وانتفاء جميع موانع

---

(١) سورة الأحزاب: ٥ .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاستغاثة في الرد على البكري» ١ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ بعد ذكره لقصة قدامة حين شرب الخمر في عهد عمر مستحلاً لها وبعد ذكره لحديث الرجل الذي أمر بإحراق جسده بعد موته، قال: «ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافرًا، لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال، وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهات عقلية».

(٣) قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كما في الدرر السنية ١ / ٢٣٥ ، ٢٣٦: «فما القول فيمن حرر الأدلة ؟ واطلع على كلام الأئمة القدوة؟ واستمر مصرًا على ذلك. أي على قول: يا رسول الله أسألك الشفاعة، حتى مات؟ قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول: إنه كافر، ولا لما تقدم أنه مخطئ ، وإن استمر على خطئه، لعدم وجود من يناضل عن هذه المسألة في وقته، بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة، ولا وضحت له المحجة».

التكفير في حقه، وهذا يجعل مسألة تكفير المعين من مسائل الاجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة أو غيرهم من المعينين إلا أهل العلم الراسخون فيه، لأنه يحتاج إلى اجتهاد من وجهين:

الأول: معرفة هل هذا القول أو الفعل الذي صدر من هذا المكلف مما يدخل في أنواع الكفر الأكبر أم لا؟

والثاني: معرفة الحكم الصحيح الذي يحكم به على هذا المكلف، وهل وجدتْ جميع أسباب الحكم عليه بالكفر وانتفت جميع الموانع من تكفيره أم لا؟

والحكم على المسلم بالكفر وهو لا يستحقه ذنب عظيم؛ لأنه حكم عليه بالخروج من ملة الإسلام وأنه حلال الدم والمال، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك، ولذلك ورد الوعيد الشديد في شأن من يحكم على مسلم بالكفر، وهو ليس كذلك، فقد ثبت عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**»[1].

ولذلك كله فإنه يجب على المسلم الذي يريد لنفسه النجاة ألا يتعجل في إصدار الحكم على أحد من المسلمين بالكفر أو الشرك.

كما أنه يحرم على العامة وصغار طلاب العلم أن يحكموا بالكفر على مسلم معين أو على جماعة معينة من المسلمين أو على أُناس معينين من المسلمين ينتسبون إلى مذهب معين دون الرجوع في ذلك إلى العلماء[2].

كما أنه يجب على كل مسلم أن يجتنب مجالسة الذين يتكلمون في مسائل التكفير وهم ممن يحرم عليهم ذلك لقلة علمهم؛ لأن كلامهم في هذه المسائل من

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٤٥).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٠٠: «إن تسلط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين، لما يعتقدون أنهم أخطؤوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض».

الخوض في آيات الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١] .

وقال في معجم ألفاظ العقيدة[٢] :

والتكفير حكم شرعي مردُّه إلى الله تعالى ورسوله، فما دل الكتاب والسنة على أنه كفر فهو كفر، وما دل الدليل على أنه ليس بكفر فليس بكفر، فليس على أحد بل ولا له أن يكفر أحدًا حتى يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره. وللتكفير موانع منها:

أ ـ الإكراه، فإذا أكره على الكفر فكفر وكان قلبه مطمئنًا بالإيمان لم يحكم بكفره لوجود المانع وهو الإكراه، قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٣] .

ب ـ أن يغلق على المرء قصده فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو غير ذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٤] . وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة واضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ خطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»**[٥] .

فهذا الرجل أخطأ من شدة الفرح خطأ يخرجه من الإسلام، ولكن منع من خروجه أنه أغلق عليه قصده فلم يدر ما يقول[٦] .

---

(١) سورة الأعراف: ٦٨ .
(٢) انظر معجم ألفاظ العقيدة: (ص / ١٤٣ ـ ١٤٤).
(٣) سورة النحل: ١٠٦ .
(٤) سورة الأحزاب: ٥ .
(٥) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٥٠٣٠ ـ الألباني.
(٦) مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ٣ / ٢٤٣ .

التكفير المطلق والمعين
وشروط التكفير(١)

إن مسألة تكفير المعين من المسائل التي وقع فيها بعض الناس اليوم، فإنك تجد أحدهم يقول عن فلان إنه كافر أو فاجر أو ملعون ونحو ذلك بدون ضوابط وبدون تثبت ، وقد سبق أن بينا خطورة تكفير أو لعن المسلم وإطلاق الكفر أو اللعن عليه بدون سبب شرعي يوجب كفره.

ومع خطورة المسألة وعظم شأنها نريد أن نسأل فنقول:

هل يجوز تكفير المسلم المعين؟ وهل لذلك ضوابط وشروط أم لا؟

يقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٢) :

نعم، يجوز لنا أن نطلق على شخص بعينه أنه كافر، إذا تحققت فيه أسباب الكفر، فلو رأينا رجلاً ينكر الرسالة ، أو رجلاً يبيح التحاكم إلى الطاغوت، أو رجلاً يبيح الحكم بغير ما أنزل الله، ويقول: إنه خير من حكم الله، بعد أن تقوم الحجة عليه، فإننا نحكم عليه بأنه كافر.

فإذا وُجِدَتْ أسباب الكفر وتحققت شروطه، وانتفت الموانع، فإننا نُكفِّر الشخص بعينه ونلزمه بالرجوع إلى الإسلام أو القتل. ا هـ.

ويقول فضيلته أيضًا (٣) :

«إذا تمت شروط التكفير في حقه ، جاز إطلاق الكفر عليه بعينه، ولو لم نقل بذلك ما انطبق وصف الردة على أحد. . . إلخ» . ا هـ.

---

(١) انظر «فتنة التكفير» (ص / ٦٠ ـ ٦٤).

(٢) مجموع «فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (١ / ١٢٤ ، ١٢٥).

(٣) المصدر السابق (١ / ١٢٥).

ويقول فضيلته أيضًا[١] :

للحكم بتكفير المسلم شرطان:

أحدهما: أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر.

الثاني: انطباق الحكم على مَن فعل ذلك؛ بحيث يكون عالمًا بذلك قاصدًا له. فإن كان جاهلاً لم يكفر بذلك... إلخ. اهـ.

وفي سؤال مُوجه للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[٢] هذا نصه:

هل من حق العلماء أن يقولوا على شخص ما: إنه كافر ويتهموه بالكفر؟

فأجابت:

«.. وتكفير المعين إذا أنكر معلومًا من الدين بالضرورة؛ كالصلاة أو الزكاة أو الصوم بعد الإبلاغ واجب، وينصح فإن تاب وإلا وجب على ولي الأمر قتله كفرًا، ولو لم يشرع تكفير المعين عندما يوجد منه ما يوجب كفره، ما أقيم حد على مرتد عن الإسلام».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣] :

«إن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا كما في نصوص الوعيد، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾[٤].

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، ولكن الشخص المعين لا يشهد عليه

---

(١) المصدر السابق (١ / ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الثاني من الفتوى رقم (٦١٠٩)، عبد الله ابن قعود (عضو)، عبد الله بن غديان (عضو)، عبد الرزاق عفيفي (نائب الرئيس)، عبد العزيز بن باز (الرئيس).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٦٥).

(٤) سورة النساء: ١٠ .

بالوعيد، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار، لجواز ألا يلحقه الوعيد، لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بَلَغَهُ، وقد يتوب من فعل المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع.

وقال أيضًا: وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق. قال: وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد تكون عرضت له شبهات يعذره الله. قال: ومذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والمعين». ا هـ.

ويقول العلامة الألباني[1] :

«أقول: مع هذه الدلالات كلها نحن لا نستطيع أن نكفر هؤلاء المسلمين؛ لأنه لم تقم الحجة عليهم، لأنه ليس هناك دعاة أكفاء يبلغون الجماهير دعوة التوحيد خالصة لا شرك فيها، ليس هناك مَن يسيطرون ، إنما هناك أفراد قليلون جدًا فأصواتهم ضائعة ليس لها تأثير، إلا بأفراد يتصلون بهم في مناسبات خاصة أو عامة، لكنها ليست شاملة.

هذه عقيدتنا، لو وقع الفرد من هؤلاء الذين يُصلُّون معنا ويصومون معنا، لو وقع في الكفر نحن لا نكفره ، لكن إذا علمنا ذلك نبين له أن هذا هو الكفر ، وهذا هو الشرك بالله عز وجل، فإياك وإياه» . اهـ.

إن مذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يكفرون مسلمًا بما وقع فيه من الكبائر دون الشرك، مثل: قتل النفس، وشرب الخمر، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، وأكل الربا، ونحو ذلك من الكبائر، ولكن يقيم ولي الأمر عليه عقوبة ما ارتكبه من الذنوب من قصاص أو حد أو تعزير، وعليه التوبة والاستغفار.

أما ما كان من الكبائر مثل: الاستغاثة بغير الله كدعاء الأموات لتفريج الكربات،

---

(١) من شريط تسجيل، وهو مطبوع ضمن كتاب: سعة رحمة رب العالمين. إعداد سيد بن سعد الدين الغباشي ، صفحة (٧٧ ـ ٧٩).

والنذر للأموات، والذبح لهم، فهذه الكبائر وأمثالها كفر أكبر، يجب البيان لمن ارتكبها، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب بعد البيان قبلت توبته، وإلا قتله ولي أمر المسلمين[١] .

والخلاصة:

فإنه مما سبق نخلص إلى أنه لا يجوز نفي الإيمان عن المسلم ؛ لأنه من تأكد دخوله في الإسلام لا يجوز إخراجه منه إلا ببينة توجب ذلك، وهذا ليس لعامة الناس، بل هو من شأن العلماء الراسخين في العلم والقضاة وولي الأمر، فهم الذين يحكمون على الأشخاص، لمعرفتهم بالشروط والموانع ونحو ذلك.

والواجب على المسلم إذا رأى أحدًا من إخوانه المسلمين قد وقع في عمل مكفر، أن يبين له أن عمله هذا كفر، وينصحه بتركه بالأسلوب الحسن، فإذا لم يترك عمله الذي أوجب كفره أجريت عليه أحكام الكفار، وهو متوعد بما توعد الله به مَن مات على كفره من الكفار بالخلود في النار[٢] .

* * *

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، السؤال الأول من الفتوى رقم (٥٠٠٣)، عبد الله بن قعود (عضو)، عبد الله بن غديان (عضو)، عبد الرزاق عفيفي (نائب الرئيس)، عبد العزيز بن باز (الرئيس).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، السؤال الخامس من الفتوى رقم (٤٤٤٦)، عبد الله بن قعود (عضو)، عبد الله بن غديان (عضو)، عبد الرزاق عفيفي (نائب الرئيس)، عبد العزيز بن باز (الرئيس).

فتاوى في
التكفير بالذنوب وتكفير المعين [١]

سُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين:

هل يجوز إطلاق الكفر على الشخص المعين إذا ارتكب مكفراً؟[٢]

فأجاب قائلاً:

إذا تمت شروط التكفير في حقه جاز إطلاق الكفر عليه بعينه، ولو لم نقل بذلك ما انطبق وصف الردة على أحد، فيعامل معاملة المرتد في الدنيا، هذا باعتبار أحكام الدنيا، أما أحكام الآخرة فتذكره على العموم لا على الخصوص.

ولهذا قال أهل السنة: لا نشهد لأحد بجنة ولا نار، إلا من شهد له النبي ﷺ.

وكذا نقول: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[٣]، ولكن لا نحكم بهذا لشخص معين، إذ إن الحكم المعلق بالأوصاف لا ينطبق على الأشخاص إلا بتحقيق شروط انطباقه وانتفاء موانعه.

وسئل العلامة ابن عثيمين أيضًا:

عن شروط الحكم بتكفير المسلم؟ وما حكم مَن عمل شيئًا مكفرًا مازحًا؟[٤].

فأجاب ـ حفظه الله تعالى ـ بقوله:

للحكم بتكفير المسلم شرطان:

أحدهما: أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر.

---

(١) انظر «فتنة التكفير» (ص / ٩٣ ـ ٩٩).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢ / ١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠١٤)، ومسلم برقم (٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وليس عند البخاري ولا مسلم قوله: «**وما تأخر**».

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢ / ١٢٥ ـ ١٢٦).

الثاني: انطباق الحكم على مَن فعل ذلك؛ بحيث يكون عالمًا بذلك قاصدًا له ، فإن كان جاهلاً لم يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1] .

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[2] .

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3] .

لكن إذا فرط بترك التعليم والتبين لم يعذر، مثل: أن يبلغه أن عمله هذا كفر فلا يتثبت ، ولا يبحث فإنه لا يكون معذورًا حينئذ.

وإن كان غير قاصد لعمل ما يكفر لم يكفر بذلك، مثل أن يكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان[4] ، ومثل أن ينغلق فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح ونحوه، كقول صاحب البعير الذي أضلها، ثم اضطجع تحت شجرة ينتظر الموت فإذا بخطامها متعلقًا بالشجرة فأخذه ، وقال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**» أخطأ من شدة الفرح[5] .

لكن من عمل شيئًا مكفرًا مازحًا فإنه يكفر لأنه قصد ذلك، كما نص عليه أهل العلم.

وسئل العلامة ابن جبرين:

قال ابن قدامة رحمه الله: «ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل» فما المراد بذلك؟[6] .

فأجاب ـ وفقه الله تعالى :

مراده ما دام مسلمًا ، أما إذا عمل عملاً مكفرًا خرج به من الإسلام فلا يقال

---

(١) سورة النساء: ١١٥ .

(٢) سورة التوبة: ١١٥ .

(٣) سورة الإسراء: ١٥ .

(٤) لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٦].

(٥) سبق تخريجه.

(٦) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين، العقيدة (الجزء السادس).

مسلم؛ لأنه يتكلم عن المسلمين، فلا نكفر المسلم الذي يعمل بأعمال الإسلام ولم يعمل بضدها.

أما إذا عمل بضدها لا شك أنه يكفر بذلك العمل المكفر؛ سواء اعتقاديًا أو بدنيًا.

والأعمال المكفرة مذكورة في كتب العلماء، وقد ذكر كثيرًا منها الذين توسعوا في كتب الفقه في باب حكم المرتد، حتى أن بعضهم أوصل الأعمال المكفرة المخرجة عن الملة إلى أكثر من مائة خصلة، تجدون ذلك في «كشاف القناع شرح الإقناع للفقه الحنبلي»، وفي الكتب التي تتوسع في المذاهب الأخرى.

وسئل العلامة ابن جبرين أيضًا:

ما صحة هذه المقولة: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة ما لم يستحلها»[١].

فأجاب ـ حفظه الله ورعاه :

يعني لا نكفره بالذنوب إلا إذا استحلها، وهذا صحيح، فإن من استحل الذنب ولو لم يفعله يكفر، فإذا رأينا من يقول: إن الخمر حلال ولو ما شربها قلنا: هذا كافر، وما ذاك إلا أنه صادم النصوص، وإذا رأينا من يقول: إن الصلاة ساقطة أو ليست واجبة أو ليست من الشريعة ولو كان يصلي، قلنا: هذا كافر، لأنه أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة ، وهكذا الأشياء الضرورية من شعائر الدين.

وسئل العلامة ابن جبرين أيضًا:

إن لي جارًا ، وهذا الجار كانت تربطني به صداقة حميمة أيام الطفولة، هذا الجار أخذ يردد عبارات تكفير الناس، وعدم الصلاة معهم، وعدم رد السلام عليهم، وعدم أخذ ذبيحتهم وأكلها ، وغير ذلك من ألفاظ التكفير وهجر الناس.

والسؤال:

هل يجوز تكفير أعيان المسلمين والحكام، وأصحاب الكبائر والذنوب؟ وهل

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين، العقيدة (الجزء السادس).

تجوز الصلاة خلف العاصي؟ [١] .

فأجاب ـ حفظه الله تعالى :

لا يجوز تكفير أعيان المسلمين، ولا أعيان الولاة، ما لم يظهروا كفرًا بواحًا[٢] . ولا يجوز تكفير أهل الكبائر وأهل الذنوب، فليس أحد بمعصوم.

وتصح الصلاة خلف العاصي إذا لم يوجد أحسن منه، ومع ذلك يَلْزَم نصحهم وتوجيههم ودلالتهم على الخير، فإن قبلوا وإلا برئت الذمة، ومتى أصروا على اقتراف السيئات فإن الواجب هجرهم رجاء أن يتأثروا .

ولا يجوز الحكم عليهم بالخروج من الإسلام، ولا مقاطعتهم ، ولا الخروج على الولاة، ولو أظهروا بعض البدع المكفرة، لما في ذلك من الضرر على المسلمين.

وعليك نصح جارك وإقناعه بعدم التكفير ؛ فإن هذا مذهب الخوارج الذين يرون العفو ذنبًا والذنب كفرًا، وقد ورد فيهم الحديث: «**إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» [٣] وقد قاتلهم الصحابة، مع أنهم يحقرون صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم.

فأرى الاقتصار على الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، والاستدلال بالقرآن والأحاديث الصحيحة، وسيرة السلف الصالح ، والأئمة المقتدى بهم ، والله الموفق. ا هـ.

وسئل العلامة ابن جبرين أيضًا:

ما موقف أهل السنة والجماعة من مسألة التكفير المطلق وتكفير المعين؟[٤] .

فأجاب قائلاً:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين، العقيدة (الجزء السادس).

(٢) لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦)، ومسلم برقم (١٨٤١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين، العقيدة (الجزء السادس).

الأصل أن المسلم الذي دخل في الإسلام أو ولد بين أبوين مسلمين وفي بلاد إسلام أنه باقٍ على إسلامه، ولو بدرت منه معصية، أو معاص كثيرة مما لا يخرج من الملة، فلا يجوز رميه بالكفر، ولا الحكم بإخراجه من دائرة الإسلام، فقد ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**من دعا مسلمًا بالكفر، أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**»[١] . أي: رجع إليه تكفيره.

وقد ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ حكى: «**أن رجلاً ممن كان قبلنا كان مسرفًا على نفسه، فمر به رجل، فقال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى على ألا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك**»[٢] .

وإذا اتُصف إنسان بعمل، قد تُوعدَ صاحبه أو وُصف بالكفر فيقال: عمله عمل كفر أو فيه خصلة كفر، لقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً فيضرب بعضكم رقاب بعض**»[٣] ، فلا يكفر القاتل، وكحديث: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٤] ، وحديث «**اثنتان في الناس هما بهما كفر، الطعن في النسب، والنياحة**»[٥] ، أي: من خصال الكفار.

ويستثنى من ذلك تارك الصلاة، فقد أطلق عليه الكفر المعرف في حديث جابر: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»[٦] ، فقد ذهب الجمهور إلى الحكم بكفره إذا استمر على ترك الصلاة وامتنع من أدائها حتى قتل، فإنه يحكم بكفره. ويحكم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١) عن جندب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٠)، ومسلم برقم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه، وأخرجه البخاري برقم (٧٠٧٧)، ومسلم برقم (٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري برقم (٧٠٧٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري برقم (٧٠٧٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٨)، ومسلم برقم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

بالكفر على الساحر لورود الأدلة على شركه وكفره.

فعلى المسلم أن يتجنب التسرع في الحكم على المسلمين بأنهم كفار، ولو ظهرت منهم خطايا ومخالفات، فالتكفير هو طريق الخوارج الذين يجعلون الذنب كفرًا والعفو ذنبًا، ومع ذلك لم يكفرهم علي رضي الله عنه ؛ قال: «من الكفر فروا، وإنما هم إخواننا بالأمس بغوا علينا». فسماهم بغاة، أي: خارجين على الإمام ، والله أعلم. ا هـ.

❊ ❊ ❊

متى يجوز التكفير ومتى لا يجوز؟

وسئلت اللجنة الدائمة:

متى يجوز التكفير؟ ومتى لا يجوز؟ وما نوع التكفير المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] [2] ؟

فأجابت:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

أما قولك متى يجوز التكفير؟ ومتى لا يجوز؟ فنرى أن تبين لنا الأمور التي أشكلت عليك حتى نبين لك الحكم فيها.

أما نوع التكفير في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فهو كفر أكبر، قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله: ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن وجحداً لقول الرسول ﷺ فهو كافر»[3]. ا. هـ.

وأما من حكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أنه عاص لله لكن حمله على الحكم بغير ما أنزل الله ما يدفع إليه من الرشوة أو غير هذا، أو عداوته للمحكوم عليه أو قرابته أو صداقته للمحكوم له ونحو ذلك، فهذا لا يكون كفره أكبر؛ بل يكون عاصياً لله، وقد وقع في كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) اللجنة الدائمة، السؤال الثامن من الفتوى رقم (٥٢٢٦). عبد الله بن قعود (عضو)، عبد الله بن غديان (عضو)، وعبد الرزاق عفيفي (نائب الرئيس)، وعبد العزيز بن باز (الرئيس).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٦ / ١٨٨).

من كان فيه شعبة من الإيمان لا يصير بها مؤمنًا، ومن كان فيه شعبة من شعب الكفر لا يصير بها كافرًا [١]

قال ابن القيم رحمه الله:

لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنًا، وإن كان ما قام به إيمانًا، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافرًا وإن كان ما قام به كفرًا، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالمًا، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهًا ولا طبيبًا.

ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيمانًا، وشعبة النفاق نفاقًا، وشعبة الكفر كفرًا، وقد يطلق عليه الفعل كقوله: «**فمن تركها فقد كفر**» و«**من حلف بغير الله فقد كفر**» رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ، فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرمًا: إنه فعل فسوقًا لا أنه فسق بذلك المحرم، ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه، وهكذا الزاني والسارق والمنتهب لا يسمى مؤمنًا وإن كان معه إيمان، كما أنه لا يسمى كافرًا إن كان ما أتى به من خصال الكفر، إذ المعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان[٢] .

* * *

(١) انظر «الصلاة» لابن القيم: (ص / ١٩).

(٢) انظر «الصلاة» لابن القيم: (ص / ١٩).

الرجل يجتمع فيه كفر وإيمان

قال ابن القيم رحمه الله[١] :

الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان وشركٌ وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وعدم تخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٢] .

فأثبت لهم إيمانًا به سبحانه مع الشرك .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] .

فأثبت لهم إسلامًا وطاعة لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم وهو الإيمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٤] .

هؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين، بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله، وليسوا مؤمنين وإن كان معهم جزء من الإيمان أخرجهم من الكفار.

* * *

(١) انظر كتاب الصلاة (ص / ٢٥).

(٢) سورة يوسف: ١٠٦ .

(٣) سورة الحجرات: ١٤ .

(٤) سورة الحجرات: ١٥ .

الكفر نوعان: كفر اعتقاد، وكفر عمل أو كفر أكبر، وكفر أصغر[١]

قال القاسمي في تفسيره:

حيثما وقع في حديث مَنْ فعل كذا فقد أشرك أو فقد كفر، لا يراد به الكفر المخرج من الملة، والشرك الأكبر المخرج عن الإسلام الذي تجري عليه أحكام الردة والعياذ بالله تعالى، وقد قال البخاري: «باب كفران العشير وكفر دون كفر»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا إلى فريقين: فريق أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريق جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط، الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل.

فههنا ﷺ كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم»[٣].

قال أبو بكر بن العربي: مراد المصنف «أي البخاري» بقوله باب كفران العشير وكفر دون كفر، أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفرًا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة، قال: وخص كفران العشير من بين أنواع الذنوب لدقيقة بديعة، وهي قوله ﷺ: **«لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**[٤]، فقرن حق الزوج على الزوجة بحق

---

(١) انظر: «العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير» د/ أحمد فريد (ص / ٢٧ ـ ٢٩).

(٢) محاسن التأويل (٥ / ١٣٠٧).

(٣) الصلاة: (٢٦).

(٤) جزء من حديث رواه ابن ماجه وابن حبان ويأتي تخريجه إن شاء الله تعالى ومعه قصة السجود.

الله، فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج عن الملة[١] .

ومن الأدلة كذلك على أن الشارع يطلق الكفر على ما عظم من الذنوب للتنفير منها والزجر عنها، ولكنه لا يقصد به الكفر المخرج من الملة قوله ﷺ : « **سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر** »[٢] .

وقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٣] ، وما استدل الصحابة رضي الله عنهم بمثل هذه النصوص على تكفير بعضهم بعضًا لما حدثت الفتنة والقتال وقوله ﷺ : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٤] .

والراجح من قول العلماء والذي عليه جمهورهم أن تارك الصلاة كسلاً لا يكفر، وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[٥] ، ومعلوم أن المراد به الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة كيسير الرياء والله أعلم.

* * *

---

(١) فتح الباري (١ / ٨٣) الإيمان.

(٢) رواه البخاري (١ / ١١٠) الإيمان، ومسلم (٢ / ٥٤) الإيمان.

(٣) رواه البخاري (٣ / ٥٧٣) الحج ، ومسلم (٢ / ٥٤) الإيمان.

(٤) تقديم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

الحكم بغير ما أنزل الله [١]

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق، فإن الله هو الحكم وإليه الحكم، فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ .

قال تعالى في حق الولاة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [٢] .

وقال في حق الرعية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [٣] .

ثم يبين أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [٤] .

إلى قوله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٥] .

فنفى سبحانه ـ نفيًا مؤكدًا بالقسم ـ الإيمان عمن لم يتحاكم إلى الرسول ﷺ ويرضى بحكمه ويسلم له .

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» (ص / ٤٨ ـ ٥٣) بتحقيقي لما نقلته من المصدر.

(٢) سورة النساء: ٥٨ .

(٣) سورة النساء: ٥٩ .

(٤) سورة النساء: ٦٠ .

(٥) سورة النساء: ٦٥ .

كما أنه حكم بكفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله وبظلمهم وفسقهم. قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(١).

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢).

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٣).

ولابد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع مواد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، فلا يقبل منها إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب لمذهب ولا تحيز لإمام، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام؛ فإن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾(٥).

وكذلك يجب على أتباع المذاهب أن يردوا أقوال أئمتهم إلى الكتاب والسنة فما وافقهما أخذوا به وما خالفهما ردوه دون تعصب أو تحيز ولا سيما في أمور العقيدة فإن الأئمة رحمهم الله يوصون بذلك ـ وهذا مذهبهم جميعًا ـ فمن خالف ذلك فليس متبعًا لهم وإن انتسب إليهم وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾(٦).

فليست الآية خاصة بالنصارى بل تتناول كل من فعل مثل فعلهم، فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله

---

(١) سورة المائدة: ٤٤ .

(٢) سورة المائدة: ٤٥ .

(٣) سورة المائدة: ٤٧ .

(٤) سورة البقرة: ٢٠٨ .

(٥) سورة البقرة: ٨٥ .

(٦) سورة التوبة: ٣١ .

تعالى أنكر على من أراد ذلك وأكذبهم من زعم الإيمان لما في ضمن قوله «يزعمون» من نفي إيمانهم فإن «يزعمون» إنما تقال غالبًا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها يحقق هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾[(١)] .

لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدًا والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه كما أن ذلك بين في قوله ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾[(٢)] .

وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به.

ونفي الإيمان عمن لم يحكم بما أنزل الله يدل على أن تحكيم شرع الله إيمان وعقيدة وعبادة لله يجب أن يدين بها المسلم فلا يحكم شرع الله من أجل أن تحكيمه أصلح للناس وأضبط للأمن فقط فإن بعض الناس يرتكز على هذا الجانب وينسى الجانب الأول.

والله سبحانه قد عاب على من يحكم شرع الله لأجل مصلحة نفسه من دون تعبد لله تعالى فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[(٣)] .

فهم لا يهتمون إلا بما يهوون، وما خالف هواهم أعرضوا عنه لأنهم لا يتعبدون لله بالتحاكم إلى رسول الله ﷺ .

حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[(٤)] .

وفي هذه الآية الكريمة أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر. وهذا الكفر تارة يكون

---

(١) سورة النساء: ٦٠ .

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦ .

(٣) سورة النور: ٤٨ ـ ٤٩ .

(٤) سورة المائدة: ٤٤ .

كفرًا أكبر ينقل عن الملة ، وتارة يكون أصغر لا يخرج عن الملة، وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان بحكم الله واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو أراد بالحكم بغير ما أنزل الله استرضاء الكفار والمنافقين فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافرًا كفرًا أصغر ، وإن جهل حكم الله فيه مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور. وهذا في الحكم في القضية الخاصة ، وأما الحكم في القضايا العامة فإنه يختلف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الحاكم إذا كان دينًا لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار وإذا حكم بلا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النار وهذا إذا حكم في قضية لشخص، وأما إذا حكم حكمًا عامًا في دين المسلمين فجعل الحق باطلاً والباطل حقًا والسنة بدعة والبدعة سنة والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا ونهى عما أمر الله به ورسوله ﷺ وأمر بما نهى الله عنه ورسوله ﷺ فهذا لون آخر يحكم فيه رب العالمين وإله المرسلين مالك يوم الدين الذي له الحمد في الأولى والآخرة: ﴿ **لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[(١)] . ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[(٢)].

وقال أيضًا: لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله ﷺ فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم العدل وقد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية (أي عادات من سلفهم) وكانوا الأمراء المطاعين ويرون أن هذا هو

---

(١) سورة القصص: ٨٨ .

(٢) سورة الفتح: ٢٨ .

الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فإن كثيرًا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار. انتهى .

وقال **الشيخ محمد بن إبراهيم**: وأما الذي قيل فيه: إنه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها.

أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل فهذا كفر ناقل عن الملة.

ففرق رحمه الله بين الحكم الجزئي الذي لا يتكرر وبين الحكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام أو غالبها وقرر أن هذا الكفر ناقل عن الملة مطلقًا؛ وذلك لأن من نَحَّى الشريعة الإسلامية وجعل القانون الوضعي بديلاً عنها، فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن وأصلح من الشريعة، وهذا لا شك أنه كفر أكبر يخرج من الملة ويناقض التوحيد.

* * *

من حكم بغير ما أنزل الله
هل هو مسلم أم كافر كفراً أكبر؟ [(١)]

وسئلت اللجنة الدائمة:

مَن لم يحكم بما أنزل الله هل هو مسلم أم كافر كفراً أكبر وتقبل منه أعماله؟ [(٢)]

فأجابت:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وصحبه... وبعد:

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [(٣)].

وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [(٤)].

وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [(٥)].

لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزاً فهو كفر أكبر، وظلم أكبر، وفسق أكبر يخرج من الملة.

أما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر وهو يعتقد تحريم ذلك فإنه آثم، يعتبر كافراً كفراً أصغر، وظالماً ظلماً أصغر، وفاسقاً فسقاً أصغر لا يخرجه من الملة، كما أوضح ذلك أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) انظر: «فتنة التكفير» (ص ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) اللجنة الدائمة، السؤال الحادي عشر من الفتوى رقم (٥٧٤١). عبد الله بن غديان (عضو)، وعبد الرزاق عفيفي (نائب الرئيس)، وعبد العزيز بن باز (الرئيس).

(٣) سورة المائدة: ٤٤.

(٤) سورة المائدة: ٤٥.

(٥) سورة المائدة: ٤٧.

حُكْمُ من حكم بغير ما أنزل الله[١]

وسئل سماحة العلامة الشيخ ابن عثيمين:

عن حكم مَن حَكَمَ بغير ما أنزل الله؟[٢]

فأجاب:

إن الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أربابًا لمتبعيهم، فقال سبحانه: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٣] .

فسمى الله تعالى المتبوعين أربابًا حيث جُعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عُبادًا حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم، فقال النبي ﷺ: «**بل إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**»[٤] .

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله ـ وأورد أن يكون التحاكم إلى

---

(١) انظر «فتنة التكفير» (ص / ٧٨ ـ ٨٣) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين: (٢ / ١٤٠ ـ ١٤٤) و (٦ / ١٥٨ ـ ١٦٢). وكتاب «إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار» لابن عثيمين ، صفحة: (٨٨ ـ ٩٠).

(٣) سورة التوبة: ٣١ .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وابن جرير برقم (١٦٦٣١) و (١٦٦٣٢)، (١٦٦٣٣) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢). قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه على «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: لكن في الباب عن حذيفة موقوفًا. أخرجه ابن جرير برقم (١٦٦٣٤) وبه يقوى. وقال ابن كثير: رواه أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي ابن حاتم رحمه الله.

غير الله ورسوله ـ وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه وفسقه.

فأما القسم الأول: وهو نفي الإيمان عنه:

فمثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .

فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ ، لأن ما خالف حكم الله ورسوله ﷺ فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله، قال الله تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢] .

الثانية: أنهم إذا دُعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﷺ صدوا، وأعرضوا.

الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمعصية بما قدمت أيديهم، ومنها أن يعثر على صنيعهم جاؤوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق؛ كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها، زعمًا منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذر سبحانه هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات، بأنه سبحانه يعلم ما في قلوبهم، وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه ﷺ أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغًا.

---

(١) سورة النساء: ٦٠ ـ ٦٥ .

(٢) سورة الأعراف: ٥٤ .

ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول ﷺ أن يكون هو المُطاع المتبوع لا غيره من الناس، مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم.

ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله ﷺ التي هي أخص أنواع الربوبية ، والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ ، أقسم بها قسمًا مؤكدًا أنه لا يصلح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله ﷺ .

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسليم التام بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.

وأما القسم الثاني: وهو كفره وظلمه وفسقه:

فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١) .

وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣) .

وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل على موصوف واحد؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق، فقال تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٥) . فكل كافر ظالم فاسق.

أو هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ وهذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة: ٤٤ .

(٢) سورة المائدة: ٤٥ .

(٣) سورة المائدة: ٤٧ .

(٤) سورة البقرة: ٢٥٤ .

(٥) سورة التوبة: ٨٤ .

فنقول:

من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به، أو احتقاراً له، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق ، فهو كافر كفـراً مخرجًا عن الملة، ومن هؤلاء من يصنعون للناس تشريعـات تخالف التشريعـات الإسلامية لتكون منهـاجًا يسير الناس عليـه، فإنهم لم يصنعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضـرورة العقليـة ، والجبلة الفطرية أن الإنسـان لا يعدل عن منهاج يخالفه، إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ، ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتـقره ، ولم يعتـقد أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق، وإنما حكم بغيره تسلطًا على المحكوم عليه، أو انتقامًا منه لنفسـه أو نحو ذلك، فـهذا ظالم وليس بكافر، وتخـتلف مراتب ظلمـه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخـفافًا بحكم الله، ولا احتقـاراً ، ولا اعتقادًا أن غيـره أصلح وأنفع للخلق ، وإنما حكم بغـيره مـحاباة للمـحكوم له، أو مـراعاة لرشوة أو غيـرها من عرض الدنيا، فهذا فـاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فـسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله إنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، ويعتقدون تحليل ما حرم وتحريم ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسولهﷺ شركًا.

الثاني: أن يكون اعتـقادهم وإيمانهم بتحليل الحـرام وتحريم الحلال ـ كذا العـبارة المنقولة عنه ـ ثابتًـا لكنهم أطاعوهم في معـصية الله، كـما يفعل المسلم مـا يفعله من المعاصي يعتقد أنها معاصٍ ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

❊ ❊ ❊

الردة وأقسامها وأحكامها[١]

الردة لغة: الرجوع. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾[٢] . أي لا ترجعوا.

والردة في الاصطلاح الفقهي: هي الكفر بعد الإسلام قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٣] .

أقسامها: الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ونواقض الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام هي:

١ ـ الردة بالقول: كسب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله. أو ادعاء علم الغيب أو ادعاء النبوة أو تصديق من يدعيها أو دعاء غير الله أو الاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة به في ذلك.

٢ ـ الردة بالفعل: كالسجود للصنم والشجر والحجر والقبور والذبح لها وإلقاء المصحف في المواطن القذرة وعمل السحر وتعلمه والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حله.

٣ ـ الردة بالاعتقاد: كاعتقاد الشريك لله أو أن الزنا والخمر والربا حلال أو أن الخبز حرام أو أن الصلاة غير واجبة ونحو ذلك مما أجمع على حله أو حرمته أو وجوبه إجماعًا قطعيًا ومثله لا يجهله.

٤ ـ الردة بالشك في شيء مما سبق: كمن شك في تحريم الشرك أو تحريم الزنا والخمر أو في حل الخبز أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء أو في صدقه أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان.

---

(١) انظر: «كتاب التوحيد» (ص / ٢٨ ـ ٣٠) بتحقيقي لما نقلته من المصدر.

(٢) سورة المائدة: ٢١ .

(٣) سورة البقرة: ٢١٧ .

وأحكامها التي تترتب عليها بعد ثبوتها:

١ ـ استتابة المرتد فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قبل منه ذلك وترك .

٢ ـ إذا أبى أن يتوب وجب قتله لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» (١) .

٣ ـ يمنع من التصرف في ماله في هذه الاستتابة فإن أسلم فهو له ، وإلا صار فيئًا لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة. وقيل من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

٤ ـ انقطاع التوارث فيما بينه وبين أقاربه فلا يرثهم ولا يرثونه.

٥ ـ إذا مات أو قتل على ردته فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يواري في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) الحديث صحيح رواه البخاري (٢٨٥٤)، وأبو داود (٤٣٥١)، والترمذي (١٤٥٨)، والنسائي (٤٠٥٩)، وابن حبان (٤٤٧٥)، وابن ماجه (٢٥٣٥) وابن أبي شيبة (٢٨٩٩٢) عن ابن عباس ، وعبد الرزاق (١٨٧٠٥) عن معاذ ، وأحمد في «مسنده» عن معاذ (٢٢٠٦٨).

أقسام الشرك [(١)]

ينقسم الشرك إلى أكبر مخرج من الملة، وإلى أصغر وهو الرياء. أما الشرك الأكبر فدليله قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[(٢)] .

وهو أربعة أنواع كما ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي:

١ ـ شرك الدعاء: قال تعالى:

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[(٣)] .

٢ ـ شرك النية والإرادة والقصد: قال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٤)] .

٣ ـ شرك الطاعة : قال تعالى:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[(٥)] .

وفي الحديث: عن عدي بن حاتم حين سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[(٦)] قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم؟ فقال: **«بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»**[(٧)]

---

(١) انظر «الولاء والبراء في الإسلام» محمد بن سعيد القحطاني (ص / ٧٤ ـ ٧٥) دار الرشاد.

(٢) سورة النساء: ١١٦ .

(٣) سورة العنكبوت: ٦٥ .

(٤) سورة هود: ١٥ ـ ١٦ .

(٥) سورة التوبة: ٣١ .

(٦) سورة التوبة: ٣١ .

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ج ٨ / ٢٤٨ ح٣٠٩٤ تحقيق الدعاس قال الترمذي: هذا=

قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسيرها: إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا.

٤ ـ شرك المحبة: قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾(١) .

* * *

= حديث غريب. وأورده ابن كثير في تفسير هذه الآية ج ٤ / ٧٧ وعزاه للإمام أحمد وابن جرير.

وقال الألباني: حديث حسن. انظر غاية المرام في تخريج الحلال والحرام ص ٢٠ .

(١) مجموعة التوحيد ص ٣ . وأما الآية فهي في سورة البقرة: ١٦٥ .

النفاق

النفـاق هو الدخـول في الإسـلام من وجه والخـروج عنه من وجـه آخـر، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شـبراً بشبر وذراعًا بذراع حـتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعـتموهم**» قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال : «**فمن**» [(١)] .

أنواع النفاق:

١ ـ اعتقادي وهو ستة أنواع [(٢)]:

أ ـ تكذيب الرسول ﷺ .

ب ـ تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

ج ـ بغض الرسول ﷺ .

د ـ بغض ما جاء به الرسول ﷺ .

هـ ـ المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ .

و ـ الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ .

وهذه الأنواع صاحبها في الدرك الأسفل من النار.

٢ ـ النفاق العملي وهو خمسة أنواع:

أ ـ إذا حدث كذب.

ب ـ إذا وعد أخلف.

ج ـ إذا ائتمن خان.

د ـ إذا خاصم فجر.

هـ ـ إذا عاهد غدر.

---

(١) رواه مسلم / ٢٠٠٢ ـ المنذري.

(٢) من رسالة لابن القيم في بيان صفات المنافقين.

وهي مجموعة من حديث عبد الله بن عمر في صحيح مسلم: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»[١].

ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[٢] [٣].

* * *

(١) مسلم (٢٦).

(٢) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٦ / الألباني.

(٣) قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال ـ سعيد بن وهب القحطاني ص ١٣، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٤٣٤ ـ ٤٣٥].

النفاق الأكبر الاعتقادي[(١)]

النفاق في اللغة: إخفاء الشيء وإغماضه.

وفي الاصطلاح: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه.

وذلك بأن يكون في الظاهر أمام الناس يدعي الإسلام، ويظهر لهم أنه مسلم، وربما يعمل أمامهم بعض العبادات كالصلاة والصيام والحج وغيرها، ولكن قلبه ـ والعياذ بالله ـ لا يؤمن بتفرد الله تعالى بالألوهية أو بالربوبية، أو لا يؤمن برسالة النبي ﷺ، أو يبغضه، أو لا يؤمن بكتب الله المنزلة، أو لا يؤمن بعذاب القبر، أو لا يؤمن بالبعث، أو يعتقد أن دين النصارى أو دين اليهود أو دين غيرهم من الكفار حق أو خير من الإسلام، أو يعتقد أن الإسلام دين ناقص، أو لا يصلح للتطبيق في هذا العصر، أو يعتقد أن فيه ظلمًا لبعض فئات المجتمع، أو فيه ظلم للنساء، أو أن بعض تشريعاته فيها ظلم، أو ليس فيها تحقيق لمصالح العباد، وغير ذلك من الاعتقادات المخرجة من الملة التي سبق ذكرها في الشرك الأكبر والكفر الأكبر.

أما حكم المنافق فهو حكم المشرك شركًا أكبر وحكم الكافر كفرًا أكبر، كما سبق بيانه؛ لأن المنافقين في الحقيقة كفار، وإن كانوا أسوأ حالاً من سائر الكفار، لأنهم زادوا على الكفر: الكذب والمراوغة والخداع، وضررهم على المسلمين أشد؛ لأنهم يندسون بين المسلمين ويظهرون أنهم منهم ويحاربون الإسلام باسم الإصلاح، ولذلك فهم أشد عذابًا في الآخرة من سائر الكفار، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾[(٢)].

---

(١) انظر: «تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية» [ص / ١٠٥ ـ ١٠٩].

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

أعمال المنافقين الكفرية:

للمنافقين أعمال كفرية يستدل بها على ما يبطنون من النفاق، وقد بينها الله تعالى في كتابه كما في سورة التوبة التي تسمى «الفاضحة»؛ لأن الله تعالى فضح فيها المنافقين ببيان أعمالهم الكفرية، كما بينها أيضًا في سور أخرى كثيرة، ومن هذه الأعمال:

١ ـ الاستهزاء بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾(١).

وقال جل وعلا: ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾(٢).

٢ ـ سبُّ الله تعالى، أو سب رسوله ﷺ أو تكذيبهما، قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ** ﴾(٣) أي ومن المنافقين من يعيبك في تفريق الصدقات، فيتهمونك بعدم العدل. وأصل اللمز: الإشارة بالعين ونحوها.

٣ ـ الإعراض عن دين الإسلام، وعيبه، والعمل على إبعاد الناس عنه، وعلى عدم التحاكم إليه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا** ﴾(٤).

٤ ـ التحاكم إلى الكفار، والحرص على تطبيق قوانينهم مفضلاً لها على حكم الله، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾(٥).

---

(١) التوبة: ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) سورة البقرة: ١٤.

(٣) سورة التوبة: ٥٨.

(٤) سورة النساء: ٦١.

(٥) سورة النساء: ٦٠.

٥ ـ اعتقاد صحة المذاهب الهدَّامة والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها، ومن هذه المذاهب ما جدَّ في هذا العصر من مذاهب هي في حقيقتها حرب للإسلام ، ودعوة للاجتماع على غير هديه، كالقومية والوطنية، فكثير من المنافقين في هذا العصر ممن يسمون «علمانيين» أو «حداثيين» أو «قوميين» ممن يعرفون حقيقة هذه المذاهب، ويدعون إلى الاجتماع على هذه الروابط الجاهلية، ويدعون إلى نبذ رابطة الإيمان والإسلام التي ذكرها ربنا جل وعلا بقوله ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ (١) .

٦ ـ مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين ؛ لأن المنافقين في حقيقتهم كفار فهم يناصرون إخوتهم من الكفار على المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ (٢) .

٧ ـ إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار، وعندما يصيب المسلمين هزيمة أو أي ضرر، قال الله تعالى: ﴿ **هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ (٣) .

ولهذا تجد منهم في هذا العصر من لا يكترث لمصاب المسلمين في أي مكان، بل قد تسمع منهم أو تقرأ كلامًا لبعضهم في المجلات أو الجرائد ينهى عن مساعدة المسلمين في أي مكان وعن الوقوف معهم في مصائبهم، بحجة أنهم ليسوا عربًا أو ليسوا مواطنين مثلاً، فيدعون إلى التخريب على أساس القومية والوطنية فقط، ولا يرفعون رأسًا لرابطة الإسلام، بل يحاربونها.

---

(١) سورة الحجرات: ١٠ .

(٢) سورة المائدة: ٥١ ـ ٥٢ .

(٣) سورة آل عمران: ١١٩ ـ ١٢٠ .

٨ ـ سب وعيب العلماء والمصلحين وجميع المؤمنين الصادقين، بغضًا لهم ولدعوتهم ولدينه، قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾(١) .

وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) .

ولهذا تجد منهم في هذا العصر من يعيب العلماء والمصلحين، ومن يعيب الدعاة والمجاهدين في وسائل الإعلام وغيرها.

٩ ـ مدح أهل الكفر، ومدح مفكريهم ونشر آرائهم المخالفة للإسلام، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ولهذا تجد منهم في هذا العصر من يمدح بعض الملاحدة في القديم والحديث أمثال: «أبي العلاء المعري»، و«الحلاج» و«فرويد» وغيرهم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة البقرة: ١٣ .

(٢) سورة التوبة: ٧٩ .

(٣) سورة المجادلة: ١٤ .

أنواع النفاق [١]

النفاق نوعان:

النوع الأول: النفاق الاعتقادي: وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر. وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

وقد وصف الله أهلها بصفات الشرك كلها: من الكفر وعدم الإيمان والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام .

وهؤلاء موجودون في كل زمان، ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم فيظهر المنافق إيمانًا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به لا يؤمن بالله وأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه.

وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن الكريم وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة: المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين. وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله؛ فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًا لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد .

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» [ص / ٢٠ ـ ٢٣] بتحقيقي لما نقلته من المصدر.

النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة ، لكنه وسيلة ذلك وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**»[1] .

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر وخطير جدًا وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه: قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه.

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١ ـ أن النفاق الأكبر يخرج من الملة والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ ـ أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف في السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣ ـ أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن ، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤ ـ أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم، بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه.

---

(١) انظر مجموعة التوحيد النجدية [ص / ٩] .

والحديث: متفق عليه رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) والخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص / ٦٧) رقم (١٤٦) و (ص / ١٢٣) رقم (٣٠٢)، وابن عساكر (٢٧ / ٣٩٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه.

والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره لما قال الصحابة يا رسول الله: إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: «**ذاك صريح الإيمان**»[2].

وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به قال: «**الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة**» أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب وهو من صريح الإيمان. انتهى.

وأما أهل النفاق الأكبر فقال الله فيهم: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ** ﴾[3].

أي إلى الإسلام في الباطن وقال تعالى فيهم: ﴿ **أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائمًا يظهرون الإسلام[5].

* * *

---

(١) انظر كتاب الإيمان [ص / ٢٣٨].

(٢) الحديث صحيح: رواه مسلم في «صحيحه» (١٣٢)، وأبو داود (٥١١١)، والنسائي (١٠٥٠٠) في «الكبرى» وأحمد في «مسنده» (٩٦٩٢)، وابن حبان (١٤٥) كلهم عن أبي هريرة، والطبراني في «الصغير» (١٠٩٠)، والهيثمي (١ / ٣٤) عن ابن عباس. وقال: رجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني فتنصر.

(٣) سورة البقرة: ١٨.

(٤) سورة التوبة: ١٢٦.

(٥) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٨ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥).

خطر النفاق وصفة أهله وتحذير المسلمين منه[١]

في هذا الزمان عظم النفاق وكثر أهله وتعددت وسائله في محاربة الإسلام والمسلمين فحبذا لو ألقيتم الضوء على خطر النفاق مع بيان أنواعه وذكر صفة أهله وتحذير المسلمين منهم؟

الجواب: النفاق خطره عظيم وشرور أهله كثيرة. وقد أوضح الله صفاتهم في كتابه الكريم في سورة البقرة وغيرها كما أوضح صفاتهم أيضًا نبيه ﷺ، قال الله سبحانه في وصفهم في سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[٢]. والآيات بعدها.

وقال في سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾[٣] الآية.

وذكر عنهم صفات أخرى في سورة التوبة وغيرها.

والخلاصة: أنهم يدَّعون الإسلام ويتخلقون بأخلاق تخالفه وتضر أهله كما بين سبحانه في هذه الآيات وغيرها.

والنفاق نوعان: اعتقادي وعملي.

وما ذكر الله عن المنافقين في سورة البقرة والنساء من صفات المنافقين:

النفاق الاعتقادي الأكبر: وهم بذلك أكفر من اليهود والنصارى وعباد الأوثان لعظم خطرهم وخفاء أمرهم على كثير من الناس، وقد أخبر الله عنهم سبحانه أنهم

(١) انظر «تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام» الشيخ ابن باز - (ص / ٥٢ - ٥٤) مع تحقيقي لما نقلته من المصدر.

(٢) سورة البقرة: ٨ - ١٠.

(٣) سورة النساء: ١٤٢ - ١٤٣.

يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

أما النفاق العملي: فهو التخلق ببعض أخلاقهم الظاهرة مع الإيمان بالله وبرسوله والإيمان باليوم الآخر كالكذب والخيانة والتكاسل عن الصلاة في الجماعة ومن صفاتهم ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1] وقوله ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً**»[2] والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحذر صفاتهم غاية الحذر. ومما يعين على ذلك تدبر ما ذكره الله في كتابه من صفاتهم وما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

* * *

(١) الحديث: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، وأحمد (٨٦٧٠)، والترمذي (٢٦٣١) وقال: حسن غريب، والنسائي (٥٠٢١)، وأبو يعلى (٦٥٣٣).

(٢) الحديث: رواه البخاري (٦٢٦)، ومسلم (٦٥١)، وأحمد (٩٤٨٢)، وأبو داود (٥٤٨)، وابن ماجه (٧٩١)، وابن أبي شيبة (٣٣٥١)، وابن خزيمة (١٤٨٤).

إجراء الأحكام على المنافقين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله :

الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن وأن المنافقين الذين قالوا: ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

هم في الظاهر مؤمنون، يصلون مع المسلمين ويناكحونهم، ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ ولم يحكم النبي ﷺ فيهم بحكم الكفار المظهرين الكفر ، لا في مناكحتهم ، ولا في موارثتهم ونحو ذلك.

بل لمَّا مات عبد الله بن أبي ابن سلول، وهو من أشهر الناس في النفاق ورثه عبد الله ابنه، وهو من خيار المؤمنين. . . إلى أن قال: ودماؤهم وأموالهم معصومة، ولا يستحل منها ما يستحل الكفار، والذين لا يظهرون أنهم مؤمنون بل يظهرون الكفر دون الإيمان فإنه ﷺ قال: **«أُمرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلاَّ بحَقِّهَا، وحسابهم على الله»** (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة: ٨ .

(٢) كتاب الإيمان نقلاً عن محاسن التأويل [٥ / ١٣١٦ ـ ١٣١٧] .

والحديث متواتر: كما قال السيوطي في «الجامع الصغير» وقد ورد عن جماعة من الصحابة وهو في صحيح مسلم [١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧] الإيمان، والترمذي (١٠ / ٧) الإيمان، وقال: حسن صحيح، ورواه البخاري (١ / ٧٥) الإيمان بزيادة **«ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»** ، وأبو داود (٢٦٢٣) الجهاد، وهو في الصحيحة (٤٠٧).

الصلاة على المنافق

لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه (حتى قمت في صدره)، (فأخذت بثوبه) فقلت: يا رسول الله أتصل على (عدو الله)، وقد قال يوم كذا وكذا ؟ أعدد عليه قوله[1] أليس قد نهاك الله أن تصلى على المنافقين. فقال: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾[2] .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أخر عني يا عمر!**» فلما أكثرت عليه قال: «**إني خيرت فاخترت**»، قد قيل لي: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾[3]، **لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها**»، قال: إنه منافق[4] قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ (وصلينا معه) ومشى ﷺ معه حتى فرغ منه، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ**

---

(١) يشير بذلك إلى مثل قوله: ﴿**لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**﴾ .

(٢) سورة التوبة: ٨٠ .

(٣) سورة التوبة: ٨٠ .

(٤) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٨ / ٢٧٠):

إنما جزم عمر أنه منافق جريًا على ما كان يطلع عليه من أحواله، وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام والظاهر الحكم ولما فيه من إكرام ولده الذي تقضي صلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه ودفع المفسدة وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه، ولذلك قال «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**» فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام وقل أهل الكفر وذلوا أمر بمجاهرة المنافقين وحملهم على حكمه ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير فيرفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى.

أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى ﴿ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [١] .

قال: (فما صلى رسـول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حـتى قبضه الله)، قال : فعجبت بعـد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ[٢] . والله ورسوله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة التوبة: ٨٤ .

(٢) أخرج هذا الحديث البخاري (٣ / ١٧٧ ، ٨ / ٢٧٠)، والترمذي (٣ / ١١٧ ـ ١١٨) ، والنسائي (١ / ٢٧٩) وأحمد (٩٥) عن عمر، وانظر رسالة الإنصاف للمؤلف (ص/ ٥٧ ـ ٥٨) طبعة خاصة.

التوحيد(١)

التوحيد لغة مصدر وحَّد يوحد، أي جعل الشيء واحدًا . وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلاً نقول : إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح: هو إفراد الله بالعبادة ، أي تعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، لا تشرك به نبيّا مرسلاً ولا ملكًا مقربًا ولا رئيسًا ولا مَلكًا ولا أحدًا من الخلق بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا ورغبة ورهبة.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله سبحانه بما يختص به».

وأنواع التوحيد ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله سبحانه بالخلق والملك والتدبير، قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(٣) .

الثاني: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بألا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله سبحانه بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على سنة رسوله ﷺ ، وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفى «من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» .

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى ـ سعيد بن وهف القحطاني / ١٠٩ .

(٢) سورة الرعد: ١٦ .

(٣) سورة الأعراف: ٥٤ .

توحيد الحاكمية:

من أقسام التوحيد وهو متضمن لتوحيد الألوهية والربوبية ومنهم من أفرده بقسم خاص كالشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه «الصراط»، ومنهم من أدرجه ضمن توحيد الربوبية والألوهية كالشيخ محمد بن عثيمين والشيخ عبد العزيز بن باز ، والحاصل أن الخلاف فيه لفظي ولا مشاحة في الاصطلاح.

❊ ❊ ❊

توحيد الألوهية [(١)]

توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة.

ويسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بـ «توحيد الألوهية»، ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ «توحيد العبادة»، و«توحيد العبودية»، و«توحيد الله بأفعال العباد»، و«توحيد العمل»، و«توحيد القصد»، و«توحيد الإرادة والطلب»، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى.

وهذا التوحيد من أجله خلق الله الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [(٢)] .

ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [(٣)] .

وهو أول دعوة الرسل وآخره، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [(٤)] ، ومن أجله قامت الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد وبين أهل الشرك وأهل البدع والخرافات، ومن أجله جردت سيوف الجهاد في سبيل الله، وهو أول الدين وآخره، بل هو حقيقة دين الإسلام، وهو يتضمن أنواع التوحيد.

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات، فإن من عبد الله تعالى وحده ، وآمن بأنه المستحق وحده للعبادة، دل ذلك على أنه مؤمن بربوبيته وبأسمائه وصفاته، لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالى وحده هو

---

(١) انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية . ا. د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين [ص / ٢٩ - ٣٠] ط أولى.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦ .

(٣) سورة الأنبياء: ٢٥ .

(٤) سورة النحل: ٣٦ .

المتفضل عليه وعلى جميع عباده بالخلق والرزق والتدبير وغير ذلك من خصائص الربوبية، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العُلا، التي تدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ومع أهمية هذا التوحيد فقد جحده أكثر الخلق، فأنكروا أن يكون الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وعبدوا غيره معه.

قال العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الصنعاني: « اعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك، كما قررناه وكررناه، ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾[1] لنفرده بالعبادة، ونخصه بها من دون آلهتنا؟ . فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أندادًا ».

وهذا التوحيد ـ توحيد الألوهية ـ تشتمله وتدل عليه كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله».

* * *

(١) سورة الأعراف: ٧٠ .

توحيد الربوبية

هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، والمتصرف فيه ، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل له، ولا سمي له، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (١) الآيات بل السورة كلها .

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(٣) الآيات.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾(٦) الآيات.

---

(١) سورة الأنعام: ١ .

(٢) سورة الفاتحة: ١ .

(٣) سورة الرعد: ١٦ .

(٤) سورة الروم: ٤٠ .

(٥) سورة لقمان: ١١ .

(٦) سورة الطور: ٣٥ ـ ٣٦ .

وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(٤) .

* * *

---

(١) سورة مريم: ٦٥ .

(٢) سورة الشورى: ١١ .

(٣) سورة الإسراء: ١١١ .

(٤) سورة سبأ: ٢٢ ـ ٢٣ .

الأدلة على وجود الرب ـ تبارك وتعالى [١]

الكون كله صامته وناطقه ومتحركه وساكنه مقرٌّ ومصدقٌ ومعترفٌ ومؤمنٌ وناطقٌ بوجود الله ـ تعالى ـ إلا زنادقة الأمم وملاحدة الشعوب قال ـ جل وعلا: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [٢] .

قال ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء» وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلى دَلِيل

دل على وجود الرب تبارك وتعالى: الفطرة والعقل والشرع والحس.

أما دلالة الفطرة: فإن كان مخلوق قد فطر على الإيمان بالخالق من غير سبق تفكير أو تعلم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» [٣] ، ولم يقل: أو يسلمانه؛ لأنه مسلم بفطرته مقر بالتوحيد بفطرته قال الله ـ عز وجل : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤] .

وقيل: هذه الفطرة التي تقر بالتوحيد هي الأثر من أخذ الميثاق الذي أخبر الله ـ عز وجل ـ عنه في سورة الأعراف بقوله ـ تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [٥] آية الميثاق.

(١) انظر عقيدة أهل السنة ـ د/ أحمد فريد (ص / ١٨ ـ ٢٤).

(٢) سورة إبراهيم: ١٠ .

(٣) البخاري (٣ / ٢١٩) الجنائز، ومسلم (١٦ / ٢١٠) القدر، ومالك رقم (٥٢) الجنائز، وأبو داود (٤٦٨٩) السنة.

(٤) سور الروم: ٣٠ .

(٥) سورة الأعراف: ١٧٢ .

أما دلالة العقل على وجود الله ـ تبارك وتعالى :

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ومحال أن توجد نفسها قال الله ـ عز وجل : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾[١] .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي من غير رب؛ ومعناه أخلقوا من غير شيءٍ خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك لا يجوز في العقل، فإن أنكروا الخالق لم يجز لهم أن يوجدوا ، وقوله: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ وذلك في البطلان أشد؛ لأن مَنْ لا وجود له كيف يخلق ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وذلك في البطلان أشد وأشد، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون موجداً لغيره.

وقد سئل أعرابي: ما الدليل على وجود الرب ـ تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج؛ أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير.

فأدل شيء على وجود الخالق جل وعلا وجود المخلوق.

قال عز وجل: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾[٢] .

وقال عز وجل: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾[٣] .

وقال عز وجل: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾[٤] .

وكثيراً ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته

---

(١) سورة الطور: ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) سورة الواقعة: ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) سورة الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤ .

(٤) سورة يونس: ٣١ .

الظاهرة.

قال الله عز وجل: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [(١)] .

قال البيهقي: يعني والله أعلم من الآيات الواضحات والدلالات النيرات وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك ، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف المرفوع، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس، والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالمملَّك البيت المخول له ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعًا حكيمًا تام القدرة بالغ الحكمة[(٢)] .

وقال العثيمين ـ رحمه الله:

«فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد أحاطت به الحدائق وجرت بينها الأنهار وملئ بالفرش والأسرة وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته وقال لك: إن هذا القصر بما فيه من كمال قد أوجد نفسه ، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه وعددت حديثه سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك كله أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسه أو وُجد صُدفة بدون موجد»[(٣)] .

وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله : «والمشهور عند أهل النظر إثباته، أي وحدانية الرب ـ عز وجل ـ بدليل التمانع، وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول

---

(١) سورة يونس: ١٠١ .

(٢) الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة (ص ٧).

(٣) رسائل في العقيدة لابن عثيمين ص ١٢ .

ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثاني ممتنع؛ لأنه يلزم منه خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهًا، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجز لا يصلح للألوهية، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله ـ تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[١] [٢] .

ومن الأدلة العقلية كذلك ما قرره الله ـ عز وجل ـ بقوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٣] .

قال شارح الطحاوية:

«فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإنَّ الإله الحق لابد أن يكون خالقًا فاعلاً يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في مُلكه لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد هو بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلابد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كلُّ إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله، وإحكام أمره دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه، كما قدْ دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد لا رب غيره ولا إله سواه، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والألوهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤ .

(٣) سورة المؤمنون: ٩١ .

خالقان متكافيان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان [١].

أما دلالة الشرع على وجود الله ـ تبارك وتعالى:

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك قال الله ـ عز وجل: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٢].

وقال ـ عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٣].

ومن أدلة الشرع كذلك أن ما جاءت به الكتب السماوية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

أما دلالة الحس على وجود الله ـ تعالى:

يقول الشيخ العثيمين فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده ـ تعالى ـ قال تعالى: ﴿ **وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ** ﴾ [٤]، وقال تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ [٥].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أعرابيًا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر

---

(١) شرح الطحاوية (ص ١٨، ١٩).

(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة الأنبياء: ٧٦.

(٥) سورة الأنفال: ٩.

يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناء وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**». فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت[1].

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صَدق اللجوء إلى الله ـ تعالى.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله ـ تعالى ـ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله ـ تعالى ـ تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

مثال ذلك آية موسى حين أمره الله ـ تعالى ـ أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق طريقًا يابسًا والماء على جانبيه كالجبال، قال تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾[2].

ومثال ثانٍ: آية عيسى حين كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله.

قال تعالى عنه: ﴿ **وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[3].

وقال: ﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي** ﴾[4].

ومثال ثالث لمحمد ﷺ: حين طلبت منه قريش آية فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين، فرآه الناس، وفي ذلك يقول الله ـ تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾[5]. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله

---

(١) رواه البخاري (٢ / ٥٠٧، ٥٠٨)، الاستسقاء، ومسلم (٦ / ١٩١ ـ ١٩٢) صلاة الاستسقاء، والنسائي (٣ / ١٥٤ ـ ١٥٥) الاستسقاء باختصار.

(٢) سورة الشعراء: ٦٣.

(٣) سورة آل عمران: ٤٩.

(٤) سورة المائدة: ١١٠.

(٥) سورة القمر: ١، ٢.

ـ تعالى ـ تأييدًا لرسله ونصرًا لهم تدل دلالة قطعية على وجوده ـ تعالى[١] .

ثم قال رحمه الله[٢] : ولم يعلم أحد من الخلق أنكر ربوبية الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلا أن يكون مكابرًا عنيدًا غير معتقد بما يقول كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾[٣] ، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾[٤] .

لكن ذلك ليس عقيدة قال الله ـ تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٥] ، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[٦] ؛ ولذا كان المشركون يقرون بربوبية الله ـ تعالى ـ مع إشراكهم به في الألوهية قال ـ تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[٧] ، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٨] .

* * *

(١) رسائل في العقيدة ص ١٣ .
(٢) رسائل في العقيدة ص ١٤ باختصار.
(٣) سورة النازعات: ٢٤ .
(٤) سورة القصص: ٣٨ .
(٥) سورة النمل: ١٤ .
(٦) سورة الإسراء: ١٠٢ .
(٧) سورة الزخرف: ٩ .
(٨) سورة الزخرف: ٨٧ .

توحيد الأسماء والصفات [١]

أسماء الله تعالى وصفاته من الغيب الذي لا يعرفه الإنسان على وجه التفصيل إلا بطريق السمع، لأن البشر لا يحيطون بالله تعالى علمًا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [٢] والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

فلا يمكن للعقل البشري أن يستقل بالنظر في أسماء الله وصفاته ومعرفتها على التفصيل إثباتًا ونفيًا، ومن فعل شيئًا من ذلك فقد أخطأ، ومال عن الصراط المستقيم.

فيجب على العبد أن يقف عند كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، فيؤمن بجميع ما ثبت في النصوص الشرعية من أسماء الله وصفاته، وينفي عنه تعالى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ .

وقد دلت النصوص الشرعية الكثيرة على إثبات صفات الكمال لله تعالى على وجه التفصيل فيجب إثباتها له تعالى على الوجه اللائق بجلاله ، كما دلت النصوص أيضًا على نفي صفات النقص عنه تعالى، فيجب نفيها عنه وإثبات كمال ضدها له سبحانه وتعالى، وهذا هو الحق الواجب في أسماء الله تعالى وصفاته على وجه الإجمال.

وسأتكلم على هذا التوحيد ـ توحيد الأسماء والصفات ـ بشيء من الاختصار في النقاط الآتية:

طريقة أهل السنة في أسماء الله تعالى صفاته [٣]

طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته يمكن تلخيصها في ثلاثة أمور رئيسية ، هي:

---

(١) انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية [ص / ٥٠ ـ ٥٥].

(٢) سورة طه: ١١٠ .

(٣) انظر : فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، سلسلة مؤلفاته رحمه الله (٤) (ص/ ١٤ ـ ٢٠) دار ابن الجوزي، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

الأول: طريقتهم في الإثبات: وهي إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فيؤمنون بأن جميع ما ثبت في النصوص الشرعية من صفات الله تعالى أنها صفات حقيقية تليق بجلال الله تعالى، وأنها لا تماثل صفات المخلوقين. ويؤمنون كذلك بجميع أسماء الله تعالى الثابتة في النصوص الشرعية، ويؤمنون بأن كل اسم يتضمن صفة لله تعالى.

فاسم «العزيز» يتضمن صفة العزة لله تعالى، واسم «القوي» يتضمن صفة القوة له سبحانه، وهكذا بقية الأسماء.

وكل ما ثبت لله تعالى من الصفات فهي صفات كمال يحمد عليها، ويثنى بها عليه، وليس فيها نقص بوجه من الوجوه، بل هي ثابتة له على أكمل وجه.

الثاني: طريقتهم في النفي: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من صفات النقص، مع اعتقادهم ثبوت كمال ضد الصفة المنفية عنه جل وعلا.

وكل ما نفاه الله تعالى عن نفسه فهي صفات نقص، تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله. وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها.

إذا تبين هذا فمما نفى الله عن نفسه «الظلم» ، والمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده له تعالى، وهو «العدل»، ونفى عن نفسه «اللغوب» وهو التعب والإعياء.

والمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده، وهو «القوة»، وهكذا بقية ما نفاه الله تعالى عن نفسه.

الثالث: طريقتهم فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه: كالجسم ، والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه، فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم

وروده، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه.

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، وقد دل على وجوبها وصحتها العقل والسمع:

فأما العقل فوجه دلالته: أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع، لأنه من أمر الغيب الذي لا يحيط به الإنسان علمًا فوجب اتباع السمع في ذلك، بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع: فمن أدلته قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (١).

وقوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (٢).

وقوله: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ (٣).

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، لأن هذه الأمور الثلاثة من الإلحاد.

والآية الثانية: دلت على وجود نفي التمثيل مع وجوب الإثبات.

والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي التكييف، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يؤمنون بأن جميع صفات الله جل وعلا الثابتة في الكتاب والسنة صفات

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) سورة الإسراء: ٣٦.

حقيقية، لا مجازية.

وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الأندلسي المالكي المولود سنة (٣٦٨ هـ) إجماع أهل السنة على ذلك[١] ، وذكر غير واحد من المتقدمين إجماع السلف على ذلك، فالسلف يعتقدون أن الظاهر المتبادر من لفظ الصفة معنى حقًا يليق بجلال الله تعالى، فيثبتون المعنى الذي يدل عليه لفظ الصفة الوارد في الكتاب أو السنة، فمثلاً يثبتون المعنى الذي يدل عليه لفظ «العزة» في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾[٢] ، وهذا المعنى هو: «القدرة والغلبة».

وكذلك يثبتون المعنى الذي يدل عليه لفظ «استوى» في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[٣] ، وهذا المعنى هو: «العلو والاستقرار»، وهكذا بقية الصفات؛ لأن الله تعالى خاطب عباده في كتابه بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ خاطب أمته بألفاظ عربية صريحة ، فوجب إثبات المعنى الحقيقي الذي يدل عليه اللفظ الوارد في القرآن أو السنة في لغة العرب، وهذا هو مقتضى الإيمان بهما ومقتضى الانقياد لما جاء فيهما.

وبهذا يعلم بطلان مذهب المفوضة الذين يقولون: نؤمن بالصفات الواردة في النصوص، لكن لا نثبت المعنى الذي يدل عليه لفظ الصفة.

وإنما نفوض معاني الصفات إلى الله تعالى ، وهذا مذهب حادث بعد القرون

---

(١) قال في كتابه «التمهيد» ٧ / ١٤٥ : «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة ولله الحمد».

(٢) سورة المنافقون: ٨ .

(٣) سورة طه: ٥ .

المفضلة[١] ، والسلف بريئـون منه، فقد تواترت الأقـوال عن السلف بإثبات مـعاني الصفات، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل.

فتبين مما سبق أن عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته إجمالاً هي: الإيمان بجميـع ما أثبـته الله تعالى لنفـسه أو أثبـته له رسوله ﷺ من الأسـماء والصفات، وإثبـاتها له سبحانه على الـوجه اللائق بجلاله وعظمته، وعـدم التعرض لشيء من ذلك بتحـريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل ، ونفي ما نفـاه الله تعالى عن نفسه أو نفـاه عنه رسوله محمد ﷺ ، واعتـقاد كمال ضده له سبـحانه وتعالى، مع اعتقاد أن جميع صفاته تعالى صفات حقيقية لا تماثل صفات المخلوقين.

والتحريف معناه: صرف اللفظ عن المعنى المتبادر منه بلا دليل، كـتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة أو النعمة، وتحريف معنى الاستواء إلى الاستيلاء ، وتحريف معنى الضحك إلى الثواب، وغير ذلك، كـما فعل الأشاعرة وغيرهم. وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته، فيتـأولون نصوص الصفات على غير تأويلها، ويدَّعون فيهـا صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمـال المرجوح بغير دليل، سوى الآراء البشرية والشبه العقلية التي ظنوها بينات، وإنما هي في واقع الأمر شبهات كلامية مبنية على الفلسفة اليونانية، فـتأويلهم لنصوص الصفات حقيقته تحريف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه.

---

(١) قال الحافظ الذهبي الشـافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتـابه «العلو» ص (٥٣٢) في ترجمة القاضي أبي يعلى: «المتأخرون من أهل النظر ـ أي أهل الكلام ـ قـالوا مقالة مُوَلَّدة ما علمت أحدًا سبـقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمـر كما جاءت ولا تأول مع اعتقـاد أن ظاهرها غير مراد».

وقال علامة الهند محمد صديق حسن خان في قطف الثمر ص ٤٥ بعد ذكره لمذهب المفوضة وذكره لظن بعضهم أن التفويض هو طريقة السلف قال: «فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف، وأضلهم عن الهدى، وقد تضمن هذا الظن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة وكـبار الذين كانوا أعلم الأمة علمًا وأفقههم فهـمًا وأحسنهم عملاً وأتبعهم سننًا، ولازم هذا الظن أن الرسـول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، وهو خطأ عظيم وخسارة قبيحة نعوذ بالله منها».

والتعطيل معناه: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها.

فهو نوعان:

١ ـ تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماء والصفات.

٢ ـ تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات ويؤولونها، ويثبتون بعض الصفات.

* * *

خلاصة توحيد الأسماء والصفات (١)

هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلا، وإمرارها كما جاءت بلا كيف كما جمع الله تعالى بين إثباتها ونفي التكييف عنها في كتابه في غير موضع كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٢) .

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣) .

وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٤) . وغير ذلك.

وفي الترمذي عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ - يعني لما ذكر آلهتهم -: انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾(٥) والصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(٦) ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٧) ، لم يكن له شبيه ولا عديل، وليس كمثله شيء .

* * *

(١) انظر: (٢٠٠ سؤال وجواب) بتحقيقي فيما نقلته من المصدر.
(٢) سورة طه: ١١٠ .
(٣) سورة الشورى: ١١ .
(٤) سورة الأنعام: ١٠٣ .
(٥) سورة الإخلاص: ١ - ٢ .
(٦) سورة الإخلاص: ٣ .
(٧) سورة الإخلاص : ٤ .

دليل الأسماء الحسنى من الكتاب والسنة [١]

قال اللــه عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْـمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[٢] .

وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[٣] .

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[٤] وغيرها من الآيات.

وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[٥] ، وهو في الصحيح.

وقال ﷺ: «أسـألك اللهم بكل اسم هو لك، سـميت به نفسك، أو أنزلته في كتـابك، أو علمـته أحداً مـن خلقك ، أو استـأثرت به في علم الغيب عندك أن تجـعل القرآن العظيم ربيع قلبي»[٦] الحديث.

* * *

مثال الأسماء الحسنى من القرآن

مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴾[٧].

---

(١) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب) بتحقيقي فيما نقلته من المصدر.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠ .

(٣) سورة الإسراء: ١١٠ .

(٤) سورة طه: ٨ .

(٥) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٨٥)، (٦٠٤٧ ، ٦٩٥٧)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٦) الحديث صحـيح: رواه أحمد (٤٣١٨)، والهيثمي في مـجمع الزوائد (١٠ / ١٣٦) وقال: رجاله رجال الصـحيح غير أبي سلمـة الجهني وقد وثقه ابن حـبان، وأخرجه ابن أبي شـيبة (٢٩٣١٨)، والطبـراني (١٠٣٥٢)، والحاكـم (١٨٧٧) وقال: صـحيح عـلى شرط مـسلم وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٧) سورة النساء: ٣٤ .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1] .

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[2] .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[3] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[4] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5] .

﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[6] .

﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[7] .

﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[8] .

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[9] .

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[10] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[11] .

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [12] .

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٤ .

(٢) سورة فاطر: ٤٤ .

(٣) سورة النساء: ٥٨ .

(٤) سورة النساء: ٥٦ .

(٥) سورة النساء: ٢٣ ، ١٠٦ .

(٦) سورة التوبة: ١١٧ .

(٧) سورة البقرة: ٢٦٣ .

(٨) سورة هود: ٧٣ .

(٩) سورة هود: ٥٧ .

(١٠) سورة هود: ٦١ .

(١١) سورة النساء: ١ .

(١٢) سورة النساء: [٨١ ، ١٣٢ ، ١٧١]، والأحزاب: [٣ ، ٤٨].

﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [(١)] .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [(٢)] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [(٣)] .

﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [(٤)] .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [(٥)] .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [(٦)] .

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [(٧)] .

* * *

مثال الأسماء الحسنى من السنة

مثل قوله ﷺ: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم» [(٨)] .

وقوله ﷺ: «يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السماوات والأرض» .

---

(١) سورة النساء: ٦، والأحزاب: ٣٩ .

(٢) سورة النساء: ٨٥ .

(٣) سورة الحج: ١٧ .

(٤) سورة فصلت: ٥٤ .

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥ . وآل عمران: ٢ .

(٦) سورة الحديد: ٣ .

(٧) سورة الحشر: ٢٢ ـ ٢٤ .

(٨) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٥، ٥٩٨٦، ٦٩٩٠، ٦٩٩٤)، ومسلم (٢٧٣٠)، وأحمد (٢٢٩٧)، والترمذي (٣٤٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٧٥) وابن ماجه (٣٨٨٣)، وعبد بن حميد (٦٥٨)، وأبو يعلى (٢٥٤١) .

وقوله ﷺ : «**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء وهو السميع العليم**»(١) .

وقوله ﷺ : «**اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه**»(٢) الحديث .

وقوله ﷺ : «**اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»(٣) الحديث .

وقوله ﷺ : «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن**»(٤) الحديث .

وقوله ﷺ : «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**»(٥) .

وقوله ﷺ : «**يا مقلب القلوب**»(٦) الحديث . وغير ذلك كثير .

---

(١) الحديث: رواه الترمذي (٣٣٨٨)، وقال: حسن صحيح غريب، والطيالسي (٧٩)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والحاكم (١٨٩٥) وقال: صحيح الإسناد، وللحديث أطراف أخرى منها: «من قال حين يمسي: بسم الله. . .» الحديث .

(٢) الحديث: بلفظ: « **من قال اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي...** » رواه الضياء (٣٠) وقال: إسناده صحيح، وأحمد (٥١)، وابن أبي شيبة (٢٦٥٣) وأبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢)، وقال: حسن صحيح، وابن حبان (٩٦٢)، والحاكم (١٨٩٢)، وقال صحيح الإسناد، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٢)، والطيالسي (٩).

(٣) الحديث: رواه مسلم (٧٠٦٤)، والترمذي (٣٤٨١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٨٣١) وابن حبان (٩٦٦)، وابن أبي شيبة (٢٩٣٤٣).

(٤) الحديث رواه البخاري (١٠٦٩)، ومسلم (٧٦٩).

(٥) الحديث: رواه ابن أبي شيبة (٣٥٦٠٧)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، والحاكم (١٨٥٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ، وابن حبان (٨٩١).

(٦) الحديث رواه ابن أبي شيبة (٢٩١٩٦). والمتقي الهندي في الكنز (١٦٩٤).

جواز التسمى بالاسم المشترك[١]

إن كثيرًا من الأسماء مشتركة بين الله تعالى وبين غيره من مخلوقاته في اللفظ والمعنى الكلي الذهني ، فتطلق على الله بمعنى يخصه تعالى ويليق بجلاله سبحانه ، وتطلق على المخلوق بمعنى يخصه ويليق به ، فيقال مثلاً : الله حليم ،وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حليم ، وليس حلم إبراهيم كحلم الله ، والله رءوف رحيم ، ومحمد ﷺ رؤوف رحيم ، وليس رأفة محمد ﷺ ورحمته كرأفة الله بخلقه ورحمته ،والله تعالى جليل كريم ذو الجلال والإكرام وبه الإطلاق ، وكل نبى كريم جليل ، وليست جلالة كل نبى وكرمه كجلالة غيره من الأنبياء وكرمه ولا مثل جلال الله وكرمه ، بل لكل من الجلالة والكرم ما يخصه ،والله تعالى حيٌّ ، وكثير من مخلوقاته حيٌّ ليست حياتهم كحياة الله تعالى ، والله سبحانه مولى رسوله محمد ﷺ وجبريل وصالح المؤمنين ، وليس ما لجبريل وصالح المؤمنين من ذلك مثل ما لله من الولاية والنصر لرسوله ﷺ .... إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المذكورة فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، الثابتة عنه ، ولا يلزم من ذلك تشبيه المخلوق بالخالق في الاسم أو الصفة أو أسلوب الكلام ،وما احتف به من القرائن بدل على الفرق بين ما لله من الكمال في أسمائه وصفاته وما للمخلوقات مما يخصهم من ذلك على وجه محدود يليق بهم .

واقرأ ذلك فى القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ مع التدبر وإمعان النظر يتضح لك الأمر ويذهب عنك الإشكال بحوله وقوته ، ثم ارجع إلى ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أول رسالة « التدمرية » ، فإنه وفى المقام حقه .

* * *

(١) اللجنة الدائمة (٨٩١١) .

قواعد هامة في الأسماء والصفات[(١)]

القاعدة الأولى: في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته:

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتهما على ظاهرها من غير تغير؛ لأن الله تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي فوجب إبقاء دلالة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على ما هي عليه في ذلك اللسان ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم وهو حرام لقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)] .

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[(٣)] .

فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقيتين فيجب إثبات ذلك له، فإذا قال قائل المراد بهما القوة قلنا له هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية: في أسماء الله:

وتحت هذه القاعدة فروع:

الفرع الأول: أسماء الله كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى:

---

(١) انظر «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» لابن قدامة بشرح الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (ص / ٢٠ ـ ٢٧) أضواء السلف، بتحقيق الشيخ / أشرف عبد المقصود. وانظر «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى».

(٢) سورة الأعراف: ٣٣ .

(٣) سورة المائدة: ٦٤ .

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[(١)] .

مثال ذلك: الرحمن فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة. ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: الدهر؛ لأنه يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن. فأما قوله ﷺ: «**لا تسُبوا الدهرَ فإنَّ الله هُوَ الدَّهر**»[(٢)] فمعناه مالك الدهر المتصرف فيه بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: «**بيدي الأمْر أقلِّب اللَّيْلَ والنَّهار**»[(٣)] .

الفرع الثاني: أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[(٤)] وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به .

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[(٥)] : إن معنى هذا الحديث أن من أسماء الله تسعة وتسعين اسمًا

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠ .

(٢) مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب: باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

وقال الحافظ في الفتح (١٠ / ٥٦٥): وأخرجه أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ: «**لا تسبوا الدهر فإن الله قال: أنا الدهر، الأيام والليالي لي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك**» وسنده صحيح. اهـ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد : باب قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ (٧٤٩١) ومسلم كتاب الألفاظ من الأدب: باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حديث صحيح: جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، الذي رواه أحمد (١ / ٣٩٤، ٤٥٢) وابن حبان (٢٣٧٢ - موارد) والحاكم (١ / ٥١٩)، وصححه الحافظ ابن القيم في شفاء العليل ص (٢٧٤)، واستفاض في بيان أهميته وفوائده في كتابه الفوائد ص (٢٤: ٢٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٧٢١) وكذا الألباني في الصحيحة (١٩٩) وشعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٤ / ١٩٨).

(٥) أخرجه البخاري : كتاب الدعوات: باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠)، ومسلم: =

من أحصاها دخل الجنة، وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا أن نقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

معنى قول النبي ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»(١):

قد فسر ذلك بمعانٍ:

منها: حفظها ودعاء الله بها، والثناء عليه بجميعها .

ومنها: أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرِّن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها فيما يليق به، وما كان يختص به نفسه تعالى كالجبار والعظيم والمتكبر ، فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد كالغفور، الشكور، العفو، الرؤوف، الحليم، الجواد، الكريم، فليقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ذي انتقام، شديد العقاب، سريع الحساب، فليقف منه عند الخشية والرهبة.

ومنها : شهود العبد إياها وإعطاؤها حقها معرفة وعبودية، مثاله من شهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته عليهم واستوائه على عرشه بائنًا من خلقه مع إحاطته بهم علمًا وقدرة وغير ذلك وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز فيشعر بأن كَلِمه وعمله صاعدٌ إليه معروض عليه، فيستحيي أن يصعد إليه من كلمه وعمله ما يخزيه ويفضحه هنالك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف، من الإماتة، والإحياء، والإعزاز، والإذلال، والخفض، والرفع ، والعطاء، والمنع ، وكشف البلاء وإرساله ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه

= كتاب الذكر والدعاء: باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧) (٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب) بتحقيقي فيما نقلته من المصدر.

نافذة فيها كما يشاء ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ (١) فمن وَفَّى هذا المشهد حقه معرفةً وعبوديةً فقد استغنى بربه وكفاه، وكذلك من شهد علمه المحيط، وسمعه، وبصره، وحياته، وقيوميته، وغيرها. ولا يُرزق هذا المشهد إلا السابقون المقربون.

الفرع الثالث: أسماء الله لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشرع:

فهي توقيفية يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفرع الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله وعلى الصفة التي تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديًا:

ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: (العظيم) فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسمًا من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

ومثال ذلك في المتعدي: (الرحمن) فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسمًا من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

القاعدة الثالثة: في صفات الله:

وتحتها فروع أيضًا:

الفرع الأول: صفات الله تعالى كلها عليا صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه:

كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك لقوله

---

(١) سورة السجدة: ٥ .

تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾(١) .

ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصًا لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه ونقصًا من وجه لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع عليه في الحال التي تكون نقصًا كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله وتكون نقصًا في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأول دون الثانية قال الله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٢) .

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾(٣) .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾(٤) .

إلى غير ذلك.

فإذا قيل له يوصف الله بالمكر مثلاً؟ فلا تقل: نعم، ولا تقل: لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك، والله أعلم.

الفرع الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم والقدرة. ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

---

(١) سورة النحل: ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال: ٣٠ .

(٣) سورة الطارق: ١٥ ـ ١٦ .

(٤) سورة النساء: ١٤٢ .

والسلبية: هي التي نفاها الله تعالى عن نفسه كالظلم فيجب نفيها عن الله تعالى لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقـاد ثبوت ضدها لله تعالى على الوجه الأكمل لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتًا.

مثال ذلك: قوله تعالى:

﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾[1] .

فيجب نفي الظلم عن الله تعالى مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها كالسمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلـية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبـار أصل الصفة صفة ذاتية؛ لأن اللـه لم يزل ولا يزال متكلمًـا، وباعتبـار آحاد الكلام صـفة فـعلية؛ لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

الفرع الرابع: كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية ولماذا؟

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها ولماذا؟

السؤال الثالث: هل تماثل صفات المخلوقين ولماذا؟

فجواب السؤال الأول: نعم حقيقية لأن الأصل في الكلام الحقيقة فلا يُعْدَلُ عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

وجواب الثاني: لا يجوز تكييفها لقوله تعالى:

﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾[2] .

---

(١) سورة الكهف: ٤٩ .

(٢) سورة طه: ١١٠ .

ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.

وجواب الثالث: لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[(١)] .

ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.

والفرق بين التمثيل والتكييف: أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التمثيل: أن يقول قائل : يد الله كيد الإنسان.

ومثال التكييف: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

القاعدة الرابعة: فيما نرد به على المعطلة:

المعطلة: هم الذين ينكرون شيئًا من أسماء الله أو صفاته ويحرفون النصوص عن ظاهرها ويقال لهم المؤولة والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم: خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.

* * *

(١) سورة الشورى: ١١ .

مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات لله عز وجل

أهل السنة والجماعة ـ جعلنا الله منهم ـ أشد الناس تعظيمًا لله عز وجل ، وأشد الناس احترامًا لنصوص الكتاب والسنة ، فلا يتجاوزون ما جاء به القرآن والحديث من صفات الله عز وجل ، فيثبتون لله تعالى ما أثبته الله لنفسه وإن حارت العقول فيه، وينفون ما نفى الله عن نفسه وإن توهمت العقول ثبوته .

مثال ذلك : أن الله عز وجل فوق كل شيء أزلاً وأبدًا ، وهو سبحانه وتعالى له العلو المطلق في كل وقت وحين ، فوق سمواته، فوق مخلوقاته، مستو على عرشه ، فلقد ثبت عن النبي ﷺ : « **إن الله تعالى أنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر** »[(١)] ، فيأتي الشيطان للإنسان، ويقول : كيف يقول وعلوه لازم له ؟ فنقول : هذا يحار فيه العقل ، لكن يجب علينا أن نصدق ونقول : الله أعلم بكيفية هذا ، نؤمن بأنه ينزل ولكن لا نعلم بالكيفية ، عقولنا تحار ولكن يجب أن نقبل ؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته . ولهذا قال بعضهم : إن القرآن والسنة أتيا بما تحار فيه العقول ، لا بما تحيله العقول ، فالواجب علينا في أسماء الله وصفاته تصديقها الإيمان بها ، وأنها حق وإن حارت عقولنا في كيفيتها ، فالجادة من أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن كل ما سمى الله به نفسه أو وصف به نفسه ، سواء في القرآن أو في السنة ، فإنه يجب الإيمان به وتصديقه . كما في قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[(٢)] .

يأتي الإنسان الشيطان فيقول: كيف يجيء؟ فنقول : يجيء؛ على الكيفية التي أراد الله ، الكيف مجهول ، يجب عليك أن تؤمن بهذا حتى لو حار عقلك به ، لأنك مأمور بأن تصدق على كل حال . ولذلك ضل قوم حكموا عقولهم في أسماء الله وصفاته ، فأنكروا ما أثبته الله لنفسه ، وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة ،

---

(١) الحديث متفق عليه : رواه البخاري (٧٤٩٤) ، ومسلم (١٨٦ / ٧٥٨).

(٢) سورة الفجر : ٢٢.

فقالوا: إن معنى قوله تعالى: ﴿ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (١) أي : استولى على العرش . فسبحان الله ! كيف يقول عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾(٢) . أفيمكن أن نقول : إنه قبل ذلك ليس مستوليًا عليه ؟ هذا أمر ينكره العامي فضلاً عن طالب العلم ، لكن إذا حكم الإنسان عقله في الأمور التي تتوقف على الخبر المحض ضل وذل .

ولهذا ننصح إخواننا الذين يقولون : استوى بمعنى استولى ، أن يتوبوا إلى الله عز وجل ، وأن يؤمنوا بأنه استوى على العرش ، أي : علا عليه علوًا خاصًا يليق بجلاله وعظمته ، وليعلموا أن الله سائلهم يوم القيامة عما اعتقدوا في ربهم عز وجل، وهل اعتقدوا ذلك بناء على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، أو بناء على ما تقتضيه أهواؤهم وعقولهم ؟ إن نصيحتي لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله ، وأسال الله أن يتوب عليهم ويوفقهم للحق، فليؤمنوا بما جاء في كتاب الله على مراد الله عز وجل ، وكذلك أيضًا من قالوا : إن الله ليس عاليًا بذاته فوق المخلوقات ، وقالوا : لا يجوز أن نقول : إن الله فوق ، فنقول : توبوا إلى ربكم ، أنتم الآن تدعون الله وتجدون قلوبكم مرتفعة إلى فوق ، وتمدون أيديكم أيضًا إلى فوق ، دعوكم وفطرتكم فقط ، واتركوا عنكم الأوهام والأشياء التي تضلكم ، وإذا أنكرتم علو الله وقلتم : إنه بذاته في كل مكان ، فكيف يليق هذا ؟ أيليق أن يكون الله تعالى في حجرة ضيقة ؟ ألا فليتق الله هؤلاء ، وليتوبوا إلى الله من هذه العقيدة الفاسدة الباطلة ، أخشى أن يموتوا فيلقوا ربهم على هذه العقيدة فيخسروا (٣) .

* * *

(١) سورة يونس : ٣.

(٢) سورة الأعراف: ٥٤ .

(٣) نور على الدرب (٧ / ٢) الشيخ / محمد بن صالح العثيمين .

أهل السنة وتأويل الصفات [١]

الصواب الذي أقره أهل العلم عن أهل السنة والجماعة : أنه لا تأويل في آيات الصفات ولا في أحاديثها ، وإنما المؤولون هم الجهمية والمعتزلة ، والأشاعرة في بعض الصفات ، وأما أهل السنة والجماعة المعروفون بعقيدتهم النقية فإنهم لا يؤولون ، وإنما يمرون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت بغير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، فلا يؤولون الاستواء ، ولا القدم ، ولا اليد ، ولا الأصابع ، ولا الضحك ، ولا الرضا ، ولا الغضب، كلها يمرونها كما جاءت مع الإيمان بأنها حق ، وأنها صفات لربنا سبحانه وتعالى ، يجب إثباتها له سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وبعض الناس يؤول الضحك بأنه الرضا ، ويؤول المحبة بأنها إرادة الثواب ، والرحمة كذلك ، وهذا كله لا يرضاه أهل السنة والجماعة ، بل الواجب إمرارها كما جاءت ، وأنها حق ، فهو سبحانه يحب محبة حقيقية تليق به لا يشابهها محبة المخلوقين ، ويرضى ، ويغضب ، ويكره ، وهي صفات حقيقية قد اتصف بها ربنا على الوجه اللائق به لا يشابه فيها خلقه ، كما قال عز وجل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٢]وهكذا ، يضحك ربنا كما جاء في النصوص ضحكاً يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته ، وهكذا استواؤه على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته لا يشابه الخلق في شيء من صفاته سبحانه وتعالى.

والمقصود :أن التأويل لا يجوز عند أهل السنة ، بل الواجب إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت، لكن مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات لله لائقة به، أما التقويض فلا يجوز .

---

(١)نور على الدرب (١ / ٦٤) الشيخ / ابن باز .
(٢)سورة الشورى : (١١) .

والمفوضة قال أحمد فيهم : إنهم شر من الجهمية ، والتفويض أن يقول القائل : الله أعلم بمعناها فقط وهذا لا يجوز ، لأن معانيها معلومة عند العلماء .

قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، وهكذا جاء عن الإمام ربيعة بن أبى عبد الرحمن وعن غيره من أهل العلم ، فمعاني الصفات معلومة ، يعلمها أهل السنة والجماعة . كالرضا والغضب والمحبة والاستواء والضحك وغيرها وأنها معاني غير المعاني الأخرى ، فالضحك غير الرضا ، والرضا غير الغضب ، والغضب غير المحبة ، والسمع غير البصر ، كلها معلومة لله سبحانه لكنها لا تشابه صفات المخلوقين ، يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ [(١)] .

ويقول سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [(٢)] .

ويقول عز وجل : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [(٣)] هذا هو الحق الذي عليه أهل السنة من أصحاب النبي ﷺ ، وأتباعهم بإحسان ، ومن تأول ذلك فقد خالف أهل السنة في صفة أو في أكثر .

❊ ❊ ❊

(١) سورة النحل : (٧٤) .

(٢) سورة الشورى : (١١) .

(٣) سورة الإخلاص : (٤) .

حديث « إن الله خلق آدم على صورته »[(١)]

الحديث ثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته** »[(٢)] ، وفي لفظ آخر : « على صورة الرحمن »[(٣)] ، وهذا لا يلزم منه التشبيه والتمثيل ، بل المعنى عند أهل العلم: أن الله خلق آدم سميعاً بصيرًا متكلماً إذا شاء ، وهذا هو وصف الله عز وجل ، فإنه سميع ، بصير ، متكلم ، ذو وجه جل وعلا ، وليس المعنى التشبيه والتمثيل ، بل الصورة التى لله غير الصورة التي للمخلوق، إنما المعنى أنه سميع، بصير، ذو وجه ، ومتكلم إذا شاء .

وهكذا خلق الله آدم سميعاً بصيرًا ، ذا وجه ، وذا يد ، وذا قدم ، ويتكلم إذا شاء ، لكن ليس السميع كالسميع، وليس البصير كالبصير ، وليس المتكلم كالمتكلم ، وليس الوجه كالوجه ، بل لله صفاته سبحانه وتعالى لا يشابهه فيها شيء ، بل تليق به سبحانه ، وللعبد صفاته التي تليق به ، صفات يعتريها الفناء والنقص والضعف .

أما صفات الله سبحانه وتعالى فهى كاملة لا يعتريها نقص ولا ضعف ولا فناء ولا زوال ، ولهذا قال عز وجل : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[(٤)] ، ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[(٥)] ، فلا يجوز ضرب الوجه ، ولا تقبيح الوجه .

---

(١) نور على الدرب (١ / ٦٦) الشيخ / ابن باز .
(٢) الحديث متفق عليه : رواه البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (١١٥/ ٢٦١٢) .
(٣) الحديث منكر : رواه الطبراني في الكبير (١٣٥٨٠) .
(٤) سورة الشورى: ١١ .
(٥) سورة الإخلاص : ٤ .

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات[١]

إن معرفة العبد بأسماء الله وصفاته ومعرفته بمعانيها وإيمانه بأنها صفات حقيقية تليق بجلال الله وعظمته وأنها لا تماثل صفات المخلوقين يكسبه سعادة الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بها أو أولها وصرفها عن معناها الحقيقي حرم السعادة، فإيمان العبد بأسماء الله وصفاته له ثمرات وفوائد كثيرة، من أهمها ما يلي:

١ ـ أعظم ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات: تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب، ووصفه بصفات الكمال اللائقة بجلاله، ونفي مماثلتها لصفات المخلوق الضعيف، وإثبات الأسماء الحسنى له جل وعلا.

٢ ـ أن من آمن بأن من أسماء الله تعالى «العفو» و«الغفور» و«الرحيم» ، وأن من صفاته «المغفرة للمذنبين » و«الرحمة» و«العفو » دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

٣ ـ أن من عرف أن من صفات الله تعالى أنه «شديد العقاب»، و«الغيرة إذا انتهكت محارمه»، و«الغضب»، وأنه «ذو انتقام ممن عصاه» حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

٤ ـ أن المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى: «القوي» و«القادر» و«العزيز»، وأنه تعالى «يتولى المؤمنين بالحفظ والنصر» أكسبه ذلك عظمة التوكل على الله، والوثوق بنصره، وعدم الهلع من أعدائه ، فيعيش قرير العين واثقًا بحفظ الله وتأييده ونصره.

٥ ـ أن من استقر في قلبه أن من أسماء الله تعالى «البصير» وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، وكذلك إذا علم أن من أسماء الله تعالى «الرقيب»، و«العليم»، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات

(١) انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية [ص / ٦٧ ـ ٦٨].

نفوسهـم، حمله ذلك على البعد عن مـعصية الله، وألا يراه الله حـيث نهاه، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

٦ ـ أن من آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

٧ ـ أن من علم أسمـاء الله وصفـاته وتوسل إلى الله تعالى بهـا استـجاب الله دعاءه، فحصل له ما يرجوه من مرغوب، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

وهذا كله قطرة من بحر من ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات.

❊ ❊ ❊

منهج الجهمية وتلاميذهم في أسماء الله وصفاته [1]

يجب على المسلم إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته على وفق ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأن هذا يدخل في باب الإيمان بالله عز وجل، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، المتخذين كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الدليل والمرجع في ذلك، عكس ما عليه الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة، الذين ينفون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، أو ينفون بعضًا منها ويثبتون البعض الآخر تحكمًا منهم ويجعلون مرجعهم في ذلك ما قررته عقولهم القاصرة أو قرره لهم أئمة الضلال، وفرق بين من جعل دليله الكتاب والسنة ومن جعل دليله نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان؛ كما يقوله واحد منهم:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

هذه طريقتهم مع نصوص الكتاب والسنة في باب أسماء الله وصفاته؛ التأويل، وهو صرف هذه النصوص عما دلت عليه من المعاني الجليلة إلى ما تقرره عقولهم من الأفكار العقيمة والآراء الباطلة، وما عجزت عنه عقولهم؛ فرفضوه واعتقدوا خلاف ما يدل عليه.

سبحانك ربي! ما أعظم شأنك! وما أحلمك على عبادك! إنهم نفوا عنك ما أثبته لنفسك من صفات الكمال ونعوت الجلال ، وخالفوا كتابك، وقدموا ما أملته عليهم عقولهم على ما أنزلته في كتابك، نفوا عنك أسماءك وصفاتك، ونفوا عن كتابك حجيته وهدايته.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في هؤلاء: «ومن ظن به أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به، وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارات ملغزة، ولم يصرح به، وصرح دائمًا بالتشبيه

---

(١) انظر «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد » للشيخ / الفوزان [ص/ ١٢٩ _ ١٣١].

والتمثيل الباطل، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله ، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة، والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم أن يحملوا كلامه على ما لا يعرفونه من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل، فلم يفعل ، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان؛ فقد ظن به ظن السوء.

فإنه إن قال: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه؛ فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال: إنه قادر ولم يبين ، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد؛ فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

ومن ظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم، وأما كلام الله؛ فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال ، وظاهر كلام المتهوكين والحيارى هو الحق والهدى؛ فهذا من أسوأ الظن بالله».

إلى أن قال: «ومن ظن أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم له وله إرادة ولا كلام إلا كلام يقوم به ، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به؛ فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين وإلى الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها وأنه أسفل كما أنه أعلى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه..». انتهى كلامه رحمه الله[1] . وهو يعني به أولئك الذين نفوا ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ومعلوم أن من نفى عن الله صفات الكمال؛ فقد أثبت له أضدادها من صفات النقص، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

---

(١) زاد المعاد (٣ / ٢٣١).

ثم يلزم من هذا أن يكون هؤلاء الضلال أعلم بالله وما يستحقه من الله؛ لأنهم نفوا عنه ما أثبته لنفسه، وزعموا أنه لا يليق به، وأي ضلال أعظم من هذا؟ وأي جرأة على الله أعظم من هذه الجرأة؟!

ويلزم من ذلك أيضًا أن يكونوا أعلم بالله من رسول الله ﷺ ؛ لأن رسول الله ﷺ أثبت لله هذه الصفات، وهم نفوها وقالوا: إنها لا تليق بالله! وأي ضلال أعظم من هذا الضلال لو كانوا يعقلون؟!

كيف يكون هؤلاء الجهال الضلال أعلم بالله من نفسه، تعالى الله عما يقولون؛ والله تعالى يقول: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾(١) ، ولا أحد من الخلق أعلم بالله وما يستحقه وما يليق به من رسول الله ﷺ ؟!.

إن الذي حمل الجهمية وأتباعهم على نفي صفات الله عز وجل هو جهلهم بالله وسوء أفهامهم؛ حيث ظنوا أنه يلزم من إثبات هذه الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ يلزم منها التشبيه؛ لأنهم يرون هذه الصفات في المخلوقين، ولا يفرقون بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، ولم يفهموا من صفات الخالق إلا ما فهموا من صفات المخلوقين، ولم يعلموا أن صفات الخالق سبحانه تخصه وتليق به وصفات المخلوقين تخصهم وتليق بهم، ولا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوقين؛ كما أنه لا تشابه بين ذات الخلق وذوات المخلوقين؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(٢) . فأثبت لنفسه السمع والبصر، ونفي عنه مشابهة الأشياء، فدل ذلك على أن إثبات الصفات لا يلزم منه المشابهة بين الخالق والمخلوق.

وهذا هو الأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله وصفاته؛ أثبتوا له ما أثبته لنفسه بلا تمثيل ، ونزهوه عما نزه نفسه عنه بلا تعطيل.

أما الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة؛ فإنهم بنوا مذهبهم على أصل

---

(١) سورة طه: ١١٠ .

(٢) سورة الشورى: ١١ .

باطل أصلوه من عند أنفسهم، وهو أن إثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه، فيلزم حيال النصوص الواردة بذلك أحد أمرين عندهم: إما تأويلها عن ظاهرها، وإما تفويضها مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، ولهذا يقول ناظم عقيدتهم:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

سبحانك ربي عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

وقد أجرى الله الحق على لسان هذا الناظم حيث قال: «وكل نص أوهم التشبيها»؛ فبين أن مذهبهم مبني على الوهم لا على الحق؛ لأنهم توهموا أن هذه النصوص تقتضي التشبيه، فراحوا يؤولونها!! وهل الوهم يا عباد الله تعارض به النصوص وتبنى عليه عقيدة؟! إن الوهم أقل درجة من الظن، والله تعالى يقول في الظن: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[1] !! والنبي ﷺ يقول: «**الظن أكذب الحديث**»[2] .

* * *

(١) سورة النجم: ٢٨ .

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٧٤٧) ومسلم برقم (٢٥٢٣) وأبو داود برقم (١٧٨١) والترمذي برقم (١٩١١) والنسائي برقم (٣١٩٠) وابن ماجه برقم (١٨٥٧) وأحمد برقم (٧٠٣٥) ومالك برقم (٩٦٤) والدارمي برقم (٢٠٨٠).

أقوال المخالفين في اعتقاد الصفات [١]

وأقوال الناس في نصوص الصفات

تنحصر أقوال المخالفين في اعتقاد الصفات نفيًا وإثباتًا في خمس فرق، وهي:

١ ـ الجهمية

وهم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، وتنقسم الجهمية في اعتقادها بالأسماء والصفات إلى طائفتين:

الأولى: الغلاة: وهم الذين يصفون الله سبحانه وتعالى بالسلوب، والعدم المحض الذي هو ليس بشيء البتة، فيقولون لا عالمًا، ولا ليس بعالم، ولا سميعًا، ولا ليس سميعًا، ولا بصيرًا، ولا ليس بصيرًا، ولا متكلمًا، ولا ليس بمتكلم، فيجمعون بين النقيضين، فلا هو خارج العالم، ولا هو داخله، ولا هو مباين له، ولا هو محايث له، وتسمى بالسلبية المحضة.. محايث ـ من حاث: أي حرك، استحاثة: أي حركة [٢].

الثانية: طوائف من الفلاسفة: ويقولون: إن الله هو الوجود المطلق، بشرط الإطلاق [٣]، وقد قال شيخ الإسلام: وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات [٤].

فكلا الطائفتين قد اتفقتا على نفي الأسماء والصفات.

وقد بنى الجهم بن صفوان أصول هذه الفرقة على ما يلي [٥]:

---

(١) انظر «تحرير الاعتقاد» (ص ٢٥١ ـ ٢٦٣).

(٢) معارج القبول للحكمي ١ / ٣٣٤، والتدمرية، لابن تيمية، ص ٢٥.

(٣) التدمرية، لابن تيمية، ص ٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ١٩٩، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ / ٣١٢، والملل والنحل للشهرستاني (١ / ٨٦، ٨٧).

أولاً: أن علم الله سبحانه وتعالى حادث لا في محل.

ثانيًا: أن الله لا يعلم الأشياء قبل خلقها.

ثالثًا: نفي الأسماء والصفات في الجملة.

رابعًا: أن كلام الله مخلوق وأنه لا يسمى متكلمًا به.

خامسًا: وصفه بأنه قادر وموجد وفاعل وخالق ومُحْيي ومميت، لأنه لا يُوصف شيء من خلقه بالقدرة، والإيجاد، والفعل، والخلق، والإحياء، والإماتة.

وفرقة الجهمية لهم مذهب في الصفات يشابهون فيه المعتزلة من جانب، ويفارقونهم من جانب. فهم ينفون الصفات الأزلية مشابهين المعتزلة. فهم ينفون صفة الرحمة، والحكمة، ويُروى أن الجهم بن صفوان كان يخرج بأتباعه ويقف بهم على المجذومين ويقول لأتباعه: «انظروا؛ أرحم الراحمين يفعل بعباده هكذا؟». مُنكرًا رحمة الله تعالى سبحانه وحكمته.

والجهمية يفارقون - أيضًا - المعتزلة في أنهم لا يصفون الباري سبحانه وتعالى بصفة يوصف به المخلوقون، لأن في ذلك تشبيهًا. فلا يصفون الله سبحانه وتعالى بأنه حي، عليم، سميع، بصير... لأن هذه كلها يوصف بها المخلوقون.

وجماع مذهبهم أنهم يثبتون لله سبحانه وتعالى الصفات بشرطين:

الأول: ألا تكون أزلية، مشابهين في ذلك المعتزلة. ومن ثم فهم يثبتون الصفات الحادثة مع اعتبار الشرط الثاني الذي هو:

الثاني: أن تكون مما يوصف به المخلوقون.

وبذلك آل الأمر عندهم إلى نفي الصفات جملة، وإذا نفوا الصفات، فقد نفوا - بالتالي - الأسماء التي تشتق - أصلاً - من الصفات.

* * *

٢ - المعتزلة

وهم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وقد بنوا أصولهم على خمسة أصول، وهي[١] :

١ - العدل: وأرادوا به إنكار القضاء والقدر.

٢ - التوحيد: وبنوا المذهب في هذا على نفي الصفات وتأويلها.

٣ - الوعد والوعيد: وذلك بتخليد صاحب الكبيرة في النار.

٤ - المنزلة بين المنزلتين: وهو حكم صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا على غير توبة من كبيرته.

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمقصد منه شق الطاعة على أمراء المسلمين.

هذا، وبالنسبة لمعتقد المعتزلة في التوحيد يتلخص فيما يلي:

أولاً: نفي الصفات جملة [٢] .

ثانيًا: إثبات أحكام الصفات [٣] .

ثالثًا: أن هذه الصفات راجعة إلى اسم الله العليم والقدير [٤] .

رابعًا: إثبات الأسماء على أنها أعلام محضة لا تدل على معنى كمالي [٥] .

خامسًا: اتفقوا على أن كلامه محدَث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت كُتِبَ، وأمثاله في المصاحف حكايات عنه[٦] .

---

(١) شرح الطحاوية، ص ٥٥٨ - ٥٨٩، وأصول الدين للبغدادي، ص ٢٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦ / ٣٥٩، والتدمرية، لابن تيمية، ص ٥ .

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦ / ٣٥٩، والتدمرية، لابن تيمية، ص ٨ .

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) الملل والنحل، للشهرستاني ١ / ٤٣ - ٤٤ .

سادسًا: أثبت البصريون منهم له إرادة حادثة لا في محل.

سابعًا: القول بأن الله قديم، والقدم أخص صفة ذاتية له [١].

ثامنًا: القول بأن أسماءه سبحانه وتعالى وصفاته حادثة، وأنها لم تكن في الأزل فيقولون: إن الله سبحانه وتعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة [٢].

ولقد سلكت المعتزلة لنفي الصفات طريقين، وهما [٣]:

الأول: إثبات الأسماء دون أصولها التي اشتقت منها من الصفات، فيقولون: هو سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعليم بلا علم... وهكذا.

الثاني: إثبات الترادف بين الأسماء، وذلك لدلالته على الذات، فيقولون: هو سميع بذاته، وبصير بذاته، وعليم بذاته... وهكذا وكلا الطريقين يرجع إلى نفي الصفات، وإثبات الصفات على أنها أعلام محضة لا دلالة فيها على الصفات.

ومن هنا يتبين أن المعتزلة طائفتان[٤]:

الأولى: تنفي الصفات، وتثبت الأسماء على أنها أعلام محضة تدل على الذات.

الثانية: تنفي الصفات، وتثبت الأسماء على أنها بمعنى متعلقاتها، فالسمع بمعنى المسموع، والبصر بمعنى المبْصَر، والعلم بمعنى المعلوم... وهكذا.

والخلاصة:

أن الطائفتين قد اتفقتا على النفي والإثبات، واختلفتا في المراد بجانب الإثبات، ومواضع الاتفاق والاختلاف هي:

أ ـ اتفقتا اتفاقًا مطلقًا على نفي الصفات.

ب ـ اتفقت الطائفة الثانية من المعتزلة مع الجهمية على نفي الأسماء، إذ لا معنى

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني ١ / ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٣٢٢.

(٣) التدمرية، ص ٨.

(٤) مقالات الإسلاميين، للأشعري ١ / ٢٣٧.

للصفة إلا دلالتها الوصفية، ودلالة الصفة على غيرها سلب لمدلول الوصفية فيه، أي أنه لا معنى للسمع إلا دلالته على السمعية، ودلالته على غيرها سلب لمدلول السمعية فيه.

ج ـ أن الطائفة الأولى من المعتزلة تخالف الجهمية في نفي الأسماء، فتثبت وصفيتها، وهي دلالتها على الذات.

أي أن الله سميع بذاته، بصير بذاته، عليم بذاته... وهكذا.

د ـ اتفاق البدعتين ـ المعتزلة والجهمية ـ على القول بأن كلام الله محدَث مخلوق.

هـ ـ اتفاق البدعتين ـ المعتزلة والجهمية ـ على أن الله سبحانه وتعالى خالقٌ، ورازقٌ، ومُحْيي، ومميتٌ والخلاف فيما عداها.

واتفقت الطائفتان على أن الله سبحانه وتعالى لم يكن فاعلاً في الأزل، وأن فعله مستأنف بعد أن لم يكن، ومن ثم فصفات الفعل مثل: خالق، ورازق... إلخ صفات حادثة، لم تكن، ثم كانت، ولم يكن سبحانه وتعالى متصفًا بها ولا مسمى بها، ثم صار.

❊ ❊ ❊

٣ـ الأشعرية

وهي تُنْسَبُ لأبي الحسن الأشعري، وقد مرَّ الأشعري بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: قال عنها شيخ الإسلام: فإن أبا الحسن نشأ في الاعتزال أربعين عامًا، يُناظر عليه، وكان شيخه فيه زوج أمه أبو على محمد الجبائي [١].

المرحلة الثانية: وهي التي استقل فيها الأشعري بمذهبه المنسوب إليه بعد أن تاب من الاعتزال [٢] ـ وهذه هي المعنية بالدراسة لدينا.

المرحلة الثالثة: وهي التي صرح فيها أخيرًا باعتقاده مذهب السلف وألَّف فيها كتابه «الإبانة في أصول الديانة».

وقد انقسم المتسبون إلى المرحلة الوسطى بعد الأشعري إلى قسمين، وهما [٣]:

الأول: تلاميذه وأصحابه، وهؤلاء كانوا يثبتون الصفات الخبرية الواردة في الكتاب والسنة، كالوجه واليدين والعينين والاستواء ... وأشهرهم الباقلاني في «الإنصاف» [٤].

الثاني: من مال إلى الاعتزال، فنفى الصفات الخبرية وتأولها، وأشهرهم أبو المعالي الجويني، وله في تأويلها قولان:

الأول: في «الإرشاد» [٥].

والثاني: رجع عنه في «الرسالة النظامية» [٦]، ومنع فيها التأويل.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٤ / ٧٢.

(٢) توضيح المقاصد، لابن عيسى ١ / ٣٧٠.

(٣) موافقة صريح المعقول، لابن تيمية ٢ / ١٠ ـ ١٢.

(٤) الإنصاف، للباقلاني ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٥) كتاب للجويني يُسَمَّى: الإرشاد الهادي إلى سبيل الاعتقاد.

(٦) طبعت بتحقيق الشيخ / زاهد الكوثري.

وسبب ذلك أنه كان كثير الاطلاع في كتب أبي هاشم، قليل المعرفة بالآثار (١) .

اعتقاد الأشاعرة في الصفات:

تنقسم الصفات عندهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: صفة نفسية، وهي الوجود.

القسم الثاني: صفات سلبيــة، وهي القدم، والبقاء ومخالفته للحــوادث، وقيامه بنفسه، والوحدانيــة، وإنما سُمِّيت سلبية، لأن معناها النفي، فـالقدم عندهم هو عدم الحدوث، والبقاء عدم الفناء، ويعرفونها بأنها: «ما كــان مفهومها سلب لنقيضها». . . وهكذا.

القسم الثالث: صفات ثبـوتية، ويسمونهــا صفات المعاني وهي ســبع: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

القسم الرابع: صفات مـعنوية ملازمة لصفات المعــاني ومشتقــة منها، وهي سبع أيضًا (٢) : قادر، ومريد، وعالم، وحي، وسميع، وبصير، ومتكلم.

فالصفات إذًا عشرون: الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالـفته للحوادث، وقيامه بنفــسه، والوحــدانية، والقــدرة، والإرادة ، والعلم، والحـياة، والســمع، والبصـر، والكلام، وقادر ، ومـريد، وعالم، وحي، وسمــيع، وبصيــر، ومتكلم، فهــو قادر بقدرة ، ومريد بـإرادة ، وعالم بعلم، وحي بحياة، وســميع بسمع، وبصيــر ببصر، ومتكلم بكلام.

فهم لا يثبتون من الصفات الخبرية إلا الصفات السبع التي هي صفات المعاني.

وتتلخص أصول فرقة الأشاعرة فيما يلي(٣) :

أولاً: إثبات سبع صفات من الصفات الخبرية، (السمع، البصر . . . إلخ).

---

(١) موافقة صريح المعقول، لابن تيمية ٢ / ١٢ .

(٢) تحفة المريد، للبيجوري ص ٤٠ ـ ٤٢، والملل والنحل، للشهرستاني ١ / ٩٥ ـ ٩٦ .

(٣) انظر المراجع السابقة.

ثانيًا: يثبتون الاسم من الصفات الخبرية المثبتة، (السميع، البصير، . . . إلخ).

ثالثًا: إثبات أسماء الله الحسنى.

رابعًا: إثبات متعلقات الصفات، وهي عندهم سبعة:

١ ـ علمه واحد يتعلق بجميع المعلومات: المستحيل، والجائز، والواجب، والوجود، والعدم.

٢ ـ قدرته واحدة تتعلق بجميع الممكنات ، أي ما يصلح إيجاده وإفناؤه من الممكنات.

٣ ـ إرادته واحدة تتعلق بتخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها.

٤ ـ حياته لا تتعلق بشيء.

٥ ـ سمعه يتعلق بجميع الموجودات.

٦ ـ بصره يتعلق بجميع الموجودات.

٧ ـ كلامه يتعلق بما تعلق به العلم: الواجب، والجائز، والمستحيل.

خامسًا: كلامه واحد، وهو أمر، ونهي، وخبر، واستخبار، ووعد، ووعيد، وهذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه، لا إلى عدد في نفس الكلام، والعبارات والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهي دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة، والمدلول قديم أزلي، والفرق بين القراءة والمقروء، والتلاوة والمتلو، كالفرق بين الذكر والمذكور، فالذكر محدث، والمذكور قديم.

والكلام عند الأشعري ـ مذهبًا ـ معنى قائم بالنفس سوى الأصوات والحروف المنطوقة، والعبارة دلالة عليه من الإنسان، فالمتكلم عنده من قام بالكلام[1] ، فكلام الله ليس بصوت، ولا حرف.

---

(١) تحفة المريد، للبيجوري، ص ٤٠ ـ ٤٢، والملل والنحل، للشهرستاني ١ / ٩٥ ـ ٩٦ .

سادسًا: أن الفعل هو المفعول، وأن الخلق هو المخلوق، فصفة الخلق مخلوقة محدثة [١] .

سابعًا: نفي قيام الأفعال الاختيارية بالرب عز وجل، كالمحبة والنزول والاستواء والرضا والغضب والفرح ونحوها [٢] .

ولقد اتفق أصحاب البدع الثلاث ـ الجهمية والمعتزلة والأشعرية ـ في أمور هي:

أ ـ رفض وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ بأفعاله الاختيارية.

ب ـ أن صفة الخلق هي المخلوق ، وأن الفعل نفس المفعول، فهي مخلوقة.

* * *

---

(١) موافقة صريح المعقول، لابن تيمية ٢ / ١٢ .

(٢) توضيح المقاصد، لابن عيسى ٢ / ٢٤٢ .

٤ ـ المفوضة

التفويض: هو رد العلم بالصفات إلى علم الله بها، إما كيفية، أو معنى، ولهذا فهو نوعان، هما:

الأول: تفويض العلم بحقيقة الصفات، وكيفيتها إلى الله ـ جل وعلا ـ، وهذا أصل من أصول السلف الصالح.

الثاني: تفويض العلم بمعاني الصفات إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا النوع ذهب الأشاعرة ومن تابعهم من المتكلمين إلى أنه من البدع في الصفات .

وهذا النوع الثاني هم الذين يثبتون ألفاظ الصفات، كما وردت في الكتاب والسنة، مع تفويض العلم بمعانيها إلى الله ـ جلا وعلا ـ فلا يعلم معناها لا ملك مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَل، ولا أحد أبدًا.

والمُفوضَةُ في المعنى نوعان:

الأول: من يُفَوِّضُ العلم بالمعنى إلى الله ، ويُثْبِتُ جهل الخلق بمعانيها العربية، ويقول: لها معنى لا نعلمه.

الثاني: من يقول بأن هذه الصفات لا معنى لها أصلاً، فيجب الإيمان بلفظها، والسكوت عما عداه.

وتتلخص عقيدة المفوضة في معاني الصفات من المتكلمين في الآتي:

أ ـ وجوب الإيمان بألفاظ الأسماء والصفات الواردة.

ب ـ وجوب التفويض فيما عدا هذا، سواء قيل: لها معنى، أو لا.

ج ـ أن المقصود من إخفاء معانيها اختبار الخلق بالتسليم لما يؤمرون به.

د ـ جهل الخلق بمعانيها، إما لصرفهم عن ذلك، وإما لعدم بيان الله ذلك لهم.

فحقيقة مذهبهم تعطيل الأسماء والصفات، إذ التعبير بما لا معنى له، أو له معنى ولكن لا يمكن المتكلم والمستمع فهمه في الكلام، لأن المتكلم لا يَقْصُر كلامُه عن

البيان إلا في ثلاث حالات:

الأولى: قصور عبارته عن المعنى المقصود.

الثانية: عدم فصاحته وبلاغته.

الثالثة: عدم علمه بما يقول.

والثلاث حالات ما لا يجوز نسبته لخبر الله، وخبر رسوله، فلا أصدق من الله قيلاً، ولا أحسن منه حديثًا، ورسوله قد أُعطي جوامع الكلم، فهم أرادوا بمذهبهم هذا التلبيس على من لا يُدْرِكُ حقيقة ما هم عليه .

* * *

٥ ـ المشَبِّهَةُ

والتشبيه: هو التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما، فصار له طرفان:

الأول: تسوية الخالق بالمخلوق فيما هو من خصائص المخلوق، وهذا مقتضٍ لوصف الله سبحانه وتعالى بما يضَادُّ كماله وجلاله.

الثاني: تسوية المخلوق فيما هو من خصائص الخالق، وهذا موجب لرفع المخلوق عن منزلته بوْصفه بصفات الخالق.

وهذان الطرفان متلازمان، يلزم من حصول أحدهما حصول الآخر.

ولفظ التشبيه لم يرد في الكتاب، ولا في السنة نفيه ولا إثباته مع احتماله لحق أو باطل، فيكون بحسب دلالته نوعين، وهما:

الأول: تشبيه مذموم، وهو ما سماه القرآن تمثيلاً، وهو ما تقدم تعريفه.

فالله لا يقاس بخلقه ، ولا يُقاسُ المخلوق به، بل هو كما قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [١] .

الثاني: تشبيه جاء به في الشرع، وهو الاتفاق في المعنى الكلي العام، كاشتراك الأسماء في معنى أجناسها، وكاشتراك أنواع الإنسان وهي الذكور والإناث، والمرأة والرجل، والعجمي والعربي، وغيرها في معنى الإنسان ، فما من فرد ممن تقدم إلا ومعنى الإنسان موجود فيه. وهذا النوع من التشبيه لا يوسم صاحبه بالمشبهة وهو خارج عن بحثنا وعما نحن بصدده. فمتعلق البحث هنا هو النوع الأول.

وأول ظهور بدعة التشبيه كانت عن أصناف من الروافض الغلاة [٢] ، فأول من

---

(١) سورة الشورى: ١١ .

(٢) الفَرق بين الفِرق، للبغدادي، ص ٢١٤ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ / ١٠٢ ـ ١٠٥ ، والملل والنحل، للشهرستاني ١ / ١٠٦ ـ ١٠٧ ، وتلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٨٦ ، ٨٧ .

نشرها في الأمة هو هشام بن الحكم الرافضي، وإليه تُنْسَبُ الهشامية من الرافضة، وأول الطوائف قولاً به هي البيانية.

والمشبهة صنفان هما [(١)] :

الصنف الأول: من شبه ذات الله عز وجل بذات المخلوق، ومن أمثلة ذلك: السبئية والهشامية.

الصنف الثاني: من شبه صفات الله رب العالمين بصفات غيره من المخلوقات، ومن أمثلة ذلك المعتزلة البصرية الذين زعموا أن الله عز وجل يريد مراده بإرادة حادثة، وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا.

وما من طائفة من طوائف البدع في باب الأسماء والصفات إلا وهي مشبهة، لأنهم ما نفوا شيئًا من الصفات إلا وقد اعتقدوا فيه التشبيه إلى نفوسهم أولاً، ثم حصل التعطيل ، فالتشبيه أصل التعطيل وأساسه.

وتبعًا لهذين الصنفين تنقسم عقيدة المشبهة في الصفات إلى قسمين وهما [(٢)] :

الأول: أن ما ذُكِرَ من الصفات في الكتاب والسنة ظاهره التشبيه، وهذا قول من اعتقد التشبيه في الصفات، فنفاها من أجل ذلك.

الثاني: أن ذاته سبحانه وتعالى المقدسة، كالمخلوقين في كل خصائصها ، أو بعضها وهو قول المشبهة في الذات.

❊ ❊ ❊

(١) الفَرق بين الفِرق ، للبغدادي، ص ٢١٤ .

(٢) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٨٦ ، ٨٧ .

بعض من الصفات [(١)]

الصفة الأولى: الوجه:

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [(٢)] .

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**» [(٣)] .

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه حقيقي يليق بالله.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وهي:

١ ـ قولهم خلاف ظاهر النصوص.

٢ ـ خلاف طريق السلف.

٣ ـ ليس عليها دليل صحيح.

٤ ـ خلاف ظاهر النصوص.

الصفة الثانية: اليدان:

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف:

---

(١) شرح «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ.

(٢) سورة الرحمن: ٢٧ .

(٣) الحديث: رواه البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (١٦٢٨)، ومالك (١٤٥٦) وأحمد (١٥٢٤) وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣٦٢٦) ، وابن ماجه (٢٧٠٨)، وابن حبان (٧٢٦١) ، والبيهقي (١٧٥٥٨)، والطيالسي (١٩٥)، وابن أبي شيبة (٣٠٩١٣).

قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[(١)] .

وقال النبي ﷺ: «**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار**» إلى قوله: «**بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض**»[(٢)] .

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به.

وقد فسرها أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعًا كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[(٣)] .

وقوله ﷺ: «**وبيده الأخرى القبض**».

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[(٤)] .

الثاني: التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[(٥)] .

الثالث: الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[(٦)] .

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي التثنية، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً.

---

(١) سورة المائدة: ٦٤ .

(٢) الحديث: رواه البخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٩٩٣) وأحمد (٨١٢٥)، وللحديث أطراف أخرى منها: «**قال الله يا بن آدم**» «**يمين الله ملأى**».

(٣) سورة ص: ٧٥ .

(٤) سورة الملك : ١ .

(٥) سورة المائدة: ٦٤ .

(٦) سورة يس: ٧١ .

الصفة الثالثة: النفس:

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف:

قال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [(١)] .

وقال عن عيسى إنه قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [(٢)] .

وقال النبي ﷺ: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**»[(٣)] وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به، فيجب إثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

الصفة الرابعة: المجيء:

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [(٤)] . ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ [(٥)] .

وقال النبي ﷺ: «**حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين**» [(٦)] .

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة الخامسة: الرضا:

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة الأنعام: ٥٤ .

(٢) سورة المائدة: ١١٦ .

(٣) الحديث: رواه مسلم (٧٠٨٩).

(٤) سورة الفجر: ٢٢.

(٥) سورة البقرة: ٢١٠ .

(٦) الحديث: رواه البخاري (٤٣٠٥)، ومسلم (١٨٣)، وأحمد (١١١٤٣)، وابن ماجه (١٧٩) والطيالسي (٢١٧٩).

(٧) سورة البينة: ٨ .

وقال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[١] .

وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة السادسة: المحبة.

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف:

قال الله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾[٢] .

وقال النبي ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»[٣] .

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يُحَب ويُحب، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى .

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة السابعة: الغضب:

الغضب من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمنًا متعمداً: ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**﴾[٤] وقال النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتابًا عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي**»[٥] .

---

(١) الحديث: رواه مسلم (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٩٢)، والترمذي (١٨١٦) وقال: حسن، وهناد في «الزهد» (٧٧٥)، وابن أبي شيبة (٢٤٤٩٩) والنسائي في «الكبرى» (٦٨٩٩) والبيهقي في «الشعب» (٦٠٤٦)، وأبو يعلى (٤٣٢٢).

(٢) سورة المائدة: ٥٤ .

(٣) الحديث: رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (٢٤٠٥) ، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٠٦)، وابن حبان (٦٩٣٤)، وسعيد بن منصور (٢٤٧٤) .

(٤) سورة النساء: ٩٣ .

(٥) الحديث: رواه البخاري (٣٠٢٢)، ومسلم (٢٧٥١)، وأحمد (٩٥٩٥)، والدارقطني في الصفات (١٥).

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو غضب حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾[1] أي أغضبونا ﴿ انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره.

الصفة الثامنة: السخط:

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ﴾[2] .

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك**»[3] .

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو سخط حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التعطيل بالانتقام . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة التاسعة: الكراهة:

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾[4] .

وقال النبي ﷺ: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[5] .

---

(١) سورة الزخرف: ٥٥ .

(٢) سورة محمد: ٢٨ .

(٣) الحديث: رواه مسلم (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٩٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣) وقال: حسن ، والنسائي (١١٣٠) ، وابن ماجه (٣٨٤١)، وإسحاق بن راهويه (٥٤٤) ، وابن خزيمة (٦٧١)، وابن حبان (١٩٣٢).

(٤) سورة التوبة: ٤٦ .

(٥) الحديث: رواه البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٥٩٣)، وأبو عوانة (٦٣٨٩)، والطبراني (٩٠٠) وابن حبان (٥٧١٩).

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهي كراهة حقيقية من الله تليق به.

وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة العاشرة: النزول:

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف.

قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له**» (١) .

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو نزول حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ، وبوجه رابع أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول من يدعوني فأستجيب له . . إلخ.

الصفة الحادية عشرة : العجب:

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال تعالى: «بلا عجبتُ ويسخرون» على قراءة ضم التاء.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة : «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل**» (٢) .

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو عجب حقيقي يليق بالله (٣) .

---

(١) الحديث: رواه البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، ومالك (٤٩٨)، وأحمد (١٠٣١٨)، وأبو داود (١٣١٥) والترمذي (٣٤٩٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٦٦) .

(٢) انظر صحيح الجامع (٧٥٣٠).

(٣) انظر معجم ألفاظ العقيدة (ص / ٢٩١ ـ ٢٩٢).

وفسره أهل التعطيل بالمجازاة. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

والعجب نوعان:

أحدهما: أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب وهذا هو الثابت لله تعالى.

الصفة الثانية عشرة : الضحك:

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف:

قال النبي ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة**» وتمام الحديث: «**يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[١].

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى.

وفسره أهل التعطيل بالثواب. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة الثالثة عشرة: الاستواء على العرش:

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٢] وذكر استواءه على العرش في سبعة مواضع من القرآن . وقال النبي ﷺ: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي**» [٣] .

---

(١) الحديث: رواه البخاري (٢٦٧١)، ومسلم (١٨٩٠)، ومالك (٩٨٣)، وأحمد (٩٩٧٧)، والنسائي (٣١٦٦)، وابن ماجه (١٩١)، وابن حبان (٢١٥).

(٢) سورة طه: ٥ .

(٣) الحديث: سبق تخريجه.

وقال النبي ﷺ : «**إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة**» إلى أن قال: «**في العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك**»(١) .

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه، فيجب اتباعه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، ونزيد وجهًا رابعًا أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى، ووجهًا خامسًا أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكًا لله ثم استولى عليه بعد .

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك، وفي الشرع العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره (٢) .

الصفة الرابعة عشرة: العلـــو:

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾(٣) .

وكان النبي ﷺ يقول في صلاته في السجود: «**سبحان ربي الأعلى**» .

---

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١٧٧٠)، والضياء (٤٦٢).

(٢) الحديث: أخرجه الدارقطني في الصفات برقم (٣٦)، وانظر كنز العمال (١٦٨٣)، والحديث صح موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥ .

وأجمع السلف على ثبوت العلو لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله وينقسم إلى قسمين:

علو صفة: بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق.

علو ذات: بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾(١) .

وقوله ﷺ للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»(٢).

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه وسلطانه ونحوه. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن ملك الله وسلطانه في السماء والأرض أيضًا، وبوجه خامس وهو دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال ، وبوجه سادس وهو دلالة الفطرة عليه لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء.

معنى كون الله في السماء:

المعنى الصحيح لكون الله في السماء: أن الله تعالى على السماء، فـ«في» بمعنى «على» وليست للظرفية لأن السماء لا تحيط بالله أو أنه في العلو، فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية.

تنبيه: ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء

(١) سورة الملك: ١٦ .

(٢) الحديث رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم (١٢٢٧)، وابن أبي شيبة (٣٠٣٤٣)، والطبراني (١٢٣٦٩)، وانظر «الكنز» (١٧٤٤)، وعبد الرزاق (١٦٨٥١).

وهذا النقل غير صحيح لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختص بهذه الأمة وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.

جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك:

وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي، بل غيره، وكان جد مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة . ولد مالك سنة ٩٣ هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ وهو في عصر تابعي التابعين.

سئل مالك فقيل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[1] كيف استوى؟

فقال رحمه الله: (الاستواء غير مجهول) أي معلوم المعنى وهو (العلو والاستقرار) (والكيف غير معقول) أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته (والإيمان به) أي الاستواء (واجب) لوروده في الكتاب والسنة (والسؤال عنه) أي عن الكيف (بدعة) لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه .ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفًا من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيرا له بمنعه من مجالس العلم.

الصفة الخامسة عشرة: الكلام:

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾[2] . ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[3] .

وقال النبي ﷺ : «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلّم بالوحي**»[4] .

---

(١) سورة طه: ٥ .

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣ .

(٣) سورة النساء: ١٦٤ .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص/ ١٤٤) وابن جرير في التفسير (٢٢ / ٩١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣ / ٥٣٨)، وأبو الشيخ برقم (٤٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص / ٢٠٣)، وابن أبي عاصم (٥١٥)، والطبراني في «الشاميين» (٥٩١)، والديلمي (٩٦٤).

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو كلام حقيقي يليق بالله تعالى يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾[١] فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى. والدليل على أنه حروف قوله تعالى: ﴿ يَا مُوسَىٰ ⑪ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾[٢] ، فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله. والدليل على أنه بصوت، قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[٣] والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت. وروي عن عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «... **ويحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»[٤] .

وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد... أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متي شاء تكلم بما شاء كيف شاء المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى.

وخالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية:

قالوا: ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء أو في المحل الذي يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل:

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٣ .

(٢) سورة طه: ١١، ١٢ .

(٣) سورة مريم: ٥٢ .

(٤) علقه البخاري بصيغة التمريض وعلقه بصيغة الجزم، وقال في الفتح: وأخرجه المصنف في «الأدب المفرد» (٩٧٠) وأحمد (١٦٠٨٥) والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٣) وقال الهيثمي : فيه عبد الله بن محمد، ضعيف، والحاكم (٣٦٣٨) وقال: صحيح الإسناد، والضياء (١٠) والحديث: حسن.

ناقة الله وبيت الله. ونرد عليهم بما يلي:

١ ـ إنه خلاف إجماع السلف.

٢ ـ خلاف المعقول لأن الكلام صفة المتكلم وليس شيئًا قائمًا بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

٣ ـ إن موسى سمع الله يقول: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾[١] ومحال أن يقول لك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية:

قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله. ونرد عليهم بما يلي:

١ ـ إنه خلاف إجماع السلف.

٢ ـ خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت لا يسمح المعنى القائم بالنفس.

٣ ـ خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

شرح الشيخ ابن عثيمين لما سبق:

ـ قوله «متكلم بكلام قديم» يعني قديم النوع حادث الآحاد، لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

ـ قوله «سمعه موسى من غير واسطة» لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾[٢].

قوله «وسمعه جبريل» لقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣].

---

(١) سورة طه: ١٤.

(٢) سورة طه: ١٣.

(٣) سورة النحل: ١٠٢.

قوله «ومن أذن له من ملائكته ورسله» أما الملائكة فلقوله ﷺ: «**ولكن ربنا إذا قضى أمرًا سبح حمَلَة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم**»(١) ، وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمدًا ﷺ ليلة المعراج.

قوله «وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه» لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك**»(٢) .

قوله «ويأذن لهم فيزورونه» لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم**»(٣) .

قوله «وقال ابن مسعود إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»، وروى ذلك عن النبي ﷺ ، وأثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ ، وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها سمع أهل السموات للسموات صلصلة، وأما المروي عن النبي ﷺ فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا**»(٤) .

وقال في فتح رب البرية بتلخيص الحموية (٥) :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يتكلم، وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له

---

(١) الحديث: رواه مسلم (٢٢٢٩)، ورواه عن ابن عباس أحمد (١٨٨٢)، والترمذي (٣٢٢٤) وقال: حسن صحيح .

(٢) الحديث: رواه البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٨٢٩)، وأحمد (١١٨٥٣)، والترمذي (٢٥٥٥) وقال: حسن صحيح، وابن حبان (٧٤٤٠).

(٣) الحديث ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٤٩) وقال: غريب، وابن ماجه (٤٣٣٦).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٣ / ٥٣٨) ، وابن جرير (٢٢ / ٩١)، وأبو الشيخ (٤٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٢٠٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص / ١٤٤)، وابن أبي عاصم (٥١٥).

(٥) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية [ص / ٦٥ ـ ٦٧].

على الوجه اللائق به.

وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت، كيف شاء، متى شاء، فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه، وصفة فعل باعتبار آحاده.

وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[3] .

ففي الآية الأولى: إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته، وأن آحاده حادثة.

وفي الآية الثانية: دليل على أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف.

وفي الآية الثالثة: دليل على أنه بصوت إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت.

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»[4] .

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنى جميعًا، ليس هو اللفظ وحده أو المعنى وحده. هذا هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى، أما أقوال غيرهم فإليك ملخصها من «مختصر الصواعق المرسلة»:

١ ـ قول الكرامية: وهو كقول أهل السنة، إلا أنهم قالوا: «إنه حادث بعد أن لم يكن»، فرارًا من إثبات حوادث لا أول لها.

٢ ـ قول الكلابية: «إنه معنى قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة والعلم، فلا يتعلق بمشيئته، والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران: ٥٥ .

(٣) سورة مريم: ٥٢ .

(٤) رواه البخاري (٤٧٤١) كتاب التفسير، ١ ـ باب ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ [الحج: ٢]. ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان، ٩٦ ـ باب قوله : يقول الله لآدم: أخرج بعث النار.

بذانه، وهو أربعة معان: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار».

٣ ـ قول الأشعرية: وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:

أحدهما: في معاني الكلام، فالكلابية يقولون: «إنه أربعة معان» والأشعرية يقولون: إنه معنى واحد، فالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، كل واحد منها هو عين الآخر، وليست أنواعًا للكلام، بل صفات له، بل التوراة والإنجيل والقرآن، كل واحد منها عين الآخر ، لا تختلف إلا بالعبارة.

الثاني: أن الكلابية قالوا: «إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله». وأما الأشعرية فقالوا: «إنها عبارة عن كلام الله».

٤ ـ قول السالمية: «إنه صفة قائمة بذاته لازمة لها كلزوم الحياة، والعلم، فلا يتعلق بمشيئته، وهو حروف وأصوات متقارنة لا يسبق بعضها بعضًا، فالباء والسين والميم في البسملة ـ مثلاً ـ كل حرف منها مقارن للآخر في آن واحد، ومع ذلك لم تزل ولا تزال موجودة».

٥ ـ قول الجهمية والمعتزلة: «إنه مخلوق من المخلوقات وليس من صفات الله». ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله، ومنهم من أقر به، وقال: إنه مخلوق.

٦ ـ قول فلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو: «إنه فيض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها، فيوجب لها تصورات وتصديقات، بحسب ما قبلته منه، وهذه التصورات والتصديقات المتخيلة تقوى حتى تصور الشيء المعقول صورًا نورانية تخاطبها بكلام تسمعه الآذان».

٧ ـ قول الاتحادية: «القائلين بوحدة الوجود: إن كل كلام في الوجود كلام الله» كما قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ⁂ سواء علينا نثره ونظامه

وكل هذه الأقوال مخالفة لما دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، ومن رزقه الله علمًا وحكمة فهم ذلك.

الصفة السادسة عشرة : العـين:

صفة ذاتية خبـرية لله ثابتة في كتابه وسنة نبيه ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[١] .

وقوله ﷺ من حديث أنس بن مالك في البخاري: «**إن الله ليس بأعور**»، وأشار بعينيه، وقد جاء لفظ العين على ثلاث هيئات:

الهيئة الأولى: بالإفراد لقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [٢] .

الهيـئـة الثانيـة بالتثنيـة: في قول رسـول الله ﷺ: «**إن الله ليس بأعور**» وأشار بعينيه[٣] .

الهيئة الثالثة بالجمع: في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٤] .

وأهل السنة والجماعة على إثبات عينين ثنتين.

ونثبت العينين على الحقيقة ولا نصرفها عن حقيقتها الظاهرة لنا [٥] .

الصفة السابعة عشرة : الكُـرْه [٦] :

من الصفات الفعلية الثابتة لله في كتابه وسنة نبيه . قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ [٧] .

وفي السنة من حديث المـغيرة بن شعـبة مرفـوعًا: «**إن الله حرم عليكم عـقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات وكره لكم قيل وقال**» [٨] .

ونثبت لله كرهًا يليق بجـلاله بلا كيف ولا صرف عن معناه الحقيـقي كما قالت الأشاعرة والمعتزلة وأهل الكلام ونلزم قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٩] .

---

(١) سورة هود: ٣٧ . (٢) سورة طه: ٣٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك (٧٤٠٧) .

(٤) سورة القمر: ١٤ . (٥) انظر «معجم ألفاظ العقيدة» [ص / ٣٠٤].

(٦) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٣٥٠].

(٧) سورة التوبة: ٤٦ . (٨) الحديث صحيح: وانظر صحيح الجامع [١٧٤٩].

(٩) سورة الشورى: ١١ .

الصفة الثامنة عشرة : الكـف[١] :

صفة من الصفات الذاتية لله الثابتة بالسنة الصحيحة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما تصدق أحـد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا أخذها الرحمن بيمينه فتربو في كف الرحمن**» [٢] .

ومن حديث اختصام الملأ الأعلى «**فرأيته وضع كفه بين كتفي**» [٣] .

الصفة التاسعة عشرة : الكنف [٤] :

صف لله ثابتة بالحديث الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه** »[٥] .

والكنـف في اللغـة الستر، وقال بعـضهم: الرحمـة والبر وقد جـاء في الحديث مفسرًا بالستر ومعناه أن الله يستر عبده عند رؤية الخلق له.

الصفة العشرون : المسـح [٦] :

صفة لله فعلية ثابتة في السنة الصحيحة من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره**» [٧] وفي رواية : «**مسح ظهره بيده**» [٨] .

وهذا المسح يليق بجلاله بلا كيف لقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [٩] .

---

(١) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٣٥٠ ـ ٣٥١] .

(٢) الحديث صحيح : رواه مسلم في صحيحه.

(٣) انظر صحيح الجامع [١٢٣٣] من حديث معاذ.

(٤) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٣٥٤].

(٥) الحديث صحيح : وانظر صحيح الجامع (١٨٩٤).

(٦) انظر معجم ألفاظ العقيدة: [ص / ٣٩٠].

(٧) الحديث صحيح : وانظر صحيح الجامع (٥٢٠٨).

(٨) الحديث في إسناده ضعف لكن له شاهد من حديث أبي هريرة.

(٩) سورة الشورى: ١١ .

الصفة الحادية والعشرون : النظر [١] :

من الصفات الفعلية الثابتة لله في كتابه وسنة نبيه ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[٢] .

ومن السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « **لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطراً** »[٣] ، والنظر له معان كثيرة كما قال شارح الطحاوية «فإن تعدى بنفسه فمعناه التوقف» كقوله تعالى: ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾[٤] وإذا تعدى بـ «في» فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[٥] وإن تعدد بـ «إلى» فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ **انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** ﴾[٦] والنظر يليق بالله بلا كيف.

الصفة الثانية والعشرون : النَّفس[٧]

من الصفات الفعلية الثابتة لله بالسنة الصحيحة من حديث سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه: « **إني أجد نَفس الرحمن من هنا** »[٨] وأدار ظهره إلى اليمين.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في القواعد المثلى: «هذا الحديث على ظاهره ، والنفس فيه اسم مصدر نفس ينفس تنفيساً . . . هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية والقاموس ومقاييس اللغة: قال في مقاييس اللغة: النفس كل شيء يفرج به عن المكروب فيكون تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمين قال شيخ

---

(١) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٤٣١ ـ ٤٣٢].

(٢) سورة آل عمران: ٧٧ .

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (٢٠٨٧).

(٤) سورة الحديد: ١٣ .

(٥) سورة الأعراف: ١٨٥ .

(٦) سورة الأنعام: ٩٩ .

(٧) انظر معجم ألفاظ العقيدة (ص / ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٨) الحديث: رواه الطبراني بسند صحيح، أما الزيادة « **من قبل اليمين** » فهي شاذة، وانظر الضعيفة (٣ / ٢١٧).

الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات».

الصفة الثالثة والعشرون: الإرادة (١):

الإرادة هي صفة من صفات الله وتنقسم إلى قسمين:

أ ـ إرادة كونية: لابد فيها من وقوع المراد وقد يكون المراد فيها محبوبًا أو غير محبوب.

ب ـ إرادة شرعية: فلا يلزم فيها وقوع المراد ولا يكون المراد فيها إلا محبوبًا إلى الله.

والإرادة الكونية هي بمعنى المشيئة والشرعية بمعنى المحبة. فدليل الكونية قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ** ﴾ (٢).

ودليل الشرعية قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ (٣).

الصفة الرابعة والعشرون: التردّد (٤):

صفة فعلية ثابتة لله لحديث أبي هريرة القدسي «**إن الله قال ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته**»(٥). ورأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية كلامًا قيمًا في هذه الصفة في مجموع الفتاوى يقول فيه:

«هذا حديث شريف، قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء وقد ردَّ هذا الكلام طائفة، وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب، وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة المتردد.

---

(١) انظر المرجع السابق [ص / ٢٩].

(٢) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٣) سورة النساء: ٢٧.

(٤) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٩٠ ـ ٩٢].

(٥) انظر صحيح الجامع الصغير ١٧٨٢ ـ الألباني.

والتحقيق: أن كلام رسوله حق، ولا أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بيانًا منه، فإذا كان كذلك، كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوئهم أدبًا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة ، ولكن المتردد منا ، وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور، لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ثم هذا باطل، فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهل منه بالشيء الواحد أذى يحب من وجه ويكره من وجه ، كما قيل:

الشَّيْبُ كُرهٌ وكُرهٌ أن أفارِقَهُ فَاعْجَبْ لَشيء على البغضاء محبوبُ

وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح: «**حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره**»[1] ، وقال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾[2] الآية.

ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث، فإنه قال: «**لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**»[3] ، فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبًا للحق محبّا له، يتقرب إليه أولاً بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق، فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة، بحيث يحب ما يحبه ، ويكره ما يكرهه محبوبه، والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه، فلزم من هذا أن يكره الموت، ليزداد من محاب محبوبه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة البقرة: ٢١٦ .

(٣) انظر صحيح الجامع برقم ١٧٨٢ ـ الألباني، وهو جزء من حديث أبي هريرة في البخاري.

والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت ، فكل ما قضى به ، فهو يريده ولا بدَّ منه، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مراداً للحق من وجه، مكروهًا له من وجه، وإن كان لابد من ترجح أحد الجانبين ، كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته».

ثم قال: «والمقصود هنا: التنبيه على أن الشيء المعين يكون محبوبًا من وجه ومكروهًا من وجه، وأن هذا حقيقة التردد، وكما أن هذا في الأفعال، فهو في الأشخاص، والله أعلم» أ. هـ.

الصفة الخامسة والعشرون : صفة الهرولة (١)

صفة الهرولة على نحو ما جاء فى الحديث القدسي الشريف على ما يليق به ، قال تعالى في الحديث القدسي: « **إذا تقرب إليَّ العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني ماشيا أتيته هرولة** » (٢) .

* * *

(١) انظر اللجنة الدائمة (٦٩٣٢) .

(٢) الحديث متفق عليه : رواه البخارى (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢/ ٢٦٧٥) .

وصف الله بالملل

جـاء في الحديث عن النبي ﷺ قـوله : « **فـإن الله لا يمل حـتى تملوا** » ، فمن العلماء من قال: إنه دليل على إثبات الملل لله ، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق ، وإن ملل المخلوق نقص ، لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء ، أما ملل الله فهو كـمال وليس فيه نقص ، ويجرى هذا كسـائر الصفات التي تثبتـها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالاً .

ومن العلمـاء من يقول : إن قوله : « **لا يمل حتى تملوا** » يراد به بيان أنه مـهما عملت من عمل فإن الله لا يمل من يجازيك عليه ، فاعمل ما بدا لك فإن الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل ، وعلى هذا يكون المراد بالملل لازم الملل .

ومنهم من قال : إن هذا الحديث لا يدل على صـفة الملل لله إطلاقـا ؛ لأن قول القائل : لا أقوم حتى تقوم لا يستلزم قيام الثاني ، وهذا أيضاً « **لا يمل حتى تملوا** » لا يستلزم ثبوت الملل لله عز وجل ، وعلى كل حـال يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى منزه عن كل صفـة نقص من الملل وغيره ، وإذا ثبت أن هـذا الحديث دليل على الملل فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق [١] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى والرسائل (٨٥) لابن عثيمين .

هل يستلزم نزول الله عز وجل أن يخلو العرش منه أم لا؟ [(١)]

أصل هذا السوال تنطع، وإيراده غير مشكور عليه مورده، لأننا نسأل هل أنت أحرص من الصحابة على فهم صفات الله؟ إن قال: نعم، فقد كذب. وإن قال: لا، قلنا: فليسعك ما وسعهم، فهم ما سألوا الرسول ﷺ، وقالوا: يا رسول الله إذا نزل هل يخلو منه العرش؟ ومالك ولهذا السؤال، قال: ينزل وأسكت يخلو منه العرش أو ما يخلو؟ هذا ليس إليك، أنت مأمور بأن تصدق الخبر ولاسيما ما يتعلق بذات الله وصفاته، لأنه أمر فوق العقول، فإذا نقول: هذا السؤال تنطع أصلاً لا يرد، وكل إنسان يريد الأدب كما تأدب الصحابة مع رسول الله ﷺ، فإنه لا يورده، فإذا قدر أن شخصًا ابتلى بأن وجد العلماء بحثوا في هذا واختلفوا فيه، فمنهم من يقول: يخلو، ومنهم من يقول: لا يخلو. ومنهم من توقف فالسبيل الأقوم في هذا: هو التوقف، ثم القول بأنه لا يخلو منه العرش، وأضعف الأقوال القول بأنه يخلو منه العرش، فالتوقف أسلمها، وليس هذا مما يجب علينا القول به، لأن الرسول ﷺ لم يبينه والصحابة لم يستفسروا عنه، ولو كان هذا مما يجب علينا أن نعتقده لبينه الله ورسوله بأي طريق، ونحن نعلم أنه أحيانًا يبين الرسول ﷺ الحق من عنده، وأحيانًا يتوقف فينزل الوحي، وأحيانًا يأتي أعرابي فيسأل عن شيء، وأحيانًا يسأل الصحابة أنفسهم عن الشيء، كل هذا لم يرد في الحديث، فإذا لو توقفنا وقلنا: الله أعلم، فليس علينا سبيل، لأن هذا هو الواقع.

هل إذا نزل تقله السماء [(٢)]؟

هذا لا يكون، لأنك لو قلت: إن السماء تقله لزم أنه يكون محتاجًا إليها، كما تكون أنت محتاجًا إلى السقف إذا أقلك، ومعلوم أن الله غني عن كل شيء، وأن كل شيء محتاج إلى الله، فإذًا نجزم بأن السماء لا تقله، لأنها لو أقلته لكان محتاجًا

(١) انظر مجموع الفتاوى والرسائل (٩٧) للشيخ ابن عثيمين.

(٢) انظر مجموع الفتاوى والرسائل (٩٨) للشيخ ابن عثيمين.

إليها، وهذا مستحيل على الله عز وجل.

هل السماء فما فوقها تكون فوقه إذا نزل إلى السماء الدنيا [١]؟

إذا كنت منبهتًا من هذا فإنما شبهت إذا قست صفات الخالق بصفات المخلوق، صحيح أن المخلوق إذا نزل إلى المصباح صار السطح فوقه وصار سطح المصباح يقله، لكن الخالق لا يمكن أن يقاس بخلقه، فلا تقل: كيف؟ ولم؟

فإن هذان السؤالان: هل السماء تقله؟

لا؛ لأنك إن فرضت هذا لزم أن يكون الله محتاجًا إلى السماء، والله تعالى غني عن كل شيء ،وكل شيء محتاج إليه.

والسؤال الثاني: هل تكون السموات فوقه ما عدا السماء الدنيا؟

الجواب: لا ، لأنك لو فرضت ذلك لزم انتفاء صفة العلو لله مع أن العلو من صفات الله الذاتية التي لا ينفك عنها.

فالسؤال هذا من أصله بدعة كما قال مالك للذي سأله عن الاستواء: كيف استوى؟ قال: السؤال عنه بدعة، يعني : لأنه ما سأل الصحابة عنه، فأنت الآن ابتدعت في دين الله حيث سألت عن أمر ديني ما سأل عنه الصحابة وهم أفضل منك، وأحرص منك على العلم بصفات الله، لكن مع ذلك لو قال: أنا يساورني القلق أخشى أن أعتقد بصفات الله ما لا يجوز، فبينوا لي وأنقذوني، فحينئذ نبين له، لأن الإنسان قد يبتلى بمثل هذه الأمور، ويأتيه الشيطان ويوسوس له، ويقول: كيف؟ كيف؟ حتى يؤدي به إلى أحد محذورين: إما التمثيل، وإما التعطيل ، فإذا جاءنا يسأل ويقول: أنقذوني ما زال هذا يتردد في خاطري ما يكفيني أن تقولوا: بدعة، كيف أذهب ما في خاطري وقلبي؟ نقول: نبين لك من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فالتحريف في النصوص، والتعطيل في المعتقد، والتكييف في الصفة والتمثيل في الصفة أيضًا، إلا أنه أخص من التكييف ، لأنه تكييف مقيد بمماثلة، فيجب أن تبرأ عقيدتنا من هذه المحاذير الأربعة، ويجب على الإنسان أن يمنع

---

(١)انظر مجموع الفتاوى والرسائل (٩٩) للشيخ ابن عثيمين .

نفسه عن السؤال بـ(لم) و(كيف) فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وكذا يمنع نفسه عن التفكير في الكيفية، وهذا الطريق إذا سلكه الإنسان استراح كثيراً ، وهذه حال السلف رحمهم الله، ولهذا جاء رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله قال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [(١)]. كيف استوى؟

فأطرق برأسه وعلته الرحضاء وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا.

وهذا الذي يقول: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليلة، فيلزم من هذا أن يكون كل الليل في السماء الدنيا، لأن الليل يدور على جميع الأرض، فالثلث ينتقل من هذا المكان إلى المكان الآخر.

جوابنا عليه أن نقول : هذا سؤال لم يسأله الصحابة رضوان الله عليهم ولو كان هذا يرد على قلب المؤمن المستسلم لبينه الله ورسوله ﷺ ونقول : ما دام ثلث الليل الأخير في هذه الجهة باقيًا فالنزول فيها محقق، ومتى انتهى الليل انتفى النزول ونحن لا ندرك كيفية نزول الله ولا نحيط به علمًا، ونعلم أنه سبحانه ليس كمثله شيء، وعلينا أن نستسلم وأن نقول : سمعنا، وآمنا، واتبعنا، وأطعنا، وهذه وظيفتنا [(٢)].

* * *

(١) سورة طه: ٥.

(٢) انظر مجموع الفتاوى والرسائل (١٠٢)للشيخ ابن عثيمين.

القرآن كلام الله (١)

مذهب أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به حقيقة ، وألقاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ .

وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة:

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾(٢) . ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٣) . ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (٤) .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ وهو يعرض نفسه على الناس في الموقف: «**ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؛ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل**»(٥) .

وقوله ﷺ للبراء بن عازب: «**إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت**» (٦) .

---

(١) انظر «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» [ص ٦٨ ، ٦٩].

(٢) سورة التوبة: ٦ .

(٣) سورة ص: ٢٩ .

(٤) سورة الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥ .

(٥) رواه أبو داود (٤٧٣٤) كتاب السنة، باب في القرآن، والترمذي (٢٩٢٥) كتاب فضائل القرآن، ٢٤ ـ باب ، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٢٧). وابن ماجه (٢٠١) كتاب المقدمة، ١٣ ـ باب فيما أنكرت الجهمية، وأحمد (٣ / ٣٩٠)؛ والحاكم (٢ / ٦٦٩) وصححه. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦ / ٣٥): رجاله ثقات.

(٦) رواه البخاري (٢٤٧) كتاب الغسل، ٧٥ ـ باب فضل من بات على الوضوء. ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء، ١٧ ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضطجع.

وقال عمرو بن دينار: «أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود» [(١)] . ا هـ.

ومعني قولهم: «منه بدأ»؛ أن الله تكلم به ابتداء ، وفيه رد على الجهمية القائلين: بأنه خلقه في غيره.

وأما قولهم: «وإليه يعود»؛ فيحتمل معنيين:

أحدهما: أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه، بمعنى: أن أحدًا لا يوصف بأنه تكلم به غير الله؛ لأنه هو المتكلم به، والكلام صفة للمتكلم.

الثاني: أنه يرفع إلى الله تعالى كما جاء في بعض الآثار أنه يسري به من المصاحف والصدور، وذلك إنما يقع - والله أعلم - حين يعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضًا كليًا فيرفع عنهم تكريمًا له.

* * *

(١) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (١٠ / ٤٣ ، ٢٠٥)، و«التمهيد» لابن عبد البر (٢٤ / ١٨٦).

في اللفظ والملفوظ [١]

القران كلام الله غير مخلوق، لكن اللفظ بالقرآن هل يصح أن نقول: إنه مخلوق، أو غير مخلوق، أو يجب السكوت؟!.

فالجواب: أن يقال: إن إطلاق القول في هذا نفيًا أو إثباتًا غير صحيح.

وأما عند التفصيل فيقال: إن أُريد باللفظ التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق؛ لأن العبد وفعله مخلوقان، وإن أُريد باللفظ الملفوظ به فهو كلام الله غير مخلوق؛ لأن كلام الله من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

ويشير إلى هذا التفصيل قول الإمام ـ رحمه الله : «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن؛ فهو جهمي».

فقوله: «يريد به القرآن»؛ يدل على أنه إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل الإنسان فليس بجهمي .

والله أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) انظر «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح بن العثيمين سلسلة مؤلفاته ـ رحمه الله (٤) [ص / ٧٠] دار ابن الجوزي.

المعية شبهات وردود[١]

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[٢] .

وقال: ﴿ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[٣] .

والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حقٌّ على حقيقته وظاهره ، ولكن ما حقيقته وظاهره؟

هل يُقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أنْ يكون مختلطًا أو حالاً في أمكنتهم؟

أو يُقال: إنَّ ظاهره وحقيقته أنَّ الله تعالى مع خلقه معية تقْتضي أن يكون محيطًا بهم علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا وسلطانًا وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأوَّل لا يَقْتضيه السياق ولا يدلُّ عليه بوجه من الوُجوه؛ وذلك لأن المعية هنا أُضيفت إلى الله عز وجل وهو أعظم وأجَل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ؛ ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المُصاحبة في المكان، وإنَّما تدلُّ على مُطلق مصاحبة ثم تُفسَّر في كل موضع بحسبه.

وتفسير معية الله تعالى لخلْقِه بما يقتضي الحُلُول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف فما فسَّرها أحد منهم بذلك بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنَّه مُناف لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السَّلف ، وما كان مُنافيًا لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المُنافي، وعلى هذا

---

(١) انظر القواعد المثلى: (٤٨ ـ ٥٤).

(٢) سورة الحديد: ١٤ .

(٣) سورة المجادلة: ٧ .

فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السَّلف.

الثالث: أنَّه مُسْتلزم للوازم باطلة لا تَلِيقُ بالله سُبحانه وتَعالَى.

ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حق قدره وعرف مدْلُول المعية في اللغة العربية التي نَزل بها القرآن أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطًا بهم أو حالاً في أمكنتهم. فضلاً عن أن تستلزم ذلك، ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب جل وعلا.

فإذا تبين بُطلان هذا القول تعيَّن أن يكون الحق هو القول الثاني وهو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا وسلطانًا وغير ذلك ممَّا تقتضيه رُبُوبيته مع علُوِّه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب؛ لأنهما حق، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقًا ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبدًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية[١]: من «مجموع الفتاوى» لابن قاسم: «ثمَّ هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا** ﴾[٢] إلى قوله: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السَّلف: إنه معهم بعلمه. وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾[٣] إلى قوله: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: «**لا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنَا**». كان هذا أيضًا

---

(١) انظر «الفتوى الحموية» (٥ / ١٠٣).

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة المجادلة: ٧.

حقًا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد».

ثم قال: «فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسُّنَّة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإمَّا أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدرٍ مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرَّب عز وجل مختلطة بالخلق حتَّى يُقال: قد صُرِفت عن ظاهرها». ا هـ.

ويدلُّ على أنَّه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عزَّ وجل مختلطة بالخلق أن الله تعالى ذكرها في آية «المجادلة» بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، لا أنه سبحانه مختلطٌ بهم ولا أنَّه معهم في الأرض.

أما في آية «الحديد» فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علُوه عليهم واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضًا لأولها الدَّال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم ، ويسمع

(١) سورة المجادلة: ٧ .

(٢) سورة الحديد: ٤ .

أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم، فيحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه، لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: [(١)] من «مجموع الفتاوى» لابن قاسم في فصل الكلام على المعية: «وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سُبحانه من أنَّه فوق العرْش وأنَّه مَعَنا حقٌّ على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يُصان عن الظُّنون الكاذبة». ا هـ.

وقال في الفتوى الحموية: [(٢)] من المجموع المذكور: «وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصُل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته، ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسُّنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [(٣)] وقوله ﷺ: **«إذَا قَام أحَدُكُمْ إلى الصلاة فإن الله قبل وجْهه»** [(٤)] ونحو ذلك؛ فإن هذا غلط، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [(٥)].

فأخبر أنَّه فوق العرش يعْلَمُ كل شيء وهو معنا أيْنما كُنَّا، كما قال النَّبي ﷺ في

---

(١) وانظر العقيدة الواسطية (٣ / ١٤٢).

(٢) انظر الفتوى الحموية (٥ / ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٣) سورة الحديد: ٤.

(٤) البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) سورة الحديد: ٤.

حديث الأوعال: «**والله فوق العَرْش وهوَ يعلَمُ ما أنتم عليه**»(١) ا هـ.

واعلم أنَّ تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يُناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه، وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك؛ لقوله تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾(٢).

فإذا لم يتبين لك فعليك بطريق الرَّاسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ **آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾(٣).

وَكِلِ الأمر إلى مُنْزله الَّذي يعْلَمُه، واعلم أن القُصُور في علْمِك أو في فهْمِك، وأن القرآن لا تنَاقُض فيه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: «كما جمع الله بينهما».

وكذلك ابن القيم كما في «مختصر الصواعق»:(٤) في سياق كلامه على المثال التَّاسع مما قيل إنَّه مجاز قال: «وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستويًا على عرشه، وقرَن بين الأمرين كما قال تعالى ـ وذكر آية سورة «الحديد» ثمَّ قال: «فأخبر أنَّه خلق السَّموات والأرض وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يُبْصِر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه**» فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق» أ هـ.

الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يُناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في

---

(١) أخرجه أحمد (١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧)، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (٩٣).

(٢) سورة النساء: ٨٢ .

(٣) سورة آل عمران: ٧ .

(٤) انظر مختصر الصواعق ـ لابن الموصلي (ص / ٤١٠) ط/ الإمام.

حق المخلوق ، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا. ولا يعد ذلك تناقضًا، ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكنًا في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى؛ وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوى الحموية»(١) حيث قال: «وذلك أنَّ كلمة (مع) في اللغة إذا أُطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسَّة أو مُحاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قُيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا.

ويقال : هذا المتاع معي، لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك؛ فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة». ا هـ.

وصدق رحمه الله تعالى، فإنَّ من كان عالمًا بك مطلعًا عليك ، مهيمنًا عليك، يسمع ما تقول ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك ، فهو معك حقيقة وإن كان فوق عرشه حقيقة؛ لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعيَّة والعلو في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعًا في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما؛ لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢) .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»(٣) حيث قال: «وما ذُكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نُعوته، وهو عليٌّ في دنوه قريبٌ في علُوه». ا هـ.

تتمة: انقسم الناس في معيَّة الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:

---

(١) انظر الفتوى الحموية: (٥ / ١٠٣) من مجموع الفتاوى.

(٢) سورة الشورى: ١١ .

(٣) انظر العقيدة الواسطية (٣ / ٤٣) من مجموع الفتاوى.

القسم الأول يقولون: «إن معـيَّة الله تعالى لخلقه مـقتضـاها العلم والإحاطة في المعية العـامَّة، ومع النصر والتَّأييد في المـعية الخاصة، مع ثبـوت عُلُوه بذاته واستوائه على عرشه».

وهؤلاء هم السَّلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره.

القسم الثاني يقولون: «إنَّ معيَّـة الله لخلقه مقتضـاها أن يكون معهم في الأرض مع نفي علوه واستوائه على عرشه».

وهؤلاء هم الحلولية من قـدماء الجهـمية وغـيرهم، ومذهبهـم باطل مُنكرٌ أجمع السلف على بُطلانه وإنكاره كما سبق.

القسم الثالث يقولون: «إنَّ معيَّة الله لخلقه مقـتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبـوت علوه فـوق عرشـه» ذكـر هـذا شيخ الإسـلام ابن تيمـية في «مـجمـوع الفتاوى» [(١)].

وقد زعم هؤلاء أنَّهم أخذوا بظاهر النُّصـوص في المعيَّة والعلو، وكذبوا في ذلك فضَلُّوا، فإن نصُوص المعيَّة لا تقتضي ما ادَّعوه من الحلول؛ لأنَّه باطل، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً.

تنبيه: اعلم أن تفسير السَّلـف لمعية الله تعالى لخلقه بأنَّه معهـم بعِلْمه لا يقتضي الاقتصار على العلم، بل المعـيَّة تقتضي أيضًا إحاطته بهم سمـعًا وبصراً وقدرة وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

* * *

(١) انظره (٥ / ٢٢٩).

الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء

نقول في مثل هذا الأمور : إننا قد ندرك حكمتها وقد لا ندرك ، فإن كثيراً من الأشياء لا نعلم حكمتها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (١) ، فإن هذه المخلوقات لو سألنا سائل : ما الحكمة أن الله جعل الإبل على هذا الوجه ؟ وجعل الخيل على هذا الوجه ؟ وجعل الحمير على هذا الوجه ؟ وجعل الآدمي على هذا الوجه ؟ وما أشبه ذلك ولو سئلنا عن الحكمة في هذه الأمور ما علمناها ؟

ولو سئلنا ما الحكمة في أن الله عز وجل جعل صلاة الظهر أربعًا ، وصلاة العصر أربعاً ، وصلاة المغرب ثلاثاً ، وصلاة العشاء أربعاً ، وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعلم الحكمة في ذلك ، وبهذا علمنا أن كثيراً من الأمور الكونية ، وكثيراً من الأمور الشرعية تخفى علينا حكمتها ، وإذا كان كذلك فإنا نقول : إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء المخلوقة أو المشروعة : أن من الله علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم ، وإن لم نصل إليها فإن ذلك لا ينقصنا شيئا .

ثم نعود إلى جواب السؤال وهو ما الحكمة في أن الله عز وجل وكل بنا كراماً كاتبين يعلمون ما نفعل ؟

فالحكمة من ذلك بيان أن الله سبحانه وتعالى نظم الأشياء وقدرها ، وأحكمها إحكاماً متقناً ، حتى أنه سبحانه وتعالى جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كراماً كاتبين موكلين بهم يكتبون ما يفعلون ، مع أنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه ، ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله عز وجل بالإنسان ، وكما حفظه تبارك وتعالى ، وأن هذا الكون منظم أحسن نظام ومحكم أحسن إحكام ، والله عليم حكيم (٢).

---

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .

(٢) مجموع الفتاوى والرسائل (٨٩) لابن عثيمين .

الجمع بين قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[البقرة: ٢٥٣] ، وقوله : ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [آل عمران : ٨٤]

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (١) كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (٢) ، فالأنبياء والرسل لا شك أن بعضهم أفضل من بعض فالرسل أفضل من الأنبياء، وأولو العزم من الرسل أفضل ممن سواهم ، وأولو العزم من الرسل هم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى في آيتين من القرآن إحداهما في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٣) محمد عليه الصلاة والسلام ، ونوح ، وإبراهيم، وموسى ، وعيسى بن مريم .

والآية الثانية في سورة الشورى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ (٤) . فهؤلاء خمسة وهم أفضل ممن سواهم .

وأما قوله تعالى عن المؤمنين : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (٥) ، فالمعنى لا نفرق بينهم في الإيمان ، بل نؤمن أن كلهم رسل من عند الله حقاً وأنهم ما كذبوا فهم صادقون مصدقون وهذا معنى قوله : ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ ، أي : في الإيمان ، بل نؤمن أن كلهم عليهم الصلاة والسلام رسل من عند الله حقا لكن في الإيمان المتضمن للاتباع ، هذا يكون لمن بعد الرسول ﷺ خاص بالرسول ﷺ لأنه ﷺ هو المتبع ، لأن شريعته نسخت ما سواها من الشرائع ، وبهذا تعلم أن الإيمان يكون للجميع كلهم نؤمن بهم وأنهم رسل الله حقاً ، وأن شريعته التي جاء بها حق ، وأما بعد أن بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإن جميع

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٣.
(٢) سورة الإسراء: ٥٥ .
(٣) سورة الأحزاب : ٧ .
(٤) سورة الشورى : ١٣ .
(٥) سورة البقرة : ٢٨٥.

الأديان السابقة نسخت شريعته ﷺ، وصار الواجب على جميع الناس أن ينصروا محمداً ﷺ وحده ، ولقد نسخ الله تعالى بحكمته جميع الأديان سوى دين الرسول ﷺ ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) ، فكانت الأديان سوى دين الرسول عليه الصلاة والسلام كلها منسوخة ، لكن الإيمان بالرسل وأنهم حق هذا أمر لابد منه(٢) .

* * *

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى والرسائل (١٣٤) لابن عثيمين .

معتقد أهل السنة في الحديث القدسي

«يا ابن آدم مرضت فلم تعدني...»

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟! يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي»** [(١)].

والجواب: أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به، فقوله تعالى في الحديث القدسي: «مرضت» ، و«استطعمتك» و« استسقيتك» بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان، وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، وهو أعلم بمراده ، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأن ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء ، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولا للترغيب والحث كقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي

---

(١) الحديث صحيح : رواه مسلم (٤٣/ ٢٥٦٩) عن أبي هريرة.

يُقْرِضُ اللَّهَ﴾[١] وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسول الله ﷺ ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربون. إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون، لبينه الله تعالى ورسوله ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله كما زعموا - لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث ، ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعًا على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال[٢] .

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الحديد: ١١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى والرسائل (٣/ ٣٣٣) للشيخ ابن عثيمين.

معتقد أهل السنة في الحديث القدسي
«..وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...»

قال تعالى في الحديث القدسي: **«وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»** (١).

قد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته.

ولكن ما ظاهر هذا الحديث ؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولى وبصره ويده ورجله؟

أو يقال : إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولى في سمعه وبصره ويده ورجله، بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الوجه الأول: أن الله تعالى قال: **« وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، وقال: ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»**.

فأثبت عبدًا ومعبودًا ومتقربًا ومتقربًا إليه، ومحبّا ومحبوبًا، وسائلاً ومسؤولاً، ومعطيًا ومعطي، ومستعيذًا ومستعاذًا به، ومعيذًا ومعاذًا، فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر، وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفًا في الآخر أو جزءًا من أجزائه.

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في

---

(١) الحديث صحيح : رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة.

مخلوق حادث بعد أن لم يكن ، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعًا وبصرًا ويدًا ورجلاً لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به، ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال : إنه ظاهر الحديث القدسي، وإنه قد صرف عن هذا الظاهر، سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناع تعين القول الثاني ، وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصًا، وبالله تعالى استعانة ، وفي الله تعالى شرعًا واتباعًا ، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة هذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه، وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة [١].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر مجموع الفتاوى والرسائل (٣/ ٣٢٦) للشيخ ابن عثيمين.

القول في القرآن الكريم [1]

القرآن الكريم من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه. دليل أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[2] يعني القرآن، ودليل أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾[3] ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[4] فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[5].

ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

دليل أنه منه بدأ: أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئًا.

ودليل أنه يعود: أنه ورد في بعض الآثار أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان.

القرآن حروف وكلمات:

القرآن حروف وكلمات وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ لذلك أدلة ثمانية:

١ ـ أن الكفار قالوا: إنه شِعْرٌ ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

٢ ـ أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفًا وكلمات لكن التحدي غير مقبول إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

---

(١) انظر الإنصاف ـ للمؤلف (ص / ٤٠ ـ ٤٢)، ولمعة الاعتقاد [ص / ٨١ ـ ٨٣].

(٢) سورة التوبة: ٦ .

(٣) سورة الفرقان: ١ .

(٤) سورة الأعراف: ٥٤ .

(٥) سورة الشورى: ٥٢ .

٣ ـ أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[(١)] ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

٤ ـ أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[(٢)] ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[(٣)] ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات.

٥ ـ قول النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة**»[(٤)].

٦ ـ قول أبو بكر وعمر: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

٧ ـ قول علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

٨ ـ إجماع المسلمين ـ كما نقله المؤلف ـ على أن من جحد منه سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه فهو كافر.

وعدد سور القرآن ١١٤ منها ٢٩ افتتحت بالحروف المقطعة.

* * *

(١) سورة يونس: ١٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٣) سورة الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) صححه المؤلف، ولم يعزه ولم أجد من خرجه.

دليل إعجاز القرآن(*)

الدليل على ذلك نزوله في أكثر من عشرين سنة متحديًا به أفصح الخلق وأقدرها على الكلام وأبلغها منطقًا وأعلاها بيانًا. قائلاً: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[(١)] ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[(٢)] ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[(٣)] فلم يفعلوا ولم يرو ذلك مع شدة حرصهم على رده بكل ممكن مع كون حروفه وكلماته من جنس كلامهم الذي به يتحاورون وفي مجاله يتسابقون ويتفاخرون ثم نادى عليهم ببيان عجزهم وظهور إعجازهم ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[(٤)].

وقال ﷺ: **«ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما على مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»**[(٥)].

وقد صنف الناس في وجوه إعجاز القرآن من جهة الألفاظ والمعاني والأخبار الماضية والآتية من المغيبات وما بلغوا من ذلك إلا كما يأخذ العصفور بمنقاره من البحر.

* * *

(*) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب) بتحقيقي فيما نقلته من المصدر.

(١) سورة الطور: ٣٤.

(٢) سورة هود: ١٣.

(٣) سورة يونس: ٣٨.

(٤) سورة الإسراء: ٨٨.

(٥) الحديث رواه البخاري (٤٦٩٦)، ومسلم (١٥٢)، وأحمد (٨٤٧٢).

الإحكـــام [١]

آيات الله عز وجل في كتـابه العزيز على ضربين أحدهما محكم والآخـر متشابه كما جـاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [٢] ، والمراد بالإحكام هنا أي إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه.

وأهل السنة والجمـاعة أهل الحق يعتـقدون أن آيات الصفـات كلها من المحكم لا اختلاف فيها ، على العكس من النفـاة والمعطلة والمؤولة الذين يقولون إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

والمحكم لغـة مـأخوذ من حكمت الدابـة بمعنى منعت، والحكم هو الفـصل بين شيـئين، فالحاكم يمنع الظالم ويفصـل بين الخصمين ويميز بين الحق والبـاطل والصدق والكذب، ويقـال حكمت السـفيـه وأحكمتـه إذا أخـذت على يده، وحكمت الدابة وأحكمتها إذا جعلت لها حكمة وفسرت الحكمة بقوله: «ما أحاط بالحنك من اللجام» لأنها تمـنع الفرس عن الاضطراب ومنه الحكمـة لأنها تمنع صـاحبـها عمـا لا يليق. وإحكام الشيء إتقانه، والمحكم المتقن، فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره والرشـد من الغي في أوامره، والمحكم منه ما كان كـذلك، وقد سمى الله القرآن حكيمًا كـما في آية يونس ، فالقرآن كله محكم أي أنه كلام متـقن فصيح يميز بين الحق والباطل والصدق والكذب وهذا هو الإحكام العام.

وهناك إحكام خـاص، وهو الفصل بين المتـشابهين، أمـا الوجه الذي تحـصل به المخالفة فهو الفـارق المميز، فأسماء الله وصفاته تتفق مـع أسماء المخلوقين وصفاتهم في اللفظ وفي المعنى الكلي المشترك [٣].

---

(١) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٢٥ ـ ٢٦] .

(٢) سورة آل عمران: ٣ .

(٣) التحفة المهدية، فالح بن مهدي / ٢٤٣ ـ ٢٤٦ .

حكم من قال بخلق القرآن الكريم [(١)]

القرآن الكريم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم الله به قولاً وأنزله على نبيه وحيًا، وآمن به المؤمنون حقًا، فهو وإن خُطَّ بالبنان وتُلِيَ باللسان وحُفِظَ بالجنان وسُمِعَ بالآذان وأبصرته العينان، لا يُخْرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن، فالأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة والمكتوب بها غير مخلوق، والألسن والأصوات مخلوقة والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة والمسموع غير مخلوق.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴾[(٣)] .

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [(٤)] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [(٥)] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف [(٦)].

والنصوص في ذلك لا تحصى.

ومن قال: القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر كفرًا أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية، لأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود وكلامه صفته، ومن قال شيئًا من صفات الله مخلوق فهو كافر مرتد يعرض عليه الرجوع إلى الإسلام، فإن رجع وإلا قتل كفرًا. ليس له شيء من أحكام المسلمين.

---

(١) انظر (٢٠٠ سؤال وجواب) بتحقيقي فيما نقلته من المصدر.

(٢) سورة الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨ .

(٣) سورة العنكبوت: ٤٩ .

(٤) سورة الكهف: ٢٧ .

(٥) سورة التوبة: ٦ .

(٦) انظر «كنز العمال» (٤١٣٦)، وعبد الرزاق (٥٩٧٩)، والطبراني (٨٦٨٧)، وقال الهيثمي (٧ / ١٦٥): رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي كريم وهو ضعيف.

إثبات العلم لله وإحاطته بكل شيء [١]

يجب إثبات العلم لله ـ جل وعلا ـ وإحاطته بكل شيء، فهو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وعلمه لا بداية له ولا نهاية له، علمه كسائر الصفات، ثابت له في الأزل؛ فكما أن الله لا بداية له فكذلك لا بداية لأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

وكما أن الله لا نهاية له فكذلك لا نهاية لأسمائه وصفاته وأفعاله ـ جل وعلا؛ فهو بأسمائه وصفاته الأول بلا بداية، وهو بأسمائه وصفاته الآخر بلا نهاية، كما قال ﷺ: **«أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»**.

قوله: **(والإيمان بأن الله تعالى قد علم ما كان من أول الدهر، وما لم يكن، وما هو كائن، أحصاه وعده عدًا)** الله علم ما كان ومضى في الزمان السابق، ويعلم ما يكون في المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله محيط عمله بكل شيء، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [٢].

علم الله أنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهو عنه، أي: لو ردوا إلى الدنيا فإنهم سيعودون للكفر، مع أن عودهم إلى الدنيا لن يكون أبدًا.

قوله: **(ومن قال إنه لا يعلم إلا ما كان، وما هو كائن؛ فقد كفر بالله العظيم)** من قصر علم الله على الحوادث التي تقع فقط ولا يعلم ما هو كائن قبل وقوعه فقد كفر بالله؛ لأنه جحد علم الله ـ جل وعلا ـ وجحد إحاطة علم الله ـ جل وعلا ـ وأثبت لله علمًا ناقصًا، فهو يكفر بهذا، فعلم الله لا يحد أما علم المخلوق فإنه محدود مهما

---

(١) انظر «شرح السنة» (ص/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) سورة الأنعام: ٢٨.

بلغ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (١) وأمر رسوله ﷺ أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٢) فالذي يحد علم الله، ويقول: يعلم كذا، ولا يعلم كذا؛ كافر بالله لأنه تنقصه وجحد عموم علمه بكل شيء.

* * *

(١) سورة يوسف: ٧٦.

(٢) سورة طه: ١١٤.

رؤية الله تعالى

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن**»(١) .

قال أهل العلم: فدل هذا على استحالة رؤية الله في الدنيا.

روى النسائي من حديث عبادة بن الصامت «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»(٢) .

وبلفظ: «**وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» (٣) .

قال تعالى: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (٤) .

قال ابن عباس: لا تدركه في الدنيا وهو يرى في الآخرة.

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن رؤيته تعالى ممكنة وغير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا على وقوعها في الآخرة ، وأما رؤيته في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف وغيرهم على أنها لا تقع في الدنيا (٥).

قال ابن حجر: دل سياق الحديث أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة أما رؤية النبي ﷺ فلذلك دليل آخر(٦) .

---

(١) رواه البخاري (٤٨٨٧ ، ٤٨٨٨)، ومسلم (١٨٠) .

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٧٧٦٤) (٤ / ٤١٩) والطبراني في البسنة عن أبي أمامة برقم (٢٩٠٦).

(٣) أخرجه أحمد (٥ / ٣٢٤) رقم (٢٢٨١٦)، وأبو داود (٤ / ١١٦) ، برقم (٤٣٢٠)، ونعيم بن حماد (٢ / ٥١٩) برقم (١٤٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٢١).

(٤) سورة الأنعام: ١٠٣ .

(٥) النووي في شرحه على مسلم.

(٦) ابن حجر في الفتح ١ / ١٤٧ .

والصـــواب الذي عليـه أهـل العلم أنه لم ير ربه فـي الدنيـا في أرجـح أقـوال العلماء[١] .

ورؤية الله تعـالى في الدنـيا ممكـنة، ولكن الجـمـهور من الـسلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على أنها لا تقع في الدنيا[٢] .

والتـحقيـق أنه ﷺ لم يره، وأن رؤيته في الدنيـا وإن كانت غـير ممتنعـة إلا أنه اقتضت حكمته أن تكون يوم القيامة في دار الجزاء كما قال ﷺ: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» [٣] .

وأما رؤية الـله في الدنيا فـهي جائزة ولكن غـير واقـعة لأن البـشر لا يطيـقون بضعفهم [٤] .

وأما من يدعي رؤية الله تـعالى في الدنيا يقظة فـهو من الكاذبين الدجالين كـما يدعي كثير من الصوفية [٥] .

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيـا بعينيه ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ منهم من نفى، ومنهم من أثبت، وحكى اختلافهم القاضي عياض.

وأن قوله: «**نور أنى أراه**» فهذا صريح في نفي الرؤية [٦] .

والقول الصـواب في المسألة والراجح من هذه الأقـوال: أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه. هذا هو الصواب. وكون القاضي والقرطبي وما تبين لهما فهذا يدل على

---

(١) التنبيه على المخالفات العقدية ١ / ١٣ .

(٢) عمدة القاري شـرح صحيح البخاري للعيني باب «إن الله لا يظـلم الناس مثقال ذرة» ٢٧ / ٨٧ .

(٣) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي للعباد ١ / ٢٦٩ .

(٤) الرد القويم البالغ على الخليلي الإباضي ١ / ٢٣٧ .

(٥) اعتقـاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث بـاب سؤال منكر ونكير (١ / ١٥٤) محمـد عبد الرحمن الخميس.

(٦) بن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية باب الرؤية حق لأهل الجنة.

تفاوت الناس في الأفهام فلا يمكن لأحد أن يرى الله في الدنيا [١] .

نقل الشيخ الفوزان رأي الجمهور في أن النبي ﷺ لم ير ربه [٢] .

قال الشيخ ناصر الدين الألباني: قلت: وأما رؤيته في الدنيا فقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن أحدًا منا لا يراه حتى يموت. رواه مسلم.

وأما هو نفسه فلم يرد في إثباتها ما تقوم به الحجة، بل قد صح عنه الإشارة إلى نفيها حين سئل عنها بقوله : «**نور أنى أراه**» ومع ذلك جزمت السيدة عائشة كما في الصحيحين نفيها، وهذا هو الأصل فينبغي التمسك به[٣] .

قال العلامة ابن مانع: وأما رؤيته في الدنيا فإنه لا يراه أحد من عباده، وذلك أن النبي ﷺ لما سئل هل رأيت ربك ، قال: «**نور أنى أراه**»، أي حالت بيني وبين رؤيته الأنوار . وقالت عائشة : من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب[٤] .

قال الفوزان: ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبياء ولا غيرهم، وسؤال موسى ربه دليل على جواز الرؤية وإمكانها ، لأن موسى لا يسأل ربه شيئًا لا يجوز وإنما سأله شيئًا يجوز ولكن لا يكون في الدنيا فالله قال: لن تراني ولم يقل إني لا أرى[٥] .

قال الشيخ ابن عثيمين: رؤية الله في الدنيا مستحيلة لقوله لموسى وقد طلب الرؤية لن تراني [٦] .

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي باب الرؤية حق لأهل الجنة.

(٢) شرح الطحاوية للفوزان (١٦ / ٦٨).

(٣) التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية جمع أحمد بن يحيى الزهران (١ / ٦٢) باب الرؤية حق لأهل الجنة.

(٤) التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية جمع أحمد بن يحيى الزهران (١ / ٦٢) باب الرؤية حق لأهل الجنة.

(٥) التعليقات المختصرة على الطحاوية للفوزان باب الرؤية حق لأهل الجنة.

(٦) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة ص ٤٨ طبعة دار الآثار .

وسئل الشيخ ابن عثيمين عما جاء في شرح لمعة الاعتقاد من قول فضيلته رؤية الله في الدنيا مستحيلة . وقد ذكر الشنقيطي ـ رحمه الله ـ أن رؤيته بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة وأما شرعًا فهي جائزة وواقعة في الآخرة؟ وأما الدنيا فممنوعة شرعًا فنرجو توضيح ذلك؟

فأجاب الشيخ: ما ذكرته في شرح لمعة الاعتقاد لا ينافي ما ذكره الشيخ الشنقيطي وغيره من أن رؤية الله في الدنيا ممكنة فإن قولي مستحيل أي بحسب خبر الله أنه لن يراه، إذ لا يمكن أن يتخلف مدلول خبره، وقد جاءت بمثل ذلك السنة حيث قال النبي ﷺ : «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» (١) .

ثم اعلم أن المستحيل على نوعين:

أحدهما: مستحيل لكونه لا يليق بجلاله كالجهل والعجز، فهذا لا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره.

الثاني: مستحيل بالنسبة لغيره لكمال صفات الله كرؤية الإنسان ربه في الدنيا، فإن هذا مستحيل لكون البشر لا يطيق أن يري الله لنقص حياة البشر حينئذ. ولذلك تكون الرؤية ممكنة يوم القيامة لأن حياة البشر حينذاك أكمل وعلى كل حال فقد دلت النصوص وإجماع السلف على أن الله تعالى لم يره أحد في الدنيا يقظة. والله أعلم(٢) .

هل يرى الله في الدنيا؟

الجواب: عقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من النصوص الشرعية أن محمدًا ﷺ لما أسري به وعرج به لم ير ربه بعينيه لقوله: «**نور أنى أراه**» وقوله «**رأيت نورًا**» أخرجهما مسلم ، ولقوله: «**واعلم أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت** » أخرجه مسلم(٣) .

(١) أخرجه مسلم.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين، قسم العقيدة، باب الرؤية (١ / ٢١).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة رقم الفتوى (٢٤٥٠)، (٣ / ٢٧١)، برئاسة ابن باز ونائبه العفيفي وعضوية الغديان وابن قعود.

هل تصح رؤية الله في الدنيا؟

الجــــواب:

هذه من المسائل المبنيــة على التوقيف، فلا يصح أن تثبت لأحد إلا بدليل يصح الإسناد إليــه، وقد دل القــرآن على أن موسى لم يــر ربه، فإنه لما طلب الرؤية أجــابه بقوله «**لن تراني**»، ودلت السنة على أن النبي ﷺ لم يره بعينيه ففي صحيح مسلم عن مسروق : «كنت متكئًا عند عائشــة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرْية قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت يا أم المؤمنين: أنظريني ولا تعــجلي علي ألم يقل الله ﴿ **وَلَقَــدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُــبِينِ** ﴾[1] وقال: ﴿ **وَلَقَـدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾[2] فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت النبي عن ذلك فقال: « **إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء، سادًا عظم خلقه مـا بين السماء والأرض** »، فقالت: ألم تســمع أن الله يقول: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾[3] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾[4] [5] .

ولذا من ادعى رؤية الله في الدنيــا بعيني رأســه فدعواه باطلة باتفــاق أهل السنة والجماعة وهو ضال[6] .

والذي عليه أكــثر أهل السنة والحديث إثبات رؤية النبي ﷺ لربه، لكــن اختلفوا هل يقال: رآه بعيني رأسه أو يقال بقلبه، أو يسكت فلا يقال بهذه أو تلك[7] .

---

(١) سورة التكوير: ٢٣ .

(٢) سورة النجم: ١٣ .

(٣) سورة الأنعام: ١٠٣ .

(٤) سورة الشورى: ٥١

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة برقم (١٦١٩)، (٣ / ٢٧٢).

(٦) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها الأولى.

(٧) فوائد للراجحي.

وأما رؤية الله في الدنيا فإنها جائزة عقلاً، غير واقعة شرعًا لقوله: «**تعلمون أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت** » [(١)]وليس في هذا خلاف بين أهل السنة إلا ما روي أن النبي ﷺرأى ربه ليلة المعراج، والصحيح أن النبي ﷺرأى نورًا وهو الحجاب [(٢)].

هل رؤية الله في المنام جائزة؟

الجواب:

الحمد لله، رؤية الله في الدنيا يقظة غير ممكنة والدليل أن موسى لما سأل ربه وهو أفضل الرسل وأحد أولى العزم الخمسة قال له: «لن تراني» اندك الجبل أمام موسى وهو يشاهد، وخر موسى صعقًا لأنه شاهد شيئًا لا تتحمله نفسه، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، فتاب إلى الله من السؤال ، لأنه سؤال ما لا يمكن فرؤية الله في الدنيا حال اليقظة لا يمكن حتى النبي ﷺليلة المعراج لم ير ربه «**نور أنى أراه**» وقد جاء في الحديث الصحيح أن الله محتجب بالنور « **حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» وعلى هذا نقول: لا يمكن رؤية الله في الدنيا في اليقظة.

وأما في الدنيا:فإن النبي ﷺرأى ربه في المنام، لكن هل غيره يمكن أن يراه، يذكر أن الإمام أحمد رأى ربه، وذكر بعض العلماء أن ذلك ممكن، فالله أعلم، لكن أخشى إن فتح الباب تدخل علينا شيوخ الصوفية وغيرهم فيقول أحدهم: رأيت ربي البارحة ، وجلست أنا وإياه، وتناقشنا ، ثم يجيء من هذه الخزعبلات التي لا أصل لها فأرى أن سد هذا الباب هو الأولى [(٣)].

---

(١) الترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) مركز الفتوى بإشراف د/ عبد الله الفقيه رقم الفتوى (٢٤٢٦).

(٣) ابن عثيمين لقاءات الباب المفتوح (٣ / ٤٢٨).

وقال في موارد الاجتهاد في قضية الإيمان:

الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وأن أحداً لن يرى ربه بعينه في هذه الحياة الدنيا(١) .

أما رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بأبصارهم، فقد تواترت بها النصوص التي تلقاها السلف والأئمة بالقبول، واتفق على القول بموجبها عامة أهل السنة والجماعة. نذكر من هذه النصوص.

عن أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**إنكم ترونه يوم القيامة كذلك**»(٢) .

وحديث: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**» (٣) .

يقول أحمد بن حنبل: (ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك وأُحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها وألا يرد منها جزءاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات) (٤) .

ويقول الطبري ـ رحمه الله ـ: (وأما الصواب من القول لدينا، في رؤية المؤمنين

---

(١) انظر الثوابت والمتغيرات (ص / ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) فتح الباري: ١١ / ٤٤٥ .

(٣) رواه مسلم، (٢٩٦) .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي: ١ / ١٥٧ .

ربهم يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به ، وأدركنا عـليه أهل السنة والجماعة، فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ)[١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذه الأحاديث وغيرها في الصحاح، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول، واتفق عليها أهل السنة والجماعة، وإنما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتـزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله ورؤيته وغير ذلك، وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة)[٢] .

وأما أن أحدًا لن يرى ربه بعـينيه في الدنيا حتى يموت، فلِـمَا صح في قوله ﷺ في حديث النواس بن سمعان: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**»[٣] .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع المسلمين على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينيه في الأرض، وأن من زعم أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة بالاتفاق.

ويقول ـ رحمـه الله ـ : (وقد اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ لم ير ربه بـعينيه في الأرض، وأن الله لم ينزل إلى الأرض)[٤] .

ويقـول: (وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعـينيه قـبل الموت، فدعـواه باطلة باتفاق أهل السنة والجمـاعة؛ لأنهم اتفقوا جميـعهم على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت ذلك في صحـيح مسلم، عن النواس بن سمعان، عن النبي ﷺ أنه لما ذكـر الدجال قـال: «**واعلمـوا أن أحـدًا منكم لن يرى ربه حـتى يموت**»[٥] .

❊ ❊ ❊

(١) المرجع السابق: ١ / ١٨٥ .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٣ / ٣٩١ .
(٣) سبق تخريجه.
(٤) المرجع السابق: ٣ / ٣٨٧ .
(٥) المرجع السابق: ٣ / ٣٨٩ .

رؤية المؤمنين لربهم عيانًا بأبصارهم يوم القيامة [(١)]

قال في شرح السنة:

ومن مسائل العقيدة المهمة العظيمة: إثبات أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحابٌ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، التي تواترت في إثبات المؤمنين رؤية ربهم، وقد ساق الإمام ابن القيم في «حادي الأرواح» الأحاديث الواردة في هذا، وتوسع في ذلك بأسانيدها، وهي متواترة في إثبات أن المؤمنين يرون ربهم عيانًا بأبصارهم.

وخالف في ذلك أهل الضلال من الفرق الضالة كالمعتزلة ومن ذهب مذهبهم، فنفوا الرؤية، وهي مذكورة في القرآن، وقال تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ [(٢)] جاء في «صحيح مسلم» [(٣)]: أن الزيادة هي: النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿ **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ [(٤)] والمزيد هو: النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وجاء في سورة القيامة: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [(٥)] ناضرة بالضاد من النضرة، وهي البهاء، ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾ [(٦)] ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [(٧)] بالظاء، أي: بأبصارها تنظر إلى الله ـ جل وعلا ـ

---

(١) انظر «شرح السنة» لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، شرح الشيخ / الفوزان [ص / ٧٢ ـ ٧٥] ـ دار ابن حزم ـ القاهرة.

(٢) سورة يونس: ٢٦ .

(٣) الحديث: رواه مسلم في صحيحه (١٨١).

(٤) سورة ق: ٣٥ .

(٥) سورة القيامة: ٢٢ ـ ٢٣ .

(٦) سورة المطففين: ٢٤ .

(٧) سورة القيامة: ٢٣ .

يتنعمون بذلك أشد مما يتنعمون بنعيم الجنة، هذا في القرآن الكريم، في سورة المطففين قال في الكفار: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[١] محجوبون عن رؤية الله ، فهذا دليل على أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل، وذلك لأن المؤمنين آمنوا به في الدنيا ولم يروه، بل اعتمدوا على البراهين فآمنوا به، وصدقوا رسله، فآمنوا به ولم يروه في الدنيا؛ فأكرمهم الله في الجنة فتجلى لهم ورأوه عيانًا، لما آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وأما الكفار فلما كفروا به في الدنيا حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة جزاءً لهم ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾[٢] .

ومن الشبه التي اعتمد عليها المعتزلة ومن قال بقولهم: أن الله قال لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[٣] قالوا: وهذا دليل على أن الله لا يرى ، نقول: نعم هذا في الدنيا، لأن الواقعة هذه حصلت في الدنيا ونحن متفقون على أن الله لا يرى في الدنيا، فموسى سأل أن يراه في الدنيا، قال الله - جل وعلا: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ يعني في الدنيا والنفي بـ (لن) لا يقتضي التأبيد، بل هو نفي مؤقت، فهو ﴿ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ يعني: لن تراني في الدنيا ، وفي لغة العرب أن النفي بـ (لن) لا يقتضي التأبيد ولهذا يقول ابن مالك في الكافية الشافية في النحو:

وَمن يرى النفي بـ لن مُؤبَّدًا فقوله ازدد وسواه فاعضُدا

أي أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد، والدليل أيضًا: أن الله قال في اليهود: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[٤] مع أنه جاء أنهم في الآخرة يتمنون الموت ليستريحوا من العذاب، وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[٥] طلبوا الموت؛ فدل على أن (لن) لَيْستْ للنفي المؤبد، هذا هو مقتضى اللغة

---

(١) سورة المطففين: ١٥ .

(٢) سورة النبأ: ٢٦ .

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣ .

(٤) سورة البقرة: ٩٤ - ٩٥ .

(٥) سورة الزخرف: ٧٧ .

العربية، وهو مقتضى ما دل عليه القرآن.

قالوا أيضًا: مما يدل على أن الله لا يرى، قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[١] نقول لهم: هذا ليس نفيًا للرؤية، وإنما هو نفي للإدراك ، ما قال لا تراه الأبصارُ، وإنما قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ ونفي الإدراك غير نفي الرؤية، فالأبصار تراه لكنها لا تدركه، يعني لا تحيط به، فالإدراك هو: الإحاطة بالله ـ جل وعلا ـ فهم وإن رأوه في الجنة لا يحيطون به سبحانه وتعالى، فالمنفي هو الإدراك الذي بمعنى الإحاطة، فهي تراه لكنها لا تدركه، لكنها تراه بموجب الأدلة، والجمع بين النصوص هو الواجب، لأنه إذا حصل شيء من الاختلاف بين النصوص فمهما أمكن الجمع يجمع بينها، وهذا واضح والحمد لله، وكلام الله لا يتناقض أبدًا، بل يُفسر بعضه بعضًا، أما الذي يأخذ آية ويترك الآية الأخرى فهذا من أهل الزيغ ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٢] فالقرآن يستدل به كله ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٣] كما يقول الراسخون في العلم، فيفسر القرآن بعضه بعضًا، ولا يختلف أبدًا، لأن الله نفى عنه الاختلاف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٤] فإذا أشكلت عليك آية فإنك تلتمس في القرآن ما يفسرها ، فإن لم تجد فإنك تذهب إلى السنة تجد في السنة ما يفسرها ، فإن لم تجد في السنة ما يفسرها فإنك تذهب إلى أقوال الصحابة الذين رووا عن الرسول ﷺ تجد في أقوالهم ما يفسر الآية التي أشكلت عليك، القرآن ـ ولله الحمد ـ محفوظٌ في لفظه وفي معناه، لا يتعارض ولا يتناقض، إنما التعارض في أفهام البشر.

وكذلك المتعالمون الذين لم يدرسوا العلم ولم يأخذوا قواعد الاستدلال والمدارك، يستدلون بلا فقه، ويثبتون أشياء ما أثبتها قبلهم أحد من أهل العلم، بسبب الجهل والتعالم، فهذه القضايا عظيمة تحتاج إلى تعلم ، وإلى دقة ، وإلى ترو، وإلى تثبت،

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران: ٧ .

(٣) سورة آل عمران: ٧ .

(٤) سورة النساء: ٨٢ .

لأن العقيدة هي الأصل، وأي خلل فيها فهو خللٌ في الأصل.

فهذا حاصل خلاف الناس في رؤية الله عز وجل يوم القيامة، فالله لا يرى في الدنيا، وإنما يراه المؤمنون في الآخرة، ويحجب عنه الكافرون.

قوله: **(والإيمان بالرؤية يوم القيامة)** لماذا قال: يوم القيامة؟ لأنه لا يرى ـ جل وعلا ـ في الدنيا.

قوله: **(يرون الله عز وجل بأعينِ رؤوسهِم)** قال: بأعين رؤوسهم نفيًا لتأويل الذين يقولون: معنى «يرون ربهم»؛ أي: بقلوبهم، لا بأبصارهم.

قوله: **(وهو يحاسبهم بلا حاجب ولا ترجمان)** أي: في يوم القيامة عند الحساب يخلو العبد بربه ويحاسبه الله على أعماله بلغته التي يفهمها العبد، ليس بينه وبينه ترجمان، الترجُمان: هو الذي ينقل المعنى من لغة إلى لغة أخرى، كالذي ينقل المعنى من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية أو العكس، لأن اللغات كثيرة.

❊ ❊ ❊

من زعم أنه يرى الله في الدنيا رؤية عين [١]

قال في شرح السنة:

ومن زعم أن أحدًا يرى الله في الدنيا رؤية عين لا رؤيا في المنام فهو كافر، لأن الله ـ جل وعلا ـ لا يُرى في الدنيا، ولهذا لما سأل كليمُ الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[٢] فلا أحد يرى الله في هذه الدنيا، هذا محل إجماع بين العلماء، إنما رؤية الله في الآخرة ، لأن الناس في الدنيا ضعاف لا يقدرون على رؤية الله عز وجل لما فيهم من الضعف.

ولهذا لما تجلى الله للجبل تدكدك وصار ترابًا فكيف بابن آدم الذي هو من لحم ودم؟ أما في الآخرة فإن الله يعطي المؤمنين قوة يقدرون بها على رؤية الله والتلذذ برؤيته سبحانه وتعالى؛ فرؤية الله في الآخرة ثابتة ومتواترة للمؤمنين، وأما في الدنيا فلا أحد يرى الله رؤية عيان.

واختلفوا: هل رآه النبي ﷺ ليلة المعراج أو لم يره؟ الصحيح والذي عليه الجماهير: أن الرسول ﷺ لم يره بعينه وإنما رآه بقلبه وبصيرته؛ لأن أحدًا لا يرى الله في هذه الدنيا؛ لأن الله أعظم من أن يراه الناس في الدنيا، ولهذا سئل النبي ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج؟ قال: «**نور أنى أراه**»[٣] ، وقال: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرهُ من خلقه**»[٤] .

* * *

---

(١) انظر «شرح السنة [ص / ١٥٨].

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣ .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وأخيراً: فائدة عظيمة في رؤية الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [(١)] :

وبالجملة، أن كل حديث فيه: «أن النبي ﷺ رأى ربه بعينيه في الأرض» وفيه: «أنه نزل له إلى الأرض» وفيه: «أن رياض الجنة من خطوات الحق» وفيه: «أنه وطئ على صخرة بيت المقدس» كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم.

وكذلك من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت ذلك في «صحيح مسلم» عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ ؛ أنه لما ذكر الدجال قال: **«واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»** .

وكذلك روى هذا عن النبي ﷺ من وجوه أخر؛ يحذر أمته فتنة الدجال، وبين لهم: «أن أحدًا منهم لن يرى ربه حتى يموت»، فلا يظنن أحدٌ أن هذا الدجال الذي رآه هو ربه.

ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة؛ قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان قال: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صور حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه.

ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٣٨٩، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢) ط. الرحمة ـ القاهرة.

الأمثال المضروبة للحقائق وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضًا من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام، فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم، وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه، فهذا كله يقع في الدنيا.

وربما غلب على أحدهم ما يشهده قلبه وتجمعه حواسه، فيظن أنه رأى ذلك بعيني رأسه، حتى يستيقظ فيعلم أنه منام، وربما علم في المنام أنه منام.

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه، فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك، وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين: إنه رأى ربه بعيني رأسه ، فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان.

نعم، رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضًا للناس في عرصات القيامة، كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ حيث قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب، وكما ترون القمر ليلة البدر صحوًا ليس دونه سحاب**» .

وقال ﷺ «**جنات الفردوس أربع: جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»، وقال ﷺ «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار! فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**».

وهذه الأحاديث وغيرها في الصحاح ، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول، واتفق عليها أهل السنة والجماعة، وإنما يكذب بها أو يحرفها الجهمية، ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم؛ الذين يكذبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك، وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة.

ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله ﷺ في الآخرة ، وبين تصديق الغالية ، بأنه يرى بالعيون في الدنيا ، وكلاهما باطل.

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم أنه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال، كما تقدم، فإن ضموا إلى ذلك أنهم يرونه في بعض الأشخاص ؛ إما بعض الصالحين، أو بعض المردان، أو بعض الملوك أو غيرهم، عظم ضلالهم وكفرهم، وكانوا حينئذٍ أضل من النصارى الذين يزعمون أنهم رأوه في صورة عيسى ابن مريم ، بل هم أضل من أتباع الدجال الذي يكون في آخر الزمان ويقول للناس: أنا ربكم ! ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويقول للخَرِبَة: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها! وهذا هو الذي حذر منه النبي ﷺ أمته، وقال: «**ما من خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال**»، وقال: «**إذا جلس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع، ليقل: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**» (١) .

❊ ❊ ❊

(١) انظر كتابنا «لمن أراد رؤية النبي ﷺ في المنام» [ص / ٢٥٤ ـ ٢٥٦] ط دار التقوى.

هل تصح رؤية الله في الدنيا جهرة؟ (١)

السؤال الأول من الفتوى رقم ٢٤٥٠ :

س ـ لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات السبع إلى السدرة وإلى آخر ذلك كما ورد في تفسير الصاوي على الجلالين، والمراد هل نظر الرسول الكريم في معراجه هذا إلى المولى عز وجل بعينيه أم لا؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . . وبعد:

عقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من النصوص الشرعية أن محمدًا ﷺ لما أسري به وعرج به لم ير ربه بعينيه لقول النبي ﷺ لما سئل عن ذلك: «**رأيت نورًا**» وفي رواية أخرى: «**نور أنى أراه**» أخرجهما مسلم في صحيحه، ولقوله ﷺ: «**واعلموا أنه لن يرى منكم أحد ربه حتى يموت**» خرجه مسلم أيضًا.

س: هل تصح رؤية الله في الدنيا جهرة؟

ج: هذه المسألة من المسائل المبنية على التوقيف فلا يصح أن تثبت لأحد إلا بدليل يصح الاستناد إليه وقد دل القرآن على أن موسى لم ير ربه فإنه لما طلب الرؤية أجابه بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ (٢) ودلت السنة على أن النبي ﷺ لم يره بعينيه ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت يا أم المؤمنين: أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٣) وقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (٤) فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت النبي ﷺ عن ذلك

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء [٢ / ١٢٨ ـ ١٣٠].

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣ .

(٣) سورة التكوير: ٢٣ .

(٤) سورة النجم: ١٣ .

فقال: « **إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء، سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض** » ، فقالت: ألم تسمع أن الله عز وجل يقول: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[١] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾[٢] ، الحديث[٣] .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «**رأيت نورًا**» وفي لفظ قال: «**نور أنى أراه**»[٤] ، وفيه عن النبي ﷺ: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**»[٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى الله بعينيه في الدنيا ، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ خاصة، مع أن جماهير الأمة اتفقوا على أنه لم يره بعينيه في الدنيا. وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة المسلمين».

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: إن محمدًا رأى ربه بعينيه، بل الثابت عنهما إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه وقوله: «**أتاني ربي في أحسن صورة**»[٦] الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرًا.

وكذلك حديث أم الطفيل وحديث ابن عباس وغيرهما ـ مما فيه رؤية ربه ـ إنما كان بالمدينة كما جاء مفسرًا في الأحاديث، والمعراج كان بمكة كما قال سبحانه

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى: ٢١ .

(٣) البخاري برقم ٤٦١٢ ، ٤٨٥٥ ، ٧٣٨٠ (الفتح) ومسلم برقم ١٧٧ والترمذي برقم (٣٠٧٠).

(٤) مسلم برقم ١٧٨، والترمذي برقم (٣٢٧٨) .

(٥) مسلم برقم ٢٩٣١ ، وأبو داود برقم ٤٣١٨، والترمذي برقم ٢٢٣٥ .

(٦) الإمام أحمد ١ / ٣٦٨ ، و ٥ / ٢٤٣، والترمذي برقم ٣٢٣٢، ٣٢٣٣ .

وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾[1] ، وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: (لن تراني) وأن رؤية الله أعظم من إنزال كتاب من السماء، كما قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[2] .

فمن قال: إن أحدًا من الناس يراه فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتابًا من السماء، فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، وأن أحدًا لا يراه في الدنيا بعينيه لكن يُرى في المنام، ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها، ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن أنه رأى ذلك بعينيه وهو غالط ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفته في صورة مثالية[3] .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

السؤال الرابع والعشرون من الفتوى رقم ٥٦١١ :

س ـ هل رأى محمدٌ ربه تبارك وتعالى ليلة الإسراء؟

ج: لم ير نبينا محمد ﷺ ربه في الدنيا بعيني رأسه على الصحيح من قولي

(١) سورة الإسراء: ١ .

(٢) سورة النساء: ١٥٣ .

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/ ٣٣٥ .

العلماء في ذلك وإنما رأى جبريل عليه السلام على صورته معترضًا الأفق وهكذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) ﴾[١] .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

(١) سورة النجم: ٥ ـ ١٧ .

القضاء والقدر[١]

الإيمان بالقضاء والقدر واجب ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٢] .

ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر أن تؤمن بأن كل ما في الكون من موجودات ومعدومات عامة وخاصة فإنه بمشيئة الله وخلقه، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

وللإيمان بالقدر درجتان كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى تتضمن العلم والكتابة ودليلها قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾[٣] .

فالعلم أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً .

والكتابة هي أن تؤمن بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ بحسب علمه وهي أنواع:

النوع الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ودليلها قوله ﷺ: «**إن الله لما خلق القلم قال له: اكتب. قال رب: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[٤] .

النوع الثاني: الكتابة العمرية وهي ما يكتبه الملك الموكل بالأرحام على الجنين في بطن أمه إذا تم له أربعة أشهر فيؤمر الملك بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد:

---

(١) انظر معجم ألفاظ العقيدة (ص / ٣٣٤ ـ ٣٣٨).

(٢) انظر صحيح الجامع الصغير برقم / ٢٧٩٧ ـ الألباني.

(٣) سورة الحج: ٧٠ .

(٤) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٢٠١٧ ـ الألباني.

ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه ـ الثابت في الصحيحين [١] .

وهذه الدرجة ينكرها غلاة القدرية قديمًا .

وأما الدرجة الثانية فتتضمن شيئين المشيئة والخلق، ودليل المشيئة قوله تعالى: ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [٢] .

ودليل الخلق قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٣] .

فأما المشيئة فهي أن تؤمن بمشيئة الله العامة، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن سواء في ذلك أفعاله أو أفعال الخلق كما قال تعالى في أفعاله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [٤] . وقال في أفعال خلقه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [٥] .

وأما الخلق فهو أن تؤمن أن الله خالق كل شيء سواء من فعله أو أفعال عباده.

دليل الخلق في فعله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[٦] .

ودليل الخلق في أفعال العباد قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٧] .

ووجه كونه خالقًا لأفعال العباد أن فعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدرة وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله.

وللعبد مشيئة وقدرة لقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[٨] . وقوله القدرة إلا أنهما تابعتان لمشيئة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٥٤٣ ـ الألباني.
(٢) سورة إبراهيم: ٢٧ .
(٣) سورة الزمر: ٦٢ .
(٤) سورة السجدة: ١٣ .
(٥) سورة الأنعام: ١١٢ .
(٦) سورة الأعراف: ٥٤ .
(٧) سورة الصافات: ٩٦ .
(٨) سورة البقرة: ٢٢٣ .

الْعَالَمِينَ﴾[١] .

وقد ضل فيها طائفتان:

الأولى: القدرية ، حيث زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته ليس لله في فعله مشيئة ولا خلق.

الثانية: الجبرية حيث زعموا أن العبد مجبور على فعله ليس له فيه إرادة ولا قدرة.

والرد على الطائفة الأولى القدرية بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ وقوله: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾.

والرد على الطائفة الثانية الجبرية بقوله تعالى: ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**﴾[٢] . ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾[٣] فأثبت للإنسان مشيئة وقدرة.

ولا يجوز الاعتماد على القضاء السابق وترك العمل لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قالوا: «يارسول الله أفلا نتكل على الكتاب الأول وندع العمل، فقال رسول الله، ﷺ : **اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**» وتلا قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾[٤] [٥] .

ومجوس هذه الأمة القدرية الذين يقولون: إن العبد مستقل بفعله. سموا بذلك لأنهم يشبهون المجوس القائلين بأن للعالم خالقين النور يخلق الخير والظلمة تخلق الشر. وكذلك القدرية قالوا إن للحوادث خالقين، فالحوادث التي من فعل العبد

---

(١) سورة التكوير: ٢٩ .

(٢) سورة التكوير: ٢٨ .

(٣) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٤) سورة الليل: ٥ ـ ١٠ .

(٥) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٥٧٩٤ ـ الألباني.

يخلقها العبد والتي من فعل الله يخلقها الله.

والجبرية لا يفرقون بين فعل العبد اختياراً وفعله بدون اختيار، كلاهما عندهم مجبر عليه كما سبق وإذا كان كذلك صار ثوابه على الطاعة وعقابه على المعصية لا حكمة له إذ الفعل جاء بدون اختياره وما كان كذلك فإن صاحبه لا يمدح عليه فيستحق الثواب ولا يذم عليه فيستحق العقاب [١] .

وقال في الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد[٢] :

لا شك أن إثبات القضاء والقدر ووجوب الإيمان بهما وبما تضمناه من أعظم أركان الإيمان؛ كما قال النبي ﷺ: «**الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»[٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٤] .

والقدر: مصدر: قدرت الشيء: إذا أحطت بمقداره.

والمراد هنا: تعلق علم الله بالكائنات وإرادته لها أزلاً قبل وجودها؛ فلا يحدث شيء إلا وقد علمه الله وقدره وأراده.

ومذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر يتضمن أربع درجات:

الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي بكل شيء قبل وجوده، ومن ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثانية: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله الشاملة لكل حادث وقدرته التامة عليه.

---

(١) مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ٤ / ٢٩٩، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٣٣٤ ـ ٣٣٨].

(٢) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد [ص / ٢٤٢ ـ ٢٤٧].

(٣) الحديث صحيح ، وقد سبق تخريجه قريباً.

(٤) سورة القمر: ٤٩ .

الرابعة: الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق وحده، وما سواه مخلوق.

ومن أدلة المرتبة الأولى والثانية: قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾[١] .

ومن أدلة المرتبة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾[٣] .

ومن أدلة المرتبة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾[٥] .

والتقدير نوعان:

١ ـ تقدير عام شامل لكل كائن، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ؛ فقد كتب الله فيه مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، كما في الحديث الذي رواه أبو داود في «سننه» عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول ما خلق الله القلم، قال: له اكتب! قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[٦] وهذا التقدير يعم جميع المخلوقات.

٢ ـ وتقدير مفصل للتقدير العام، وهو أنواع:

النوع الأول: التقدير العمري؛ كما في حديث ابن مسعود في شأن ما يكتب على الجنين وهو في بطن أمه من كتابة أجله ورزقه وعمله وشقاوته أو سعادته.

النوع الثاني: التقدير الحولي، وهو ما يقدر في ليلة القدر من وقائع العام؛ كما

---

(١) سورة الحج: ٧٠ .

(٢) سورة التكوير: ٢٩ .

(٣) سورة الحج: ١٤ .

(٤) سورة الرعد: ١٦ .

(٥) سورة يس: ٨١ .

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود رقم (٤٠٧٨)، والترمذي برقم (٢٠٨١).

قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[(١)] .

النوع الثالث: التقدير اليومي، وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل. . . إلى غير ذلك ؛ كما في قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[(٢)] .

ولابد للمسلم من الإيمان بالقدر العام وتفاصيله؛ فمن جحد شيئًا منهما؛ لم يكن مؤمنًا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر؛ فقد جحد ركناً من أركان الإيمان؛ كما عليه الفرقة القدرية الضالة التي تنكر القدر، وهم في هذا الإنكار على قسمين:

القسم الأول:

القدرية الغلاة الذين ينكرون علم الله بالأشياء قبل كونها، وينكرون كتابته لها في اللوح المحفوظ، ويقولون: إن الله أمر ونهى، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه؛ فالأمر أنف (أي: مستأنف) ، لم يسبق في علم الله وتقديره. وهذه الفرقة قد انقرضت أو كادت.

القسم الثاني:

تقر بالعلم، ولكنها تنفي دخول أفعال العباد في القدر، وتزعم أنها مخلوقة لهم استقلالاً، لم يخلقها الله ولم يردها، وهذا مذهب المعتزلة.

وقابلتهم طائفة غلت في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا: إن العبد مجبر على فعله ، ولذلك سموا بالجبرية.

وكلا المذهبين باطل لأدلة كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[(٣)] لأن قوله تعالى: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾[(٤)] : يرد على الجبرية؛ لأن الله تعالى أثبت للعباد مشيئة، وهم يقولون:

---

(١) سورة الدخان: ٤ .
(٢) سورة الرحمن: ٢٩ .
(٣) سورة التكوير: ٢٨ ـ ٢٩ .
(٤) سورة التكوير: ٢٨ .

إنهم مجبورون لا مشيئة لهم. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[(١)] : فيه الرد على القدرية القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف على مشيئة الله، وهذا قول باطل؛ لأن الله علق مشيئة العبد على مشيئته سبحانه.

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في هذه القضية ، فلم يُفَرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يُفْرِطوا إفراط الجبرية الغلاة.

فمذهب سلف الأمة وأئمتها أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقع بقضاء الله وقدره، لا خالق سواه؛ فأفعال العباد كلها مخلوقة لله؛ خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، والعبد غير مجبور على أفعاله، بل هو قادر عليها وقاصد لها وفاعل لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد، بمعنى أنها قائمة بالعبد وحاصلة بمشيئته وقدرته، وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه، وهي من الله، بمعنى أنه خلقها قائمة بالعبد، وجعلها عملاً له وكسبًا؛ كما يخلق المسببات بأسبابها؛ فهي من الله مخلوقة له، ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه؛ كما إذا قلنا: هذه الثمرة من الشجرة، وهذا الزرع من الأرض؛ بمعنى أنه حدث منها، ومن الله بمعنى أنه خلقه منها، لم يكن بينهما تناقض. . » انتهى.

وقال السفاريني : « والحاصل أن مذهب أهل السلف ومحققي أهل السنة أن الله تعالى خلق قدرة العبد وإرادته وفعله ، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله، والله سبحانه جعله فاعلاً له محدثًا له؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [(٢)] . . . فأثبت مشيئة العبد، وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الله ، وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد، وأنها لا تكون إلا بمشيئة الله. . . » انتهى.

---

(١) سورة التكوير: ٢٩ .

(٢) سورة التكوير: ٢٩ .

وأقول: إن مما يؤيد هذا أن الله أعطى الإنسان عقلاً وقدرة واختياراً ، ولا يحتسب فعله له أو عليه إلا إذا توفرت فيه هذه القوى.

فالمجنون والمعتوه أو المكره لا اعتبار لما يصدر منهم من الأقوال والأفعال، ولا يؤاخذون عليها، مما يدل على أنه ليس بمجبر ولا مستقل بنفسه، والله المستعان.

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

إن من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: صحة إيمان الشخص بتكامل أركانه؛ لأن الإيمان بذلك من أركان الإيمان الستة التي لا يتحقق إلا بها؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: طمأنينة القلب وارتياحه ، وعدم القلق في هذه الحياة عندما يتعرض الإنسان لمشاق الحياة؛ لأن العبد إذا علم أن ما يصيبه فهو مقدر لا بد منه ولا راد له، واستشعر قول الرسول ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[1] ؛ فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن بالله؛ بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر؛ فإنه تأخذه الهموم والأحزان، ويزعجه القلق حتى يتبرم بالحياة ويحاول الخلاص منها ولو بالانتحار؛ كما هو مشاهد من كثرة الذين ينتحرون فراراً من واقعهم وتشاؤماً من مستقبلهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر، فكان تصرفهم ذلك نتيجة حتمية لسوء اعتقادهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾[2] فأخبرنا سبحانه أنه قدر ما يجري من المصائب في الأرض وفي الأنفس؛ فهو مقدر ومكتوب لابد من وقوعه مهما حاولنا دفعه، ثم بين أن الحكمة من إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن فلا نجزع ولا نأسف عند المصائب ولا نفرح عند حصول النعم فرحاً ينسينا العواقب، بل الواجب علينا الصبر عند المصائب

---

(١) صحيح.

(٢) سورة الحديد: ٢٢ ، ٢٣ .

وعـدم اليأس من روح الله، والشكر عند الـرخاء وعـدم الأمن من مكر الله، ونكون مرتبطين بالله في الحالتين.

قال عكرمة رحمه الله: «ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن؛ ولكن اجعلوا الفرح شكرًا والحزن صبرًا».

وليس معنى هذا أن العبد لا يتخذ الأسباب الواقية من الشر والجالبة للخير، وإنما يتكل على القضاء والقـدر؛ كما يظن الجهال، هذا من أكبـر الغلط والجهل؛ فإن الله أمرنا باتخاذ الأسباب، ونهانا عن التكاسل والإهمال، ولكن إذا اتخذنا السبب حصل لنا عكس المطلوب، فعلينا ألا نجزع؛ لأن هذا هو القضاء المقدر، ولو قدر غيره لكان، ولهذا يقول النبي ﷺ: **«احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تجزعن، إن أصابك شيء؛ فلا تقل لو أني فـعلت كذا؛ كان كـذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شـاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»** [١] رواه مسلم.

وعلى العبد مع هذا أن يحـاسب نفسه ويصحح أخطاءه؛ فإن لا يصـيبه شيء إلا بسبب ذنوبه؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [٢].

ومن ثمرات الإيمان بالقـضاء والقدر: الثبات عند مـواجهة الأزمات، واستـقبال مشـاق الحياة بقلب ثابت ويقين صـادق لا تزلزله الأحداث ولا تهزه الأعاصـير؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة دار ابتـلاء وامتحان وتقلب؛ كمـا قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [٣] وقال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ [٤].

كم جـرى على رسـول الله ﷺ وعلى صحـابتـه من المحن والشـدائد ، لكنهم واجهـوها بالإيمان الصادق والعـزم الثابت حتى اجـتازوها بنجـاح باهر، وما ذاك إلا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم ، وابن ماجه برقم (٧٦) وأحمد برقم (٨٤٣٦).

(٢) سورة الشورى: ٣٠ .

(٣) سورة الملك: ٢ .

(٤) سورة محمد: ٣١ .

لإيمانهم بقضاء الله وقدره، واستشعارهم لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر : تحويل المحن إلى منح، والمصائب إلى أجر؛ قال الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم». ومعنى الآية الكريمة: من أصابته مصيبة، فعلم أنها من قدر الله، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله؛ هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقًا، وقد يخلف الله عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه، وهذا في نزول المصائب التي هي من قضاء الله وقدره، لا دخل للعبد في إيجادها إلا من ناحية أنه تسبب في نزولها حيث قصر في حق الله عليه بفعل أمره وترك نهيه؛ فعليه أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويصحح خطأه الذي أصيب بسببه.

وبعض الناس يخطئون خطأ فاحشًا عندما يحتجون بالقضاء والقدر على فعلهم للمعاصي وتركهم للواجبات، ويقولون: هذا مقدر علينا! ولا يتوبون من ذنوبهم، كما قال المشركون: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ (٣) .

وهذا فهم سيئ للقضاء والقدر؛ لأنه لا يحتج بهما على فعل المعاصي والمصائب، وإنما يحتج بهما على نزول المصائب؛ فالاحتجاج بهما على فعل المعاصي قبيح؛ لأنه ترك للتوبة وترك للعمل الصالح المأمور بهما، والاحتجاج بهما على المصائب حسن؛ لأنه يحمل على الصبر والاحتساب.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة؛ فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أنه

---

(١) سورة التوبة: ٥١ .

(٢) سورة التغابن: ١١ .

(٣) سورة الأنعام: ١٤٨ .

لا بد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر ، لا يمنع منه حصون ولا جنود، ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(١) ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾(٢) وهكذا حينما يستشعر المجاهد هذه الدفعات القوية من الإيمان بالقدر؛ يمضي في جهاده حتى يتحقق النصر على الأعداء وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين.

وكذلك بالإيمان بالقضاء والقدر يتوفر الإنتاج والثراء؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له؛ فإنه لن يتواكل، ولا يهاب المخلوقين ، ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل على الله، ويمضي في طريق الكسب، وإذا أصيب بنكسة ، ولم يتوفر له مطلوبه؛ فإن ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود ولا يقطع منه باب الأمل، ولا يقول: لو أنني فعلت كذا ؛ كان كذا وكذا! ولكنه يقول: قدر الله وما شاء فعل. ويمضي في طريقه متوكلاً على الله، مع تصحيح خطئه ومحاسبته لنفسه، وبهذا يقوم كيان المجتمع، وتنتظم مصالحه، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(٣) .

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٤).

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾(٥) .

---

(١) سورة النساء: ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤ .

(٣) سورة الطلاق: ٣ .

(٤) سورة الحج: ٧٠ .

(٥) سورة الحديد: ٢٢ .

أي: يخلق الخليقة ولقوله ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**». رواه مسلم[١].

الثالث: أنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى:

﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾[٢].

﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾[٣].

فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع: أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره ولا رب سواه لقوله تعالى:

﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾[٤].

وقال على لسان إبراهيم:

﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[٥].

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل. قال تعالى:

---

(١) مسلم: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ولفظه: « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة...**».

(٢) سورة القمر: ٤٩ .

(٣) سورة الأنعام: ١٢٥ .

(٤) سورة الفرقان: ٢ .

(٥) سورة الصافات: ٩٦ .

﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾(١) .

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله كما سبق، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها:

١ ـ أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسبًا له فقال:

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾(٢) .

ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.

٢ ـ أن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى:

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٣) .

ولقوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٤) .

ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعًا على الفعل أو الكف لأن المجبور لا يستطيع التخلص منه.

٣ ـ أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤ ـ أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قُدر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ما قُدِّر لي؟

٥ ـ أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة فقال تعالى:

﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النساء: ١٦٥ .

(٢) سورة غافر: ١٧ .

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦ .

(٤) سورة التغابن: ١٦ .

(٥) سورة النساء: ١٦٥ .

ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.

ونعلم أن الله سبحـانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطـيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى:

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[1] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾[3] .

فدل على أن للعبد فعلاً وكسبًا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقًا لله وكونه كسبًا للفاعل:

عرفت مما سبق أن فعل الـعبد مخلوق لله وأنه كسب للعبـد يجازى عليه الحسن بأحسن والسيئ بمثله فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقًا لله تعالى أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبـد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنيـة ولولاهما لم يكن فعل والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعـالى وخالق السبب خالق للمسـبب فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب لا نسـبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد فلذلك نسِبَ الفـعل إليه كسبًا وتحصيـلاً ونُسبَ إلى الله خلقًا وتقديرًا فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم.

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦ .

(٢) سورة التغابن: ١٦ .

(٣) سورة غافر: ١٧ .

الطائفة الأولى: الجبرية يقولون العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك، ونرد عليهم بأمرين:

١ ـ أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسبًا له يعاقب ويثاب بحسبه ولو كان مجبورًا عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلمًا.

٢ ـ أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لَعُدَّ ذلك سَفَهًا مخالفًا للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية: القدرية يقولون العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق ونرد عليهم بأمرين:

١ ـ أنه مخالف لقوله تعالى:

﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ (١).

ولقوله: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (٢).

٢ ـ أن الله مالك السموات والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟ (٣).

* * *

(١) سورة الزمر: ٦٢.

(٢) سورة الصافات: ٩٦.

(٣) انظر لمعة الاعتقاد بشرح وتعليق وزيادة ابن عثيمين ـ تحقيق / أشرف عبد المقصود. [ص / ٩٢ ـ ٩٦].

فوائد الإيمان بالقدر[١]

أولاً: أنه من تمام الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا بذلك.

ثانيًا: أنه من تمام الإيمان بالربوبية؛ لأن قدر الله من أفعاله.

ثالثًا: رد الإنسان أموره إلى ربه؛ لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره؛ فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها ، ويضيف السراء إلى الله، ويعرف أنها من فضل الله عليه.

رابعًا: أن الإنسان يعرف قدر نفسه ، ولا يفخر إذا فعل الخير.

خامسًا: هون المصائب على العبد؛ لأن الإنسان إذا علم أنها من عند الله، هانت عليه المصيبة؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[٢] قال علقمة رحمه الله «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم».

سادسًا: إضافة النعم إلى مُسديها؛ لأنك إذا لم تؤمن بالقدر، أضفت النعم إلى من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيراً في الذين يتزلفون إلى الملوك والأمراء والوزراء، فإذا أصابوا منهم ما يريدون؛ جعلوا الفضل إليهم، ونسوا فضل الخالق سبحانه.

صحيح أنه يجب على الإنسان أن يشكر الناس؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه**» ولكن يعلم أن الأصل كل الأصل هو فضل الله عز وجل جعله على يد هذا الرجل.

سابعًا: أن الإنسان يعرف به حكمة الله عز وجل، لأنه إذا نظر في هذا الكون وما يحدث فيه من تغيرات باهرة، عرف بهذا حكمة الله عز وجل بخلاف من نسي القضاء والقدر، فإنه لا يستفيد هذه الفائدة.

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية » للشيخ ابن عثيمين [٣٨٦ ـ ٣٨٧].

(٢) سورة التغابن: ١١ .

فائدة في قوله: «خيره وشره»:

الشر في القدر: ما لا يلائم طبيعة الإنسان، بحيث يحصل له به أذية أو ضرر.

والخير: ما يلائم طبيعته بحيث يحصل له به خير أو ارتياح وسرور وكل ذلك من الله عز وجل.

ولكن إن قيل: كيف يقال: إن في قدر الله شرّاً، وقد قال النبي ﷺ: «**الشر ليس إليه**»؟

فالجواب على ذلك أن يقال: الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له لكنه باعتبار المقدور له، لأن لدينا قدرًا هو التقدير ومقدورًا كما أن هناك خلقًا كان لا يلائم الإنسان ويؤذيه ويضره لكن باعتبار المقدور. فنقول: المقدور إما خير وإما شر، فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره.

ونضرب لهذا مثلاً في قوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾[1] .

ففي هذه الآية بين الله عز وجل ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه؛ فالفساد شر، وسببه عمل الإنسان السيئ، والغاية منه ﴿**لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ .

فكون الفساد يظهر في البر والبحر فيه حكمة، فهو نفسه شر، لكن لحكمة عظيمة، بها يكون تقديره خيرًا.

كذلك المعاصي والكفر شر، وهو من تقدير الله، لكن لحكمة عظيمة، لولا ذلك لبطلت الشرائع، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثًا.

والإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور، بل المقدور ينقسم إلى كوني وإلى شرعي:

فالمقدور الكوني: إذا قدر الله عليك مكروهًا، فلا بد أن يقع، رضيت أم أبيت.

---

(١) سورة الروم: ٤١ .

والمقدور الشرعي: قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله، ولكن باعتبار الرضا به فيه تفصيل: إن كان طاعة لله، وجب الرضا به، وإن كان معصية؛ وجب سخطه وكراهته والقضاء عليه كما قال الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١) .

وعلى هذا؛ يجب علينا الإيمان بالمقضي كله؛ من حيث كونه قضاء لله عز وجل، أما من حيث كونه مقضيًا؛ فقد نرضى به وقد لا نرضى ؛ فلو وقع الكفر من شخص؛ فلا نرضى بالكفر منه، لكن نرضى بكون الله أوقعه.

* * *

(١) سورة آل عمران: ١٠٤ .

أحكام التسلسل نفياً وإثباتاً [١]

التسلسل ثلاثة أقسام [٢] :

الأول: التسلسل الممتنع؛ ويكون في العلل والمعلولات والفاعلين والمفعولات.

الثاني: التسلسل الواجب؛ ويكون في الأفعال.

الثالث: التسلسل الممكن؛ ويكون في الشروط والآثار.

التسلسل هو مصطلح كلامي يراد به كما قال ابن عيسى: «ترتيب أمور غير متناهية»[٣] ، وإنما سمي تسلسلاً أخذًا من السلسلة وهي قابلة لزيادة الحلق إلى ما لا نهاية له، لمناسبة بينهما عدم التناهي بين طرفيهما، ففي السلسلة مبتدؤها ومنتهاها، وأما في التسلسل فطرفان هما الزمن الماضي والمستقبل.

ونتكلم بشيء من الإيجاز في أقسام التسلسل:

القسم الأول: التسلسل الممتنع:

وهو التسلسل في المؤثرين بأن يؤثر الشيء في الشيء إلى ما لا نهاية، والمراد (بامتناعه) الامتناع الشرعي والعقلي، فإنهما دلا على استحالة وقوعه. ويكون هذا القسم في:

١ ـ العلل: أن تكون لكل علة إلى ما لا نهاية له.

٢ ـ المعلولات: بأن يوجب المعلول معلولاً إلى ما لا نهاية له.

---

(١) انظر تحرير الاعتقاد ـ أ. د / أحمد بن منصور آل سبالك (ص / ١٤٩ ـ ١٥٣).

(٢) شرح الطحاوية ص١٣٥، منهاج السنة، لابن تيمية ١ / ١٦٢ ، ١٦٣، موافقة صريح المعقول، لابن تيمية ١ / ٢٦٤ ، ٢٩٠، مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية ٥ / ١٦٧، توضيح المقاصد لابن عيسى ١ / ٣٧٠ .

(٣) توضيح المقاصد ١ / ٣٧٠ .

٣ ـ الفاعل: «يكون للفعل فاعل إلى ما لا نهاية له»[١] .

٤ ـ المفعولات: بأن تؤثر بذاتها لا بترتيب فاعلها في غيرها من المفعولات إلى ما لا نهاية.

القسم الثاني: التسلسل الواجب:

والمراد (بوجوبه) الوجوب الشرعي والعقلي، فإن الشرع والعقل قد دلا على إثباته وصحته ووقوعه. ويكون هذا القسم في :

الأفعال: بأن يترتب الفاعل فعله الأول على فعله الآخر إلى ما لا نهاية، وأما الفعل فلا تأثير له بذاته في ذات غيره من الأفعال ، والمراد به هنا ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب سبحانه وتعالى في الأبد والأزل بأنه ما زال ولا يزال موصوفًا بالفعل فلم تحدث له أفعال بعد أن لم يكن فاعلاً بل هو فاعل أبدًا وأزلاً.

القسم الثالث: **التسلسل الممكن:**

أي الجائز، وعُلم جوازه بالشرع والعقل، والمراد به هنا هو الدوام في مفعولاته سبحانه وتعالى: بأنه ما زال ولا يزال يخلق خلقاً من بعد خلق إلى ما لا نهاية. ويكون هذا القسم في:

الشروط والآثار: والمراد بالشروط بأنه يقيد حصول مفعوله بحصول مفعول قبله، وهكذا في طرفي الزمن الماضي والمستقبل. والمراد بالآثار المخلوقات.

والتسلسل يدخل في نطاق الألفاظ المجملة التي لم يرد فيها نص شرعي بإثبات أو نفي فهو لفظ مبتدع مبهم المعنى غير محدد الدلالة، لما فيه من الاشتراك بين المعاني السابقة الذكر، ولذا فيحرم استعماله في أبواب الوصف والخبر، وإن استعمل في أبواب البحث والمناظرة، وجب طلب تفصيل المراد منه لما تقدم لك من وجوه توجب ذلك حتى يعلم الحق فيقر، مع إفهام المخاطب به ، حرمة استعماله في مثل هذه المطالب[٢] .

---

(١) موافقة صريح المعقول لابن تيمية ١ / ٢٦٠، ٢٦٤.

(٢) شرح الطحاوية ، ص ١٣٥ .

وبيان أحكام أنواع التسلسل؛ كما يلي[1] :

أولاً: أن وجود ما لا يتناهى في آن واحد ممتنع مطلقًا لأمور:

١ ـ لأنه يؤدي إلى خلو المحدث والمخلوق من محدث وخالق.

٢ ـ لأنه يفضي إلى الجمع بين النقيضين؛ وهو كون الخالق مخلوقًا والفاعل مفعولاً.

٣ ـ أنه ينتهي بإنكار خالق للكون.

٤ ـ لإفضائه لكون المذكور فيه مُحْدثًا وليس فيها موجود بنفسه يقطع به التسلسل.

ثانيًا: وجوب التسلسل في الأفعال للوجوب التالية:

أولاً: أن المتصف بالفعل أكمل ممن لا يتصف به ولو خلا الرب سبحانه وتعالى منه لكان خاليًا من كمال يجب له، وهذا ممتنع.

ثانيًا: أن الفعل لازم من لوازم الحياة، فكل حي فهو فاعل، والله حي، فهو فعال، وحياته لا تنفك عنه أبدًا وأزلاً، فيمتنع حدوث الفعل له بعد أن لم يكن فيجب دوامه أبدًا وأزلاً.

أي أنه الفرق بين الحي والميت الفعل، والله حي، فلابد وأن يكون فاعلاً، وخلوه من الفعل في أحد الزمانين ممتنع، لأنه حي فيهما، فوجب دَوامُ فعله أزلاً وأبدًا.

ثالثًا: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[2] . والفعال هو من يفعل على الدوام، ولو خلا من الفعل في أحد الزمانين، لم يكن ذلك الوصف صادقًا عليه في هذه الحال، فوجب دوام الفعل أزلاً وأبدًا.

رابعًا: قِدَمُ الفعل يمنع حدوثه، فيكون دائمًا في الأزل والأبد.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٢) سورة هود: ١٠٧ .

ثالثًا: يدل علي جواز التسلسل في المفعولات ما يلي:

أولاً: لعدم امتناع ذلك في العقل، فإن العقل لا يمنع أن يخلق الله خلقًا بعد خلق، ويرتب وجود الثاني على الأول وهكذا.

ثانيًا: أن هذا واقع، فما زال الإنسان والحيوان منذ خلقه يترتب خلقه على خلق أبيه وأمه.

ثالثًا: أنه تابع لدوام فعل الخلق، فإن وجب دوامه في الأزل والأبد، جاز دوام مفعوله، لأنه حادث بعد أن لم يكن.

رابعًا: حدوثه يمنع وجوبه، ووقوعه مانع من امتناعه، فيكون جائز الدوام في الأزل والأبد.

خامسًا: دلالة قوله سبحانه وتعالى ﴿ **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[1] فبين أن عدم عجزه في الأزل على الخلق دليل على عدم عجزه في الأبد، وإذا اتضح لك ذلك، فاعلم أن السلف الصالح إنما حرموا التعبير بالتسلسل، لما فيه من الاشتراك بين هذه الأنواع الثلاثة، مما يوقع في القول بالباطل إذا ما أطلق القول بإثبات التسلسل أو نفيه لا سيما وأن التسلسل إذا ما أطلق اصطلاحًا انصرف للتسلسل في المؤثرين كما في قولهم: والتسلسل باطل، ولكن لا مانع من استعماله في أبواب المناظرة إذا لم يبين المراد إلا بالتعبير به، لكن لابد من بيان المراد منه وتعين المقصود به حتى لا يثبت الباطل بمطلق الإثبات أو ينفي الحق بمطلق النفي ولذا فالتسلسل المثبت عند السلف قسمان [2] :

أ ـ واجب وهو التسلسل في الأفعال.

ب ـ جائز وهو التسلسل في المفعولات والشروط.

ويعبرون عنه بدوام أفعال الله ومفعولاته.

---

(١) سورة ق: ١٥ .

(٢) شرح الطحاوية، ١٣٥ .

فتاوى في الإيمان بالقدر

فتوى رقم (٥٣٨٢)

س: ما هو معنى الآيات: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[١] . ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[٢] فلقد سمعت بعض أهل العلم يقول إن معنى هذه الآيات سالفة الذكر أن الله سبحانه أعطى الإنسان مشيئة ثم تركه يختار لنفسه ما يشاء ولم يكن لله نعمة وتوفيق خص بهما من آمن، وخذلان خص به من كفر فهل هذا القول موافق لقول أهل السنة والجماعة؟ وما معنى ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٣] وغيرها من الآيات التي توضح أن الله لا يظلم عباده شيئًا، ولقد سمعت بعض أهل العلم يفسر هذه الآيات بمعنى أن الله سبحانه عادل فلا يمكن أن يجعل أحدًا من الناس كافرًا ثم يعذبه على كفره بل الإنسان هو الذي يبدأ في الكفر والله يزيده في كفره ولا يمكن أن يبتدئ الله أحدًا بالضلال فهل هذا المعنى والتفسير للظلم المنفي عن الله صحيح؟ لقد قرأت ما كتبه ابن حزم الظاهري في القدر في كتابه الملل والنحل فهل ما قرره هو مذهب أهل السنة والجماعة أم مذهب الجبرية؟ [٤] .

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . . وبعد:

أولاً: يجب على المسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره، وسبق أن صدر منا فتوى في معنى القدر برقم ٤٠٨٨ هذا نصها: ما معنى القدر مع تفصيل شامل؟

---

(١) سورة التكوير: ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) سورة المدثر: ٥٥ ـ ٥٦ .

(٣) سورة الكهف: ٤٩ .

(٤) فتوى رقم ٥٣٨٢ .

(معناه أن الله سبحانه وتعالى علم الأشياء كلها قبل وجودها وكتبها عنده وشاء ما وجد منها وخلق ما أراد خلقه، وهذه هي مراتب القدر الأربع التي يجب الإيمان بها، ولا يكون العبد مؤمنًا بالقدر على الكمال حتى يكون مؤمنًا بها، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه أجاب جبريل لما سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » رواه مسلم في صحيحه، وثبت عنه ﷺ في حديث عبادة بن الصامت أنه قال له: «**إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تؤمن بالقدر وتعلم أنما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك**» الحديث وقد أوضح هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» نوصيك بمراجعتها وحفظها.

ثانيًا: تفسر الآيات المذكورة في السؤال وما ورد في معناها أن كل شيء يجري بقدر الله ومشيئته نافذة لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، وسبق بيان ذلك في الفتوى آنفًا، وما ذكرنا هو قول أهل السنة والجماعة، وما ذكر في السؤال من القول بنفي القدر مخالف لما هم عليه.

ثالثًا: الذي دلت عليه الأدلة من القرآن والسنة من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد يقتضي قولاً وسطًا بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلمًا وقبيحًا يكون منه تعالى ظلمًا وقبيحًا كما تقوله القدرية المجبرة والقدرية النفاة، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾(١) وقال: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(٢) .

رابعًا: مما تقدم يتضح لك مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وما سواه باطل.

(١) سورة النحل: ٧٤ .

(٢) سورة الشورى: ١١ .

ونوصيك بمراجعة (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة ابن القيم رحمه الله ، فإنه مفيد جداً [١] .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

(١) انظر «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرازق الدويش (٣ / ٣٧٥ ـ ٣٧٧) عقيدة. طبع ونشر الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الإدارة العامة للطبع والترجمة ـ الرياض السعودية ـ ط١٤١٢هـ. وقف.

هل الإنسان مسير أم مخير؟

س: فهمني بإيجاز عن التسيير والتخيير؟ [١] .

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

الإنسان مخير ومسير، أما كونه مخيرًا فلأن الله سبحانه أعطاه عقلاً وسمعًا وبصراً وإرادة فهو يعرف بذلك الخير من الشر، والنافع من الضار ويختار ما يناسبه، وبذلك تعلقت به التكاليف من الأمر والنهي، واستحق الثواب على طاعة الله ورسوله والعقاب على معصية الله ورسوله. وأما كونه مسيراً فلأنه لا يخرج بأفعاله وأقواله عن قدر الله ومشيئته كما قال سبحانه: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[٤] وفي الباب آيات كثيرة وأحاديث صحيحة كلها تدل على ما ذكرنا لمن تأمل الكتاب والسنة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

---

(١) السؤال الثالث من الفتوى رقم (٤٥١٣).

(٢) سورة الحديد: ٢٢ .

(٣) سورة التكوير: ٢٨ ـ ٢٩ .

(٤) سورة يونس: ٢٢ .

فتوى رقم ٤٦٥٧

س: مضمونه أن نقاشًا دار بين جماعتين في أن الإنسان مسير أو مخير ويطلب الإفادة على الصواب في ذلك على ضوء الكتاب والسنة؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد؟

أولاً: ثبت أن الله تعالى وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعمت مشيئته وقدرته كل شيء بيده الأمر كله، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى وهو على كل شيء قدير. وقد دل على ذلك وما في معناه نصوص الكتاب والسنة وهي كثيرة معروفة عند أهل العلم، ومن طلبها من القرآن ودواوين السنة وجدها. من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [(1)] ، وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(2)] ، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[(3)] ، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[(4)] وقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[(5)] وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(6)] ، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[(7)] . وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [(8)] الآية .

ومما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك ما حث على الذكر به عقب الصلاة من

(١) سورة العنكبوت: ٦٢ .

(٢) سورة الزمر: ٦٢ .

(٣) سورة القمر: ٤٩ .

(٤) سورة الإنسان: ٣٠ .

(٥) سورة الرعد: ٣٩ .

(٦) سورة الحديد: ٢٢ .

(٧) سورة يونس: ٩٩ .

(٨) سورة السجدة: ١٣ .

قول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». وكذا ما جاء في حديث عمر رضي الله عنه من سؤال جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان فأجاب النبي ﷺ بقوله: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» فهذه النصوص وما في معناها تدل على كمال علمه تعالى بما كان وما هو كائن على تقديره كل شؤون خلقه وعلى عموم مشيئته وقدرته ما شاءه سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن.

ثانيًا: ثبت أن الله حكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه رحيم بعباده، وأنه تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب وشرع الشرائع وأمر كلا منهم أن يبلغها أمته، وأنه تعالى لم يكلف أحدًا إلا وسعه، رحمة منه وفضلاً، فلا يكلف المجنون حتى يعقل، ولا الصغير حتى يبلغ، وعذر النائم حتى يستيقظ، والناسي حتى يذكر، والعاجز حتى يستطيع، ومن لم تبلغه الدعوة حتى تبلغه، رحمة منه تعالى وإحسانًا.

وثبت عقلاً وشرعًا الفرق بين حركة الصاعد على سُلَّم مثلاً والساقط من سطح مثلاً، فيؤمر الأول بالمضي إلى الخير وينهى عن المضي إلى الشر والاعتداء، بخلاف الثاني فلا يليق في شرع ولا عقل أن يوجه إليه أمر أو نهي، وثبت الفرق أيضًا بين حركة المرتعش لمرضه وحركة من ليس به مرض، فلا يليق شرعًا ولا عقلاً أن يوجه إلى الأول أمر ولا نهي فيما يتعلق في الرعشة لكونه ملجأ مضطرًا إليها بل يرثي لحاله ويسعى في علاجه، بخلاف الثاني فقد يحمد كما في حركات العبادات الشرعية وقد ينهى كما في حركات العبادة غير الشرعية وحركات الظلم والاعتداء، فتكليف الله عباده ما يطيقون فقط وتفريقه في التشريع والجزاء بين من ذكروا وأمثالهم دليل على ثبوت الاختيار والقدرة والاستطاعة لمن كلفهم دون من لم يكلفهم.

ثم إن الله تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ عليٌّ حكيم لا يظلم مثقال ذرة، جواد كريم يضاعف الحسنات ويعفو عن السيئات، ثبت ذلك بالفعل الصريح والنقل الصحيح فلا يتأتى مع كمال حكمته ورحمته وواسع مغفرته أن يكلف عباده دون أن يكون لديهم

إرادة واختيار لما يأتون وما يذرون وقدرة على ما يفعلون، ومحال في قضائه العادل وحكمته البالغة أن يعذبهم على ما هم إلى فعله ملجؤون وعليه مكرهون.

وإذًا فقدر الله المحكم العادل وقضاؤه المبرم النافذ من عقائد الإيمان الثابتة التي يجب الإذعان لها وثبوت الاختيار للمكلفين وقدرتهم على تحقيق ما كلفوا به من القضايا التي صرح بها الشرع وقضى بها العقل، فلا مناص من التسليم بها والرضوخ لها، فإذا اتسع عقل الإنسان لإدراك السر في ذلك فليحمد الله على توفيقه ، وإنْ عجز عن ذلك فليفوض لله وليتَّهم نفسه بالقصور في إدراك الحقائق فذلك شأنه في كثير من الشؤون ، ولا يتهم ربه في قدره وقضائه وتشريعه وجزائه فإنه سبحانه هو العلي القدير الحكيم الخبير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .وليكف عن الخوض في ذلك الشأن خشية الزلل والوقوع في الحيرة وليقنع عن رضا وتسليم بجواب النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم لما حاموا حول هذا الحمى، فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال لهم: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**». روى البخاري من طرق عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**». فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **لِلْعُسْرَىٰ** ﴾[1] ، رواه أيضًا مسلم وأصحاب السنن[2] .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

(١) سورة الليل: ٥ ـ ١٠ .

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ فتوى رقم (٤٦٥٧).

الشفاعـــة

الشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي ﷺ وعامة له ولغيره.

النوع الأول: الخاصة به ﷺ : شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون لآدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى، وكلهم يعتذرون فيأتون إلى النبي ﷺ ، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي الله للقضاء بين عباده.

وقد ذكرت هذه الصورة في حديث الصور المشهور لكن سنده ضعيف متكلم فيه وحذفت من الأحاديث الصحيحة، فاقتصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر.

قال ابن كثير وشارح الطحاوية: وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج والمعتزلة.

النوع الثاني: الشفاعة العامة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحما وحميمًا لحديث أبي سعيد الخدري: «. . .**حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة**»[1] رواه أحمد. وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله في الشفاعة لقوله تعالى: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾[2] .

الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع لقوله تعالى: ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾[3] .

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٧٥٦ ـ الألباني.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء: ٢٨ .

فأما الكافر فلا شفاعة له لقوله تعالى: ﴿ فَمَا تنفعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافعِينَ ﴾[(١)] .

أما شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه وهو أهون أهل النار، فهذا خاص بالنبي ﷺ وبعمه لنصرته لدينه والدفاع عنه[(٢)] .

❊ ❊ ❊

(١) سورة المدثر: ٤٨ .

(٢) مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ـ٥ / ٦١ . وانظر معجم ألفاظ العقيدة [٢٤٠ ـ ٢٤١].

الشفاعة في القيامة [(١)]

وقال الشيخ ابن عثيمين :

الشفاعات: جمع شفاعة، والشفاعة في اللغة: جعل الشيء شفعًا. وفي الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له؛ صرت معه شفعًا تشفعه.

والشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعة باطلة، وشفاعة صحيحة:

فالشفاعة الباطلة: ما يتعلق به المشركون في أصنامهم؛ حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾[(٢)] ، ويقولون: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾[(٣)] .

لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع؛ كما قال تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[(٤)] .

والشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطًا ثلاثة:

الأولى: رضا الله عن الشافع.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضى الله عنهم ومن لم يرض عنهم.

الثالث: إذنه في الشفاعة.

والإذن لا يكون إلا بعد الرضا عن الشافع والمشفوع له.

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ / محمد بن صالح العثيمين [ص / ٣٧٤].

(٢) سورة يونس: ١٨ .

(٣) سورة الزمر: ٣ .

(٤) سورة المدثر: ٤٨ .

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [١] ، ولم يقل: عن الشافع، ولا: المشفوع له؛ ليكون أشمل.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [٢] .

وقال سبحانه: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٣] .

الأية الأولى: تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية: تضمنت شرطين، والثالثة: تضمنت شرطًا واحدًا.

فللنبي ﷺ ثلاث شفاعات:

١ ـ الشفاعة العظمى.

٢ ـ والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة.

٣ ـ والشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

قال ابن تيمية رحمه الله مبينًا هذه الثلاث: «أما الشفاعة الأولى؛ فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهى إليه».

قال ابن تيمية: قوله: «حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ »:

«حَتَّى» هذه تعليلية، وليست غائية؛ لأن شفاعة الرسول ﷺ تنتهي قبل أن يقضى بين الناس؛ فإنه إذا شفع؛ نزل الله عز وجل للقضاء بين عباده وقضى بينهم.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾[٤] فإن قوله: ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ للتعليل؛ أي: من أجل أن ينفضوا وليست للغاية ؛ لأن المعنى يفسد ذلك.

(١) سورة النجم: ٢٦ .

(٢) سورة طه : ١٠٩ .

(٣) سورة الأنبياء: ٢٨ .

(٤) سورة المنافقون: ٧ .

قـوله: « بَعْدَ أَنْ يَتَـرَاجَعَ الأَنْبِيَـاءُ ـ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُـوسَى، وَعِيـسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ »؛ أي: يردها كل واحد منهم إلى الآخر.

شـرح هذه الجملة مـا رواه البخـاري ومسلـم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد الناس يوم القيـامة، وهل تدرون فيمَ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صـعيد واحد، يسـمعهم الداعي، وينفذهم البـصر، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.

فـيقـول الناس: ألا ترون مـا قد بلـغكم؟ ألا تنظرون من يشـفع لكم إلى ربكم؟ فيـقول بعضهم لبـعض: عليكم بآدم، فيأتونه فـيقولون له: أنت أبو البـشر، خلقك الله بيديه، ونفخ فـيك من روحه، وأمـر الملائكة فسجـدوا لك، ألا ترى إلى ما نحن فـيه ؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيته؛ نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى نوح.

فـيأتـون نوحًا، فـيـقـولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقـد سماك الله عبداً شكوراً؛ اشفع لنا إلى ربك ؛ ألا ترى ما نحن فـيه؟ فيقول كما قال آدم في غضب الله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فـيقـولون: يا إبراهيم، أنت نـبي الله وخليله من أهل الأرض؛ اشـفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول كـما قال آدم في غضب الله، وإني قد كذبت ثلاث كذبات، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى، فـيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضَّلك الله بـرسالته وبكلامه على الناس، اشـفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى مـا نحن فيـه؟ فـيقول كـما قـال آدم في غضب الله، وإني قـد قتلت نفسًـا لم أومر بقتلهـا اذهبوا إلى عيـسى، فيأتون عـيسى، فيـقولون: يا عـيسى أنت رسول الله وكـلمته إلى مـريم وروح منه وكلمت الناس في المهـد صبيّـا، اشفع لنـا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فـيه؟ فـيقـول كما قـال آدم في غضب الله، ولم يذكر ذنبًا، وكلهم يقول كما قال آدم: نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى محمد.

فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك مـا تقدم مـن ذنبك وما تأخـر اشـفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى مـا نحن فيـه؟

فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع...» وذكر تمام الحديث [١] .

والكذبات الثلاث التي ذكرها إبراهيم عليه السلام فُسِّرت بما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن في ذات الله: قوله: ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ وقوله: ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا** ﴾ وذكر قوله عن امرأته سارة: إنها أختي.

وفي «صحيح مسلم» في حديث الشفاعة السابق أن الثالثة قوله في الكوكب (هذا ربي) ولم يذكر قصة سارة.

لكن قال ابن حجر ـ رحمه الله في «الفتح»: «الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة» ، وعلل لذلك.

وإنما سمى إبراهيم عليه السلام هذه كذبات؛ تواضعًا منه؛ لأنها بحسب مراده صدق مطابق للواقع؛ فهي من باب التورية، والله أعلم.

قوله: «حتى تنتهى إليه»؛ أي: إلى الرسول ﷺ ، وسبق في الحديث ما يكون بعد ذلك.

وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبدًا إلا للرسول عليه الصلاة والسلام، وهي أعظم الشفاعات؛ لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم.

وهؤلاء الرسل الذين ذكروا في حديث الشفاعة كلهم من أولى العزم، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن: في سورة الأحزاب، وفي سورة الشورى:

أما في سورة الأحزاب؛ ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾[٢] .

---

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٧١٢) ومسلم في الإيمان (١٩٤/ ٣٢٧) . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الأحزاب:٧ .

وأما في سورة الشورى؛ فقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ (١).

تنبيـــــه:

قوله: «**الأنبياء؛ آدم ونوح...**» إلى آخره: جزم المؤلف - رحـمه الله - بأن آدم نبي، وهو كذلك؛ لأن الله تعالى أوحى إليه بشرع أمره ونهاه.

وروى ابن حبان في «صـحيحه» أن أبا ذر رضي الله عنه سـأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: هل كان آدم نبيًا؟ قال: «**نعم**»(٢).

فيكون آدم أول الأنبياء الموحى إليهم، وأما أول الرسل، فنوح، كما هو صريح في حديث الشـفاعة، وظاهر القرآن في قـوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ (٤).

قوله: «وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»:

وذلك أن أهل الجنة إذا عبـروا الصراط؛ وقفوا على قنطرة فـيقتص لبعـضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي كـان في عرصات القيامة، بل هو قصاص أخص، يطهر الله فيه القلوب، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن فإذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة.

ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة، لا يجدونـها مفتـوحة كما يجـد ذلك أهل النار؛ فلا تفتح الأبواب حتى يشفع النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يـكون أكثر اجـتهادًا فـيه من غـيره، وإلا فإن المسلم قـد يدعى من كل الأبواب.

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) رواه ابن حبان (٢٠٨٥ موارد) وأبو الشيخ في العظمة (١٠٢٨ / ١٥) وسنده ضعيف جدا، فيه جعفر بن الزبير متروك الحديث كما في التقريب.

(٣) سورة النساء: ١٦٣. (٤) سورة الحديد: ٢٦.

وهذه الشفاعة يشير إليها القرآن؛ لأن الله قال في أهل الجنة: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[١] وهذا يدل أن هناك شيئًا بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب.

وهو صريح فيما رواه مسلم عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة...»** وذكر الحديث، وفيه: **«فيأتون محمدًا فيقوم فيؤذن له..»**[٢].

قوله: « وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ»: يعني: الشفاعة في أهل الموقف أن يُقضى بينهم، والشفاعة في دخول الجنة.

«خَاصَّتَانِ لَهُ» أي: للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك يعتذر عنهما آدم وأولو العزم من الرسل.

وهناك أيضًا شفاعة ثالثة خاصة بالنبي ﷺ، لا تكون لغيره وهي الشفاعة في عمه أبي طالب.

وأبو طالب ـ كما في «الصحيحين» وغيرهما ـ مات على الكفر[٣].

فأعمام الرسول عليه الصلاة والسلام عشرة، أدرك الإسلام منهم أربعة، فبقي اثنان على الكفر وأسلم اثنان:

فالكافران هما:

أبو لهب: وقد أساء إلى النبي ﷺ إساءة عظيمة، وأنزل الله تعالى فيه وفي امرأته حمالة الحطب سورة كاملة في ذمهما ووعيدهما.

والثاني: أبو طالب، وقد أحسن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام إحسانًا كبيرًا مشهورًا، وكان من حكمة الله عز وجل أن بقي على كفره؛ لأنه لولا كفره،

---

(١) سورة الزمر: ٧٣.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٩٥ / ٣٢٩).

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٦٠) وفي مناقب الأنصار (٣٨٨٤) ومسلم في الإيمان (٢٤ / ٣٩) من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنهما.

ما حصل هذا الدفاع عن الرسول عليه الصلاة والسلام، بل كان يُؤذى كما يُؤذى الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه وصار للنبي عليه الصلاة والسلام جانب من الحماية بذلك.

واللذان أسلما هما العباس وحمزة، وهو أفضل من العباس، حتى لقبه الرسول عليه الصلاة والسلام بأسد الله، وقتل شهيدًا في أحد رضي الله عنه وأرضاه ، وسماه النبي ﷺ سيد الشهداء .

فأبو طالب أذن الله لرسوله ﷺ أن يشفع فيه، مع أنه كافر ، فيكون هذا مخصوصًا من قوله تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ [1] ولكنها شفاعة لم تخرجه من النار، بل كان في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**ولولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار**» [2]، وليس هذا من أجل شخصية أبي طالب، لكن من أجل ما حصل من دفاعه عن النبي ﷺ وعن أصحابه.

قوله: «وَأَمَّا الشَّفَاعَـةُ الثَّالثَةُ:فَيَشْفَعُ فِيمَن اسْتَحَقَّ النَّارَ» وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها » .

قوله : « وأما الشفاعة الثالثة، فيشفع فيمن استحق النار» أي: من عصاة المؤمنين.

وهذه لها صورتان، يشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها. أما فيمن دخلها أن يخرج منها؛ فالأحاديث في هذا كثيرة جدا، بل متواترة، وأما فيمن استحقها ألا يدخلها ، فهذه قد تستفاد من دعاء الرسول ﷺ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم؛ فإن من لازم ذلك ألا يدخل النار، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين..**»[3] الحديث.

---

(١) سورة المدثر: ٤٨ .

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٨٣) ومسلم في الإيمان (٢٠٩ / ٣٥٧) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم في الجنائز (٩٢٠ / ٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

لكن هذه شفاعة في الدنيا، كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه**»(١).

وهذه الشفاعة ينكرها من أهل البدع طائفتان، المعتزلة والخوارج؛ لأن المعتزلة والخوارج مذهبهما في فاعل الكبيرة أنه مخلد في نار جهنم، فيرون من زنى كمن أشرك بالله، لا تنفعه الشفاعة ، ولن يأذن الله لأحد بالشفاعة له.

وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث في ذلك.

قوله: «وَهَذِه الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِم»: فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها؛ يعني: أنها ليست خاصة بالنبي ﷺ بل تكون للنبيين، حيث يشفعون في عصاة قومهم، وللصديقين يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين وكذلك تكون لغيرهم من الصالحين، حتى يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه وفيما أشبه ذلك.

قوله: «وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِه وَرَحْمَتِه»:

يعني: أن الله تعالى يخرج من عصاة المؤمنين من شاء بغير شفاعة، وهذا من نعمته؛ فإن رحمته سبقت غضبه، فيشفع الأنبياء والصالحون والملائكة وغيرهم، حتى لا يبقى إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج من النار من يخرج بدون شفاعة،حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار.

فقد روى الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «**أن الله تعالى يقول: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا..**» (٢) الحديث.

---

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩٤٨/ ٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٧٤٣٩) ومسلم في الإيمان (١٨٣ / ٣٠٢).

وقال الشيخ / الجزائري [١] :

أما الشفاعة في الدار الآخرة فإنها تختلف عن الشفاعة في الدنيا اختلافًا كبيرًا؛ وذلك لأن الأمر يومئذ لله، وليس لأحد غير الله تعالى منه شيء كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ**﴾[٢].

وقد تكون يوم القيامة شفاعات كثيرة غير أنها تجري على خلاف ما تكون عليه اليوم في الدنيا وهذا بيانها:

إن الشفاعة تنقسم يوم القيامة قسمين : شفاعة منفية تمامًا لا حقيقة لها ولا واقع ولا وجود، وشفاعة ثابتة واقعة لها حقيقة ووجود.

وللشفاعة المنفية صور منها:

١ ـ شفاعة الآلهة التي عُبدت من دون الله أو معه، فهذه شفاعة لا وجود لها البتة، وسواء كان المعبود المرجو الشفاعة ملكًا، أو نبيا، أو صالحًا أو دون ذلك من الجن أو الشياطين، أو الحيوانات والجمادات، وذلك لقوله الله تعالى: ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾[٣] .

ولأن من عبد غير الله تعالى مشرك كافر، ولا شفاعة للكفار لقول الله تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾[٤] وهذه قطعًا نفس الكافرين والمشركين.

٢ ـ الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع ، أو عدم رضاه عن المشفوع له، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[٥] وقوله: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ**

(١) انظر عقيدة المؤمن ـ الشيخ / أبو بكر الجزائري [ص / ١٠١ ـ ١٠٥].

(٢) سورة الانفطار: ١٧ ـ ١٩ .

(٣) سورة الزمر: ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤) سورة المدثر: ٤٨ .

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥ .

ارْتَضَىٰ﴾ (١) ، وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ (٢) .

والشفاعة المثبتة قسمان:

القسم الأول: شفاعات النبي محمد ﷺ .

والقسم الثاني: شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى.

فأما شفاعاته ﷺ فهي كثيرة منها: الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل القضاء، وهي المقام المحمود الذي ذُكر له في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٣).

وورد بيان كيفية هذه الشفاعة في الصحيحين فروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قوله: أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه بالذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة (٤) فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بما ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذ فيهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون .**

فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيقولون يا آدم: أنت أبو البشر، خلقك الله بيديه، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٨ .

(٢) سورة النجم: ٢٦ .

(٣) سورة الإسراء: ٧٩ .

(٤) نهس: أي أكل منها بمقدم أسنانه.

الشجرة، فعصيته؛ نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا عليه السلام، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا؛ اشفع لنا إلى ربك ؛ ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله،، وإنه قد كانت لي دعوة فدعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله تعالى وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله تعالى برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى محمد.

فيأتونني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله تعالى علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تُعط ، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي . فيقال: يا محمد ارفع رأسك، سل

تُعط، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي. فيقال: أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» (١)

• ومن شفاعاته ﷺ : شفاعته في أناس من أمته فيدخلون الجنة بغير حساب، وقد تقدم دليلها آنفًا في حديث الشفاعة العظمى حيث قال له الرب تعالى: «**أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن**».

ومنها: شفاعته ﷺ في أناس من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم فلا يدخلون النار.

ومنها: شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من أمته فيخرج منها بشفاعته ﷺ في أناس من أمته فيخرج منها بشفاعته ﷺ لحديث الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**» (٢) .

والقسم الثاني من الشفاعة المثبتة: شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء:

فشفاعة الملائكة ثابتة بقوله تعالى: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ**﴾ (٣) . وبقوله تعالى: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ (٤) .

وأما شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء فهي ثابتة بعموم القرآن وخصوص السنة، ففي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ (٥). ويقول وقوله

(١) اللؤلؤ والمرجان (١ / ٤٩ ـ ٥١) والبخاري (٦ / ١٠٥ ـ ١٠٧) ومسلم (١ / ١٢٧ ـ ١٢٩).
(٢) اللؤلؤ والمرجان (١ / ٥١) والبخاري (٩ / ١٧٠) ومسلم (١ / ١٣١).
(٣) سورة النجم: ٢٦ .
(٤) سورة الأنبياء: ٢٨ .
(٥) سور المدثر: ٤٨ .

الحق: ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾[١] . ويقول: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[٢] فهذه الآيات دالة على وجود شفعاء بمنطوقها ومفهومها.

وفي السنة يقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن ماجه والبيهقي والبزار: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»[٣] .

وقوله ﷺ : «**يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته**»[٤] .

وصح أن القرآن الكريم يشفع لأهله كذلك[٥] .

وآخر القول في هذا أن كل ما تقدم من الشفاعات الثابتة للأنبياء والعلماء والشهداء هو مقيد بثلاثة قيود لا تتم الشفاعة لعبد من عباد الله تعالى إلا بعد توفرها له، وتلك القيود هي:

١ ـ لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب تبارك وتعالى له، وذلك لقوله: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[٦] والاستفهام هنا للنفي أي: لا أحد يشفع إلا بإذنه تعالى.

٢ ـ ألا يشفع أحد في آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضي عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله، وذلك لقوله عز وجل: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٧] . فإنه صريح في نفي الشفاعة عن أحد لم يرتضه الله تعالى لذلك.

٣ ـ ألا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر، وذلك لحكم الله تعالى بخلود الكافرين والمشركين في النار بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ

---

(١) سورة مريم: ٨٧ .

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٣) الحديث رواه ابن ماجه (زهد / ٣٧).

(٤) الحديث رواه أبو داود (٢ / ١٧).

(٥) لما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» الحديث ـ متن مسلم (٢ / ١٩٧).

(٦) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٧) سورة الأنبياء: ٢٨ .

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (١) .

ولهذا وجب أن ينقطع طمع العبد في غير الله تعالى، فلا يطلب الشفاعة من أحد، ولا يسألها من غير الله عز وجل، إذ الشفاعات كلها لله تعالى وليس لأحد سواه منها شيء، قال تعالى: **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾**(٢) . وقال: **﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾**(٣) .

ومن أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها من الله تعالى، وليقل: اللهم شفع في نبيك، أو اللهم ارزقني شفاعة نبيك ، أو يا رب اجعلني فيمن تُشفع فيهم نبيك، وليتبع سؤاله الشفاعة من الله تعالى بالعمل الموجب لها والمقتضى تحقيقها ، وهو يتلخص في ثلاثة أمور:

١ ـ الإخلاص لله تعالى في العبادة، ونفي الشرك عنه تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته وفي عبادته، للحديث الصحيح: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه**»(٤) .

٢ ـ كثرة الصلاة، لما صح عنه ﷺ أنه سأله أحد الصحابة مرافقته في الجنة، فقال له: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٥) .

٣ ـ الصلاة على النبي ﷺ وسؤال الوسيلة له، وذلك لحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**» (٦).

---

(١) سورة البينة: ٦ .

(٢) سورة الزمر: ٤٤ .

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٤) الحديث: رواه البخاري (١ / ٣٥).

(٥) الحديث : رواه مسلم (٢ / ٥٢).

(٦) الحديث: رواه مسلم (٢ / ٤).

وقال في (٢٠٠) سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية:

الإيمان بالشفاعة وممن تكون ولمن تكون ومتى تكون[١] ؟

قد أثبت الله عَزَّ وَجَلَّ الشفاعة في كتابه في مواضع كثيرة؛ بقيود ثقيلة وأخبرنا تعالى أنها ملك له، ليس لأحد فيها شيء فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[٢] .

فأما متى تكون؟ فأخبرنا عَزَّ وَجَلَّ أنها لا تكون إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[٣] ، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[٤] .

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾[٥] .

﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[٦] .

وأما ممن تكون؟ فكما أخبرنا تعالى أنها لا تكون إلا من بعد إذنه أخبرنا أيضا أنه لا يأذن إلا لأوليائه المرتضين الأخيار كما قال تعالى: ﴿ لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ﴾[٧] .

وقال: ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) ﴾[٨] .

وأما لمن تكون؟ فأخبرنا أنه لا يأذن أن يشفع إلا لمن ارتضى كما قال تعالى: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٩] .

---

(١) انظر: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية، بتحقيقي فيما نقلته من المصدر.
(٢) سورة الزمر: ٤٤ .
(٣) سورة البقرة: ٢٥٥ .
(٤) سورة يونس: ٣ .
(٥) سورة النجم: ٢٦ .
(٦) سورة سبأ: ٢٣ .
(٧) سورة النبأ: ٣٨ .
(٨) سورة مريم: ٨٧ .
(٩) سورة الأنبياء: ٢٨ .

وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[١] .

وقال تعالى عنهم: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[٢] .

وقال تعالى فيهم: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٣] .

وقد أخبرنا النبي ﷺ أنه أوتي الشفاعة ثم أخبر أنه يأتي فيسجد تحت العرش ويحمد ربه بمحامد يعلمه إياها، لا يبدأ بالشفاعة أولاً حتى يقال له: «**ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**»[٤] الحديث .

ثم أخبر أنه لا يشفع في جميع العصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة، بل قال: «**فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة**»[٥] ثم يرجع فيسجد كذلك فيحد له حدًا إلى آخر حديث الشفاعة.

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» [٦] .

أنواع الشفاعة وأعظمها :

أعظمها: الشفاعة العظمى في موقف القيامة في أن يأتي الله تعالى لفصل القضاء بين عباده وهي خاصة لنبينا محمد ﷺ، وهي المقام المحمود الذي وعده الله عَزَّ وَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[٧] .

---

(١) سورة غافر: ١٨ .

(٢) سورة الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) سورة المدثر: ٤٨ .

(٤) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، ورواه الترمذي (٣١٤٨) وقال: حسن صحيح.

(٥) الحديث: متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

(٦) الحديث: متفق عليه ـ رواه البخاري (٩٩): وأحمد (٨٨٤٥) ، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٢).

(٧) سورة الإسراء: ٧٩ .

وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف، وطال المقام واشتد القلق، وألجمهم العرق، التمسوا الشفاعة في أن يفصل الله بينهم فيأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ابن مريم ، وكلهم يقول: نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «أنا لها» كما جاء مفصلا في الصحيحين وغيرهما [١] .

الثانية: الشفاعة في استفتاح باب الجنة، وأول من يستفتح بابها نبينا محمد ﷺ وأول من يدخلها من الأمم أمته[٢] .

الثالثة: الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها.

الرابعة: في من دخلها من أهل التوحيد أن يخرجوا منها فيخرجون قد امتحشوا وصاروا فحمًا ، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حَمِيل السَّيْل[٣] .

الخامسة: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

وهذه الثلاث ليست خاصة بنبينا ﷺ ولكنه هو المقدم فيها ثم بعده الأنبياء والملائكة والأولياء والأفراط يشفعون، ثم يخرج الله تعالى برحمته من النار أقوامًا بدون شفاعة لا يحصيهم إلا الله فيدخلهم الجنة.

السادسة: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار، وهذه خاصة لنبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عمه أبي طالب كما في مسلم وغيره.

«ولا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل ينشئ الله له خلقًا فيسكن فضول الجنة»[٤] .

وفي ذلك من النصوص ما لا يُحصى. فمن شاءها وجدها من الكتاب والسنة.

---

(١) الحديث: سبق تخريجه.

(٢) الحديث: صحيح من حديث «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة ـ » الحديث رواه مسلم (٨٥٦)، والنسائي (١٣٦٨)، وابن ماجه (١٠٨٣)، والبزار في كشف الأستار (٦١٧).

(٣) الحديث : متفق عليه ـ رواه البخاري (٧٧٣)، (٦١٩٢)، ومسلم (٢٩٦٨)، وأحمد (٩ / ١٠٩) عن أبي هريرة.

(٤) الحديث: متفق عليه، رواه البخاري (٦٩٤٩)ومسلم(٢٨٤٨)، وأحمد(١٢٤٠٣) ، وعبد بن حميد (١١٨٢) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٢٥)، وأبو عوانة(٤٦٣) وابن حبان(٢٦٨).

شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الصالحين يوم القيامة [١]

س: كيف يشفع النبي ﷺ لأمته عند ربه يوم القيامة وكيف يشفع الصحابة والصالحون والملائكة للمذنبين وحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٢] هل صحيح السند وما معناه إن صح الحديث؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة الصالحين يوم القيامة ثابتة في القرآن، وقد وردت فيها أحاديث صحيحة تفسر ما جاء في القرآن. ومنها الحديث الذي أشرت إليه في سؤالك وهي أنواع. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في كتاب فتح المجيد: (وذكر أيضًا رحمه الله ـ يعني ابن القيم ـ أن الشفاعة ستة أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: «**أنا لها**» وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليتشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف وهذه شفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم ألا يدخلوها.

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم، والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ. وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ السؤال السادس من الفتوى رقم (٩١٨٤).

(٢) أحمد ٣ / ٢٣٠، وأبو داود برقم (٤٧٣٩)، والترمذي برقم(٢٤٣٧)، وابن حبان في الصحيح برقم (٢٥٩٦ موارد) والحاكم في المستدرك ١ / ٩ .

وبدعوا من أنكرها وصاحوا به كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليّا ولا شفيعًا كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [1] .

السادس: شفاعته في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده) أ . هـ[2] .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنعام: ٥١ .
(٢) فتح المجيد، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

حكم من أنكر حديث الشفاعة الذي في البخاري[١]

س: ما حكم الإسلام في رجل ينكر حديث الشفاعة الذي رواه البخاري في صحيحه، ويقول أيضًا إن في صحيح البخاري أحاديث مدسوسة؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد:

إن صحيح البخاري تلقاه علماء الأمة بالقبول، فأحاديثه يعتمد عليها في إثبات الأحكام وتقوم بها الحجة على المخالف، ومن قال إن فيه أحاديث مدسوسة فهو جاهل مخطئ مخالف لإجماع الأمة، وكذا من أنكر حديث الشفاعة العظمى أو أحاديث الشفاعة الأخرى التي رواها البخاري في صحيحه وغيره من أئمة الحديث فهو مخالف لأهل السنة والجماعة وسلف الأمة ذاهب مذهب أهل الزيغ والضلال.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٧٤٧).

الولاء والبراء: تعريفهما وحكمهما [(١)]

الولاء في اللغة: المحبة والنصرة، والقرب.

والولي: المحب والصديق والنصير، وهو ضد العدو. والموالاة والوَلاية: ضد المعاداة.

والولاء في الاصطلاح هو: محبة المؤمنين لأجل إيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين.

وهذا الولاء يكون في حق المسلم الذي لم يصر على شيء من كبائر الذنوب، أما إذا كان المسلم مصرًا على شيء من كبائر الذنوب، كالربا، أو الغيبة، أو إسبال الثياب، أو حلق شعر العارضين والذقن (اللحية) أو غير ذلك فإنه يحب بقدر ما عنده من الطاعات، ويبغض بقدر ما عنده من المعاصي. والمحبة للمسلم العاصي تقتضي أن يهجر إذا كان هذا الهجر يؤدي إلى إقلاعه عن هذه المعصية وإلى عدم فعل ما يشبهها من قبله أو من قبل غيره، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وأمر الصحابة أن يهجروهم، فلم يكلموهم خمسين يومًا . متفق عليه [(٢)] .

كما أن المحبة للمسلم العاصي تقتضي مناصحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ليفعل الخير ويجتنب المعصية، فينجو من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، كما تقتضي المحبة للعاصي إقامة الحدود والتعزيرات عليه ليتوب ويرجع إلى الله تعالى، ولتكون تطهيرًا له من ذنوبه.

وقريب من العاصي: المتهم بالنفاق، فيوالي بقدر ما يظهر منه من الخير، ويعادي بقدر ما يظهر منه من الخبث، وإذا تبين نفاقه وحكم عليه بالنفاق فحكمه في باب الولاء والبراء حكم بقية الكفار .

---

(١) انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية (ص / ١٩١ ـ ١٩٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

أما المبتدعة: كالجهمية والقدرية والرافضة والأشاعرة ونحوهم فهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من كان منهم داعيًا إلى بدعته أو مُظهرًا لها وكانت بدعته غير مكفِّرة فيجب بغضه بقدر بدعته، كما يجب هجره ومعاداته، وهذا مجمع عليه بين أهل العلم[١]، فلا تجوز مجالسته، ولا التحدث معه إلا في حال دعوته ونصحه، وهذه المجالسة إنما تجوز في حق العلماء خاصة.

أما من لم يكن من العلماء فلا يجوز له مجالسة المبتدع، ولا أن يسمع كلامه، ولا أن يجادله، ولا أن يقرأ ما يكتبه، لئلا يقع في قلبه شيء من بدعته، ولئلا يؤثر عليه بما يثيره من الشبهات بين الحين والآخر.

أما السلام على المبتدع والرد عليه إذا سلَّمَ فهو جائز، لكن يستحب ترك السلام عليه، وترك إجابة سلامه إذا كان في ذلك مصلحة، كأن يكون ذلك سببا في تركه لها، أو ليعْلَم من حوله قبح عمله وعقيدته، ليحذره العامة، ونحو ذلك[٢].

والقسم الثاني من المبتدعة: من كانت بدعته مكفرة، كغلاة الصوفية الذين يدعون

---

(١) قال البغوي الشافعي في شرح السنة باب مجانبة أهل الأهواء ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ بعد ذكره لحديث كعب بن مالك: «هذا حديث صحيح، وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم». ونقل في الآداب الشرعية ١ / ٢٣٢ عن القاضي أبي يعلي حكايته إجماع الصحابة والتابعين على عدم مجالسة المبتدعة، وحكى نحوه الصابوني في عقيدته ١ / ١٣٢ وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ كما في الدرر السنية ٨ / ٤٣٩ ، ٤٤٠: «مواكلة الرافضي والانبساط معه وتقديمه في المجالس والسلام عليه لا يجوز؛ لأنه موالاة وموادة ، والله تعالى قد قطع الموالاة بين المسلمين والمشركين. . . وقال الحسن: لا تجالس صاحب بدعة، فإنه يمرض قلبك، وقال النخعي: لا تجالسوا أهل البدع، ولا تكلموهم، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم».

(٢) روى ابن القاسم كما في المدونة ١ / ٨٤ عن الإمام مالك قال: «لا ينكح أهل البدع ولا ينكح إليهم، ولا يسلم عليهم، ولا يصلى خلفهم»، وروى الخلال في السنة باب ذكر الروافض ١ / ٤٩٣ ، ٤٩٤ أن رجلاً سأل الإمام أحمد عن جار له رافضي هل يسلم عليه؟ قال: لا، وإذا سلم عليه لا يرد عليه. وسنده صحيح.

الأموات والمشايخ ، وكغلاة الرافضة (الشيعة الإمامية) الذين يزعمون أن القرآن محرف أو بعضه غير موجود أو يستغيثون بالمخلوقين، فهولاء إذا أُقيمت عليهم الحجة وحكم بكفرهم فحكمهم في باب الولاء والبراء حكم بقية الكفار .

والقسم الثالث: من كان يُخفى بدعته ولا يدعو إليها ولا يحسِّن شيئًا من ضلالاتها ولا يمدح أهلها ولا يثير بعض الشبه التي تؤيدها فهو كالعاصي المخفي لمعصيته، يجالس ويُسلم عليه، ولا يهجر[١] .

والبراء في اللغة: التباعد عن الشيء ومفارقته، والتخلص منه، يقال: تبرأت من كذا ، فأنا منه براء، وبريء منه.

وفي الاصطلاح: بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار، وعداوتهم ، والبعد عنهم، وجهاد الحربيين منهم بحسب القدرة.

وحكم الولاء والبراء:

أنهما واجبان ، وأصل عظيم من أصول الإيمان.

فقد وردت أدلة كثيرة جدا تدل على وجوب موالاة المؤمنين ووجوب البراء من جميع الكافرين من يهود ونصارى وبوذيين وعباد أصنام ومنافقين وغيرهم، وعلى تحريم موالاتهم، حتى قال بعض أهل العلم: «أما معاداة الكفار والمشركين: فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجود التوحيد وتحريم ضده».

ولهذا قال النبي ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»**[٢] .

ومن أوضح الأدلة على وجوب الولاء للمؤمنين قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ**

---

(١) روى الفضل عن الإمام أحمد كما في الآداب الشرعية ١ / ٢٢٩ أنه قال: إذا عرفت من أحد نفاقًا فلا تكلمه . قال الفضل: قلت: كيف يصنع بأهل الأهواء؟ قال: أما الجهمية والرافضة فلا. قيل له: فالمرجئة؟ قال: هؤلاء أسهل؛ إلا المخاصم منهم فلا تكلمه.

(٢) حسن بشواهده: أخرجه أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة (١١ الإيمان).

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

ومن أوضح الأدلة على وجوب البراء من الكافرين وتحريم موالاتهم قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

وقد أجمع أهل العلم على وجوب الولاء للمؤمنين وعلى تحريم الولاء للكافرين.

وقال في معجم ألفاظ العقيدة:

الولاء والبراء مبحث هام من مباحث العقيدة، فالولاء أن يوالي العبد الله عز وجل، وأن يتبرأ الإنسان من كل ما تبرأ الله منه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ﴾ (٣) .

فيجب على المؤمن أن يتبرأ من كل مشرك وكافر، ويجب على المؤمن أن يتبرأ من كل عمل لا يرضي الله ورسوله وإن لم يكن كفرًا كالفسوق والعصيان كما قال سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٤) .

فالمؤمن العاصي نكرهه على معاصيه ونواليه على إيمانه، وهذا يجري في حياتنا، فقد تأخذ الدواء كريه الطعم وأنت كاره لطعمه، وأنت مع ذلك راغب فيه لأن فيه

---

(١) سورة التوبة: ٧١ .
(٢) سورة الممتحنة: ٤ .
(٣) سورة الممتحنة: ٤ .
(٤) سورة الحجرات: ٧ .

شفاء المرض.

ويجب علينا أن نتبرأ من كل عمل محرم ،ولا يجوز لنا أن نألف الأعمال المحرمة ولا أن نأخذ بهذا ، والمؤمن العاصي نتبرأ من عمله بالمعصية ولكننا نواليه ونحبه على ما معه من الإيمان[1] .

* * *

(١) مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ٣ / ١١ .

معتقد الخوارج والرافضة في الولاء والبراء [(١)]

أما الخوارج فهم الذين قال فيهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: (هم الذين مرقوا من الدين. وفارقوا الملة، وشردوا عن الإسلام، وشذوا عن الجماعة فضلوا السبيل والهدى، وخرجوا عن السلطان، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم وعادوا من خالفهم إلا من قال بقولهم وكان على مثل قولهم ورأيهم، وثبت معهم في بيت ضلالتهم، وهم يشتمون أصحاب محمد ﷺ وأصهاره وأختانه، ويتبرؤون منهم ، ويرمونهم بالكفر والعظائم ،ويرون خلافهم في شرائع الإسلام. يقولون من كذب كذبة ، أو أتى صغيرة أو كبيرة من الذنوب فمات من غير توبة: فهو في النار خالداً مخلداً أبداً. . . وهم قدرية جهمية مرجئة رافضة، لا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم . . ولا يرون للسلطان عليهم طاعة، ولا لقريش عليهم خلافة، وأشياء كثيرة يخالفون عليها الإسلام وأهله . وكفى بقوم ضلالة: أن يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم وليسوا من الإسلام في شيء. ومن أسمائهم الحرورية وهم أصحاب حروراء [(٢)] والأزارقة: وهم أصحاب نافع بن الأزرق. . والنجدية : وهم أصحاب نجدة بن عامر الحروري. . . والإباضية. . . والصفرية وغيرهم. . . كل هؤلاء خوارج ، فساق مخالفون للسنة، خارجون من الملة أهل بدعة وضلالة) [(٣)] .

وفرقة الخوارج قد انحرفت في مفهوم الولاء والبراء؛ فهي لا تتولى إلا من يدين بنحلتها القائمة على تكفير مرتكب الذنوب وخاصة الكبائر. وموقفهم من صحابة رسول الله ﷺ أنهم يتولون أبا بكر وعمر ويتبرؤون من عثمان وعلي [(٤)] .

---

(١) انظر الولاء والبراء [ص / ٢٥٤ ـ ٢٥٧].

(٢) قرية بالكوفة كانت بها وقعة على الخوارج بقيادة نجدة بن عامر. انظر هامش السنة للإمام أحمد ص ٨٤ .

(٣) كتاب السنة للإمام أحمد ص ٨٣ ـ ٨٥ تصحيح إسماعيل الأنصاري (بتصرف بسيط).

(٤) التنبيه والرد للملطي ص ٥٣ .

وخلاصة القول في الرد عليهم: أن أهل السنة والجماعة ويتبرؤون منهم بسبب بدعتهم الضالة ولا يتولونهم في شيء.

أما الولاء والبراء بمفهومه الصحيح فهو ما عليه أهل السنة والجماعة، ولا يضيرهم أن الخوارج قالوا بقضية الولاء والبراء، لأن العبرة ليست في العناوين والشعارات بل في المفاهيم والتصورات التي توافق الكتاب والسنة أو تناقضها. ومن هنا فإن ولاء الخوارج وبراءهم الذي يعتقدونه: إنما هو بحسب أهوائهم وليس متفقًا مع نصوص الكتاب والسنة.

❊ ❊ ❊

معتقد الرافضة في الولاء والبراء

وأما الرافضة : فهم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم، ويكفرون الأئمة الأربعة: عليا، وعمارا، والمقداد ، وسلمان[(١)] .

وقال الأشعري: إنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[(٢)] .

ولئن كان الخوارج قد انحرفوا في الأمور التي ذكرناها آنفًا عنهم: فإن الرافضة أيضًا لا يقلون جرمًا عنهم حيث وقفوا من أصحاب رسول الله ﷺ موقفًا مشينًا، ولعبت بهم الأيدي اليهودية الممثلة في شخصية عبد الله بن سبأ التي أخذت تنصب خيالات من الحب الكاذب لآل البيت وتتبرأ من بقية أصحاب رسول الله ﷺ وتعاديهم مع أن آل البيت برآء مما ألصقه بهم هؤلاء الرافضة.

قال ابن كثير: إن الطائفة المخذولة ـ الرافضة ـ يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ [(٣)] .

أما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله. وهم متبعون لا مبتدعون [(٤)].

والرافضة تقول: لا ولاء إلا ببراء: أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي

---

(١) السنة للإمام أحمد ص ٨٢ . وفي قوله: يكفرون الأئمة الأربعة نظر فلعل الصواب: ويتولون .

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ٨٩ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة : ١٠٠].

(٤) التفسير ٤ / ١٤٢ .

بكر وعمر . رضي الله عنهما [١] !

ترى أي ثقة أو أمانة أو دين تبقى في أناس يطعنون في أفضل شخصيتين إسلاميتين في الأمة بعد رسول الله ﷺ ؟

ولكن لا غرابة في ذلك من زمرة فضائحها في الكتب مسطورة فقد كانت الرافضة على طول تاريخها حربًا على أهل الإسلام، يوالون أعداء المسلمين من تتار وصليبيين وغيرهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الرافضة توالي من حارب أهل السنة والجماعة، فهم يوالون التتار ويوالون النصارى. وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم، وغلمان السلطان، وغيرهم من الجند والصبيان. وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور. وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة ، وقتل أهل بغداد.

ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين وكاتب التتار، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة، ونهى الناس عن قتالهم.

(وقد عرف العارفون بالإسلام: أن الرافضة تميل مع أعداء الدين، ولما كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرة يهوديًا ، ومرة نصرانيا أرمينيا، وقويت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرميني، وبنوا كنائس كثيرة بأرض مصر في دولة أولئك الرافضة المنافقين وكانوا ينادون بين القصرين: من لعن وسب فله دينار وأردب.

وفي أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين حتى فتحه نور الدين وصلاح الدين)[٢] .

ومن أحفادهم في الوقت الحاضر النصيرية الكافرة التي ابتلي بها المسلمون، ذلك أن كفرها أشد من كفر اليهود والنصارى كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره

---

(١) شرح الطحاوية ص ٥٣٢ .

(٢) الفتاوى ٢٨ / ٦٣٦ ـ ٦٣٧ .

وهم الذين كانوا أداة طيعة للاستعمار الفرنسي في غزوه لبلاد الشام.

ويشنون اليوم حربًا شرسة على المسلمين في ديارهم. وبعد: فإن أهل السنة والجماعة هم الذين يحبون أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يفرطون في حب أحد منهم ويتولونهم جميعًا ولا يتبرؤون من أحد منهم، ويبغضون من يبغضهم ويرون أن حبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان(١).

وهم برآء من الخوارج والرافضة ومن كل الفرق الضالة.

* * *

(١) انظر الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨، وقد اطلعت ـ بعد هذا الكتاب ـ على كتاب قيم يكشف أستار الشيعة ويفضحهم في عصرنا الحاضر وخصوصًا زعيمهم «الخميني» ذلك الكتاب هو «وجاء دور المجوس» لمؤلفه الدكتور عبد الله محمد الغريب وهو كتاب قيم فليراجعه من شاء لسببين: زيف باطلهم وخططهم ضد أهل السنة والجماعة.

الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى[(١)]

قلنا قبل قليل: إن الولاء شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر والأصل في هذا قوله تعالى:

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[(٢)] .

وقد اختلف أهل العلم في تفسيرها فقال بعضهم إن المعنى بها: الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا فأذن الله للمؤمنين ببرهم والإحسان إليهم. وإلى هذا ذهب مجاهد.

وقال آخرون: عنى بها من غير أهل مكة من لم يهاجر.

وقال آخرون: بل عنى بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين ولم يخرجوهم من ديارهم ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم. ويروى هذا عن قتادة[(٣)] .

ورجح ابن جرير: أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم. لأن الله عز وجل عم بقوله: ﴿ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾[(٤)] جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن بر المؤمن أحدًا من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينهما ولا نسب غير محرم، ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

---

(١) انظر الولاء والبراء [ص / ٣٥٢ ـ ٣٥٥].

(٢) سورة الممتحنة: ٨ .

(٣) تفسير الطبري (٢٨ / ٦٦).

(٤) سورة الممتحنة: ٨ .

ويبين ذلك الخبر المروي عن ابـن الزبير في قصة أسمـاء مع أمها [١] . والإسلام بفعله هذا ـ حتى في حالة الخصومة ـ يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك، وعدالة المعاملـة انتظاراً لليوم الذي يقتنع فيـه خصومه بأن الخيـر في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع[٢] .

وقد سبق الحـديث : أن الله أمر بصلة الأقارب الكفـار والمشركين وأن ذلك ليس موالاة لهم في شيء.

ونزيد هذا الأمر إيضاحًا بقصة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مع أمها.

فقد روى البـخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنهـا قالت : قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت عليَّ وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: « نعم صلي أمك » [٣] .

قال الخطابي: فيه ـ أي الحديث ـ أن الرحم الكفـارة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمـة ويستنبط منه وجـوب نفقـة الأب الكافر والأم الكافـرة وإن كان الولد مسلمًا[٤] .

قال ابن حجر: البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [٥] .

فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل[٦] .

وقال ابن الـقيم: الذي يقوم عليـه الدليل وجوب الإنفـاق. وإن اختلف الدينان لقوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ**

(١) تفسير الطبري ٢٨ / ٦٦ .

(٢) انظر الظلال ٦ / ٣٥٤٤ .

(٣) صحيح البخـاري ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمـشركين ٥ / ٢٣٣ ح ٢٦٢٠، وصحيح مسلم كتاب الزكاة ٢ / ٦٩٦ ح ١٠٠٣ .

(٤) فتح الباري ٥ / ٢٣٤ .

(٥) سورة المجادلة: ٢٢ .

(٦) فتح الباري ٥ / ٢٣٣ .

لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (١) .

وليس من الإحسان ولا من المعروف ترك أبيه وأمه في غاية الضرورة والفاقة وهو في غاية الغنى. وقد ذم الله قاطعي الرحم وعظم قطيعتها وأوجب حقها وإن كانت كافرة لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾(٢) .

وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»(٣) .

وصلة الرحم واجبة، وإن كانت لكافر، فله دينه وللواصل دينه، وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد. فإن الميراث مبناه على النصرة والموالاة بخلاف النفقة فإنها صلة ومواساة من حقوق القرابة.

وقد جعل الله للقرابة حقا ـ وإن كانت كافرة ـ فالكفر لا يسقط حقوقها في الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٤) .

وكل من ذكر في هذه الآية فحقه واجب وإن كان كافرًا، فما بال ذي القربى وحده يخرج من جملة من وصى الله بالإحسان إليه (٥) .

من هنا يتضح لنا: أن الموالاة الممثلة في الحب والنصرة شيء ، والنفقة والصلة والإحسان للأقارب الكفار شي آخر. وسماحة الإسلام أيضًا تتضح في معاملة الأسرى والشيوخ والأطفال والنساء في الحرب، كما هو معلوم من صفحاته المشرقة.

---

(١) سورة لقمان: ١٤ ـ ١٥ .

(٢) سورة النساء: ١ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب باب إثم القاطع ١٠ / ٤١٥ ح ٥٩٨٤ وصحيح مسلم في كتاب البر والصلة ٤ / ١٩٨١ ح ٢٥٥٦ ويلاحظ هنا: أن النكرة وقعت في سياق النفي فتعم.

(٤) سورة النساء: ٣٦ .

(٥) أحكام أهل الذمة ٢ / ٤١٧ ـ ٤١٨ .

مظاهر موالاة الكفار[١]

مظاهر موالاة الكفار قد بينها الكتاب والسنة ومنها:

١ ـ التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما؛ لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على محبة المتشبه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٢] فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم ومن عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم؛ كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك.

٢ ـ الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين؛ لأن الهجرة بهذا المعنى ولهذا الغرض واجبة على المسلم؛ لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين.

ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾[٣] فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية؛ كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

٣ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس، والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة ـ كالعلاج والتجارة والتعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم ـ فيجوز بقدر

---

(١) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، والرد على أهل الشرك والإلحاد» د/ صالح الفوزان ص/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢، مكتبة سلسبيل.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٥١٢) من طريق حسان بن عطية عن أبي مُنيب عن ابن عمر به.

(٣) سورة النساء: ٩٧ ـ ٩٩.

الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين، ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مظهراً لدينه، معتزاً بإسلامه، مبتعداً عن مواطن الشر، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك جوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل نشر الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

٤ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومدحهم والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة؛ نعوذ بالله من ذلك.

٥ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾[١].

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني! قال: ما لك قاتلك الله؟ أما سمعت الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[٢] ألا اتخذت حنيفًا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين! لي كتابته، وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٤٠٨٧) وأورده الهندي في كنزل العمال برقم =

وروى الإمام أحمد ومسلم: أن النبي ﷺ خرج إلى بدر، فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك قال: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا. قال: «**ارجع؛ فلن أستعين بمشرك**»[(١)] .

ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم.

ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين ـ بلاد الحرمين الشريفين ـ وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدمين ومربين في البيوت، وخلطهم مع العوائل أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم.

٦ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار التأريخ بتأريخهم**، خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم؛ كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم، وليس هو من دين المسيح عليه السلام؛ فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم.

ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد عمر رضي الله عنه؛ عدلوا عن تواريخ الكفار، وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ، مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم. والله المستعان.

٧ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار مشاركتهم في أعيادهم**، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها، وقد فسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾[(٢)] أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

= (٢٥٦٨٢) والحافظ ابن حجر في الفتح تحت حديث رقم (٦٦٥٤) (٣/ ١٤٥) من طريق عيسى بن يونس عن أبي حيان التيمي عن أبي الزنباع عن أبي دهقانة به.

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٣٨٨) وأبو داود برقم (٢٣٥٦) والترمذي برقم (١٤٧٩) وابن ماجه برقم (٢٨٢٢) وأحمد برقم (٢٣٢٥٠).

(٢) سورة الفرقان: ٧٢ .

٨ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار مدحهم والإشادة بما هم عليه** من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهارتهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد؛ قال تعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ [١].

وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب؛ قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [٢].

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[٥].

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

٩ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار التسمي بأسمائهم**؛ بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبي ﷺ: «**خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن**» [٦].

---

(١) سورة طه: ١٣١.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) سورة الجاثية: ١٣.

(٥) سورة البقرة: ٢٩.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٩٧٥)، وأبو داود برقم (٤٢٩٨) والترمذي برقم (٢٧٦٠) وابن ماجه برقم (٣٧٨١) وأحمد برقم (٤٥٤٤).

وبسبب تغيير الأسماء؛ فقد وجد جيل يحمل أسماء غربية ، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة، ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

١٠ ـ **ومن مظاهر موالاة الكفار الاستغفار لهم والترحم عليهم**، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ (١) .

لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

* * *

---

(١) سورة التوبة: ١١٣ .

الأمور التي يباح أو يستحب للمسلم أن يتعامل بها مع الكفار[(١)]

هناك أمور يباح أو يستحب للمسلم أن يتعامل بها مع الكفار، منها:

١ ـ يجوز استعمالهم واستئجارهم في الأعمال التي ليس فيها ولاية على مسلم وليس فيها نوع استعلاء من الكافر على المسلم، فيجوز أن يعمل عند المسلم في صناعة أو بناء أو في خدمة، فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أريقط في الهجرة[(٢)] واستعمل يهود خيبر في أرضها ليزرعوها ولهم نصف ما يخرج منها [(٣)]، أما الأعمال التي فيها ولاية على المسلمين أو فيها اطلاع على أخبارهم فلا يجوز توليتهم إياها.

٢ ـ يستحب للمسلم الإحسان إلى المحتاج من الكفار، كالصدقة على الفقير المعوز منهم، وكإسعاف مريضهم، لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [(٤)] ولعموم حديث «**في كل كبد رطبة أجر**» رواه البخاري ومسلم [(٥)].

٣ ـ تستحب صلة القريب الكافر، كالوالدين والأخ بالهدية والزيارة ونحوهما، لكن لا يتخذه المسلم جليسًا، وبالأخص إذا خشيت فتنته وتأثيره على دين المسلم، قال الله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [(٦)] وقال تعالى في حق الوالدين: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [(٧)].

٤ ـ يجوز برهم بالهدية ونحوها لترغيبهم في الإسلام، أو في حال دعوتهم ،

---

(١) انظر: تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية (ص / ٢١٤ ـ ٢١٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٦٣).

(٣) صحيح: سبق تخريجه .

(٤) سورة البقرة: ١٩٥ .

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٦) سورة الإسراء: ٢٦ .

(٧) سورة لقمان: ١٥ .

أو لكف شرهم عن المسلمين، أو مكافأة لهم على مسالمتهم للمسلمين وعدم اعتدائهم عليهم، ليستمروا على ذلك، أو لما يشبه هذه الأمور من المصالح الشرعية، قال الله تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[١] .

والبر هو: الإحسان إليهم بالمال أو غيره، والقسط هو: العدل[٢] ، أما إذا كانت الهدية من باب الصداقة أو المحبة ونحوهما فهي محرمة.

٥ ـ يستحب إكرامه عند نزوله ضيفًا على المسلم، كما يجوز أن ينزل المسلم ضيفًا على الكافر، لكن لا يجوز إجابة المسلم لدعوته، لما في ذلك من الموادة له.

٦ ـ يجوز الأكل العارض معهم، من غير أن يتخذ المسلم الكافر صاحبًا وجليسًا وأكيلاً، فيجوز أن يأكل مع الكافر في وليمة عامة، أو وليمة عارضة، وأن يأكل مع خادمه الكافر، أو في حال كون الكافر ضيفًا عند المسلم أو إذا نزل المسلم ضيفًا عند الكافر، من غير قصد التحبب إليه بذلك، ومن غير قصد للاستئناس به، أما إن جالسه بقصد التحبب إليه من غير تحقيق مصلحة شرعية، أو جالسه للاستئناس به فذلك محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب[٣] .

٧ ـ يجوز التعامل معهم في الأمور الدنيوية التي هي مباحة في دين الإسلام، فقد عامل النبي ﷺ اليهود وبايعهم واشترى منهم[٤] ، كما يجوز للمسلم أن يأخذ

---

(١) سورة الممتحنة: ٨ .

(٢) قال العلامة محمود الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]: «وعد قوم من باب التقية مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم والتبسم في وجوههم والانبساط معهم وإعطاءهم لكف أذاهم وقطع ألسنتهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد ذلك من باب الموالاة المنهي عنها، بل هو سنة وأمر مشروع». وينظر كلام القرافي السابق. مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٣١٧ ـ ٣١٨، للآلوسي أيضًا، وإرشاد أولى الألباب ص ٥٤ ـ ٦٠ .

(٣) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (الكبيرة ٤٤١).

(٤) ومن ذلك ما رواه البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣) عن عائشة قالت: اشترى النبي ﷺ من يهودي طعامًا إلى أجل ، ورهنه درعًا له من حديد . وينظر: أحكام أهل الذمة =

عنهم وأن يتعلم منهم ما فيه منفعة للمسلمين من أمور الدنيا مما أصله مباح في دين الإسلام، وقد يكون ذلك مستحبًا أو واجبًا، وقد ثبت أن النبي ﷺ جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لم يكن عنده فداء من المال تعليم أولاد الأنصار الكتابة.

٨ ـ يجوز للمسلم أن يتزوج بالكافرة الكتابية فقط إذا كانت عفيفة عند الأمن من ضررها على الدين والنفس والأولاد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [(١)]

والمحصنة هي العفيفة عن الزنا، وإن كان الأولى للمسلم ألا يتزوج بكافرة؛ لأن ذلك أسلم له ولذريته [(٢)]، ولذلك عاتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بعض من تزوج بكافرة، وأمره أمر ندبٍ بطلاقها. أما بقية الكافرات غير الكتابيات فلا يجوز للمسلم أن يتزوج بواحدة منهن، لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ** ﴾ [(٣)] فإن تزوج بها فالنكاح باطل بإجماع أهل العلم [(٤)].

أما المسلمة فلا يجوز لأي كافر كتابي أو غيره أن يتزوج بها بإجماع المسلمين.

= ١/ ٢٠٤ ، والقول المبين ص ٨١ ـ ٨٤ ، وفتاوى اللجنة الدائمة ٢ / ٤٣، ٣ / ٣٠٣ ، ٣٠٤، مجموع فتاوى شيخنا عبد العزيز بن باز ٣ / ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ .

(١) سورة المائدة: ٥ .

(٢) قال في الشرح الكبير ٢٠ / ٣٤٨: «لأنه ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها»، وقال الشيخ محمد حسنين مخلوف في القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين ص ١٠٦ ـ ١٠٧: «والمنهي عنه شرعًا من الموالاة: الميل القلبي والانعطاف النفسي الذي يدخل تحت طاقة التكاليف دون الميل الطبيعي الذي تقتضيه وسائله الضرورية ولا صلة له أصلاً بالدين والعقيدة، ومن ذلك ميل الزوج المسلم إلى زوجته غير المسلمة فهو معفو عنه. نعم يجب ألا يبلغ هذا الميل القلبي مبلغ الإيثار، لأنه قد يدفع إلى استحسان طريقتها ، والرضا بديانتها وعقيدتها وذلك كفر بواح».

(٣) سورة البقرة: ٢٢١ .

(٤) إلا أن في نكاح المجوسية ومن يزعم التمسك بصحف إبراهيم وشيت وزبور داود وخلافا عن أفراد من أهل العلم، والصواب تحريمه وبطلانه ، أما بقية الكافرات فلا خلاف في تحريم نكاحهن وبطلانه عند وقوعه.

٩ ـ يجوز للمسلمين أن يستعينوا بالكفار في صد عدوان على المسلمين، وذلك بشرطين أساسيين:

الأول: الاضطرار إلى إعانتهم.

الثاني: الأمن من مكرهم وضررهم، بحيث يكونون جنودًا مرؤوسين عند المسلمين، وتحت إشرافهم ومتابعتهم بحيث لا يمكن أن يحصل منهم أي ضرر على المسلمين.

١٠ ـ يجوز للمسلم أن يذهب إلى الطبيب الكافر للعلاج إذا وثق به.

١١ ـ يجوز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من الكفار، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾[1].

١٢ ـ يجوز للمسلم أن يشارك الكافر في التجارة، لكن بشرط أن يلي المسلم أمرها أو يشرف عليها، لئلا يقع في تعامل محرم عند إشراف غير المسلم على هذه التجارة وتصريفه لها.

١٣ ـ يجوز قبول الهدية من الكافر، إذا لم يكن فيها إذلال للمسلم ولا موالاة منه للكافر؛ فقد قبل النبي ﷺ الهدية من أكثر من مشرك، لكن إن كانت هذه الهدية بمناسبة عيد من أعياد الكفار فينبغي عدم قبولها.

١٤ ـ يجوز للمسلم أن يعمل عند الكافر، ويجوز أن يعمل في عمل يديره بعض الكفار، لكن لا يجوز أن يعمل في خدمة الكافر الشخصية، لما في ذلك من إذلال نفسه له.

* * *

---

(١) سورة التوبة: ٦٠.

العذر بالجهل

أولاً: الأدلة القرآنية على العذر بالجهل:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل إليه[٢].

وقال الإمام الآلوسي رحمه الله: أي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا الصادق، أن نعذب أحدًا بنوع من العذاب، دنيويًا كان أو أخرويًا، على فعل شيء أو ترك شيء، أصليًا كان أو فرعيًا، حتى نبعث إليه رسولاً يهدي إلى الحق ويردع عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع[٣].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: ظاهر هذه الآية الكريمة أن الله لا يعذب أحدًا من خلقه حتى يبعث رسولاً ينذره ويحذره فيعصي ذلك الرسول، ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار. وادعى بعضهم بأن العذاب المنفي في الآية عذاب الدنيا، وأجيب عنه من وجهين، الوجه الأول: أنه خلاف ظاهر القرآن، لأن ظاهر القرآن انتفاء العذاب مطلقًا، وهو أعم من كونه في الدنيا، وصرف القرآن عن ظاهره ممنوع إلا بدليل يجب الرجوع إليه. الوجه الثاني: أن القرآن دلّ في آيات كثيرة على شمول التعذيب المنفي في الآية التعذيب في الآخرة، كقوله: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[٤] وهو دليل على أن جميع أفواج أهل النار ما عذبوا في الآخرة إلا بعد إنذار الرسل، فالله عز وجل تمدح

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨).

(٣) انظر: «روح المعاني» (١٥ / ٣٦).

(٤) سورة الملك: (٨ ـ ٩).

بكمال الإنصاف فهو عز وجل لا يعذب حتى يقطع حجة المعذب بإنذار الرسل في دار الدنيا، ولو عذب إنسانًا واحدًا من غير إنذار لاختلت تلك الحكمة التي تمدح الله بها، ولثبت لذلك الإنسان الحجة التي أرسل الله الرسل لقطعها [١].

وقال الإمام القاسمي رحمه الله: أي وما صح وما استقام منا، بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة أن نعذب قومًا حتى نبعث إليهم رسولاً يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال لإقامة الحجة قطعًا للعذر، والعذاب أعم من الدنيوي والأخروي، لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴾ [٣]. وكذا قوله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [٥] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى لا يعذب قومًا عذاب استئصال، ولا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسل [٦].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: لما ذكر سبحانه اختصاص المهتدي بهدايته والضال بضلاله، وعدم مؤاخذة الإنسان بجناية غيره، ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد

---

(١) انظر «أضواء البيان» (٣ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٢) سورة طه: ١٣٤.

(٣) سورة الملك: ٨ ـ ٩.

(٤) سورة الزمر: ٧١.

(٥) سورة فاطر: ٣٧.

(٦) انظر «محاسن التأويل» (١٠ / ٣٩١٣).

الإعذار إليهم بإرسال رسله وإنزال كتبه، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم، والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل [(١)].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [(٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل أنه لا يضل قومًا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [(٣)] الآية.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ قال بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا أو ذروا.

وقال ابن جرير: يقول الله تعالى: وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا، فأما قبل أن يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه، فلم تضيعوا نهيه إلى ما نهاكم عنه، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال، فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي، وأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعًا أو عاصيًا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه [(٤)].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: لما نزلت الآية المتقدمة في النهي عن الاستغفار للمشركين، خاف جماعة ممن كان يستغفر لهم العقوبة من الله بسبب ذلك الاستغفار، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية، أي أن الله سبحانه لا يوقع الضلال على قوم، ولا يسميهم ضلالاً بعد أن هداهم للإسلام والقيام بشرائعه، ما لم

---

(١) انظر: فتح القدير (٣ / ٢١٤).

(٢) سورة التوبة: ١١٥.

(٣) سورة فصلت: ١٧.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٣٩٥).

يقدموا على شيء من المحـرمات بعد أن يتبين لهم أنه محرم، وأمـا قبل أن يتبين بهم ذلك فلا إثم عليهم ولا يؤاخذون به، ومعنى ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ حتى يتبين لهم ما يجب عليهم اتقاؤه من محرمات الشرع (١) .

وقال الإمـام النسفي رحـمه الله: أي ما أمـر الله باتقائه واجتنابه. كـالاستغـفار للمشـركين وغيـره مما نهى عنه وبين أنه محظـور ، لا يؤاخذ به عبـاده الذين هداهم للإسلام ، ولا يخـذلهم، إلا إذا قدموا عليـه بعد بيان حظره، وعـلمهم بأنه واجب الاجتناب ، وأما قبل العلم والبيان فلا، وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين ، والمراد بـ ﴿مَّا يَتَّقُونَ﴾ ما يجب اتقاؤه للنهي(٢) .

وقال الإمام الآلوسي رحـمه الله: وكأنه تسلية للـذين استغفروا للمـشركين قبل البيان، حيـث أفاد أنه ليس من لطفه تعالى أن يذم المؤمنين ويؤاخذهم في الاسـتغفار قبل أن يبين أنه غير جائز لمن تحقق شركه، لكنه سـبحانه يذم ويؤاخذ من استغفر لهم بعد ذلك. . ، إلى أن قال: واستدل على أن الغافل، وهو من لم يسمع النص والدليل السمعي، غير مكلف (٣) .

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (٤) .

قال الإمـام القاسمي رحـمه الله:﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ أي من قبل إتيان البينة أو محمد عليه السلام، ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ أي بالعـذاب الدنيـوي، ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ أي بالعـذاب الأخـروي، أي ولكنا لم نهلكهم قبل إتيانهم فانقطعت مـعذرتهم، فعند ذلك قالوا: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا

---

(١) انظر فتح القدير (٢ / ٤١٢).

(٢) انظر تفسير النسفي (٢ / ١٤٨).

(٣) انظر روح المعاني (١١ / ٣٩).

(٤) سورة طه: ١٣٤ .

﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ (١).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ أي من قبل بعثة محمد ﷺ، أو من قبل إتيان البينة لنزول القرآن، ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة، ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا، ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ التي يأتي بها الرسول، ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب في الدنيا، ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بدخول النار، وقرئ: « نُذل ونُخزىٰ » على البناء للمفعول، وقد قطع الله معذرة هؤلاء الكفرة بإرسال الرسول إليهم قبل إهلاكهم، ولهذا حكى عنهم أنهم ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ (٢).

* * *

---

(١) انظر محاسن التأويل: (١١ / ١٣٥).

(٢) سورة الملك: ٩، وانظر «فتح القدير» (٣ / ٣٩٥). وانظر للتوسع منتديات والإسلاماه.

www. w a - islamah. net.

وانظر كذلك مبحثنا «العذر بالجهل» في سلسلة الفتاوى ـ تحت الطبع ـ دار الغد الجديد، وانظر «العذر بالجهل»، د/ أحمد فريد، وانظر سعة رحمة رب العالمين ـ سيد الغباشي.

أدلة السنة على العذر بالجهل[١]

١ ـ عن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: **«إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا فذروه في اليم، ففعلوا. فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال من خشيتك فغفر الله له»**[٢] .

قال عقبة بن عمرو: «وأنا سمعته يقول ذاك، وكان نباشًا» ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق ، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالى وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر ، لكنه مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك ضالاً في هذا الظن مخطئًا ، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع ألا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى ذلك أن يكون شاكًا في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره، وهو بَيِّنٌ في عدم إيمانه بالله تعالى، ومن تأول قوله « **لئن قدر الله علي**» بمعنى قضى أو بمعنى ضيَّق فقد أبعد النجعة، وحرف الكلم عن مواضعه ، فإنه إنما أمر بتحريقه وتفريقه لئلا يجمع ويعاد ، وقال: «**إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في الريح في البحر، فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا** »، فذكر هذه الجملة الثانية بحرف الفاء عقب الأولى، يدل على أنه سبب لها، وأنه فعل ذلك لئلا يقدر الله عليه إذا فعل ذلك، فلو كان مقرًا بقدرة الله عليه إذا لم يفعل ذلك لم يكن في ذلك فائدة له[٣] .

---

(١) انظر العذر بالجهل، د/ أحمد فريد [ص / ٤٩ ـ ٥٨].

(٢) رواه البخاري [٦ / ٤٩٤] أحاديث الأنبياء، والنسائي [٤ / ١١٣] الجنائز عن حذيفة ، ومسلم [١٧ / ٧٠]، وابن ماجه [٣٤٣٢] الزهد، وأحمد [٢ / ٢٦٩] عن أبي هريرة.

(٣) مجموع الفتاوى [١١ / ٤٠٩].

وقال ابن حزم رحمه الله:

فهذا إنسان جهل إلى أن مات أن الله عز وجل يقدر على جمع رماده وإحيائه وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله، وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه إن معنى لئن قدر علي إنما هو: لئن ضيق الله علي كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾[1] .

قال وهذا تأويل باطل لأنه كان يكون معناه حينئذٍ لئن ضيق الله علي ليضيقن علي، وأيضًا لو كان هذا لما كان لأمره بأن يحرق ويذر رماده معنى، ولا شك في أنه إنما أمر بذلك ليفلت من عذاب الله تعالى[2] .

٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ قلنا: بلى قالت: لما كانت ليلتي التي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيها عندي، انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه واضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أني رقدت، فأخذ رداءه رويدًا، وفتح الباب رويدًا، فخرج ثم أجافه رويدًا، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على أثره، حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاثًا، ثم انحرف وانحرفت، وأسرعَ فأسرعت، فهرول فهرولت، وأحضر وأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فقال: «**ما لك يا عائشة حشي رابية؟**» قالت: لا شيء. قال: «**لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**» قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته. قال: «**فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟**» قلت: نعم. فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ثم قال: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**» قالت: قلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ قال: «**نعم**»[3] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذه عائشة أم المؤمنين سألت النبي صلى الله عليه

---

(١) سورة الفجر: ١٦ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل [٣ / ٢٥٢].

(٣) رواه مسلم [٧ / ٤٣، ٤٤]، الجنائز، والنسائي [٤ / ٩١ ، ٩٢] الجنائز، وأحمد [٦ / ٢٢١] المسند، وعبد الرزاق [٦٧١٢].

وعلى آله وسلم هل يعلم الله كل ما يكتم الناس؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « نعم»، وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة، وأن الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء[1] .

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة ،فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[2] .

فهذا الحديث يدل على أنهم جهلوا عقيدة الرؤية، حتى سألوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهل أخبرهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنهم كفروا بذلك ويجب عليهم أن يجددوا إسلامهم، أم عذرهم وعلمهم الحق، ومسائل التوحيد كثيرة جدًا متشعبة ، منها ما يعرفه العوام ومنها ما يعرفه طلاب العلم ومنها ما لا يعرفه إلا العلماء المتخصصون، فبأي ضابط تضبط هذه المسائل، وبأي حدٍ يكفر من يجهل شيئًا منها، وهل لا يصير العبد مسلمًا حتى يتعلم كل هذه المسائل، ولماذا إذًا يحكم بالإسلام بمجرد النطق بالشهادتين؟

٤ ـ وعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم. يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

---

(١) مجموع الفتاوى [١١ / ٤٠٩].

(٢) رواه أبو داود [٤٧٠٣] السنة، والترمذي [١٠ / ٢٥ـ ٣٠] مختصراً ومطولاً وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه مختصراً [١٤٨] المقدمة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجه وكذلك عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول [١٠ / ٥٥٩]، وقوله: «هل تضارون» قال شمس الحق ابادي: أي هل يحصل لكم تزاحم وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض . واستدل به شيخ الإسلام على مسألة العذر بالجهل.

وسلم: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١) لتركبن سنن من كان قبلكم**» (٢).

والحديث ظاهر في أن بعض الصحابة من مسلمة الفتح الذين لم يتعلموا بعد كل أمور التوحيد طلبوا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم شجرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم ويتبركون بها كما يفعل المشركون سواءً بسواء، فهل كفرهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعيانهم وأخبرهم أنهم خرجوا بذلك من ملة الإسلام والواجب عليهم أن يتوبوا ويعودوا إلى الدين مرة ثانية؟ أو يقام عليهم حد الردة على قول من لا يعذر بالجهل في أمور التوحيد؟ أم عذرهم بجهلهم وأخبرهم أن ما سألوه هو الكفر بعينه، وهو ما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام فكفر مقالتهم ولم يكفر أعيانهم، فانظر رحمك الله أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم طريقًا، والحمد لله الذي هدانا إلى سنة نبينا وطريقة من أمرنا الله باتباع طريقته.

٥ ـ وعن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقي في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس ـ الشيخ الكبير والعجوز ـ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها**».

قال صلة بن زفر لحذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم رددها ثلاثًا كل ذلك يعرض عنه حذيفة . ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: تنجيهم من النار، تنجيهم من النار،

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨ .

(٢) رواه الترمذي [٩ / ٢٧ ، ٢٨] الفتن ، وأحمد [٥ / ٢١٨]، وابن أبي عاصم في كتاب السنة [٧٦] ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وقال الألباني: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير يعقوب بن حميد وهو ثقة فيه ضعف يسير وقد توبع كما يأتي، فالحديث صحيح.

تنجيهم من النار (١) .

قوله: «يدرس» من درس الرسم دروسًا إذا عفا وهلك.

قوله: «وشي الثوب» أي نقشه.

والحديث ظاهر في العذر بالجهل عندما يرفع العلم ويفشو الجهل ولا يعلم الناس من الإسلام غير كلمة التوحيد، ولا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا صدقة، فضلاً عن بقية أركان الدين، واستدل به على عدم كفر تارك الصلاة ما لم يستحل ذلك، لقوله: «**تنجيهم من النار**» مع أنهم لا يعرفون الصلاة ، وانظر تعليق الألباني حفظه الله في الصحيحة (٢) فإنه تعليق نفيس.

٦ ـ **ومنها ما رواه عبد الله بن أبي أوفى قال**: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**ما هذا يا معاذ؟**» قال: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن أفعل ذلك لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفسي محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**» (٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه [٤٠٤٩] الفتن، والحاكم [٤ / ٤٧٣] الفتن والملاحم، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد [٣ / ٢٥٤] هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٨٧) وكذلك في صحيح ابن ماجه، والعجيب من صاحب «الشرك وعدم إعذار جاهله» كيف يتجرأ على تضعيف هذا الحديث وقد صححه أربعة من العلماء المجتهدين.

(٢) السلسلة الصحيحة [١ / ١١٥].

(٣) رواه ابن ماجه [١٨٥٣] النكاح، وفيه قصة السجود، وابن حبان في صحيحه [١٣٩٠] موارد وفيه قصة السجود وعزاه في الزوائد [٢ / ٦٨] للبزار والبيهقي وأحمد بن منيع في مسنده وقال: له شاهد من حديث قيس بن سعد رواه أبو داود والبيهقي ، وقال الألباني في الإرواء [٧ / ٥٦] وهذا إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير القاسم هذا وهو ابن عوف الشيباني الكوفي وهو صدوق يغرب كما في «التقريب» وروى له مسلم فرد حديث. وقال في صحيح ابن ماجه [١٥٠٣] حسن صحيح والحديث رواه أحمد بمعناه ٤/ ٣٨١، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٠٩) «رجاله رجال الصحيح» ورواه بمعناه البغوي في شرح السنة وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

وفي الحديث دليل واضح على أن من سجد لغير الله جاهلاً بأن السجود عبادة ينبغي ألا تكون لغير الله عز وجل ، لا يكفر بذلك ويقاس عليه غيره من الكفر العملي.

قال الشوكاني رحمه الله: من سجد جاهلاً لغير الله لا يكفر(١) .

٧ ـ وعن الرُّبيع بنت معوذٍ بن عفراء : جاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدخل حين بني علي فجلس على فراشي مجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدرٍ، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال: «**دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين**»(٢) .

فهل كفر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ادعى أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم الغيب مع أن الواجب اعتقاده أن الله عز وجل هو وحده عالم الغيب ، وإنما عذرهن لجهلهن وقال لهن: «**ما يعلم ما في غد إلا الله**».

٨ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقال له: ما شاء الله وشئت. فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده**»(٣) .

فسوى بين مشيئة الله عز وجل ومشيئة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا من الكفر كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أجعلتني لله نداً ما شاء الله وحده** » ومع ذلك لم يكفره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وكل

---

(١) نيل الأوطار [٦ / ٢١٠].

(٢) رواه البخاري [٩ / ١٧٤] النكاح، وابن ماجه [١٨٩٧] بنحوه وزاد فيه «**ما يعلم ما في غد إلا الله**».

(٣) رواه ابن ماجه [٢١١٧] الكفارات ، والبخاري في الأدب المفرد [٧٨٣]، وأحمد [١ / ٢١٤] وحسن الألباني إسناده في الصحيحة رقم (١٣٩) وقال في صحيح ابن ماجه: حسن صحيح [١٧٢٠].

هذه أدلة من السنة المطهرة على ثبوت العذر بالجهل في أمور التوحيد، وهناك كذلك من الأدلة على ثبوت العذر في غيره من أمور الحلال والحرام.

١ ـ **فمن ذلك**: الرجل الذي جاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشهد أربع مرات على نفسه بالزنا فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « **فهل تدري ما الزنا؟** » قال: أتيت منها حرامًا ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً. ووجه الدلالة أن هذا الرجل وجب عليه الحد بعد أن زالت شبهة الجهل بالزنا وحرمته، فأما الجاهل بحرمته فهو معذور بجهالته.

وقال ابن القيم رحمه الله: إن الحد لا يجب على الجاهل بالتحريم لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأله عن حكم الزنا فقال: أتيت منها حرامًا ما يأتي الرجل من أهله حلالاً [(١)].

ونقل عن عثمان أنه عذر جارية أعجمية زنت وادعت جهلها بالتحريم، وكذلك ورد عن عمر رضي الله عنه أنه عذر رجلاً في الشام ولم يَحُدَّه عندما ادعى الجهل بتحريم الزنا.

٢ ـ **وروى البخاري** أن رجلين رفعا أصواتهما في مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال عمر لهما من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل هذه البلدة لأوجعتكما أترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

قال ابن حجر رحمه الله: وفيه المعذرة لأهل الجهل إذا كان مما يخفى عليهم مثله.

٣ ـ **وعن المغيرة بن شعبة قال**: قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ فو الله لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص**

---

(١) زاد المعاد [٣ / ٢٥٠].

أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحبُّ إليه المدْحةُ من الله من أجل ذلك وعد الله الجنة»(١)

قال النووي : ليس أحد أحب إليه الإعذار من الله تعالى، فالعذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة؛ ولهذا بعث المرسلين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾(٢) (٣) .

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة الإسراء: ١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [١٠ / ١٣٢] اللعان.

مَنْ خَالف أَمْرًا من أمور الشريعة وهو جاهل بالمخالفة [(١)]

اتفق أهل السنة والجماعة والأئمة المشهورون المتبعون لهدي السلف الصالح رضي الله عنهم على أنه من ثبت له عقد الإسلام بالشهادتين أو بكونه ولد لأبوين مسلمين أو كانت ولايته للمسلمين منذ صغره قبل بلوغه الحلم، فإنه لا يزول عنه حكم الإسلام وإن خالف الشريعة في أي أمر كان، إلا إذا كان أمرًا مما حكم الشرع فيه بكفر صاحبه ويكون عالمًا بالشرع في هذا الأمر أما من خالف الشرع من الجهل فلا يأثم بل يعذر بجهله سواء في الفرع كانت المخالفة أم في الأصل وإليك كلام الأئمة في هذا:

قال الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه الفصل ص ٤ إلى ١٦ تحت عنوان: (الكلام فيمن يكفر ولا يكفر) قال أبو محمد: اختلف الناس في هذا الباب فذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد أو في شيء من مسائل الفتيا فهو كافر، وذهبت طائفة إلى أنه كافر في بعض ذلك، فاسق غير كافر في بعضه على حسب ما أدتهم إليه عقولهم وظنونهم.

وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في مسائل الاعتقاد فهو كافر وأن من خالفهم في مسائل الأحكام والعبادات فليس كافرًا ولا فاسقًا ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ مأجور بنيته.

وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خالفهم في مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم في مسائل الاعتقادات إن كان الخلاف في صفات الله عز وجل فهو كافر وإن كان فيما دون ذلك فهو فاسق. وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصاب الحق فأجران وإن أخطأ فأجر واحد.

---

(١) انظر «سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين وبيان عموم العذر في الدارين لأصول وفروع الدين مع ذكر الأدلة واتفاق جمهور الأئمة من الأولين والمتأخرين والرَّدّ على شبهات الخالف المخالف مع بيان جهله وتلبيسه» إعداد سيد غباشي (ص٨ ـ ١١).

وهذا قول ابن أبي ليلي وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم لا نعلم منهم في ذلك خلافًا أصلاً إلا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك الصلاة متعمدًا حتى يخرج وقتها أو ترك أداء الزكاة أو ترك الحج أو ترك صيام رمضان أو شرب الخمر..».

إلى أن قال: «وأما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق في أي شيء كان فلا يكون كافرًا إلا أن يأتي نص بتكفيره فيوقف عنه كمن بلغه وهو في أقاصي الزنج ذكر النبي ﷺ فقط فيمسك عن البحث عن خبره فإنه كافر».

وأما من قال: إن الله عز وجل هو فلان لإنسان بعينه أو أن الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه أو أن بعد محمد ﷺ نبياً غير عيسى ابن مريم فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه».

إلى أن قال رحمه الله تعالى ص ٢٤ (فصح بما قلنا أن كل من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر، ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجر واحدًا لطلبه الحق وقصده إليه مغفور له خطؤه إذا لم يتعمده لقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[1] .

وإن كان مصيبًا فله أجران أجر لإصابته وأجر آخر لطلبه إياه وإن كان قد قامت عليه الحجة وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض لله تعالى ولا رسوله ﷺ فهو فاسق لجرأته على الله تعالى لإصراره على الأمر الحرام فإن عند الحق معارضًا لله تعالى ولرسوله ﷺ فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الاعتقاد في أي شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفتيا في أي شيء كان على ما بينا قبل».

(١) سورة الأحزاب: ٥ .

وقال في ص ٢٤ ـ ٢٥: (فصح أنه لا يكفر أحد حتى يبلغه أمر النبي ﷺ فإن بلغه فلم يؤمن به فهو كافر، فإن آمن به ثم اعتقد ما شاء الله أن يعتقده في نحلة أو فتيا أو عمل ما شاء الله تعالى أن يعمله دون أن يبلغه في ذلك شيء عن النبي ﷺ حكم بخلاف ما اعتقد أو ما قال أو عمل فلا شيء عليه أصلاً حتى يبلغه، فإن بلغه وصح عنده فإن خالفه مجتهد فيما لم يتبين له وجه الحق في ذلك فهو مخطئ معذور مأجور مرة واحدة كما قال عليه السلام: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر**».

وكل معتقد أو قائل أو عامل فهو حاكم في ذلك الشيء وإن خالفه بعلمه معاندًا للحق معتقدًا بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق. وإن خالفه معاندًا بقوله أو قلبه فهو مشرك كافر سواء ذلك في المعتقدات والفتيا للنصوص التي أوردنا، وهو قول إسحاق بن راهويه وغيره وبه نقول، وبالله التوفيق».

❊ ❊ ❊

عموم العذر للمسائل العلمية والعملية [١]

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في ج ٣ ص ٢٢٩: [٢] «هذا مع أني دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نَهْيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيًا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية» أ. هـ.

فبين شيخ الإسلام أن الجاهل يعذر في المسائل الخبرية وهي مسائل الاعتقاد وكذا في مسائل العمل أيضًا وإذا أحدث عملاً مخالفًا للشريعة وفيه التفصيل الذي ذكرنا عنه من قبل: إن كان هذا العمل له أصل من الشريعة كصيام أو صلاة ولكن فيها ابتداع فإنه قد يثاب أيضًا إذا كان جاهلاً لأن أصل الصيام والصلاة عبادات مشروعة.

أما إن كان هذا العمل من جنس الشرك كالاستغاثة والتوسل بأصحاب القبور فإنه وإن كان يعذر ولا يؤاخذ بهذا إن كان جاهلاً ملبسًا عليه بمثل ما ذكرنا فإنه لا يثاب على هذا العمل من نذر وقربة ونحوها لأن الشرك ليس منه شيء مشروع أبدًا بل هو منهي عنه أشد النهي.

ويقول: [٣] «وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد» .

إلى أن قال: «وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها وقد يكون

---

(١) انظر «سعة رحمة رب العالمين» [ص / ٢١ ـ ٢٣].

(٢) انظره في (٣ / ٢٢٩).

(٣) المرجع السابق نقلاً عن «مجموع الفتاوى» (٣ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

عرضت له شـبهـات يعذره الله بها، فـمن كان من المؤمنين مـجتهـدًا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنًا من كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية.

هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام وما قسموا المسائل إلى أصول يكفر بها بإنكارها ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها».

* * *

التفريق بين النوع والمعين في مسائل التكفير[١]

قد نقل عن صديق خان الترهيب من إكفار (أي تكفير) المسلمين وإخراجهم من الملة وتشديده في مسألة إكفار المتأولين ونقل عنه قوله: «فلابد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام . ولا اعتبار بلفظ يلفظ من المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه».

وقال الشوكاني في نيل الأوطار في باب «إحسان العشرة وبيان حق الزوجين» عند كلامه على حديث معاذ وسجوده للنبي ﷺ «وفي هذا الحديث دليل على أن من سجد جاهلاً لغير الله لم يكفر».

وفي كتاب «العقائد السلفية» للقاضي أحمد بن حجر يقول:[٢] «ولكن هل يحكم على الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة المتلونة بتلك الخصال المنافية للتوحيد بالشرك والكفر؟ مع أنها مؤمنة بالله والرسول وآتية بسائر الشرائع؟

الجـــواب:

يقال هذا العمل شرك أو كفر مثلاً كالسجود لولي أو الطواف بقبره أو النذر له. ولكن الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة لا نبادرها بالتكفير، بل الواجب تبليغها بآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ المبينة للشرك والمحذرة عنه، وأن ليس لصاحبه نصيب من الجنة، وأن هذه الأعمال هي شرك. فإذا أصر الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة وعاندت ولم تقبل فعند ذلك يحل عليها إطلاق الشرك أو عليه إن كان فردًا معينًا» وفي ص ٤٢ «فإن قيل يلزم من قولكم تكفير الأكثرين من الأمة المحمدية حيث إنهم يعملون ما تقولون بأنه شرك مثل النذور للأولياء والنحر لهم والاستعانة بهم.

---

(١) «سعة رحمة رب العالمين» (ص / ٤٣ ـ ٤٥) بتصرف.

(٢) انظر «العقائد السلفية ـ للقاضي أحمد بن حجر» (١ / ٣٩).

فالجـــواب:

أولاً: أن القول بالعموم مغير للقول بالخصوص.

ثانيًا: غلبة الجـهل وقلة العلم بالتوحيـد والسنة المطهرة ومعـرفة الشرك وأقسـامه وذرائعـه في كثـير من الأمـاكن والبلدان هو المانع للحكم بالشـرك على المعين إلا من بلغته النصوص وقامت عليه الحجة ثم أصر معاندًا فذاك يحكم عليه بالشرك».

ويقول صاحب كتاب «غاية الأماني [(١)] : (كتاب في الرد على أحد خصوم دعوة الشيخ مـحمد بن عبـد الوهاب) ـ بعدما نقل كـلامًا لشيخ الإسـلام ـ يقول: والذي تحصل مما سقناه من النصـوص أن الغلاة ودعاة غير الله وعبدة القـبور إذا كانوا جهلة بحكم ما هم عليـه، ولم يكن أحد من أهل العلم ينبههم على خطئـهم، فليس لأحد أن يكفرهم. وأمـا من قامت عليه الحـجة وأصر على مـا عنده واستكبر اسـتكبارًا أو تمكن من العلم فلم يعلم فسنذكر حكمه..» ا . هـ «من غاية الأماني ج ١».

والحافظ الذهبي [(٢)]

بعد ما ذكـر الكبيرة الثالثة (وهي السـحر وكونه شركًا) في رسالتـه الصغرى في الكبائر (وهي غير كتاب الكبائر المعـروف) قال: «واعلم أن كثيرًا من هذه الكبائر ـ بل عامتها إلا الأقل ـ يجـهل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه الزجر فيـه ولا الوعيد. فهذا الضرب فـيه تفصيل فـينبغي للعالم ألا يسـتعجل علي الجاهـل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهليته قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لأرض الإسلام وهو تركي أو كـرجي مشـرك لا يعرف بالعربي فـاشتراه أمـير تركي لا علم عنده ولا فهم فباجـهد أنه ينطق بالشهادتين فإن فهم بالعـربي حتى فقه معنى الشـهادتين بعد أيام وليـال فبهـا ونعمت ثم قد يصلي وقـد لا يصلي وقد يلقن الفاتحة مع الطول إن كان أسـتاذه فيه دين ما فإن كان أستاذه نسـخة منه فمن أين لهذا

---

(١) انظر المرجع المشار إليه [ص / ٢٢ ـ ٢٣].

(٢) انظر «سعة رحمة رب العالمين... » مرجع سابق [ص / ٦٣].

المسكين أن يعرف شـرائع الإسلام والكبائر واجتنابهـا والواجبات وإتيانهـا. فإن عرف هذا موبقـات الكبائر وحذر منها وأركـان الفرائض واعتقـادها فهو سعـيد وذلك نادر فينبغي للعبد أن يحمد الله على العافية .

فإن قيل هو فـرط لكون ما سأل عما يجعل الله له نوراً فـما له من نور فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف رؤوف بهم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (١) وقد كان سادة الصحابة بالحبشة وتنزل الواجبات والتحريم على النبي ﷺ فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فـهم في تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغـهم النـص وكذلك يعـذر بالجهل مـن لم يـعلم حـتى يسمع النـص إن شـاء الله تعالى» (٢) .

والإمام الشافعي: (٣)

(نقل عنه في فتح الباري ومعارج القبول): قـال: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسمع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة وردها لأن القرآن نزل بهـا وصح عن رسول الله ﷺ القول بهـا فيما روى عنه العـدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤيـة والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحـد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها».

والإمام النووي : (٤)

(في شرح صحـيح مسلم) في شرح حديث «أمـرت أن أقاتل الناس» (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله): بعـد ما ذكر في أول الباب كلامًا للخطابي ـ رحمه الله ـ في شرح أصناف المرتدين في عـهد أبي بكر رضي الله عنه قال الخطابي:

---

(١) سورة الإسراء: ١٥ .

(٢) انظر «كتاب الكبائر » تعليق [ص / ١٦].

(٣) انظر «فتح الباري » [١٣ / ٤٠٧]، وفي معارج القبول [١ / ٣٢٩].

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي في شرح حديث «أمرت أن أقاتل الناس» ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. . . » ص ١٧٣ .

«فإن قيل كيف تأولت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذهبت إليه وجعلتهم أهل بغي وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا من أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي؟ قلنا لا فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين والفرق بين هؤلاء وأولئك أنهم عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان منها قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ، ومنها أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين وكان عهدهم بالإسلام قريبًا فدخلتهم الشبهة فعذروا، فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام واشترك فيها العالم والجاهل فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها.

وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإنه إذا أنكر شيئًا منها جهلاً لم يكفر» (واستحسنه النووي في أول الكلام).

وابن حجر في فتح الباري: (١)

(باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة) يقول ابن حجر ص ٢٧٧: «والمراد بالفرق: من أقر بالصلاة وأنكر الزكاة جاحداً أو مانعًا مع الاعتراف وإنما أطلق في أول القصة الكفر ليشمل الصنفين فهو في حق من جحد حقيقة وفي حق الآخرين مجاز تغليبًا.

وإنما قاتلهم الصديق ولم يعذرهم بالجهل لأنهم نصبوا القتال فجهز إليهم من دعاهم إلى الرجوع فلما أصروا قاتلهم» (ارجع إلى كلام الخطابي في شرح صحيح مسلم نقله النووي » (٢).

---

(١) انظر «فتح الباري» باب ـ قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة [ص / ٢٧٧].
(٢) انظر المرجع السابق [ص / ٢٨٠].

«والذين تمسكوا بأصل الإسلام ومنعوا الزكاة بالشبهة التي ذكروها لم يحكم عليهم بالكفر قبل إقامة الحجة وقد اختلف الصحابة فيهم بعد الغلبة عليهم هل تغنم أموالهم وتسبى ذراريهم كالكفار أو لا كالبغاة؟ فرأى أبو بكر الأول وعمل به وناظره عمر في ذلك وذهب إلى الثاني ووافقه غيره في خلافته على ذلك واستقر الإجماع عليه في حق من جحد شيئا من الفرائض بشبهة فيطالب بالرجوع فإن نصب القتال قوتل وأقيمت عليه الحجة فإن رجع وإلا عومل معاملة الكافر حينئذ».

* * *

كيفية إقامة الحجة ومن يقيمها [١]

اعلم أن الحجة ينبغي أن يقوم بها من يحسنها لا من يجهل أمور الدين ولا يجيد الجواب على شبهات الزائفين فيزيدهم تمسكًا بباطلهم ويكون سببًا للإضلال لا للهداية قال الشيخ سليمان بن سعمان «الذي يظهر لي والله أعلم أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك فإنه لا تقوم به الحجة فيما أعلم والله أعلم» [٢] .

ولا يلزم أن يكون أميرًا أو نائبًا وإنما كل من أتقن العلم والأدلة وجواب الشبهات في هذا الأمر وجب عليه إقامة الحجة أو استحب بحسب الحال. وما ذكره بعض العلماء من أن يقيم الحجة الأمير أو نائبه فمرادهم به الحكم لأنه إذا أقام الحجة وحكم بمقتضى ذلك لزم حكمه ونفذ.

أما آحاد الرعية فلو أقام الحجة ورتب عليه تكفير شخص لم ينفذ فيه حكم الردة من القتل وخلافه لما في ذلك من الفوضى وقد يكون فاعل ذلك مخطئًا أو جاهلاً وكفر الآخر بغير موجب.

وينبغي الإبلاغ في إقامة الحجة وقطع الشبهات للجاهل المخالف والاستدلال بنصوص الكتاب والسنة وتفسير الأئمة المشهورين وصفة قيام الحجة كما قال أبو محمد ابن حزم «أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها» [٣] .

أما ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى بعض الإخوان: ما ذكرتم من قول الشيخ كل من جحد كذا وكذا وقامت عليه الحجة وإنكم شاكون في هؤلاء

---

(١) انظر «سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين وبيان عموم العذر في الدارين لأصول وفروع الدين مع ذكر الأدلة واتفاق جمهور الأئمة من الأولين والمتأخرين والرَّدّ على شبهات الخالف المخالف مع بيان جهله وتلبيسه » إعداد سيد غباشي دار المسلم - (ص ٧٣ - ٧٤).

(٢) منهاج أهل الحق.

(٣) الأحكام ١ / ٦٧ .

الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة فهذا من العجب كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مرارًا فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام والذي نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة ولكن أصل الإشكال أنكم لم تعرفوا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى: ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[1] .

وقيام الحجة نوع وبلوغها نوع وقد قامت عليهم وفهمهم إياها نوع آخر وكفرهم ببلوغهم إياها وإن لم يفهموها. . .» إلى آخر كلامه ـ رحمه الله .

❊ ❊ ❊

(١) سورة الفرقان: ٤٤ .

الإكــــــراه [١]

قال تعالى:

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية ـ الأولى ـ في عمار بن ياسر ، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمه سمية وصهيبًا وبلالاً وخبابًا وسالمًا. فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهًا ، فأخبر النبي ﷺ بأن عمارًا كفر، فقال: «**كلا: إن عمارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه**»[٣] فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال: «**إن عادوا لك فعد لهم بما قلت**»[٤] فأنزل الله هذه الآية [٥] .

قال الطبري في معنى الآية: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقبله مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح عليه عزمه، غير مفسوخ الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرًا فاختاره وأثره على الإيمان، وباح به طائعًا: فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم[٦] .

---

(١) انظر الولاء والبراء [ص / ٣٧٤ ـ ٣٨٠].

(٢) سورة النحل: ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٣) هذا اللفظ ضعيف وإنما اللفظ الصحيح هو ما رواه الحاكم في مستدركه ٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣ وكذلك النسائي في كتاب الإيمان ٨ / ١١١ هكذا: « ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه» وهو حديث صحيح كما قال الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير ٥ / ٢١١ ، ح ٥٧٦٤ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ / ٤٦٦ ، ح ٨٠٧ .

(٤) حديث مرسل ورجاله ثقات. انظر فتح الباري ١٢ / ٣١٢ .

(٥) أسباب النزول للواحدي ١٦٢ وانظر تفسير الطبري ١٤ / ١٨٢ وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٥.

(٦) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٢ .

وسبب ذلك: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا [١] .

* * *

شــروط الإكــراه

قال ابن حجر: شروط الإكراه أربعة:

١ ـ أن يكون فاعله قادرًا على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزًا عن الدفع ولو بالفرار.

٢ ـ أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

٣ ـ أن يكون ما هدد به فوريًا، فلو قال: إن لم تفعل كذا ضربتك غدًا، لا يعد مكرهًا. ويستثنى ما إذا ذكر زمنًا قريبًا جدًا، أو جرت العادة بأنه لا يخلف.

٤ ـ ألايظهر من المأمور ما يدل على اختياره.

ولا فرق بين الإكراه على القول والفعل عند الجمهور، ويستثنى من الفعل ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير حق [٢] .

قال الخازن: قال العلماء: يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد، والإيلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه [٣] .

وأجمعوا أيضًا: على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحًا، بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر، فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان، غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر، ولو صبر حتى قتل كان أفضل لفعل ياسر وسمية وصبر بلال على العذاب [٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٥ .

(٢) فتح الباري ١٢ / ٣١١ ـ ٣١٢ .

(٣ ، ٤) تفسير الخازن: ٤ / ١١٧ .

لقد كان بلال رضي الله عنه تفعل به الأفاعيل حتى أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم ويقول: أحد. أحد. ويقول: والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها [١] .

وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري[٢] لما قال مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟

قال: نعم. فيقول أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع فلم يزل يقطعه إربًا إربًا وهو ثابت على ذلك[٣] .

وكما فعل الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي: [٤] فإنه لما أسرته الروم جاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت. فقال: إذًا أقتلك قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر، وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقى فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه فقال له: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله!

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٥ .

(٢) حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو الأنصاري أخو عبد الله بن زيد ذكره ابن إسحاق فيمن شهد العقبة من الأنصار وقال هو الذي أخذه مسيلمة فقتله، قال ابن سعد: شهد حبيب أحدًا والخندق والمشاهد، الإصابة ١ / ٣٠٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٥ .

(٤) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي وأمه آمنة بنت حرثان من بني الحارث، وهو من السابقين الأولين، يقال إنه شهد بدرًا، ولم يذكره موسى ابن عقبة ولا ابن إسحاق ولا غيرهما من أصحاب المغازي. وقصته مع ملك الروم مشهورة انظر ترجمته في الإصابة ٢ / ٢٩٦ وتهذيب التهذيب ٥ / ١٨٥ .

وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أيامًا ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ قال: أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك في، فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم: فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه [1].

* * *

أنـــــواع الإكـــــراه

١ ـ الإلجاء: حيث ينعدم الرضا والاختيار، وتنتفي الإرادة والقصد، وذلك بالوقوع تحت التعذيب الشديد أو نحو ذلك، وهذه الحالة هي التي نزلت فيها آية النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [2].

٢ ـ التهديد: حيث ينعدم الرضا، ولا ينعدم الاختيار تمامًا وهذه في مثل الحالة التي يختار فيها الإنسان أخف الضررين مثل حال شعيب عليه السلام مع قومه إذ خيروه بين العودة إلى الكفر أو الخروج من قريتهم.

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [3].

فلا تجوز الاستجابة لمثل هذا الإكراه لهذا النص ولقوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [4].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٦.

(٢) سورة النحل: ١٠٦.

(٣) سورة الأعراف: ٨٨ ـ ٨٩.

(٤) سورة العنكبوت: ١٠. وانظر: كتاب: حد الإسلام وحقيقة الإيمان للأستاذ عبد المجيد =

٣ ـ **الاستضعاف**: وهنا لا تعذيب ولا تهديد ولكن المستضعف داخل تحت وضع مفـروض عليه من غيره كـالمقيم في مكة بعد هجـرة المسلمين عنها، فإذا كـان دخوله تحت هذا الوضع لعجزه عن دفعه وعن الخروج منه، ولو أمكنه ذلك لفعل مهما كانت تضحياته وتكاليفه فهذا قد عفا الله عنه [١] .

أما إذا كان قـادرًا على الدفع أو الخروج ولم يفعل ذلك إيثـارًا للعاقبة فـقد سبق كلام الشيخ ابن عتيق وغيره في ذلك.

قال ابـن تيمـية: تأملت المذاهب فـوجدت الإكراه يخـتلف باختلاف المـكره عليه فليس الإكراه المعتبر في كلمـة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحـوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع، أن الإكراه على الكفـر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب وقيد، ولا يكون الكلام إكراهًا [٢] .

❊ ❊ ❊

= الشاذلي ص ٥٢٣ .

(١) المصدر السابق: ٥٢٦ .

(٢) نقلاً عن الدفاع لابن عتيق ص ٣٠ .

المنازعة في بعض صور الإكراه غير الملجئ؛ كالضرب الخفيف، والحبس اليسير، والإيذاء المعنوي، وإتلاف بعض المال ونحوه [(١)]

فابن حزم ـ رحمه الله ـ يطلق القول باعتبار كل ذلك من الإكراه.

والإيذاء المعنوي معتبر بالنسبة لذوي المروءات عند جمهور الفقهاء.

فقد جاء في الدر المختار (أن أدنى مراتب الإكراه ما يوجب غمًا يعدم الرضا)[(٢)] ثم قال: (وهو يختلف باختلاف الأشخاص؛ فإن الأشراف يغمون بكلام خشن، والأراذل ربما لا يغمون إلا بالضرب المبرح)[(٣)].

ويجعل المالكية من صور الإكراه المعتبر، الصفع لذوي المروءات والجاه في الملأ [(٤)].

ويجعل ابن قدامة من الحنابلة، السب والشتم في حق ذوي المروءات من صور الإكراه المعتبر[(٥)].

والحبس اليسير والضرب الخفيف، يعتبره الحنفية من الإكراه المعتبر بالنسبة لذوي المروءات[(٦)]، ويعتبره المالكية مطلقًا [(٧)]، وهو أحد الأقوال عند الشافعية.

الترخيص في أعمال الكفر تحت تأثير الإكراه:

إذا كان الإجماع قد انعقد على جواز النطق بكلمة الكفر تحت تأثير الإكراه، فإن الترخص في أفعال الكفر موضع خلاف بين أهل العلم؛ فمنهم من سوَّى بين الأقوال والأفعال، في جواز الترخص فيها في حالة الإكراه. ومنهم من فرق بينهما فأجاز

(١) انظر «الثوابت والمتغيرات» [ص / ٢٠٥ ـ ٢١٠].
(٢ ، ٣) حاشية ابن عابدين: ٦ / ١٢٩ .
(٤) الخرشي على خليل: ٣ / ١٧٣ .
(٥) المغني: ٧ / ٣٨٤ .
(٦) حاشية ابن عابدين : ٦ / ١٣٠ .
(٧) راجع الخرشي على خليل: ٣ / ١٧٣ .

الأولى ومنع من الثانية.

وممن ذهبوا إلى التسوية بينهما:

محمد بن الحسن من الحنفية: فقد ذكر في معرض بيانه لوجوب التورية عند الإكراه على الكفر: (إذا أكرهه الكفار على أن يشتم محمداً ﷺ فخطر بباله أن يشتم محمداً آخر غيره، فلم يفعل وقد شتم النبي ﷺ كان كافراً. وكذلك لو قيل له: لتسجدن إلى هذا الصليب. فخطر بباله أن يجعل السجود لله، فلم يفعل وسجد للصليب كان كافراً. فإن أعجلوه عن الرؤية ولم يخطر بباله شيء، وقال ما أكره عليه أو فعل لم يكن كافراً، إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان)[١].

السيوطي: فقد ذكر في الأشباه والنظائر، أن تلفظ المكره بالكفر وإتيانه بعمل الكفر، يحتمل أن يكون أفضل من صبره حتى يقتل، إذا كان المكره ممن يتوقع منهم نكاية في العدو والقيام بأحكام الشرع. وذلك كأن يكون عالماً بأحكام الشرع وليس في الناس مثله، وغير ذلك ممن تقتضي المصلحة بقائه حيًا[٢].

العز بن عبد السلام: فقد جعلهما مما يباح، لاشتماله على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحه على مفاسده، فقال ـ رحمه الله: (ما يكفر به من الأفعال المناقضة للتعظيم والإجلال إذا فعله بالإكراه، ولا يتصور الإكراه على الكفر بالجنان، ولا على جحد ما يجب الإيمان به؛ إذ لا اطلاع للمكره على ما يشتمل عليه الجنان من كفر وإيمان وجحد وعرفان)[٣]

شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد ذكر عذر النجاشي في عدم حكمه بالقرآن لعدم إقرار قومه له على ذلك، وعذر من يتولى قاضيًا بين المسلمين والتتار أو إمامًا، ولا يتمكن من إقامة العدل.

يقول ـ رحمه الله: (ونحن نعلم قطعًا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم

---

(١) أحكام القرآن، للجصاص: ٥ / ١٣.

(٢) الإكراه وأثره في التصرفات. د/ عيسى محمد شقرة: ١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام: ١ / ٩٩.

القرآن، والله قد فرض على نبيه بالمدينة، أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله إليه، وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه، وهذا مثل الحكم في الزنا للمحصن بحد الرجم، وفي الديات بالعدل، والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع: النفس بالنفس، والعين بالعين، وغير ذلك.

والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم القرآن؛ فإن قومه لا يقرونه على ذلك، وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيًا بل وإمامًا، وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل، وقيل: إنه سُمَّ على ذلك.

فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة، وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه، بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها)[1].

الخازن: فقد ذكر أيضًا في معرض بيانه لوجوب التورية عند الإكراه على الكفر، إذا قيل له: اكفر بالنبي. فيقول: هو كافر بالنبي. يريد بالنبي المكان المرتفع من الأرض. وكذلك لو أكره على السجود لصنم أو صليب، فسجد جاعلاً سجوده لله ـ سبحانه[2].

وممن ذهبوا إلى التفريق بينهما، الإمام أحمد. فقد روى الأثرم عنه أنه سئل عن الرجل يؤسر، فيعرَض على الكفر ويكرَه عليه، أله أن يرتد؟ فكرهه كراهة شديدة، وقال: ما يشبه هذا عندي الذين أنزلت فيهم الآية من أصحاب النبي ﷺ أولئك كانوا يرادون على الكلمة، ثم يتركون يعملون ما شاؤوا، وهؤلاء يريدونهم على الإقامة على الكفر وترك دينهم، وذلك لأن الذي يُكْرَه على كلمة يقولها ثم يخلى لا ضرر

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ١٩ / ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٢) تفسير الخازن: ٣ / ١٤٦.

فيها، وهذا المقيم بينهم يلتزم بإجابتهم إلى الكفر المقام عليه، واستحلال المحرمات، وترك الفرائض والواجبات، وفعل المحذورات والمنكرات، وإن كان امرأة تزوجوها واستولدوها أولاداً كفاراً ، وكذلك الرجل. وظاهر حالهم المصير إلى الكفر الحقيقي والانسلاخ من الدين الحنيف (١) .

وإن كان لا يخفى أن حديثه يتجه إلى صورة خاصة من صور الإكراه، ليس بالضرورة أن تتحقق في كل إكراه على عمل من أعمال الكفر.

المنازعة في اعتبار الإكراه ، الذي يكون بالتهديد بإلحاق الأذى بأحد أصوله، أو فروعه أو ذي رحم، ونحوه:

فالجمهور على اعتبار ذلك من قبيل الإكراه. ونازع في ذلك أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ وإن كان قد اعتبر هذا الإكراه في العقود استحساناً، وفرَّق في ذلك بين القريب والأجنبي، فاعتبره في القريب ولم يعتبره في الأجنبي.

قال البخاري ـ رحمه الله : (وإن قيل له: لتشربَنَّ الخمرَ، أو لتأكُلنَّ الميتَة، أو لتبيعَنَّ عبدك، أو لتقر بدين، أو تهب هبة أو تحل عقدة، أو لنقتلن أباك أو أخاك في الإسلام، وما أشبه ذلك ، وسعه ذلك لقول النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**». وقال بعض الناس: لو قيل له: لتشربن الخمر، أو لتأكلن الميتة، أو لنقتلن ابنك أو أباك أو ذا رحم محرم. لم يسعه؛ لأن هذا ليس مضطراً . ثم ناقض فقال: إن قيل له: لنقتلن أباك أو ابنك، أو لتبيعن هذا العبد، أو تقر بدين ، أو بهبة . يلزمه في القياس، ولكنا نستحسن ونقول: البيع والهبة وكل عقده في ذلك باطل. فرَّقوا بين كل ذي رحم محرم وغيره بغير كتاب ولا سنة) (٢) .

قال ابن بطال: (معناه أن ظالمًا لو أراد قتل رجل ، فقال لولد الرجل مثلاً: إن لم تشرب الخمر، أو تأكل الميتة قتلت أباك. وكذا لو قال له: قتلت ابنك، أو ذا رحم لك. ففعل لم يأثم عند الجمهور.

---

(١) المغني: ١٠ / ٩٨ .

(٢) فتح الباري: ١٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

وقال أبو حنيفة: يأثم لأنه ليس بمضطر؛ لأن الإكراه إنما يكون فيما يتوجه إلى الإنسان في خاصة نفسه لا في غيره، وليس له أن يعصي الله حتى يدفع عن غيره، بل الله سائل الظالم، ولا يؤاخذ الابن لأنه لم يقدر على الدفع إلا بارتكاب ما لا يحل له ارتكابه.

قال: ونظيره في القياس ما لو قال : إن لم تبع عبدك، أو تقر بدين، أو تهب هبة، أن كل ذلك ينعقد ، كما لا يجوز له أن يرتكب المعصية في الدفع عن غيره. ثم ناقض هذا المعنى فقال: ولكنا نستحسن ونقول: البيع وغيره من العقود كل ذلك باطل. فخالف قياس قوله بالاستحسان الذي ذكره؛ فلذلك قال البخاري بعده: فرقوا بين كل ذي رحم محرم وغيره بغير كتاب ولا سنة. يعني أن مذهب الحنفية في ذي الرحم بخلاف مذهبهم في الأجنبي، فلو قيل لرجل: لتقتلن هذا الرجل الأجنبي، أو لتبيعن كذا. ففعل لينجيه من القتل لزمه البيع . ولو قيل له ذلك في ذي رحمه لم يلزمه ما عقده.

والحاصل: أن أصل أبي حنيفة اللزوم في الجميع قياسًا ، لكن يستثنى من له منه رحم استحسانًا ، ورأى البخاري أن لا فرق بين القريب والأجنبي في ذلك، لحديث: «**المسلم أخو المسلم**» فإن المراد به أخوة الإسلام لا النسب، ولذلك استشهد بقول إبراهيم: «**هذه أختي**» والمراد أخوة الإسلام، وإلا فنكاح الأخت كان حرامًا في ملة إبراهيم، وهذه الأخوة توجب حماية أخيه المسلم والدفع عنه، فلا يلزمه ما عقده ولا إثم عليه فيما يأكل ويشرب للدفع عنه، فهو كما لو قيل له: لتفعلن كذا، أو لنقتلنك. فإنه يسعه إتيانها. ولا يلزمه الحكم ولا يقع عليه الإثم)[١] .

المنازعة في وجوب أكل الميتة وشرب الخمر ونحوه ، على من هدد على ذلك بالقتل:

فإن من أهل العلم من يرى وجوب ذلك، فإن امتنع كان آثمًا، ومنهم من يكتفي باستحباب ذلك عليه، فإن صبر فلا حرج.

---

(١) فتح الباري: ١٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

قال العز بن عبد السلام: (وكذلك من أُكره على شرب الخمر، أو غُصَّ ولم يجد ما يسيغ به الغصة سوى الخمر ، فإنه يلزمه ذلك؛ لأن حفظ الحياة أعظم في نظر الشرع من رعاية المحرمات المذكورات)[١] .

وقال ابن بطال: (وأما غير الكفر، فإن أكره على أكل الخنزير وشرب الخمر مثلاً فالفعل أولى. وقال بعض المالكية: بل يأثم إن منع من أكل غيرها، فإنه يصير كالمضطر على أكل الميتة إذا خاف على نفسه الموت فلم يأكل)[٢] .

* * *

(١) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام: ١ / ٩٣ .

(٢) فتح الباري: ١٢ / ٣١٧ .

أصل اعتبار عارض الإكراه عند إجراء الأحكام[١]

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢] .

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: (ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يأبى ، كما كان بلال ـ رضي الله عنه ـ يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، حتى أنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر، ويأمرونه بالشرك بالله، فيأبى عليهم وهو يقول: أحد، أحد!)[٣] .

وقوله ﷺ لعمار: «**إن عادوا فعد**». وذلك عندما حمله المشركون على أن يسب رسول الله ﷺ ، ويذكر آلهتهم بخير، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: «**كيف تجد قلبك؟**» قال: مطمئنًا بالإيمان. فقال: «**إن عادوا فعد**».

تقسيم الإكراه إلى قسمين: إكراه ملجئ. وإكراه غير ملجئ:

أما الإكراه الملجئ، فهو كما يقول الحنفية : ما يعدم الرضا ويفسد الاختيار. وهو الإكراه التام الذي يجعل المكره كالآلة في يد المكره. ويكون بما يعرِّض النفس أو أحد الأعضاء للتلف. ويلحق به الضرب الشديد المفضى إلى إزهاق الروح، وإتلاف أحد الأعضاء.

وأما الإكراه غير الملجئ: فهو الذي يعدم الرضا ولا يُذهب الاختيار . وهو الإكراه الناقص. ويكون بالتهديد بالحبس والقيد، وبالضرب غير المبرح، وإتلاف بعض المال ونحوه.

---

(١) انظر «الثوابت والمتغيرات» (ص / ٢٠١ ـ ٢١٠).
(٢) سورة النحل : ١٠٦ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير (٢ / ٥٨٨).

اتفاق الفقهاء على اعتبار الإكراه الملجئ ومنازعتهم في بعض صور الإكراه غير الملجئ:

فالإكراه بالقتل أو القطع أو الجرح، أو الضرب المفضي إلى شيء من ذلك، لا خلاف على اعتباره وترتيب آثاره عليه، عند أهل العلم ، فيسقط التبعة عن الأقوال، كما يسقط التبعة عن كثير من الأعمال على التفصيل الآتي:

تفاوت أثر الإكراه على حكم الأفعال المكره عليها بين الوجوب والحرمة والجواز:

يتفاوت أثر الإكراه على حكم الأفعال المكره عليها، ويمكن التمييز في ذلك بين ثلاثة أنواع:

نوع يجب فيه إعطاء التَّقيَّة عند جمهور العلماء. وذلك كالإكراه على شرب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير . فمن أكره بالقتل أو بإتلاف أحد الأعضاء على شيء من ذلك، وجب عليه عند جمهور العلماء أن يعطي التقية؛ لأن حفظ الحياة أعظم في نظر الشرع من رعاية هذه المحرمات ، وقد قال ـ تعالى ـ بعد ذكر هذه المحرمات: ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[1] .

قال العز بن عبد السلام: (وكذلك من أكره على شرب الخمر، أو غُصَّ ولم يجد ما يسيغ به الغصة سوى الخمر، فإنه يلزمه ذلك؛ لأن حفظ الحياة أعظم في نظر الشرع من رعاية المحرمات المذكورات)[2] .

ونوع يحرم فيه ذلك. كالإكراه على القتل والزنا ونحوه، مما فيه مظلمة لآدمي ولا يمكن استدراكه، فقد اتفق أهل العلم على أن الإكراه لا يبيح القتل، وليس لأحد أن يدفع القتل عن نفسه بقتل غيره؛ إذ ليست عصمة نفسه بأولى من عصمة نفس أخيه، ويلحق بالقتل القطع والجرح والضرب المفضي إلى الموت. وفي إيجاب القصاص في هذه الحالة خلاف.

وكذلك الزنا بالنسبة للرجل . أما المرأة فإن الجمهور على سقوط الإثم عنها

(١) سورة الأنعام: ١١٩ .

(٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ١ / ٩٣ .

بالإكراه، لقوله ـ تعالى : ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] ولاعتبارات أخرى ذكروها في التفرقة في هذا الحكم بين الرجل والمرأة، وإن كان بعضها لا يخلو من مقال.

يقول العز بن عبد السلام، في معرض بيان لاجتماع المفاسد، ووجوب درء الأفسد فالأفسد، إن تعذر درؤها جميعًا: (أحدها: أن يكره على قتل مسلم، بحيث لو امتنع منه قتل. فيلزمه أن يدرأ مفسدة القتل بالصبر على القتل؛ لأن صبره على القتل أقل مفسدة من إقدامه عليه. وإن قدر على دفع المكروه بسبب من الأسباب لزمه ذلك، لقدرته على درء المفسدة . وإنما قدم درء القتل بالصبر، لإجماع العلماء على تحريم القتل واختلافهم في الاستسلام للقتل، فوجب تقديم درء المفسدة المجمع على وجوب درئها، على درء المفسدة المختلف في وجوب درئها. وكذلك لو أكره على الزنا واللواط ، فإن الصبر مختلف في جوازه ، ولا خلاف في تحريم الزنا واللواط.

كذلك لو أكره بالقتل على شهادة زور أو على حكم بباطل ، فإن كان المُكرِه على الشهادة به أو الحكم به قتلاً أو قطع عضو، وإحلال بضع محرم لم تجز الشهادة ولا الحكم؛ لأن الاستسلام للقتل أولى من التسبب إلى قتل مسلم بغير ذنب، أو قطع عضو بغير جرم، أو إتيان بضع محرم) [٢] .

* * *

(١) سورة النور: ٣٣ .

(٢) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام: ١ / ٩٣ .

معنى دار الإسلام ودار الحرب [١]

المطلب الأول ـ دار الإسلام:

ذكر الفقهاء عدة تعريفات أكثرها متقارب، وبعضها فيه بعد[٢] .

فيعرفها السرخسي [٣] ـ من الحنفية ـ بقوله:

«دار الإسلام اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين، وعلامة ذلك أن يأمن فيه المسلمون»[٤] .

ويعرفها عبد القاهر البغدادي[٥] ـ الشافعي ـ بقوله:

«كل دار ظهرت فيه دعوة الإسلام من أهله بلا خفير ولا مجير ولا بذل جزية، ونفذ فيها حكم المسلمين على أهل الذمة إن كان فيهم ذمي ولم يقهر فيها أهل البدعة فيها أهل السنة» [٦] .

فهو في تعريفه يركز على ظهور حكم الإسلام ودعوته مع وجود الأمان ويشاركه في إبراز هذا المعنى ـ أعني ظهور حكم الإسلام ـ كثير من الفقهاء، خاصة الحنابلة كابن مفلح[٧] الذي يعرفها بقوله:

---

(١) انظر «الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي» [ص / ١٧٠ ـ ١٧٨].

(٢) انظر مثلاً تفسير المنار ١٠ / ٣١٥ ـ ٣١٧ . فقد ذكر السيد رضا تعريفات ليس لها أصل من أقوال الفقهاء.

(٣) السرخسي: هو محمد بن أحمد بن أبي سهل الحنفي (أبو بكر) يلقب بشمس الأئمة ، فقيه، أصولي، له مؤلفات من أشهرها المبسوط الذي أملاه وهو محبوس، توفي سنة ٤٨٣ هـ (كشف الظنون ٢ / ١٠١٤، وهدية العارفين من كشف الظنون ٢ / ٧٦).

(٤) المبسوط ١٠ / ٢٣ .

(٥) عبد القاهر البغدادي: هو عبد القاهر بن طاهر التميمي الشافعي (أبو منصور) إمام في الفقه والأصول وعلم الكلام والنحو والأدب وغيرها، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٤٢٩ هـ (طبقات الشافعية ٣ / ٢٣٨).

(٦) أصول الدين ص ٢٧٠ .

(٧) ابن مفلح : هو أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الصالحي الحنبلي (شمس=

«كل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام» [١] .

ويعرفها البجرمي [٢] ـ الشافعي ـ بقوله:

«هي التي يسكنها المسلمون وإن كان فيها أهل ذمة، أو فتحها المسلمون وأقروها بيد الكفار أو كانوا يسكنونها ثم جلاهم الكفار عنها» [٣] .

وهذا التعريف فيه توسع، فهو لا يشترط ظهور أحكام الإسلام وإنما فقط سكنى المسلمين ـ وإن كان معهم غيرهم ـ أو فتحُها وتركها بيد الكفار، وكذلك يضيف هذا التعريف الأرض التي يسكنها المسلمون ثم يجلون عنها .

فهو يعتبر كل أرض يسكنها المسلمون ـ ولو لم يستمروا ـ أو يفتحونها ويتركونها لأهلها؛ كل ذلك من دار الإسلام ، ويحددها بعض المالكية كالدسوقي [٤] بأنها ما كانت للمسلمين وأقيمت فيها شعائر الإسلام أو أكثرها حتى وإن استولى عليها الكفار» [٥] .

وخلاصة القول: أنه بالنظر إلى التعريفات السابقة يبرز لنا ثلاثة اتجاهات:

أولها: من يركز على ملكية الدار وأن تكون للمسلمين ، وهو السرخسي.

ثانيها: من يركز على ظهور أحكام الإسلام. وهم:

عبد القاهر البغدادي، وابن مفلح، ويوافقهما جمهور الفقهاء.

= الدين) أحد أعلام المذهب الحنبلي، حضر على تقي الدين ابن تيمية وضبط اختياراته ، له مؤلفات، توفي سنة ٧٦٣ هـ (شذرات الذهب ٦ / ١٩٩).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية: ١ / ٢١٣ .

(٢) البجرمي: هو سليمان بن محمد بن عمر البجرمي المصري الشافعي ١٢٢١ ـ ١٢٣١، له مؤلفات منها تحفة الحبيب على شرح الخطيب (هدية العارفين ١ / ٤٠٦).

(٣) حاشية البجرمي ٤ / ٢٢٠ .

(٤) الدسوقي: هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، ولد بدسوق من قرى مصر، شارك في علوم الشريعة، وعلم الهيئة والهندسة له مؤلفات ، توفي سنة ١٢٣٠ هـ (تاريخ الجبرتي ٣ / ٤٩٦).

(٥) حاشية الدسوقي ٢ / ١٨٨ ، وانظر بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المعاصرين ص ٢٥٤ .

ثالثها: من يركز على مجرد السكنى وإقامة الشعائر وهما: البجرمي والدسوقي.

وكأني بالاتجاه الأول لا يبعد كثيراً عن الثاني، فالذي يكون تحت يد المسلمين فالأصل أنه يظهر فيه حكم الإسلام ، لكن قد تكون أرض ما بيد المسلمين وتعيش بأمان لكنها تحكم بغير حكم الإسلام، كما هو ملحوظ في بعض البلاد الإسلامية في الوقت الراهن، وكذلك قد توجد أرض تابعة للمسلمين ـ وإن كانت لا تجري فيها أحكام الإسلام ـ كأرض الصلح التي للمسلمين.

أما الاتجاه الثالث... فأراه قد تساهل كثيراً ولم يذكر تعريفًا دقيقًا محددًا، فإنه قد يقال في المقابل: وكذلك الأرض التي يسكنها الذميون هي دار كفر، وإن حكمت بشريعة الله، وهذا باطل.

لهذا. . . فإنني أرى الاتجاه الثاني هو الراجح ، لكن ينبغي أن يزاد في التعريف عبارة: «أو تتبع دار الإسلام». لتدخل أرض الصلح التي للمسلمين ليكون التعريف هكذا : «هي التي تظهر فيها أحكام الإسلام أو تتبع دار الإسلام».

وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى أن قولنا «دار الإسلام» مضاف ومضاف إليه، فالدار مضافة إلى الإسلام، والإسلام يعني جملة أحكامه وشعائره، أي الدار التي فيها الإسلام، كما يقال للجنة: دار السلام، أي الدار التي يوجد فيها السلام[١] .

دار الحرب:

لم يختلف في تعريف دار الحرب كما اختلف في تعريف دار الإسلام بل تكاد تتقارب الألفاظ في ذلك، ولنذكر بعض الأمثلة:

فيعرفها أبو يوسف ومحمد بن الحسن[٢] صاحبا أبي حنيفة بقولهما: «هي الدار التي تظهر فيها أحكام الكفر» [٣] .

---

(١) انظر: بدائع الصنائع ٧ / ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) محمد بن الحسن: هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء (أبو عبد الله) صاحب أبي حنيفة، فقيه مجتهد، ولاه الرشيد القضاء، توفي هو والكسائي في يوم واحد سنة ١٨٩ هـ، فقال الرشيد: ذهب اليوم الفقه واللغة (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٨٠).

(٣) بدائع الصنائع ٧ / ١٣٠ ـ ١٣١ .

ويعرفها الحنابلة بقولهم: «هي التي يغلب عليها حكم الكفر»[١] .

ولا فرق بين التعريفين، فدار الحرب إذًا : «هي التي تكون فيها السلطة بيد الكفار».

فأي أرض لم تدخل في الإسلام وتكون بتلك الصفة فهي دار حرب، بالإجماع، وقد أضيف الدار إلى الحرب كإضافة الدار إلى الإسلام.

وذلك لأن المحاربة من أهل تلك الدار متوقعة أو حاصلة، ومن هنا جاءت الإضافة .

وقد تسمى «دار الكفر» لأن الحرب مبعثها الكفر غالبًا، غير أنه ليس كل دار كفر تعد دار حرب ، فإن أهل الصلح تعد دارهم دار كفر في واقعها، لكنها ليست بدار حرب.

بيد أن ثمة خلافًا في دار أهل العهد الذين يصطلح معهم المسلمون على أن يبقوا في أرضهم وتكون لهم ، ويؤدوا مقابل ذلك خراجًا للمسلمين، وسيأتي الحديث عنها قريبًا.

ولهذا نقول ـ خروجًا من الخلاف ـ في تعريف دار الحرب: «هي التي يظهر بها حكم الكفر، ولا يربطها مع المسلمين عهد». فكل الأراضي التي لم يدخلها الإسلام وتحكم بالكفر فهذا التعريف ينطبق عليها بلا ريب.

أما الأراضي التي يدخلها الإسلام وتظهر أحكامه فيها ثم ينحسر عنها فقد اختلف الفقهاء متى تتحول إلى دار حرب وكيف ذلك؟

١ ـ فجمهور الفقهاء يرون أنه متى ظهر حكم الكفر فيها وأبعدت شريعة الله عن التحكيم فإن هذه الأرض تتحول إلى دار كفر وإن كان أكثر سكانها مسلمين[٢] .

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ٤ / ١٢١ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ١ / ٢١٣ ، والإقناع للحجاري ٢ / ٧ .

(٢) انظر «أصول الدين» للبغدادي ص ٢٧٠ ، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١ / ٣٦٦، و«المعيار المعرب» للونشريسي ٢ / ١٢٤ فما بعدها.

وذلك لأن العبرة تكمن في نوع الحكم والحاكم فإن كانا مسلمين فدار إسلام، وإلا فدار كفر، وقد تكون دار حرب.

إلا إن كانت الأرض منعزلة لا تخضع لنظام معين فحينئذ ينظر إلى سكانها فإن كان أكثرهم مسلمين فدار إسلام وإلا فدار كفر.

٢ـ ويرى بعض الفقهاء أن دار الإسلام لا تتحول إلى دار حرب إلا بثلاثة شروط:

أولها: ظهور أحكام الكفر فيها.

ثانيها: أن تكون متاخمة لدار الكفر، بحيث لا يفصل بينها وبين دار الكفر دار إسلام.

ثالثها: ألا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنًا بالأمان الأول وهو أمان المسلمين، أي أن الخوف يحل محل الأمن. وهذا رأي الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

ويشرح لنا الكاساني وجه قول أبي حنيفة فيقول: «إن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر، وإنما المقصود هو الأمن والخوف، ومعناه أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق والخوف للكفرة على الإطلاق فهي دار الإسلام، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق فهي دار الكفر، والأحكام مبنية على الأمن والخوف لا على الإسلام والكفر، فكان اعتبار الأمان والخوف أولى، فما لم تقع الحاجة للمسلمين إلى الاستئمان بقي الأمان الثابت فيها على الإطلاق فلا تصير دار الكفر، وكذا الأمن الثابت على الإطلاق لا يزول إلا بالمتاخمة لدار الحرب فتوقف صيرورتها دار الحرب على وجودهما»[1].

وعلى حسب هذا الرأي فإن مثل فلسطين اليوم لا تعتبر دار حرب، لعدم متاخمتها لدار الحربيين.

٣ ـ ويرى فريق ثالث من الفقهاء أن دار الإسلام لا تكون دار حرب ما دامت

---

(١) بدائع الصنائع ٧ / ١٣٠، ١٣١.

شعائر الإسلام أو غالبها قائمة ولو استولى عليها الكفار [١].

٤ ـ ويرى فريق رابع: أنه متى سكن المسلمون أرضًا فإنها تصبح دار إسلام، ولو أجلاهم الكفار عنها، وإن سميت دار حرب فصورة لا حكمًا، وذلك لأن استيلاء الكفار ليس شرعيًا، وواجب المسلمين أن يبقوا فيها ما أمكنهم ذلك [٢].

المناقشة والترجيح:

إذا ما أعدنا النظر في أدلة كل فريق فإننا نلحظ ما يأتي:

١ ـ أن أدلة الفريق الأول القائل بأن العبرة هي في نوع الحكم والحاكم، قوية لا غبار عليها، لأن أثر السلطة والشريعة المحكمة قوي جدًا على الدار وسكانها، والسكان وإن كان فيهم من يخالف النظام السياسي القائم عقيدة وسلوكًا، إلا أنها مخالفة مقيدة، فصح بذلك إضافة الدار إلى النظام السياسي القائم، فإن كان إسلاميًا فدار إسلام، وإن كان غير ذلك فدار كفر.

هذا إلا أن الإجماع قائم على أن البلاد التي تظهر فيها شريعة الله فهي دار إسلام وإن كان سكانها أو أكثرهم غير مسلمين، فكذلك بالنسبة لدار الحرب.

٢ ـ أما دليل أبي حنيفة فإنه قد يناقش بما قلناه آنفًا، من أن إضافة الدار إلى الإسلام أو الكفر إنما هي حقيقة الإسلام والكفر، وعلامة ذلك نوع الحكم والحاكم.

ثم يقال: قد يوجد أمان في أرض الحرب الأصلية التي لم تظهر فيها أحكام الإسلام قط ومع ذلك لا تسمى دار إسلام بإجماع أهل العلم، ومنه ندرك أن الأمان غير منضبط، ومثله الخوف.

٣ ـ وأما ما يراه الفريق الثالث من أن ظهور شعائر الإسلام كاف ففيه نظر، لأن كثيرًا من دول الكفر تسمح بظهور شعائر الإسلام أو أكثرها، ومع ذلك فلا تسمى دار إسلام.

---

(١) انظر حاشية الدسوقي ٢ / ١٨٨.

(٢) انظر حاشية البجرمي ٤ / ٢٢٠، وحاشية قليوبي ٤ / ٢٢٦، وبغية المسترشدين ص ٢٥٤ وارجع إلى «موسوعة الفقه السياسي» للدكتور فؤاد النادي ١ / ١٤٤ ـ ١٥٣.

٤ ـ وأما ما يراه الفريق الآخير من أن مجرد سكنى المسلمين للدار يجعلها دار إسلام وإن لم يستمر المسلمون فيها بأن جَلَوا عنها فهو غير محدد وغير دقيق كما أشرنا من قبل.

وما استدل به من أن استيلاء الكفار عليها ليس شرعيًا فهو صحيح لكن ذلك لا يمنع أن تكون دار كفر، بحكم الأمر الواقع.

دار العهد والموادعة

وهي الدار التي ترتبط مع دار الإسلام بعهود ومواثيق ، إما مهادنة وإما مصالحة على البقاء في الأرض بعد فتحها، على أن تكون لهم ويدفعون مقابل ذلك خراجًا.

فمثل تلك البلاد هل تلحق بدار الحرب أو بدار الإسلام أو لها وضع آخر؟ وإذا أعدنا الكرة على التعاريف الماضية لدار الإسلام ودار الحرب فقد نستنبط منها تعريف دار العهد.

فدار الإسلام عرفنا أن في تعريفها ثلاثة اتجاهات:

الأول: من يركز على ملكية الأرض للمسلمين. وعلى هذا فدار العهد ونحوها ليست من دار الإسلام لأنها ليست تحت يد المسلمين.

الثاني: من يركز على ظهور حكم الإسلام.

وعلى هذا فدار العهد ليست من دار الإسلام أيضًا لعدم ظهور حكم الإسلام.

الثالث: من يركز على سكنى المسلمين للأرض وإقامة الشعائر فيها. وعلى هذا فدار العهد من دار الإسلام لوجود الأمان الذي تقوم عليه الشعائر.

وأما تعريف دار الحرب فقد مر بنا أن الدار التي لم يظهر فيها حكم الإسلام قط فهي دار حرب في نظر الفقهاء عامة . وهذا قد يوحي بأن دار العهد من جملة دار الحرب.

ونظرًا لعدم ظهور ارتباط دار العهد بدار الإسلام ولا بدار الحرب فقد عدها الشافعية وبعض الحنابلة قسمًا مستقلاً سموه : دار العهد ، كما نص على ذلك

الماوردي[١] وأبو يعلى [٢] وغيرهما [٣] ، وهو ظاهر كلام ابن القيم [٤] .

واختار هذا عدد من الباحثين المعاصرين [٥] .

ويذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن دار الصلح تصير دار إسلام بمجرد المصالحة مع أهلها وأخذ الخراج منها [٦] .

والذي يظهر لي رجحانه: قول الشافعية ومن معهم، فإن دار العهد ليست بدار إسلام لما عرفنا من أن مناط التسمية يتعلق بالنظام السياسي للدار، ومعلوم أن دار العهد لا تخضع للحكم الإسلامي فلم يصح إلحاقها بدار الإسلام.

كما أنها ليست من دار الحرب قطعًا، لأنها وإن كانت تخضع لنظام كافر لكنها غير محاربة للمسلمين لوجود العهد.

إذًا دار الحرب إنما سميت بهذا لوجود المحاربة من أهلها أو لما يتوقع منهم بسبب الكفر، لكن قد يصح تسميتها دار كفر.

* * *

(١) الأحكام السلطانية ص ١٣٨ .

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .

(٣) انظر مثلاً «المبدع شرح المقنع» ٣ / ٣٧٩ .

(٤) انظر «أحكام أهل الذمة» ٢ / ٤٧٦ .

(٥) من هؤلاء الشيخ محمد أبو زهرة. انظر كتابه «العلاقات الدولية في الإسلام» ٥٥ ـ ٥٧ .

(٦) انظر « بدائع الصنائع » ٧/ ١١٠ . واختار هذا الرأي من المعاصرين الدكتور عبد الكريم زيدان . (انظر : أحكام الذميين والمستأمنين هامش ص ١٨) .

فتوى الأزهر في دار الإسلام ودار الحرب

السؤال: ما المقصود بدار الحرب، ومتى يطلق على منطقة بأنها دار حرب ، وهل تقام فيها الحدود[(١)] ؟

الجـواب:

جاء في «كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف، ج١ ، ص ٢٤٨»: أن تقسيم البلاد إلى دار كفر وإسلام أمر اجتهادي من واقع الحال في زمان الأئمة المجتهدين، وليس هناك نص فيه من قرآن أو سنة. والمحققون من العلماء قالوا: إن مدار الحكم على بلد بأنه بلد إسلام أو بلد حرب هو الأمن على الدين. حتى لو عاش المسلم في بلد ليس له دين أو دينه غير دين الإسلام ، ومارس شعائر دينه بحرية فهو في دار إسلام، بمعنى أنه لا تجب عليه الهجرة منها.

وذكر المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة في رسالة عن نظرية الحرب في الإسلام «ص ٣٨» رأيين للفقهاء في دار الإسلام ودار الحرب. ثم اختار رأى أبي حنيفة وهو: أن مدار الحكم هو أمن المسلم ، فإن كان آمنًا بوصف كونه مسلمًا فالدار دار إسلام وإلا فهي دار حرب. وقال: إنه الأقرب إلى معنى الإسلام، ويوافق الأصل في فكرة الحروب الإسلامية وأنها لدفع الاعتداء. انتهى.

وبخصوص الحدود قال فريق من الفقهاء منهم أبو حنيفة: إذا غزا أمير أرض الحرب فإنه لا يقيم الحد على أحد من جنوده في عسكره، إلا أن يكون إمام مصر أو الشام أو العراق أو ما أشبه ذلك، فيقيم الحدود في عسكره، وحجتهم أن إقامتها في دار الحرب قد تحمل المحدود على الالتحاق بالكفر. وقد نص على عدم إقامتها أحمد وإسحاق بن راهويه والأوزاعي وغيرهم ، وعليه إجماع الصحابة . وكان أبو محجن الثقفي لا يطيق الصبر عن شرب الخمر، فشربها بالقادسية فحبسه أمير الجيش سعد بن

---

(١) دار الإسلام ودار الحرب ـ فتوى الشيخ / عطية صقر ـ مايو ١٩٩٧، وانظر «بيان للناس» من الأزهر (١ / ٢٨٤).

أبي وقاص وأمر بتقييده، ثم طلب من امرأة سعد أن تطلقه ليشترك في المعركة وتعهد بالعودة إلى الحبس، وكان ذلك، ولما عرف سعد بلاءه في الحرب عفا عنه فتاب عن الخمر. ورأى جماعة آخرون عدم الفرق بين إقامة الحدود في دار الإسلام وغيرها، ومنهم مالك والليث بن سعد.

وبعد، فهذا سؤال تقليدي عن الحدود قضت به ظروف كان المسلمون فيها أصحاب قوة وسلطان يفتحون البلاد بالإسلام ، فهل يمكن في ظروفنا الحاضرة أن يكون لنا هذا الوضع؟ هذا، ويثار هنا سؤال عن حكم إقامة المسلم في بلاد المشركين، ورأى الإسلام في الجاليات الإسلامية. روى أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ قال: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»**. وهذا الحديث يلتقي مع الآيات التي تحث على الهجرة من مكة إلى المدينة، وتنعى على من يستطيعون الهجرة ولا يهاجرون، ومنها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ (١).

والهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة، لكن هل هي واجبة أم مندوبة؟ قال العلماء: إن خاف المسلم على دينه وخلقه أو على ماله وجب أن يهاجر، وإن لم يخف لم تجب الهجرة، وتكون سنة. لكن قال المحققون: إذا وجد المسلم أن بقاءه في دار الكفر يفيد المسلمين الموجودين في دار الإسلام، أو يفيد المسلمين الموجودين في دار الكفر بمثل تعليمهم وقضاء مصالحهم، أو يفيد الإسلام نفسه ـ بنشر مبادئه والرد على الشبه الموجهة إليه ـ كان وجوده في هذا المجتمع أفضل من هجره، ويتطلب ذلك أن يكون قوي الإيمان والشخصية والنفوذ حتى يمكنه أن يقوم بهذه المهمة.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النساء: ٩٧ .

فتوى الشيخ / الألباني في حكم الديار[1]

السائل : هناك قول يقـوله بعض الناس : إن الدار تكون دار إسلام إذا كان الحكم إسـلامـيّا ويُطبـق شرع الله فـي هذه الدار.. حـتى يعني ولو جُـل أهلهـا من الكفـار، والديار ديار كفـر إذا كان الحكـم فيهـا لا يُحكم فيها بما أنزل الله ولو كـان جُل أهلها من المسلمين.

هل هذا القول صحيح؟

الشيخ: لا.

ليس بصحيح.

هذا القول ايش معناه؟...

ما هو من لوازمه؟

مثلاً هذه البـلاد أو بلاد سورية أو غيرها من البلاد الأخـرى التي يحكم حكامها مع الأسف ـ كالجزائر ـ بالقوانين الأرضية.

هذه أي قسم من البلاد؟

بلاد حربية؟

السائل: لا. ليست حربية...

الشيخ مداخلاً: معليش .. معليش، أن أجبتُكَ.

لكن نريد أن نصل بطريق تسلسل منطقي فكري إلى إبطال هذا القول.

إذا كانت هذه البلاد ليـست بلاداً إسلامية لأنها ابتُليت بحكام يحكمـون بغير ما أنزل الله.

(١) تفريغ جواب الشـيخ الألباني رحمه الله بخصـوص الحكام الذين يحكمون بلاد المسلمين من شريط ـ المصدر شبكة سحاب.

ثم هؤلاء الحكام على قسمين:

قسم يعترف بأنه يجب أن يكون الإسلام هو الحاكم لكن.

السائل مداخلاً: هناك كلمة لم أستطع ضبطها ولعلها: معاناة.

الشيخ: لكن .ها. هوى النفس وتعرف المصالح.

وقسم ثانٍ يقول لك: الإسلام هذا رجعي.

ولا يصلُح ليكون حاكمًا في هذا الزمان ، الآن الزمان تغير. . هؤلاء كفار.

لا فرق بينه.

السائل مداخلاً: بنص الآية؟

الشيخ : نعم؟

السائل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [١] .

الشيخ: نعم بس الآية لها تأويلات كما قال ترجمان القرآن: كفر دون كفر، ليس كما يذهبون إليه: كفر دون كفر) .

ولذلك قلت أنا: إن الذين يحكمون اليوم في بلاد الإسلام هم قسمان:

قسم يعترف بأن الحكم الإسلامي هو الواجب، ولكن.

كالمرابي والسارق والزاني والغاش واللي بينم وبيستغيث وإلى آخره.

كل هؤلاء يُخالفون الإسلام.

فإذا استحلوا شيئًا من هذه المعاصي فهم كفار.

وإذا قالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله ، الله يتوب علينا، الله يهدينا إلى آخره.

يعني العقيدة تبعهم صحيحة لكن عملهم مخالف العقيدة.

فهؤلاء لا نحكم بردتهم.

قسم ثانٍ من الحكام كما قلت لك آنفًا يقولون: الإسلام لا يَصْلح للحكم في هذا

---

(١) سورة المائدة: ٤٤ .

الزمان؟

هؤلاء مرتدون.

الآن كثير من البلاد الإسلامية، أكثر البلاد الإسلامية إذا ما قلنا كل البلاد الإسلامية محكومة بالقوانين ، لكن بِنسَب متفاوتة.

يعني قسم كبير منها قد تكون أحكامها موافقة للإسلام أكثر.

وقسم منها مخالف للإسلام أكثر.

وبين ذلك مراتب ودرجات.

ولا يهمنا نحن مثل هذه التفاصيل لأننا نحن الآن نعيش في عهد: ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ (١) .

لما بدنا نصير كتلة وبإمكانا أن نقاتل الحاكم الكافر.

الإسلام لا يأمر بمقاتلة الحاكم الكافر ابتداءً.

إنما يدعوه.

كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام بمن؟

بكسرى وقيصر والمقوقس . . . وإلى آخره.

الذي يستجيبون الحمد لله.

الذين لا يستجيبون هل قاتلهم طفرةً؟ ولا تهيأ لذلك؟

تهيأ لذلك.

فنحن إذا ابتلينا الآن ـ كما هو أقرب هلا شاهد الجزائر ـ بُحكام أوروبيين تقليديين أخذوا نظام فرنسا هل بيستعمرهم قرنًا من الزمان وزيادة فهم يحكمون بهذه القوانين.

الآن: هل نبدأ بمقاتلهم ونحن ما بدأنا بمقاتلة شهوات أنفسنا وتربيتها على الكتاب

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥ .

والسنة وما تجمعنا وتكتلنا كما شرحنا آنفًا؟

لا.

الآن وقت: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[1] .

فإذا صار عندنا هذه الكتلة كما شرحنا آنفًا نقول: أيها الحاكم إما أن تحكم بما أنزل الله وإما أن تدع الحكم لمن يحكم بما أنزل الله وإلا فالقتال بيننا وبينك هكذا الإسلام.

مُش ثورة.

مُش قضية لعبة نريد اغتيال دماء بريئة دون أي فائدة تُذكر.

ونسأل الله أن يلهمنا العمل بالكتاب والسنة وأن يُربينا على ذلك.

س ـ ما الشروط الواجب توافرها في بلد حتى تكون دار حرب أو دار كفر؟

ج: كل بلاد أو ديار يقيم حكامها وذوو السلطان فيها حدود الله، ويحكمون رعيتها بشريعة الإسلام، وتستطيع فيها الرعية أن تقوم بما أوجبته الشريعة الإسلامية عليها؛ فهي دار إسلام.

فعلى المسلمين فيها أن يطيعوا حكامها في المعروف، وأن ينصحوا لهم، وأن يكونوا عونًا لهم على إقامة شؤون الدولة، ودعمها بما أوتوا من قوة علمية وعملية، ولهم أن يعيشوا فيها، وألا يتحولوا عنها إلا إلى ولاية إسلامية، تكون حالتهم فيها أحسن وأفضل ، وذلك كالمدينة بعد هجرة النبي ﷺ إليها وإقامة الدولة الإسلامية فيها، وكمكة بعد الفتح؛ فإنها صارت بالفتح وتولي المسلمين أمرها دار إسلام بعد أن كانت دار حرب تجب الهجرة منها على من فيها من المسلمين القادرين عليها.

وكل بلاد أو ديار، لا يقيم حكامها وذوو السلطان فيها حدود الله، ولا يحكمون في الرعية بحكم الإسلام، ولا يقوى المسلم فيها على القيام بما وجب عليه من شعائر الإسلام؛ فهي دار كفر.

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥ .

وذلك مثل مكة المكرمة قبل الفتح، فإنها كانت دار كفر، وكذا البلاد التي ينتسب أهلها إلى الإسلام، ويحكم ذوو السلطان فيها بغير ما أنزل الله، ولا يقوى المسلمون فيها على إقامة شعائر دينهم، فيجب عليهم أن يهاجروا منها، فرارًا بدينهم من الفتن، إلى ديار يحكم فيها بالإسلام، ويستطيعون أن يقوموا فيها بما وجب عليهم شرعًا.

ومن عجز عن الهجرة من الرجال والنساء والولدان فهو معذور، وعلى المسلمين في الديار الأخرى أن ينقذوه من ديار الكفر إلى بلاد الإسلام قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾[١] .

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا** ﴾[٢] .

أما من قوي من أهلها على إقامة شعائر دينه فيها، وتمكن من إقامة الحجة على الحكام وذوي السلطان ، وأن يصلح من أمرهم، ويعدل من سيرتهم، فيشرع له البقاء بين أظهرهم؛ لما يرجى من إقامته بينهم من البلاغ والاصطلاح مع سلامته من الفتن.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

---

(١) سورة النساء: ٩٧ ـ ٩٩ .

(٢) سورة النساء: ٧٥ .

عالم سعودي: مؤتمر «ماردين» جرد فتوى «ابن تيمية» من توظيفها لتبرير الإرهاب

المؤتمر الذي عقد في تركيا اعتبر جميع دول العالم «فضاء سلام».

جدة: نايف الرجحي الرياض: هدى الصالح.

أكد الدكتور عبد الوهاب الطريري، نائب المشرف العلمي على موقع «الإسلام اليوم» الإلكتروني ورئيس تحرير مجلة «الإسلام اليوم» ، أن مناقشة علماء مسلمين مؤخرًا فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في أهل ماردين، والشهيرة «بفتوى ماردين»، هدفت إلى تجريد هذه الفتوى من أن تكون دليلاً للإرهابيين، لتوظيفها سلبيًا كدليل شرعي يبيح لهم ارتكاب أعمال إرهابية.

ونبه الدكتور الطريري، وهو أحد العلماء المشاركين في مؤتمر «ماردين» في تركيا، إلى أن المؤتمر لم يسع إلى الرد على فتوى ابن تيمية، وإنما تجريدها من التوظيف السلبي لها من قبل الجماعات الإرهابية، على غرار آيات قرآنية وأحاديث نبوية أولها الإرهابيون في غير المقصود منها، خدمة لمنهجهم الفكري، مشيرًا إلى أن فتوى ابن تيمية هي إحدى الفتاوى المهمة، التي ناقشت قضية الجهاد والدار، مشددًا على أنها فتوى «سديدة» في تنزيلها على الواقع الزماني والمكاني المعاصر.

وأوضح نائب المشرف العلمي على موقع «الإسلام اليوم» الإلكتروني ، أن فتوى ابن تيمية «سابقة في عصرها، إذ تفتقت عبقريته عندما سئل عن بلدة ماردين، التي يسكنها مسلمون ، واستولى عليها المغول، وهل هي بلد حرب أم سلم؟ باستحداث منزلة وتصنيف جديد يتجاوب مع ذلك الظرف الطارئ ، فاعتبرها لا هي دار حرب أو سلام، وإنما قسم ثالث يعامل فيها المسلم بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام منهم بما يستحقه».

وأشار الدكتور الطريري إلى أن المؤتمر هدف أيضًا إلى إمكان إيجاد توصيف جديد للدول، يتوافق مع المستجدات العالمية، ومنها إنشاء المؤسسات والمنظمات الدولية ،

وإعلان المواثيق الدولية التي تعطي للدول توصيفات جديدة، غير حصرها في دور حرب أو سلام، لافتًا إلى أن المؤتمر دعا إلى «اعتبار دول العالم جميعها، باستثناء الدول التي تخوض حربًا ضد المسلمين كالكيان الصهيوني، (فضاء سلام)، إذ قلما يوجد بلد لا يعيش فيه مسلمون ، ويتمتعون فيه بحقوق المواطنة».

ودعا إلى الانطلاق من فتاوى العلماء المسلمين القدماء باعتبارها ثروة كبيرة، راعت الظروف الزمانية والمكانية المعاصرة لهم، على أن يجدد العلماء المعاصرون مثلما فعل العلماء السابقون، من خلال إيجاد أحكام شرعية تتوافق مع مستجدات العصر.

من جهته، أكد الشيخ الدكتور عبد الله بن بيه لـ «الشرق الأوسط» على تحريف فتوى ابن تيمية والزيادة عليها من قبل أتباعه، الأمر الذي استدعى مراجعة تراث أئمة الإسلام، حيث إن ما ينسب إليهم قد يكون مجتزأ أو ناقصًا، مما يظهر عدم التكافؤ في أقوالهم في حال ربطهم مع الآراء الأخرى الخاصة بهم.

ونادى الشيخ الدكتور عبد الله بن بيه بضرورة تمحيص وتنقيح عدد من القضايا التي باتت تؤثر على الأئمة، مطالبًا بضرورة تصحيح التصورات، التي على أساسها سيكون بناء التصرفات والسلوكيات.

وذكر على سبيل المثال وليس الحصر أسماء عدة يجدر على المختصين الإسلاميين والعلماء مراجعة تراثهم أمثال «الشاطبي» والعز بن عبد السلام والإمام الغزالي في موافقة الصوفية والفكرية، إلى جانب الإمام حسن الأشعري، وغيرهم كثير، مشددًا على أهمية عدم تجاهل التراث الذي من خلاله سنعرف مدى صحة التصورات.

ورفض الشيخ الدكتور عبد الله بن بيه إسقاط الفتاوى القديمة على الواقع الجديد، منوهًا بوجود إشكالية ما بين التراث والواقع ، إذ بات من الأهمية بمكان مراعاة المصالح والمفاسد والأحوال والمآلات ، وقال «ما عدا الرسول الكريم المعصوم، ليس لدينا محرمات أو محظورات فيما يتعلق بنقد الموروث الديني»، مؤكدًا: أما غيره فكلامه يرد.

وفيما يتعلق بنقد المذاهب الأربعة أوضح الشيخ الدكتور عبد الله بن بيه تأطير

المذاهب الأربعة للفكر السني والذي اعتبره إطاراً واسعًا يمكن أن يوجد حلولاً للقضايا المتشددة، مؤكدًا أن المذاهب ليست لزامًا على المرء في حال استطاعته على الاجتهاد.

وأضاف «أقوال المذاهب الأربعة ومقاصدها في ميدان فسيح للاجتهاد والتفاعل والتعامل».

من جهته، أكد الدكتور حسن بن محمد سفر، أستاذ نظم الحكم والقضاء والمرافعات الشرعية في جامعة الملك عبد العزيز ، وعضو مجمع الفقه الإسلامي في جدة، أن تقسيم العالم إلى دار حرب ودار سلام «ليس من الشريعة الإسلامية في شيء» مشيراً إلى أن هذا التقسيم مبني على حكم الواقع في الوقت الذي صدرت فيه فتوى ابن تيمية ، الشهيرة بـ «فتوى ماردين».

ونبه أستاذ نظم الحكم والقضاء والمرافعات الشرعية، وعضو مجمع الفقه الإسلامي في حديث إلى «الشرق الأوسط» إلى أهمية اجتماع العلماء المسلمين للنوازل المستجدة ووضع الحلول لها، ومراجعة آراء العلماء السابقين وفتاواهم، ومنها فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والوقوف على زمانها ومكانها والظروف التي أدت إلى إصدارها.

وقال الدكتور سفر: «إن الأصل في قيام العلاقات بين الدول هو العلاقات السلمية، وهو ما يتفق مع المنهج الإسلامي الذي أرساه الرسول ﷺ بمكاتبة ملوك وأمراء الدول المعاصرة لقيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، التي دعتهم إلى السلم والسلام، وأعلمتهم بقيام الدولة الإسلامية».

وشدد أستاذ نظم الحكم والقضاء والمرافعات الشرعية، وعضو مجمع الفقه الإسلامي، على أن العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول «قامت في الأساس على أسس السلم والسلام ، واحترام الآخرين، والحوار معهم ، وعدم التعدي عليهم، وفي المقابل مقاومة أي تعد على حقوق المسلمين»، مشددًا على أن الدولة الإسلامية لم تلجأ على الإطلاق إلى مباغتة الآخرين والتعدي عليهم بالحرب، بخلاف الصورة الشائعة عنهم، وهو ما يستدعي، في رأيه، تصحيح هذه الصورة الخاطئة.

وشدد «إعلان ماردين دار السلام» على أن فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في

ماردين «لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون متمسكًا ومستندًا لتكفير المسلمين، والخروج على حكامهم، واستباحة الدماء والأموال، وترويع الآمنين والغدر بمن يعيشون مع المسلمين أو يعيش المسلمون معهم بموجب علاقة مواطنة وأمان، بل هي فتوى تحرم ذلك كله، فضلاً عن كونها نصرة لدولة مسلمة على دولة غير مسلمة، وهو (ابن تيمية) في كل ذلك موافق ومتبع لعلماء المسلمين في فتاواهم في هذا الشأن، ولم يخرج عنهم» مؤكدًا أن «كل من استند إلى هذه الفتوى لقتال المسلمين وغير المسلمين، فقد أخطأ في التأويل، وما أصاب في التنزيل».

وأكد الإعلان أن «وجود المعاهدات الدولية المعترف بها، وتجريم الحروب غير الناشئة عن رد العدوان ومقاومة الاحتلال ، وظهور دولة للمواطنة التي تضمن في الجملة حقوق الأديان والأعراق والأوطان، استلزم جعل العالم كله فضاء للتسامح والتعايش السلمي بين الأديان والطوائف جميعها، في إطار تحقيق المصالح المشتركة والعدالة بين الناس».

وأضاف الإعلان الصادر: «إن علماء الإسلام ما فتئوا يؤكدون، عبر العصور، أن الجهاد، الذي يعتبر ذروة سنام هذا الدين، ليس نوعًا واحدًا، بل هو أنواع متعددة، منها القتال في سبيل الله، وهذا النوع أناط الشرع صلاحية تدبيره وتنفيذه بأولى الأمر (الدولة)، باعتباره قرارًا سياسيًا تترتب عليه تبعات عظيمة، ومن ثم فلا يجوز للفرد المسلم ولا لجماعة من المسلمين إعلان حرب، أو الدخول في جهاد قتالي من تلقاء أنفسهم، درءًا للمفاسد واتباعًا للنصوص الواردة في هذا الشأن».

واعتبر أن أصل مشروعية الجهاد دفع العدوان، أو نصرة للمستضعفين، أو دفاع عن التدين ، ولا ينشأ عن اختلاف في الدين أو البحث عن المغانم ، كما نبه إلى أن «مفهوم الولاء والبراء لا يكون مُخرجًا من الملة ما لم يكن مرتبطًا بعقيدة كفرية، وما سوى ذلك فهو أنواع تتناولها الأحكام التكليفية الخمسة، وبناء عليه لا يجوز حمله على معنى واحد يكفر به المسلمون».

* * *

نظرة في الواقع المعاصر[1]

عندما نتأمل واقعنا تبرز لنا عدة أمور ينبغي أن نقف عندها متأملين:

أولاً: ضعف المسلمين وتفرقهم وتعدد حكوماتهم ووجود حواجز بين كل دولة وأخرى.

ثانيًا: كثير من دول الكفر تعيش بأمن قد لا يوجد في بعض البلاد الإسلامية.

ثالثًا: وجود دول كبرى من دول الكفر تتحكم في العالم.

رابعًا: معظم البلاد الإسلامية لا يظهر فيها حكم الله كاملاً، بل تسودها قوانين وضعية في أغلب القضايا والأحكام.

بل لا تكاد تجد دولة من دول العالم الإسلامي تطبق النظام الإسلامي تطبيقًا صحيحًا شاملاً، ولو افترضنا وجودها فإنها لا تسمح للمسلمين من خارج حدودها بالهجرة إليها.

خامسًا: أن العالم كله تقريبًا قد ارتبط بعضه ببعض في معاهدات، بسبب تغير أساليب الحياة، ولضعف معظم الدول واضطرارها إلى الاحتماء بالدول الكبيرة، هذا إلى تيسر الاتصالات والمواصلات.

سادسًا: وأخيرًا فهناك بلاد عديدة إسلامية حسر عنها الإسلام مثل أسبانيا وتركستان وما حولها وفلسطين.

كل هذه الأمور تبدو للمتأمل في واقع الحياة العملية، ومنها نلاحظ أنه لا يكاد يوجد دار إسلام على وفق رأي جمهور الفقهاء القائل: «دار الإسلام هي التي تظهر فيها أحكام الإسلام»، كما نلاحظ ارتباط العالم بعضه ببعض ووجود الحرية الدينية في كثير من بلاد الكفر، هذا مع ما تعانيه دول العالم الإسلامي من ضعف وفرقة.

وإذا كان الواقع كذلك وأردنا أن نطبق ما قررناه سابقًا من تقسيم العالم فإننا

---

(١) انظر الاستعانة بغير المسلمين [ص / ١٨١ ـ ١٨٥].

سنجد صعوبة في التطبيق.

إذ إننا متى اعتبرنا التقسيم جاري المعقول الآن فسيترتب على ذلك ما يلي:

١ ـ كل من لم يستطع إعلان دينه فيجب عليه أن يهاجر من وطنه الذي هو فيه وإن كان من بلاد العالم الإسلامي؛ إذا لم يكن مستضعفًا.

٢ ـ ليس لهؤلاء المسلمين المقيمين في البلاد التي لا يظهر فيها حكم الله شيء من الولاية من قبل المسلمين، إلا إذا اعُتدي عليهم فينصرون باعتبار أشخاصهم لا باعتبار الدولة التي يعيشون في كنفها، كما قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1].

٣ ـ على الدولة المسلمة أن تعامل هذه الدول معاملة الدول المحاربة، فتقاطعها وتعاديها وتحاربها باللسان والسنان، ولا ينظر للمسلمين في تلك الديار ما دام النظام غير إسلامي، لكن على الدولة المسلمة أن تفتح باب الهجرة إليها.

٤ ـ إذا اعتبرنا البلاد المتاخمة لدار الحرب والتي لا يظهر فيها الحكم الإلهي ولا يوجد بها أمان، إذا اعتبرناها دار حرب، فالمسلم المقيم فيها لا حرمة لماله ـ كالحربي ـ فيجوز معاملته بالربا عند الإمام أبي حنيفة[2].

٥ ـ وإذا اعتبرناها دار حرب فعلى رأي أبي حنيفة أيضًا لا قصاص ولا دية على المسلم الذي يقتل مسلمًا ـ ولو متعمدًا[3].

وكل تلك الأمور صعبة وعسيرة، والتزامها فيه عنت ومشقة على المسلمين أجمعين فما المخرج إذًا؟

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) انظر في أصل هذه المسألة «بدائع الصنائع» ٧ / ١٣٢ حيث جاء ما يلي: «ولو عاقد المسلم الذي دخل دار الحرب بأمان مسلمًا أسلم هناك ولم يهاجر إلينا جاز عند أبي حنيفة».

(٣) انظر «بدائع الصنائع» ٧ / ١٣٢.

أظن أن ثمة ثلاثة مسالك يمكن أن يسلك أحدها للخروج من هذا المأزق:

المسلك الأول:

الأخذ برأى الموسعين في باب «تعريف الدار».

فتعتبر دار الإسلام هي: الدار التي يسكنها المسلمون ويأمنون فيها ولا تعتبر دار الإسلام دار حرب إلا بشرطين:

١ ـ إظهار حكم الكفر.

٢ ـ عدم الأمان فيها بأن يضطهد المسلمون اضطهاداً لا يسمح لهم بإقامة شعائر الدين.

المسلك الثاني:

أن تعتبر تلك البلاد مركبة من السلم والحرب، ومن الإسلام والكفر، وذلك لوجود هذه المعاني المتناقضة فيها.

إذ غالبًا يوجد فيها ـ بجانب القوانين الوضعية ـ قوانين إسلامية في بعض القضايا، مثل أحكام الأسرة ونحوها، كما أن كثيراً من شعائر الإسلام كالأذان والصلاة والصيام قائمة.

وبهذا فلا يحكم عليها بأنها دار حرب صرفة.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بلدة «ماردين»(١) هل هي بلد حرب أم سلم؟ وهل يجب على المسلم المقيم فيها الهجرة إلى بلاد الإسلام أم لا؟

فأجاب رحمه الله: «... المقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه وإلا استحبت ولم تجب ... وأما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان، ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه»(٢)

---

(١) ماردين: قلعة مشهورة، وقلعتها أحسن القلاع، وهي قديمة، فتحها المسلمون سنة ١٩ هـ. (معجم البلدان ٥ / ٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨ / ٢٤٠، ٢٤١.

المسلك الثالث:

وأخيرًا فقد تعتبر هذه الأحوال التي تعيشها بلاد المسلمين حالة ضرورة لا مناص منها، والضرورات تبيح المحظورات، أي أننا غير ملتزمين بمعاملة بلاد العالم الإسلامي التي لا يظهر فيها حكم الله معاملة الدولة الحربية ، لعدم القدرة والاستطاعة.

وعندئذ تقدر هذه الحالة بقدرها، وعلى المسلمين - ولا سيما المخلصين - بذل الجهد في معالجة واقعهم والخروج من هذا المأزق الحرج.

وبعد:

فما قررناه هنا من مشروعية التقسيم لا يتنافى مع ما سبق تقريره حول السلم والحرب وأيهما الأصل.

فقد أوضحنا هناك أن الأصل براءة الناس حتى تقوم عليهم الحجة، فهم غير حربيين حقيقة، ثم ما داموا مسالمين يتدبرون محاسن الإسلام ويدخل من يدخل في دين الله دون حصول فتنة، فإنهم بهذه الصفة محسوبون من أهل السلم، والعلاقة معهم تقوم على ذلك.

فإن وقفوا في وجه الدعوة والدعاة ورفضوا الاستسلام لدفع الجزية ، فللمسلمين حينئذ قتالهم.

وإذا كان الأمر كذلك فلا تناقض بينه وبين تقسيم الأرض إلى دار حرب وإسلام وعهد.

فدار أولئك - أعني الذين لم يسلموا ولم يحاربوا - تعتبر داخلة ضمن دار الحربيين ، وإن كانت العلاقة معهم سلمية لأمرين:

١ - أنه ليس لهم عهد ولا ذمة.

٢ - أن العلاقة تلك لا تستمر طويلاً في الغالب، بحيث يمكن اعتبارها حالة ثابتة محددة.

بل إن هؤلاء لابد أن يتخذوا موقفًا من الإسلام، إما سلبيًا فيعتبرون حربيين حقًا، وإما إيجابيًا بأن يدخلوا في دين الله أو يطلبوا الدخول في الذمة، أو الصلح.

الاستعانة بالدول الكافرة ضد المسلمين [(١)]

بين يدي هذا الموضوع نذكر هذه المسلمات الشرعية:

١ ـ المسلمون أمة واحدة، وهم يد على من عداهم.

٢ ـ التواد والتراحم والتعاطف بين المسلمين أمر واجب شرعًا بلا جدال، مثل الجسد الصحيح : **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** [(٢)] .

٣ ـ التقاطع بين المسلمين والتنافر والتشاحن أمور محرمة إجماعًا ، كما جاء في الحديث الصحيح « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» [(٣)] .

٤ ـ التقاتل بين المسلمين محرم من باب أولى ولو قدر أنه حصل شيء منه فالواجب على المسلمين من ذوي العلم والرأي والحكمة والأمر أن يسعوا في الإصلاح بين المتقاتلين، كما قال جل ثناؤه: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[(٤)] .

٥ ـ ولهذا كان الأصل أن إمام المسلمين واحد لا يتعدد، ولا تتعدد دولهم، من أجل أن تكون كلمتهم واحدة. كما جاء في الحديث الصحيح: «إذا بويع لخليفتين

---

(١) انظر «الاستعانة بغير المسلمين» [ص / ٢٩٧].

(٢) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ـ صحيح البخاري ـ الأدب ـ الباب ٢٧ ٧ / ٧٧، وصحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ الحديث رقم ٦٦ ص ١٩٩٩ ، واللفظ لمسلم.

(٣) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ـ صحيح البخاري ـ الأدب ـ الباب ٥٧ ـ الحديث رقم ٦٠٦٥ ، ٧ / ٨٨، وصحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ برقم ٢٣ ص ١٩٨٣ .

(٤) سورة الحجرات: ٩ .

فاقتلوا الآخر منهما» (١) .

إلا أنه قد يكون للمسلمين أكثر من إمام، وبالتـالي تتعدد دولهم كما هو حاصل الآن، بل قد حصل منذ أوائل التاريخ الإسلامي.

وربما كان من نتيجة هذا التعدد الخلاف والقتال بين المسلمين ، فهل لو وقع شيء من ذلك يسوغ لإحدى الطائفتين المتقاتلتين أن تستنصر بالكفار؟

والجواب: أنه لا يجوز للمسلمين أبدًا الاستنصـار بالكفار على إخوانهم المسلمين مهما كـانت الأحوال، سواء أكانوا أهل حق أم بغي(٢) ، وسواء أكان قتـالاً مشروعًا كقتـال مانعي الزكاة، أم قتالاً غـير مشروع، فـفي جميع الأحوال لا تجوز الاسـتعانة بدول الكفر، لما يأتي:

١ ـ أن الاستـعانة بالكفـار في تلك الحال موالاة لهم وركـون إليهم، وقـد قال تعالى: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ (٣) .

٢ ـ أن الاستعانة بهم تعـني تسليطهم على المسلمين وتمكينهم منهم، والله يقول: ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ (٤) .

٣ ـ ثم إن في الاستعانة بهم تعزيزًا وتقوية لبعض المسلمين على بعض، وإشعالاً للحروب بينهم ودافـعًا لهم على التنازع على الرئاسة والملك وذلك مـا لا يقره الشارع بحال، بل إنه يدعو المسلمين في تلك الحال إلى الإصلاح فيما إذا كانوا جميعًا طلاب حق، أو ملك ورئاسة ، فإن كـانت إحدى الطائفتين المتحاربتين هي المحقـة فالمقصود من قتالها للأخرى دفع بغيها لا إبادتها ، وذلك يتحقق بدون الاستنصار بالكفار.

٤ ـ والاستعانة بالكفـار تمكين لهم في كسر شوكة المسلمين والقـضاء عليها، بل ربما إبادتهم أو طردهم من بلادهم والاستيلاء عليها.

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري صحيح مسلم الإمارة الحديث رقم ٩١ ص ١٤٨٠ .

(٢) قد سبق بيان حكم الاستعانة بالكفار ضد البغاة ورجحنا عدم الجواز .

(٣) سورة هود: ١١٣ .

(٤) سورة النساء: ١٤١ .

وكفى بالتاريخ شاهدًا على ما نقول، فالمسلمون في الأندلس مثلاً وقعت بينهم الفتن العظيمة واستنصر بعضهم بالنصارى على إخوانهم المسلمين حتى هلكوا جميعًا وزال سلطان المسلمين هناك ـ والأمر لله من قبل ومن بعد[1] .

٥ ـ والاستعانة بهم كذلك سُلم لهم للتدخل في شؤون المسلمين الخاصة بهم، والاطلاع على عورات المسلمين ومكامن الضعف والقوة فيهم، الأمر الذي قد يجعلهم سادات وحكامًا يحتكم إليهم المسلمون.

بل ربما آل الأمر بأولئك إلى حشد جيوشهم وسلاحهم في بلاد المسلمين باسم المحافظة على الأمن وفض النزاع ، أو نصرة المستضعفين والمظلومين، وذلك بمجرد توجيه أدنى إشارة إليهم للنجدة والنصرة من بعض من في قلوبهم مرض من المسلمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢ / ١٥٦، والكامل في التاريخ ٩ / ٣٠، ٧٨ ـ ٧٩ .

الاستعانة بالمشركين

وقال في نيل الأوطار[١] :

عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ قبل بدر؛ فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأةٌ ونجدة، ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله ﷺ : **«تؤمن بالله ورسوله؟»** قال: لا ، قال: **«فارجع فلن أستعين بمشرك»** ، قالت: ثم مضى حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل ، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، فقال: لا، قال: **«فارجع فلن أستعين بمشرك»**، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة: **«تؤمن بالله ورسوله؟»** قال: نعم ، فقال له: **«فانطلق»** [٢]رواه أحمد ومسلم.

وعن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: أتيت النبي ﷺ وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومي ولم نسلم ، فقلنا : إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم ، فقال: **« أسلمتما؟»** فقلنا: لا، فقال: **«إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»**، فأسلمنا وشهدنا معه [٣]رواه أحمد.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **«لا تستضيؤوا بنار المشركين، ولا تنقشوا على خواتيمكم عربيّا»** [٤]رواه أحمد والنسائي.

وعن ذي مخبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستصالحون الروم صلحًا تغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم»** [٥]رواه أحمد وأبو داود.

---

(١) انظر «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» للإمام الشوكاني [٧ / ٢٦٣ ـ ٢٦٥] ط دار الحديث.

(٢) الحديث رواه: مسلم (ج٣ ـ جهاد / ١٥٠)، وأحمد (ج٦ ص ٦٧، ٦٨).

(٣) الحديث رواه أحمد (ج٣ ص ٤٥٤).

(٤) الحديث رواه: النسائي (ج٨ ص ١٧٧)، وأحمد (ج ٣ ص ٩٩).

(٥) الحديث رواه: أبو داود (ج٣ / ٢٧٦٧)، وأحمد (ج٤ ص ٩١).

وعن الزهري أن النبي ﷺ استعان بناسٍ من اليهود في خيبر في حربه فأسهم لهم. رواه أبو داود في مراسيله.

حديث خبيب بن عبد الرحمن أخرجه الشافعي والبيهقي. وأورده الحافظ في التلخيص وسكت عنه. وقال في مجمع الزوائد: أخرجه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات. وحديث أنس في إسناده عند النسائي أزهر بن راشد وهو ضعيف وبقية رجال إسناده ثقات. وحديث ذي مخبر أخرجه أيضًا ابن ماجه وسكت عنه أبو داود والمنذري، ورجال إسناد أبي داود رجال الصحيح. وحديث الزهري أخرجه أيضًا الترمذي مرسلاً، والزهري مراسيله ضعيفة . ورواه الشافعي فقال: أخبرنا يوسف، حدثنا حسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: استعان النبي ﷺ فذكر مثله، وقال: ولم يسهم لهم . قال البيهقي: لم أجده إلا من طريق الحسن بن عمارة وهو ضعيف. والصحيح ما أخبرنا الحافظ أبو عبد الله فساق بسنده إلى أبي حميد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ حتى إذا خلف ثنية الوداع إذا كتيبة ، قال: «**من هؤلاء**» قالوا: بنو قينقاع رهط عبد الله بن سلام، قال: «**أو تسلموا؟**» قالوا: لا، فأمرهم أن يرجعوا وقال: «**إنا لا نستعين بالمشركين**»، فأسلموا. وحديث عائشة فيه دليل على أنها لا تجوز الاستعانة بالكفار، وكذلك حديث خبيب بن عبد الرحمن، ويعارضهما في الظاهر حديث ذي مخبر وحديث الزهري المذكوران. وقد جمع بأوجه منها ما ذكره البيهقي عن نص الشافعي أن النبي ﷺ تفرس الرغبة في الذين ردهم فردهم رجاء أن يسلموا فصدق الله ظنه.

وفيه نظر لأن قوله: «**لا أستعين بمشرك**» نكرة في سياق النفي تفيد العموم. ومنها أن الأمر في ذلك إلى رأي الإمام، وفيه النظر المذكور بعينه . ومنها أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها، قال الحافظ في التلخيص: وهذا أقربها، وعليه نص الشافعي، وإلى عدم جواز الاستعانة بالمشركين ذهب جماعة من العلماء، وهو مروي عن الشافعي. وحكى في البحر عن العترة وأبي حنيفة وأصحابه أنها تجوز الاستعانة بالكفار والفساق حيث يستقيمون على أوامره ونواهيه. واستدلوا باستعانته ﷺ بناس من اليهود كما تقدم، وباستعانته ﷺ بصفوان بن أمية يوم حنين ، وبإخباره

ﷺ بأنها ستقع من المسلمين مصالحة الروم ، ويغزون جميعًا عدواً من وراء المسلمين.

قال في البحر: وتجوز الاستعانة بالمنافق إجماعًا لاستعانته ﷺ بابن أبيّ وأصحابه. وتجوز الاستعانة بالفساق على الكفار إجماعًا وعلى البغاة عندنا لاستعانة علي عليه السلام بالأشعث . انتهى. وقد روي عن الشافعي المنع من الاستعانة بالكفار على المسلمين، لأن في ذلك جعل سبيل للكافر على المسلم، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾(١) وأجيب بأن السبيل وهو اليد وهي للإمام الذي استعان بالكافر، وشرط بعض أهل العلم ومنهم الهادوية أنها لا تجوز الاستعانة بالكفار والفساق إلا حيث مع الإمام جماعة من المسلمين يستقل بهم في إمضاء الأحكام الشرعية على الذين استعان بهم ليكونوا مغلوبين لا غالبين كما كان عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين يخرجون مع النبي ﷺ للقتال وهم كذلك. ومما يدل على جواز الاستعانة بالمشركين أن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بني عبد الدار حملة لواء المشركين حتى قال ﷺ: «**إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر**» كما ثبت ذلك عند أهل السير. وخرجت خزاعة مع النبي ﷺ على قريش عام الفتح.

والحاصل أن الظاهر من الأدلة عدم جواز الاستعانة بمن كان مشركًا مطلقًا لما في قوله ﷺ: «**إنا لا نستعين بالمشركين**» من العموم، وكذلك قوله: «**أنا لا أستعين بمشرك**» ولا يصلح مرسل الزهري لمعارضة ذلك لما تقدم من أن مراسيل الزهري ضعيفة، والمسند فيه الحسن بن عمارة وهو ضعيف، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾(٢) وقد أخرجه الشيخان عن البراء قال: جاء رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: «**أسلم ثم قاتل**» فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال ﷺ: «**عمل قليلاً وأجر كثيرًا**» وأما استعانته ﷺ بابن أبي فليس ذلك إلا لإظهاره الإسلام. وأما مقاتلة قزمان مع المسلمين فلم يثبت أنه ﷺ أذن له

---

(١) سورة النساء: ١٤٣ .

(٢) سورة النساء: ١٤٣ .

بذلك، في ابتداء الأمـر، وغاية ما فيـه أنه يجوز للإمام السكوت عن كافـر قاتل مع المسلمين.

قوله: (بحرة الوبرة) الحـرة بفتح الحاء المهملة وتشـديد الراء، والوبرة بفتح الواو والباء الموحدة بعدها راء وبسكون الموحدة أيضًـا: موضع على أربعة أميال من المدينة. قوله: (بالشجرة) اسم موضـع، وكذلك البيداء. قوله: «**ولا تنقشوا على خواتيمكم عربيّا**» بفتح العين المهملة والراء وبـعدها موحدة . قال في القامـوس في مادة عرب: «**ولا تنقشوا على خواتيمكم عربيّا** » أي لا تنقشوا محمد رسول الله، كأنه قال: نبيًا عربيّا، يعني نفسه ﷺ. انتهى.

نهى ﷺأن ينقشـوا على خواتيمهم مثـل ما كان ينقش على خاتمه وهو مـحمد رسول الله ؛لأنه كان علامة له في ذلك الوقت يختم به كتبه.

❊ ❊ ❊

مذاهب الفقهاء في الاستعانة بالمشركين

ولنستعرض أقوال المذاهب الأربعة:

أولاً: مذهب الحنفية: رأي الحنفية قال محمد بن الحسن: «لا بأس أن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الغالب»، وقال الجصاص: «وقال أصحابنا: لا بأس بالاستعانة بالمشركين على غيرهم من المشركين إذا كانوا متى ظهروا كان حكم الإسلام هو الظاهر» فرأي الحنفية أصحاب الرأي يوافق ما قال، فله فيه دليل ثم ننتقل إلى المالكية.

ثانيًا: مذهب المالكية: قال ابن القاسم: «ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم إلا أن يكونوا نواتية أو خدمًا .

النواتية: هم خدم الدواب ـ فلا أرى بذلك بأسًا».

وقال مالك: «لا أرى أن يستعان بالمشركين على المشركين إلا أن يكونوا خدمًا».

فكأن مالكًا يقول: المسلمون يحاربون وعندهم دواب، ويحتاجون أناسًا يخدمونهم في خدمات النظافة، أو يجمعون الحطب، أو يطبخون أو أية خدمة معينة، فيمكن أن يأتوا ببعض المشركين يخدمونهم في هذه الأشياء، والمسلمون هم الغالبون، فيجوز استخدام المشركين بهذا الشرط: أي: ألا يكون لهم نفوذ، وألا تكون لهم جبهة، وألا يكون لهم قتال، ولا أي شيء.

ثالثًا: مذهب الشافعية: يقول الرملي صاحب كتاب «نهاية المحتاج»: «وللإمام أو نائبه الاستعانة بكفار ولو أهل حرب؛ كأن يعرف حسن رأيهم فينا، ويشترط في الاستعانة : احتياجنا لهم لنحو خدمة أو قتال لقلة».

رابعًا: مذهب الحنابلة: قال ابن قدامة: «وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة بالمشرك؛ بل روي عن أحمد أنه يقسم للكافر من الغنائم إذا غزا مع الإمام خلافًا للجمهور الذين لا يقسمون له».

وفي الحديث الصحيح في صحيح مسلم قال ﷺ لمشرك يوم بدر: « **ارجع فلن أستعين بمشرك**»[١] فالمذهب الصحيح والقول الصحيح هو ما دل عليه الحديث الصحيح: «**لا نستعين بالمشركين على المشركين**» والعلماء الذين قالوا: «نأخذهم خدمًا» رأوا أن هذا لا يخالف الحديث؛ لأن الحديث ينص على الاستعانة في القتال، وهذه إنما هي خدمة، وقالوا: لعل هذا لا يدخل.

فكلام الأئمة الأربعة يوافق الحديث إلا الحنفية مع رواية أحمد.

وقال الشيخ / مشهور حسن سليمان[٢] :

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾[٤] .

وخرج مسلم[٥] عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قِبَلَ بدر، فلما كان بحرة الوبرة[٦] أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه، قال لرسول الله ﷺ: جئتُ لأتبعك وأُصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: «**تؤمن بالله وبرسوله؟**» قال: لا، قال: «**ارجع ، فلن أستعين بمشرك**»، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل ، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، قال لا، قال:

---

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه ـ في كتاب الجهاد والسير (باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر) (١٨١٧) (١٥٠).

(٢) انظر الاستعانة بالمشركين للشيخ / مشهور حسن حفظه الله.

(٣) سورة المائدة: ٥٧ .

(٤) سورة النساء: ٨٩ .

(٥) في كتاب الجهاد والسير (باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر) (١٨١٧)، (١٥٠).

(٦) حرة الوبرة ـ محركة، وبعضهم جوز التسكين ـ وهي حرة على ثلاثة أميال من المدينة. قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » (٢ / ٧٥٦).

«**فارجع فلن أستعين بمشرك**»، قالت: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «**فانطلق**».

وفي الترمذي[١] عن الزهري، أن النبي ﷺ أسهم لقوم من اليهود قاتلوا معه.

واختلف أهل العلم في ذلك: فالجمهور على كراهة الاستعانة بهم في شيء من الغزو، وهو الصحيح[٢]، لما دل عليه القرآن والسنة الثابتة.

---

(١) في كتاب السير (باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين، هل يسهم لهم؟) (رقم ١٥٥٨م). وأخرجه أبو داود في «المراسيل» (باب ما جاء في الجهاد) (رقم ٢٨٢) ومن طريقه ابن الجوزي في «التحقيق» (١٠ / ١٤٧) - وابن أبي شيبة (١٢ / ٣٩٥) - ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٩ / ٥٣) - ، وعبد الرزاق (٥ / ١٨٨ رقم ٩٣٢٨) في «مصنفه». والحديث - كما قال المصنف رحمه الله: ضعيف الإسناد . وانظر «ضعيف سنن الترمذي» لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٢) واشترط بعضهم في الاستعانة بهم إحسانهم الرأي في المسلمين، وأن يأمن المسلمون خيانتهم، وأن يكون المسلمون قادرين عليهم ؛ لو اتفقوا مع العدو. فإذا وجدت هذه الشروط الثلاثة ، جازت الاستعانة بهم . وقيل: لا يجوز استصحابهم في الجيش، مع موافقتهم العدو في المعتقد، فعلى هذا تكون الشروط أربعة . انظر في مذهب الشافعية: «الأم» (٤ / ٢٧٦)، و«مختصر المزني» (ص ٢٧٠) و«الحاوي الكبير » (١٨ / ١٤٤ - ١٤٥) ، و«حلية العلماء» (٧ / ٦٤٧)، و«روضة الطالبين » (١٠ / ٢٣٩) ، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢ / ٢٧٣)، و«مغني المحتاج (٤ / ٢٢١)، و«الوجيزي» (٢ / ١١٤) ، و«البيان» للعمراني (١٢ / ١١٦)، و«تحرير الأحكام» (ص ١٥٨ - ١٥٩) لابن جماعة، و«التنبيه في الفقه الشافعي» (ص ٢٣٢) ، و«فتح الوهاب شرح منهج الطلاب» (٢ / ١٧٢). وانظر «نيل الأوطار» (٨ / ٤٢)، «سبل السلام» (٤ / ١٠٣).

وقد نقل ابن المنذر في «الأوسط» (١١ / ١٧٦ - ١٧٧) عن الإمام للشافعي، في استعانة النبي ﷺ بيهود بني قينقاع - وهو في «الأم» للشافعي في كتاب سير الواقدي (٤ / ٢٦١): ثم قال: «لا يستعان بهم... وما ذكره الشافعي من خبر يهود بني قينقاع؛ فليس مما يقوم به حجة؛ لأنا لا نعلمه ثابتًا، ولعله أخذ ذلك من أخبار المغازي : لا تثبت من جهة الإسناد ».

ومذهب الحنفية: جواز الاستعانة بهم، إذا كان حكم الإسلام هو الغالب. انظر: «مختصر الطحاوي» (ص ٢٩٢)، «الهداية» (٢ / ٤٣٩)، و«الرد على سير الأوزاعي» لأبي يوسف (٣٩)، و«فتح القدير» (٥ / ٥٠٢)، و«بدائع الصنائع» (٧ / ١٠١)، و«شرح السير الكبير» (٤/ ١٩١)، و«مختصر اختلاف العلماء» (٣ / ٤٢٨)، و«إعلاء السنن» (١٢ / ٥١). =

وأما ما رواه الزهري في كتاب الترمذي؛ فمقطوع، لا يثبت بمثله دليل.

وروى عن مالكٍ أنه أجاز أن يُستعان بهم في خدمةٍ أو صنعةٍ[1]. وعن ابن حبيب: أن يُستعانَ بهم في هدم الحصون ورمي المنجنيق، وأن يُستعان بهم في القتال إذا كانوا ناحية، قال: ولا بأس أن يقوم بمن سالمه من الحربيين على من لم يُسالمه[2]. وكل هذا لا مُستند له، بل يردُّه ظاهرُ القرآن والسنة، كما تقدم.

قلت: فالاستعانة بالمشرك في القتال تجوز عند الحاجة إليه.

قال ابن القيم في «الزاد» (٣ / ٣٠١) في معرض كلامه على ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية:

«ومنها: أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن عينه

= ولا يستعان بهم عند الحنابلة إلا للحاجة.

انظر: «المغني» (١٣ / ٩٨ ـ ط. دار هجر)، و«الإقناع» (٢ / ١٥)، و«منتهى الإرادات» (١ / ٣١٠ ط. عالم الكتب)، و«شرح الزركشي» (٦ / ٤٩٨)، و«رؤوس المسائل الخلافية» (٥ / ٧٥٧) المسألة رقم ٢٠٠١)، و«كتاب التمام» (٢ / ٢٢٠)، و«التحقيق» لابن الجوزي (١٠ / ١٤٣). وجوازه للحاجة نقله ابن قدامة عن أحمد. قال: وكلام الخرقي يدل عليه ـ أيضًا ـ عند الحاجة. وقال: ويشترط أن يكون من يستعان به حسن الرأي في المسلمين. وجمهور الحنابلة يمنعون الاستعانة بهم، ونقل ذلك ابن قدامة عن ابن المنذر والجوزجاني، وقال ابن القاضي أبي يعلي في «كتاب التمام» (٢ / ٢٢٠): «لا تختلف الرواية أنه لا يستعان بالمشركين على قتال العدو، ولا يعاونون على قتالهم». انظر: «المغني» (٨ / ٤١٤ ـ ط مكتبة الرياض الحديثة). وجواز الاستعانة هو مذهب الأوزاعي، فيما نقله عنه القرطبي في «التفسير» (٨ / ٩٩ ـ ١٠٠). وانظر: «التاج والإكليل» (٣ / ٣٥٢ ـ هامش «المواهب»)، و«فقه الأوزاعي» (٢/ ٤٧٦)، وهو مذهب سفيان الثوري، والزهري، وإسحاق، كما في «المغني».

(١) هذا قول ابن القاسم، وتكون الاستعانة بالخدمة دون القتال. انظر «المدونة» (١ / ٥٢٤)، ونقله الجصاص في «مختصر اختلاف العلماء» (٣ / ٤٢٨)، و«جامع الأمهات» (ص ٢٤٤)، و«الذخيرة» (٣ / ٤٠٥)، و«عقد الجواهر الثمينة» (١ / ٤٦٨)، «المنقى للباجي» (٣/ ١٧٩)، و«عيون المجالس» (٢ / ٦٩٣ المسألة رقم ٤٥٢)، و«شرح الدردير» (٢ / ١٧٨)، و«شرح الزرقاني على مختصر خليل» (٣ / ١١٤)، و«التاج والإكليل» (٣ / ٣٥٢)، و«تفسير القرطبي» (٨ / ٩٩).

(٢) «النوادر والزيادات» (٣ / ٣٥)، و«الذخيرة» (٣ / ٤٠٦).

الخزاعي كان كـافراً إذ ذاك ـ يشير المصنف إلى ما سـبق أن ذكره أن النبي ﷺ لما كان بذي الحليفة أرسل عيناً له مشركًا من خزاعـة يأتيه بخبر قريش ـ وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم».

وقال العلامة صديق خان في «الروضة الندية» (٢ / ٤٨٢):

«ولا يستعان فيه ـ أي: في الجهاد ـ بالمشركين إلا لضرورة. . . » ثم ساق ـ رحمه الله ـ الأدلة الدالة على تحريم الاستـعانة والدالة على جوازها، ثم ذكر الجـمع بينهما بقوله: «فيجمع بين الأحاديث بأن الاستعانة بالمشركين لا تجوز إلا لضرورة، لا إذا لم تكن ثَمَّ ضرورة».

وانظر: «الفتاوي الإسلامـية» (٣ / ٨١٤ ، ٤ / ١٤٢٥) الصادرة عن دار الإفتاء المصرية، و«حكم الاستعانة بغيـر المسلمين في الجهاد» (ص ١١٧ ـ وما بعدها) المطبوع ضمن «ثلاث رسائل فقهية» للشيخ محمد بن عبد الله بن سبيل.

❋ ❋ ❋

الاستعانة بالمشركين والكفار

فتوى الشيخ ابن باز/ في جواز الاستعانة بالكفار ضد صدام

قال الشيخ ابن باز:

لا شك أن عمل الزعيم العراقي من اجتياحه الدولة الكويتية وما ترتب على ذلك من سفك الدماء ونهب الأموال وانتهاك الأعراض، لا شك أن هذا عدوان أثيم وجريمة عظيمة ومنكر شنيع يجب عليه التوبة إلى الله من ذلك والبدار بإخراج جيشه من الدولة الكويتية. لأن هذا الإقدام والاجتياح أمر منكر ومخالف للشرع ولجميع القوانين العرفية ولما تمت عليه المعاهدة بينه وبين قادة العرب في جامعتهم العربية.

والواجب عليه حل المشاكل بالطرق السلمية، وإذا لم تنجح الطرق السلمية وجب على الجميع الرجوع إلى محكمة شرعية - لا قانونية - لأن الواجب شرعًا على المسلمين أن ترد جميع المنازعات بين الدول والأفراد والقبائل إلى الحكم الشرعي، بأن تشكل محكمة شرعية من علماء أهل الحق والسنة حتى يحكموا فيما تنازع عليه المسلمون في دولتين أو قبيلتين أو أفراد - بالحكم الشرعي - لقول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾(١) .

وإن هذا العمل الذي قام به صدام ضد الكويت هو عمل إجرامي يجب التوبة منه وعدم التمادي في ذلك، والرجوع إلى الحق فضيلة وحق، خير من التمادي في الرذيلة والخطأ. وقد صدر بيان من مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية يبين خطأ هذا العمل ، وأنه عدوان وجريمة وخيانة.

وجاء في بيان المجلس - الذي أنا أحد أعضائه - أنه لا مانع مع الاستعانة ببعض الكفار للجيوش الإسلامية والعربية ولا بأس من الاستعانة لصد عدوان المعتدي الكافر وظلمه والدفاع عن البلاد وعن حرمة الإسلام والمسلمين إذا غلب على الظن حصول المطلوب بذلك ودعت إليه الضرورة أما الإشاعات حول الحرمين الشريفين فإنهما

---

(١) سورة النساء: ٥٩ .

بحمد الله بمنأى عن الزعيم العراقي وغيره وهما آمنان بحمد الله.

وكل ما في الأمر أن الدولة السعودية احتاجت إلى الاستعانة ببعض الجيوش من جنسيات متعددة ومن جملتهم الولايات المتحدة ،وإنما ذلك للدفاع المشترك مع القوات السعودية عن البلاد والإسلام وأهله ، ولا حرج في ذلك ؛ لأنه استعانة لدفع الظلم وحفظ البلاد وحمايتها من شر الأشرار وظلم الظالمين وعدوان المعتدين فلا حرج كما قرره أهل العلم وبينوه .

وأما ما أشاعته بعض الأقليات الإسلامية التي صدقت أقوال صدام وأكاذيبه حول تدخل الكفار في شؤون المسلمين ومقدساتهم وغيرها من الإشاعات الباطلة ، فإنه شيء باطل ولا أصل له والذي أشاعه هو حزب صدام وهو حزب بعثي قومي وليس حزبًا إسلاميًا، وحتى لو كانوا مسلمين إذا تعدوا وجب ردعهم ولو بالاستعانة ببعض الكفرة، وعلى طريقة سليمة كما هي يُدفع بها الشر ويُحمى بها البلاد، والرسول ـ ﷺ ـ استعان بدروع من صفوان بن أمية يوم حنين لحرب أهل الطائف وصفوان حينذاك لم يسلم وبذلك يعلم أن الاستعانة بالكفار على الكفار من تعد وظلم يجوز إذا غلب على الظن حصول المقصوْد بذلك ودعت إليه الضرورة ، والذي لا يجوز هو أن ينصر الكفار على المسلمين، أما ما جرى من الاستعانة ببعض الكفار ضد صدام فهو مما يحمي المسلمين وأراضيهم من المجرمين والمعتدين والكافرين، وفرق بين الاثنين، بين إنسان ينصر الكفار على المسلمين ويعينهم على المسلمين وهذه هي الردة عن الإسلام والتولي للكفار وذلك منكر لا يجوز.

أما من ينصر المسلمين ويستعين ببعض الكفار على عدو المسلمين كما هو الحال في المملكة من الاستعانة بالكفار لردع المعتدي الكافر وصده عن بلاد الإسلام ومقدساتهم فهذا أمر مطلوب ولازم؛ لأنه لحماية المسلمين ودفع الظلم عنهم. والواجب على الزعيم العراقي أن يتوب إلى الله ويرجع عما هو عليه من الباطل، ويرد الحق إلى أهله ويترك حزب الشيطان، وعليه أن يلتزم بالإسلام، وأن يسوس الرعية بذلك ويحكم شرع الله وندعو له بالهداية [١] .

---

(١) انظر موقع الشيخ ابن باز.

الاستعانة بالمشركين والكفار

فتوى الألباني في حرمة إدخال المشركين جزيرة العرب

قال الشيخ الألباني:

والإمام أحمد بن حنبل قد سجن وجلد وعـذب على أن يقول مقولة الكفر فأبى رضي الله عنه، وجابه ذلك كله بسيف العلم والسُّنَّة، فـانحسر الباطل وأهله بمنَّة الله وكرمه، ثم بثباته رضي الله عنه على الحق.

وهكذا الحال فيـمن نظر إلى أحوال المصلحين المجددين لهذه الأمـة أمر دينها في هذه الأزمان المتأخرة، فقد جمعـوا بين سلاح التوكل على الله والاستعانة به، وسلاح العلم الصحيح فأظهرهم الله وخلَّد ذكرهم ونصر بهم دينه.

ولعل في هذا القـدر كفاية في بيـان سبب من أعظم أسـباب ظهـور البدع، وإن كانت هناك أسباب أخرى لعلي أتعرض لها في مقام آخر.

وعودٌ على بدء؛ فأقول: إنَّ من الأحاديث التي شغف بها أهل الأهواء وفسروها على أهوائهم، الأحاديث الآمرة بإخراج اليهـود والنصارى من جزيرة العرب، فجاؤوا بما يدلُ على انحراف فهـمهم وجهلهم الفاضح! حيـث عدُّوا ذلك من المكفرات التي يُبـررون بها أعـمـالهم الإجـراميـة في هتك الحـقـوق والممتلكـات والاعتـداء على المعصـومين! بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فـفهمـوا من (الأمر بإخراجـهـم) أسرهم بل وقتلهم!!

ولازلت أذكر ظهور أحد رؤوس الفتنة وقد خرج في شريط كمبيوتر مُسجل أراني إياه بعض طلبتي، وهو يصرُخ ويهدد بأنه سيحارب المنافقين! وسيطبق - زعم - وصية رسول الله ﷺ في إخراج المشركين من جزيرة العرب!! وقـد جعل خلفه لوحة كبيرة كُتب عليها حديث «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»!!

وعلى أية حال فإنني رغبت في كشف الأمر وتجليته ذبا عن سنة رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلـم ودفاعًـا عن هذا الـعلم الشـريف من تلويث هؤلاء الجـهـلاء

الدُخلاء!.

والطريقة التي اتبعتها في هذه الكتابة المختصرة هي:

أ ـ أذكر بعض الأحاديث الواردة في الباب، وهي تكفي في الدلالة على المراد.

ب ـ أُتبع ذلك بنقولات عن بعض أهل العلم في هذا المقام، تظهر جليا الحق للمنصف الراغب في معرفته، وسميته (إمتاع ذوي القُرُب بِفَهم حديث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)، وما توفيقي إلا بالله.

فأقول مستعينًا بالله:

الحديث الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أوصاهم قبل موته بثلاثٍ قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**». وسكت عن الثالثة، أو قال نسيتها [(١)].

وجاء عند أبي داود عقبه: «قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها».

فائدة: قال العلامة الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ عقب حديث ابن عباس: «فيه دلالة على جواز إطلاق لفظة (المشرك) على أهل الكتاب؛ فإنهم هم المعنيون بهذا الحديث كما يدل عليه الحديث السابق، ومثله الحديث الآتي» [(٢)].

الحديث الثاني: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد وباب هل يستشفع إلى أهل الذمة؟ ومعاملتهم)، وكتاب (الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب) و(كتاب المغازي / باب مرض النبي ﷺ ووفاته) (٦ / رقم ٣٠٥٣ / ١٧٠ ـ فتح) و(٦ / رقم ٣١٦٨ / ٢٧٠ فتح) و(٨ / رقم ٤٤٣١ / ١٣٢ ـ فتح) ومسلم في (كتاب الوصية / باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه) (٣ / رقم ٢٠ (١٦٣٧) / ١٢٥٧)، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء) (٣ / رقم ٤٢٣ / ٣٠٢٩) كلهم من طريق سليمان الأحول عن سعيد بن جبير به.

(٢) (الصحيحة) (رقم (١١٣٣).

«لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا» [(١)] .

والحديث سكت عنه أبو داود وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وأخرجه أبو داود في (الكتاب والباب السابقين) [(٢)] .

ولم يذكر أبو داود لفظه وإنما قال: «بمعناهُ والأول أتم».

وأما لفظ الترمذي ففيه: «**لئن عشتُ إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»، وأما لفظ النسائي فهو بمثل لفظ ابن جريج الأول، وفيه لفظة «حتى لا يبقى » بدل «حتى لا أدع» والمعنى واحدٌ.

الحديث الثالث: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ ؛ فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير وأقر بني قريظة ومَنَّ عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم؛ بني قينقاع ـ وهم قوم عبد الله بن سلام ، ويهود بني حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة[(٣)] .

الحديث الرابع: عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: آخرُ ما تكلم به

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير/ باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب) (٣ / رقم ٦٣ (١٧٦٧)/ ٣٨٨). وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة والفيء) (٣ / رقم ٣٠٣٠ / ٤٢٤)، والترمذي في (الجامع) (كتاب السير / باب إخراج العرب اليهود من جزيزة العرب) (٤ / رقم ١٦٠٧ / ١٥٦) من طرقٍ عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبر عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول.. فذكره.

(٢) (٣ / رقم ٣٠٣١ / ٤٢٥) والترمذي كذلك (٤ / رقم ١٦٠٦ / ١٥٦) والنسائي في (الكبرى) (كتاب السير / إجلاء أهل الكتاب) (٨ / رقم ٨٦٣٣ / ٥٨) من طريق سفيان ـ وهو الثوري ـ عن أبي الزبير عن جابر به.

(٣) أخرجه مسلم في (كتاب الجهاد والسير / باب إجلاء اليهود من الحجاز) (٣ / رقم ٦٢ (١٧٦٦) / ١٣٨٧).

النبي ﷺ: «**أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» (١) .

والتعليق: دلت هذه الأحاديث ـ وما جاء في معناها ـ في ظاهرها على وجوب إخراج اليهود والنصارى أو المشركين من جزيرة العرب؛ لكن تبقى عدة أمور لابد من معرفتها كي ينجلي معنى هذه الأحاديث، من ذلك:

ما المراد بجزيرة العرب؟ هل هي كل ما يطلق عليه مسمى جزيرة العرب؟ أم هو عام مخصوص؟

هل سلمت هذه الأحاديث من معارض لها من أحاديث رسول الله ﷺ ؟

هل الإذن بدخولهم هو لكل أحد أم هو مختص بالإمام أو نائبه؟ وعليه فهل يخرجهم كل أحد أم هو للوالي؟

هل هناك معنى آخر للإخراج سوى الإبعاد وعدم الاستيطان؟ أي هل من معاني الإخراج المرادة في هذه الأحاديث هو قتلهم وذبحهم؟

لماذا أجلى عمر رضي الله عنه يهود خيبر؟

وهل المنع الوارد في الأحاديث يشمل مرورهم عليها أيضًا أم لا يشمله؟

هل يدخل في المنع البحر أيضًا أم هذا خاص بالبر؟

ما العمل فيما إذا كانوا تجاراً يمرون بتجاراتهم على الحجاز؟ كل هذا وغيره مما قد يرد حول هذا .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (المسند) (٣ / رقم / ١٦٩١ / ٢٢١) والبخاري في (التاريخ الكبير) (٤ / ٥٧) والدارمي في (السنن) (٢ / ٢٣٣) وأبو يعلى الموصلي في (المسند) (٢ / رقم ٨٧٢ / ١٧٧) والبيهقي في (الكبرى) (٩ / ٢٠٨) من طرق عن يحيى بن سعيد عن إبراهيم بن ميمون ثنا سعد بن سمرة بن جندب عن أبيه به.
وإسناده صحيح، وصححه الإمام ابن عبد البر في (التمهيد) (١ / ١٦٩).

التحالف مع غير المسلمين لمصلحة المسلمين [(١)]

جاءت النصوص بالنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين. والولاية في هذه النصوص هي ولاية التناصر والمحالفة، وهي مقيدة بما كان منها من دون المؤمنين، أو ضد جماعة المسلمين، كما قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [(٢)] .

(والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعًا أن يتخذوا اليهود والنصارى حلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وإن الله ورسوله منه بريئان) [(٣)] .

فهذا النهي إذًا متوجه لأفراد المسلمين وجماعتهم دون جملتهم، ويكون المحظور إذًا في باب الولاية أمران:

أن يوالي أفراد أو جماعات من المسلمين اليهود والنصارى، ويتعاهدوا على التناصر من دون المؤمين، رجاء نصرتهم إذا دارت على المسلمين الدوائر [(٤)] .

---

(١) انظر «الثوابت والمتغيرات» (ص / ١٦٢ ـ ١٦٤).

(٢) سورة المائدة: ٥١ .

(٣) جامع البيان للطبري: ٦ / ٢٧٦ .

(٤) يقول صاحب المنار في بيان المقصود بهذه الآية: (علم مما سبق أن المراد بالولاية ولاية التناصر والمحالفة ، وقيده بعضهم بكونها على المؤمنين، وأن النهي لأفراد المسلمين وجماعاتهم دون جملتهم ، وأنه يشمل المؤمنين الصادقين وغيرهم ، لأنه مقدمة للإنكار على مرضى القلوب الذين يتخذون لهم اليد عندهم ، لعدم ثقتهم ببقاء الإسلام وثبات أهله. ولولا هذا لجوز أن يكون النهي لجملة المسلمين أيضًا، لا لأن من أصول الدين ألا يحالف أهله من يحالفهم فيه، كيف وقد كان النبي ﷺ حالف يهود المدينة عقب الهجرة؟ بل لأن القوم كانوا في حنق شديد على الإسلام، وحسد للعرب على ما آتاهم الله من فضله، فلا يوثق بوفائهم بعد ما كان من خيانتهم وغدرهم، ولكن هذا غير مراد من الآية، بل السياق يدل على الوجه الأول، وهو أن يوالي أفراد أو جماعات من المسلمين أولئك اليهود والنصارى، المعادين =

أن يوالي أفراد أو جماعاتٌ من المسلمين اليهـود والنصارى، ويتحزب معهم ضد بقية المسلمين.

أمـا أن يقع التـحالف بين جـمـاعة المسلمـين وبين غيـر المسلمين، لأجل فـائدة المؤمنين، بجلب مصلحـة لهم أو دفع ضر عنهم، فهو مـوضع الاجتهاد. والجـمهور على الجواز.

قال النووي ـ رحمـه الله : (قال القاضي: قال الطبـري: لا يجوز الحلف اليوم، فـإن المذكور فـي الحديث، والموارثة بـه وبالمؤاخاة ، كله مـنسوخ لقـوله ـ تعـالى : ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[١] وقال الحسن: كـان التوارث بالحلف فنسخ بآية المواريث.

قلت: أما ما يتـعلق بالإرث فيستـحب فيه المخالفـة عند جماهير العـلماء. وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعـة الله ، والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم ينسخ ،وهذا معنى قوله ﷺ في الأحاديث: «**وأيما حلف كـان في الجاهليـة، لم يزده الإسلام إلا شـدة**». وأما قـوله ﷺ: «**لا حلف في الإسلام**» فالمراد به حلف التوارث ، والحلف على ما منع الشرع منه والله أعلم)[٢] .

وقال **ابن الأثـير ـ رحمـه الله** : (أصل الحلف: المعاقـدة والمعاهدة على التعـاضد والتساعد والاتفاق. فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسـلام بقوله ﷺ: «**لا حلف في الإسلام**» وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام؛ كـحلف المطيبين وما جرى مجراه، فذلك الذي قـال فيه ﷺ: «**وأيما حلف كان في الجـاهلية، لم يزده الإسـلام إلا شدة**» يريد من المعاقدة على الخـير ونصرة الحق، وبذلك يجتـمع الحديثان، وهذا هو الحلف الذي يقتضيـه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام، وقـيل: المحالفة كانت

= للنبي والمؤمنين، ويعاهدونهم على التناصر من دون المؤمنين رجاء أن يحتاجوا إلى نصرهم، إذا خُذل المسلمون وغلبوا على أمرهم). (٦ / ٤٢٥ ، ٤٢٦).

(١) سورة الأنفال: ٧٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦ / ٨١ ـ ٨٢ .

ب الفتح، وقوله: «**لا حلف في الإسلام**» قاله زمن الفتح فكان ناسخًا)[١] .

وقال صاحب المنار: (وعلى هذا يجوز لحكام المسلمين أن يحالفوا الدول غير المسلمة، لأجل فائدة المؤمنين؛ بدفع الضر أو جلب المنفعة، وليس لهم أن يوالوهم في شيء يضر بالمسلمين وإن لم يكونوا من رعيتهم . وهذه الموالاة لا تختص بوقت الضعف، بل هي جائزة في كل وقت)[٢] .

قلت: ولو كان التحالف ، بمعنى التناصر، من أصول التوحيد ما بقي مشروعًا منذ البيعة حتى نزول هذه الآية في المدينة. والتوحيد أول ما دعا إليه الرسل ، وفاصلوا عليه أقوامهم. ولا تدرُّج في شأنه ولا هوادة.

* * *

(١) نقلاً من كتاب التحالف السياسي في الإسلام، لمنير الغضبان: ٩ .

(٢) تفسير المنار: ٣ / ٢٨٠ .

المستأمن[١]

تعريفه:

المُستأمَنُ: هو الحربي الذي دخل دار السلام بأمان(٢) ، دون نية الاستيطان بها، والإقامة فيها بصفة مستمرة، بل يكون قصده إقامة مدة معلومة لا تزيد على سنة، فإن تجاوزها وقصد الإقامة بصفة دائمة، فإنه يتحول إلى ذمي، ويكون له حكم الذمي في تبعيته للدولة الإسلامية، ويتبع المستأمن في الأمان، ويلحق به زوجته، وأبناؤه الذكور القاصرون، والبنات جميعًا، والأم، والجدات ، والخدم، ما داموا عائشين مع الحربي، الذي أعطي الأمان.

وأصل هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** ﴾ (٣) .

حقُوقُه:

وإذا دخل الحربي دار الإسلام بأمان، كان له حق المحافظة على نفسه وماله، وسائر حقوقه ومصالحه، ما دام مستمسكًا بعقد الأمان، ولم ينحرف عنه.

ولا يحل تقييد حريته، ولا القبض عليه مطلقًا؛ سواء قصد به الأسر، أو قصد به الاعتقال لمجرد أنهم رعايا الأعداء، أو لمجرد قيام حالة الحرب بيننا وبينهم.

قال السرخسي: أموالهم صارت مضمونة بحكم الأمان، فلا يمكن أخذها بحكم الإباحة. وحتى إذا عاد إلى دار الحرب، فإنه يبطل الأمان بالنسبة لنفسه ، ويبقى بالنسبة لماله.

وقال صاحب «المغني»: إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان، فأودع ماله مسلمًا أو

---

(١) انظر فقه السنة [٣ / ٤٣٨ ـ ٤٤٨].

(٢) إذا دخل لتبليغ رسالة ونحوها ، أو لسماع كلام الله دون حاجة إلى عقد ، أما إذا دخل لتجارة، وأعطى الإذن ممن يملكه ، فهو مستأمن.

(٣) سورة التوبة : ٦ .

ذميًا، أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب، نظرنا؛ فإن دخل تاجرًا، أو رسولاً، أو متنزهًا ، أو لحاجة يقضيها، ثم يعود إلى دار الإسلام، فهو على أمانه في نفسه وماله؛ لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام، فأشبه الذمي لذلك. وإن دخل دار الحرب مستوطنًا بطل الأمان في نفسه وبقي في ماله؛ لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان، ثبت الأمان لماله، فإذا بطل الأمان في نفسه بدخوله دار الحرب، بقي في ماله؛ لاختصاص المبطل بنفسه، فيختص البطلان به.

الواجب عليه:

والواجب عليه المحافظة على الأمن والنظام العام، وعدم الخروج عليهما؛ بأن يكون عينًا، أو جاسوسًا، فإن تجسس على المسلمين لحساب الأعداء، حل قتله إذ ذاك.

تطبيقُ حُكم الإسلام عليه:

تطبق على المستأمن القوانين الإسلامية بالنسبة للمعاملات المالية، فيعقد عقد البيع وغيره من العقود حسب النظام الإسلامي، ويمنع من التعامل بالربا؛ لأن ذلك محرم في الإسلام .

وأما بالنسبة للعقوبات، فإنه يعاقب بمقتضى الشريعة الإسلامية، إذا اعتدى على حق مسلم، وكذلك إذا كان الاعتداء على ذمي أو مستأمن مثله؛ لأن إنصاف المظلوم من الظالم وإقامة العدل من الواجبات التي لا يحل التساهل فيها.

وإذا كان الاعتداء على حق من حقوق الله، مثل اقتراف جريمة الزنا، فإنه يعاقب كما يعاقب المسلم؛ لأن هذه جريمة من الجرائم التي تفسد المجتمع الإسلامي[1].

مُصَادرَةُ ماله:

ومال المستأمن لا يصادر، إلا إذا حارب المسلمين، فأسرَ واسترق، وصار عبدًا، فإنه في هذه الحال تزول عنه ملكية ماله؛ لأنه صار غير أهل للملكية.

---

(١) خالف في ذلك أبو حنيفة ، فقال: إن العقوبات التي تكون حقًا لله، أو يكون فيها حق الله غالبًا، فإنه لا يقام فيها الحد على المستأمن! وهذا رأي مرجوح.

ولا يستحق الورثة، ولو كانوا في دار الإسلام، شيئًا؛ لأن استحقاقهم يكون بالخلافة عنه،وهي لا تكون إلا بعد موته، وهو لم يمت ،وماله في هذه الحال يؤول إلى بيت مال المسلمين على أنه من الغنائم.

وإذا كان له دينٌ على بعض المسلمين أو الذميين، يسقط عن المدين؛ لعدم وجود من يطالب به.

ميراثُه:

إذا مات المستأمن في دار الإسلام أو في دار الحرب، فإن ملكيته لماله لا تذهب عنه، وتنتقل إلى ورثته، عند الجمهور ، خلافًا للشافعي.

وعلى الدولة الإسلامية أن تنقل ماله إلى ورثته ، وترسله إليهم، فإن لم يكن له ورثة، كان ذلك المال فيئًا للمسلمين.

* * *

عقد الأمان[١]

إذا طلب الأمان أي فرد من الأعداء المحـاربين ، قُبل منه، وصار بذلك آمنًا، لا يجوز الاعتداء عليه بأي وجه من الوجوه، يقول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[٢] .

من له هذا الحق؟

وهذا الحق ثابت للرجال والنساء، والأحرار والعبيد، فمن حق أي فرد من هؤلاء أن يؤمن أي فردٍ من الأعداء يطلب الأمان، ولا يمنع من هذا الحق أحد من المسلمين، إلا الصبيان والمجانين، فإذا أمن صبي أو مجنون أحدًا من الأعداء، فإنه لا يصح أمان واحد منـهما؛ روى أحـمد ، وأبو داود، والنسـائي، والحاكم، عن علي ـ كـرم الله وجهه ـ أن رسـول الله ﷺ قال: «**ذمة المسلـمين واحدة يسعى بهـا أدناهم ، وهم يَدٌ على من سواهم**»[٣] .

وروى البخاري ، وأبو داود ، والتـرمذي، عن أم هانئ بنت أبي طالب ـ رضي الله عنها ـ أنهـا قالت: قلت يا رسـول الله، زعم ابن أمي أنه قاتلٌ رجلاً قـد أجرتُه فلان بن هُبيرةَ . فقال رسول الله ﷺ : «**قد أجرنا[٤] من أجرت يا أم هانئ**»[٥] .

---

(١) انظر فقه السنة [٣ / ٤٣٥ ـ ٤٣٧] الفتح للإعلام العربي.

(٢) سورة التوبة: ٦ .

(٣) البخاري: كتـاب الاعتصام، بالكتاب والسنة ـ باب مـا يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبـدع. . . إلخ (٩ / ١١٩)، ومـسلم: كتـاب الحج ـ باب فـضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة. . . إلخ برقم (٤٦٧، ٤٧٠) (٢ / ٩٩٤، ٩٩٩)، وأبو داود: كـتاب الديـات ـ باب إيقاد المسلـم بالكافر، بـرقم (٤٥٣٠) (٤ / ٦٦٨ ، ٦٦٩)، وكتـاب المناسك ـ باب في تحريم المدينة . برقم (٢٠٣٤) (٢/ ٥٣١)، والنسائي: كتاب القسامة ـ باب القود بين الأحـرار والمماليك في النفس ، برقم (٤٧٣٤ ، ٤٧٣٥) (٨ / ١٩ ، ٢٠)، وابن ماجه: كتـاب السير ـ باب ما جاء في أمان العـبد والمرأة رقم (١٥٧٩) (٤ / ١٤٢)، وأحمد (١ / ٨١ ، ١١٩ ، ١٠٢ ، ٢ / ١٩٢ ، ٢١١).

(٤) «أجرنا» : أمنا من أمنت.

(٥) البخاري: كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به. . . إلخ (١ / ١٠٠)،=

نتيجةُ الأمانِ:

ومهما تقرر الأمان بالعبارة أو الإشارة، فإنه لا يجوز الاعتداء على المؤمن؛ لأنه بإعطاء الأمان له، عصم نفسه من أن تزهق، ورقبته من أن تسترق.

وروي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه بلغه أن بعض المجاهدين قال لمحارب من الفرس: لا تخف. ثم قتله، فكتب - رضي الله عنه - إلى قائد الجيش: إنه بلغني أن رجلاً منكم يطلبون العلجَ، حتى إذا اشتد في الجبل وامتنع، يقول له: لا تخف. فإذا أدركه، قتله! وإني والذي نفسي بيده ، لا يبلغني أن أحدًا فعل ذلك، إلا قطعت عنقه.

وروى البخاري[(١)] في «التاريخ» ، والنسائي عن النبي ﷺ قال: «**من أمن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافرًا**» .

وروى البخاري، ومسلم، وأحمد، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة**» [(٢)] .

= ومسلم: كتاب صلاة المسافرين - باب استحباب صلاة الضحى، برقم (٨٢) (١ / ٤٩٨)، وأبو داود مختصرًا: كتاب الجهاد - باب في أمان المرأة، برقم (٢٧٦٣) (٣ / ١٩٣ ، ١٩٤)، والترمذي: كتاب الاستئذان - باب ما جاء في مرحبًا، برقم (٢٧٣٤) (٥ / ٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والموطأ: كتاب قصر الصلاة في السفر - باب صلاة الضحى، برقم (٢٨) (١ / ١٥٢).

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٦ / ٢٨٥) - باب فيمن أمنه أحد على دمه، فقتله: رواه الطبراني بأسانيد كثيرة، وأحدها رجاله ثقات. ورواه في «حلية الأولياء» (٣ / ٣٢٤) بلفظ آخر، وقال: غريب، ومشهور هذا الحديث من حديث عمرو بن الحمق، عن النبي ﷺ ،وزوائد ابن حبان: كتاب الجهاد - باب النهي عن الغدر، برقم (١٦٨٢) (ص ٤٠٥)، وأحمد بمعناه (٥ / ٢٢٣، ٢٢٤ ، ٤٣٧)، وعزاه في «الكنز» برقم (١٩٣٠) (٤ / ٣٦٥) إلى البخاري في «التاريخ»، والنسائي.

(٢) البخاري: كتاب الجزية والموادعة مع أهل الحرب - باب إثم الغادر للبر والفاجر (٤ / ١٢٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير - باب تحريم الغدر، برقم (١٤) (٢ / ١٣٦١)، ومسند أحمد (٢/ ١١٦، ١٢٦)، (٣ / ٣٥)، وأبو داود: كتاب الجهاد - باب في الوفاء بالعهد، برقم (٢٧٥٦) (٣ / ٨٢ ، ٨٣) ، وابن ماجه: كتاب الجهاد - باب الوفاء بالبيعة ، برقم (٢٨٧٢، ٢٨٧٣) (٢ / ٩٥٩).

متى يتقرَّرُ هذا الحقُّ؟

ويتقرر هذا الأمان بمجرد إعطائه ، ويعـتبر نافذًا من وقت صدوره، إلا أنه لا يُقرُّ نهائيّا، إلا بإقرار الحاكم أو قائد الجيش.

وإذا تقرر الأمان، وأقـرَّ من الحاكم أو قائد الجيش، صـار المؤمن من أهل الذمة، وأصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

ولا يجوز إلغـاء أمانه، إلا إذا ثبت أنه أراد أن يستغل هذا الحق في إيقـاع الضرر بالمسلمين، كأن يكون جاسوسًا لقومه، وعينًا على المسلمين.

عقدُ الأمانِ لجهة ما:

إنما يصح الأمان من آحاد المسلمين إذا أمن واحدًا أو اثنين، فأما عقد الأمان لأهل ناحية على العموم، فلا يصح إلا من الإمام على سبيل الاجتهاد ، وتحري المصلحة ، كعقد الذمة، ولو جعل ذلك لآحاد الناس ، صار ذريعة إلى إبطال الجهاد .

* * *

عقد الذمة للمواطنين وللمستقلين [١]

وكما يجوز هذا العقد لمن يريد أن يعيش مع المسلمين، وتحت ظلال الإسلام، فإنه يجوز للمستقلين في أماكنهم، بعيدًا عن المسلمين.

فقد عقد رسول الله ﷺ مع نصارى نجران عقدًا ، مع بقائهم في أماكنهم، وإقامتهم في ديارهم، دون أن يكون معهم أحد من المسلمين [٢] .

وقد تضمن هذا العهد حمايتهم ، والحفاظ على حريتهم الشخصية والدينية، وإقامة العدل بينهم، والانتصاف من الظالم.

وقام الخلفاء من بعده على تنفيذه، حتى عهد هارون الرشيد فأراد أن ينقضه، فمنعه محمد بن الحسن، صاحب الإمام أبي حنيفة ، وهذا هو نص العقد: لنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على ما تحت أيديهم، من قليل أو كثير، لا يُغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته، وليس عليه دنية ـ أي؛ لا يعامل معاملة الضعيف ، ولا دم جاهلية ـ ولا يخسرون، ولا يعسرون، ولا يطأ أرضهم جيشٌ، ومن سأل منهم حقًا فبينهم النصف، غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربًا [٣] من ذي قبل ـ أي في المستقبل ـ فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله، وذمة محمد النبي الأمي رسول الله أبدًا، حتى يأتي الله بأمره. فإذا أراد أحد الرؤساء استغلال المعاهدة لحسابه، وظلم شعبه، منع من ذلك.

وجاء في «المبسوط» للسرخسي: وإذا طلب ملك الذمة أن يترك يحكم في أهل مملكته بما شاء؛ من قتلٍ، أو صلبٍ، أو غيره، مما لا يصح في دار الإسلام ، لم

---

(١) انظر «فقه السنة» [٣ / ٤١٠].

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد (١ / ٣٥١٢).

(٣) قال ابن القيم: في هذا دليل على انتقاض عهد الذمة بإحداث الحدث، وأكل الربا، إذا كان مشروطًا عليهم.

جبْ إلى ذلك؛ لأن التـقرير على الظلم، مع إمكان المنع، حـرام، ولأن الذمي ممن يلتزم أحكام الإسلام، فيما يرجع إلى المعامـلات ، فشرطه بخلاف موجب عقد الذمة باطل، فـإن أعـطي الصلح والذمـة علـى هذا ، بطل من شـروطه مـا لا يصح في الإسلام؛ لقوله ﷺ: **«كل شرط ليس في كتاب الله باطل»** .

* * *

ما الفرق بين الذمي والمعاهد؟ [١]

عقد الذمة هو إقرار الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية[٢] .

وأهل العهود : هم الذين صالحهم إمام المسلمين على إنهاء الحرب مدة معلومة لمصلحة يراها .

والعهد هو الصلح المؤقت - ويسمى الهدنة والمهادنة والمسالمة والموادعة [٣] .

وقد يطلق لفظ أهل العهد على أهل الذمة:

قال ابن الأثير: المعاهد أكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمة ، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما . انتهى.

وقد يطلق أيضًا على المستأمن:

قال الشوكاني : المعاهد: هو الرجل من أهل الحرب يدخل دار الإسلام بأمان فيحرم على المسلمين قتله انتهى.

وفي شرح الخرشي على خليل : المعاهد: بفتح الهاء وهو الشائع على الألسن أي الذي عاهده المسلمون، أي أعطوه عهدًا وموثقًا ألا يتعرضوا له ،وبكسرها أي الذي عاهد المسلمين، أي أخذ منهم عهدًا وموثقًا بالأمان. انتهى.

ومما سبق يتبين الفرق بين الذمي والمعاهد .

* * *

(١) [انظر موقع إسلام ويب].
(٢) انظر مطالب أولى النهى.
(٣) انظر الموسوعة الفقهية.

الفرق بين أحكام المعاهد والذمي[١]

يكثر في هذه الأيام الحديث عن أحكام أهل الذمة والمعاهدين بعد الأحداث التي شهدتها وتشهدها البلاد أثر عمليات القتل والخطف التي يتعرض لها الأجانب على التراب الوطني والتي لا عهد للبلد بها من قبل.

ومن هنا أحببنا أن نتناول بعض أحكام المعاهدين وأهل الذمة تنويرًا للرأي العام، معرفين بمدلول هذه المسميات وخطورة التعرض لقتل أهل الذمة أو أخذ أموالهم..

تعريف أهل الذمة والمعاهدين:

أهل الذمة هم: المعاهدون من أهل الكتاب للمسلمين الذين يعطون عهدًا يأمنون به على أموالهم ودينهم وأعراضهم، ومن جرى مجراهم.

وأهل العهود: هم الذين صالحهم إمام المسلمين على إنهاء الحرب مدة معلومة لمصلحة يراها.

فالمعاهد أصبح في الأحكام الذاتية والمالية كحكم المسلم؛ لأن ولي أمر المسلمين أعطاه أمانًا وعاهده على الأمن والحفظ، فأصبح في ذمة ولي أمر المسلمين، فمن اعتدى على معاهد يكون قد خفر ذمة ولي أمر المسلمين.

وأعتقد أننا في هذه الآونة ليس عندنا حربي ومعاهد، والعرف العامي عند جميع الدول: من دخل دولة بتصريح من ولي أمرها فهو معاهد.

حكم قتل المعاهد عمدًا وخطأ:

قتل الذمي والمعاهد والمستأمن حرام، وقد ورد الوعيد الشديد في ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»** أورده البخاري هكذا في كتاب الجزية، (باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم).

---

(١) انظر موقع التيسير الثقافي.

وأورده في كتاب الديـات (باب إثم من قتل ذميًا بغير جُرم)، ولفظه: «**من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»، قال الحافظ في الفتح: (كذا ترجم بالذمي، وأورد الخبر في المعاهد ، وترجم في الجزية بلفظ: « **من قتل معاهدًا** » كما هو ظاهر الخبر، والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هُدنة من سلطان أو أمان من مسلم).

ورواه النسائي بلفظ: «**من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنَّة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**». ورواه أيضًا بإسناد صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا**».

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل معاهدًا في غير كُنهه حرَّم الله عليه الجنَّة**» رواه أبو داود، والنسائي بإسناد صحيح، وزاد النسائي: «**أن يشمَّ ريحها**».

ومعنى «**في غير كُنهه**» أي في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له، قاله المنذري في الترغيب والترهيب، وقال: ورواه ابن حبان في صحيحه، ولفظه قال: «**من قتل نفسًا معاهدة بغير حقِّها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة لتوجد من مسيرة مائة عام**».

وأما قتل المعاهد خطأ ، فقد أوجب الله فيه الدية والكفارة ، قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [(١)] .

وإذا كان المقتول ذميًا أو مستأمنًا أو له عهد وأمان من الإمام، فأبو حنيفة رحمه الله قال: يقتل به المسلم؛ لأن من قتل المعاهد الذي له من الإمام عهد بالأمان فقد افتات على الإمام بنقض عهده مع هذا الذمي، والجمهور يقولون: لا يقتل به، وإنما لأوليائه الدية، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

---

(١) سورة النساء: ٩٢ .

حرمة مال المعاهد:

أخرج أبو داود عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه»**.

قال ابن الأثير: المعاهد : الذي بينك وبينه عهد وموادعة، والمراد به: من كان بينه وبين المسلمين معاقدة وموادعة، ومهادنة ، فلا يجوز أن تتملك لقطته؛ لأنه معصوم المال يجري حكمه مجرى حكم الذمي .

* * *

أهل الذمة وأهل الهدنة وأهل الأمان(١)

قال ابن القيم ـ رحمه الله في كتابه «أحكام أهل الذمة»(٢):

وقد عقد الفقهاء لكل صنف بابًا؛ فقالوا: باب الهدنة؛ باب الأمان؛ باب عقد الذمة.

ولفظ الذمة والعهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ الصلح ؛ فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد. وقولهم: هذا في ذمة فلان أصله من هذا أي: في عهده، وعقده أي فألزمه بالعقد والميثاق، ثم صار يستعمل في كل ما يمكن أخذ الحق من جهته، سواء وجب بعقده أو بغير عقده؛ كبدل المتلف، فإنه يقال: هو في ذمته، وسواء وجب بفعله أو بفعل وليه أو وكيله، كولي الصبي والمجنون وولي بيت المال والوقف ،فإن بيت المال والوقف يثبت له حق وعليه حق كما يثبت للصبي والمجنون ويطالب وليه الذي له أن يقبض له ويقبض ما عليه وهكذا لفظ الصلح ، عام في كل صلح وهو يتناول صلح المسلمين بعضهم مع بعض وصلحهم مع الكفار، ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء «أهل الذمة» عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة.

وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله إذا هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله، بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يُسمَّون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة.

وأما المستأمن:

فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها وهؤلاء أربعة أقسام:

---

(١) انظر ملتقى أهل الحديث.

(٢) انظر أحكام أهل الذمة: (٢ / ٨٧٣).

رسلٌ، وتجار، ومستجيرون حتى يُعرض عليهم الإسلام والقرآن فإن شاؤوا دخلوا فيه وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبو حاجةٍ من زيارة أو غيرها.

وحكم هؤلاء :

ألا يهاجـروا ولا يقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزيـة وأن يُعرض على المستجـير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به ولم يعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان [١] .

* * *

(١) وفي هذه المباحث ؛ ينظر:

الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. محمد هيكل (١ / ٢٠٦) و(٣/ ١٤٧٢ ، ١٤٩٩).

حرمة دم الذمي والمعاهد[١]

قد يخفى على كثير ممن قلَّ نصيبه من العلم حرمة دم المعاهد، ولذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير الشديد من قتل المعاهد، وهو كل من له عهد مع المسلمين بعقد جزية أو هدنة من حاكم أو أمان من مسلم[٢] إلا أن ينقض العهد فيكون حلال الدم:

١ ـ **عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما**، عن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[٣].

٢ ـ **وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ** أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا**»[٤].

٣ ـ **وعن رفاعة بن شداد**[٥] قال: كنتُ أقوم على رأس المختار بن أبي عبيد[٦] الكذَّاب مدَّعي النبوة، فلما تبينتُ كذبه هممتُ والله أن أسل سيفي فأضرب به عنقه، فأمشي بين رأسه وجسده، حتى ذكرتُ حديثًا حدثنا به عمرو بن الحمِق

---

(١) انظر منتدى الملف العلمي.

(٢) انظر: فتح الباري (١٢ / ٢٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في الجزية (٣١٦٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٧٣٧٨)، والنسائي في القسامة، باب: تعظيم قتل المعاهد (٤٦٦٨) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤٥٣).

(٥) هو رفاعة بن شداد بن عبد الله القتباني أبو عاصم الكوفي، من كبار التابعين، وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، قتل سنة ٦٦ هـ، قيل: قتله المختار بن أبي عبيد. انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ٢٥١).

(٦) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، يكنى: أبا إسحاق، ولم يكن بالمختار، كان أبوه من جلة الصحابة، وولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رؤية، وأخباره غير مرضية، يقال: إنه كان في أول أمره خارجيًا ثم صار زيديًا ثم صار رافضيًا، انظر: الإصابة لابن حجر (٦ / ٣٤٩ ـ ٣٥١).

رضي الله عنه [١] قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من أمن رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواء الغدر يوم القيامة»**[٢] .

وفي لفظ: **« من ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريء وإن كان المقتول كافراً»**[٣] .

وفي لفظ: **«أيما رجل أمن رجلاً على دمه فقتله فقد برئت من القاتل ذمة الله وإن كان المقتول كافراً»**[٤] .

* * *

(١) هو عمرو بن الحمق بن كاهل بن حبيب الخزاعي الكعبي، هاجر بعد الحديبية، سكن الشام ثم الكوفة ثم قدم مصر، شهد مع علي حروبه، وقتل بالحرة سنة ٦٣ هـ، وقيل: سنة ٥٠ هـ، وقيل: سنة ٥١ هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢ / ٥٣٢)، وتهذيب التهذيب (٨ / ٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٤٣٦)، والنسائي في الكبرى (٥ / ٢٢٥)، وابن ماجه في الديات (٢٦٨٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٤٥)، والبزار (٢٣٠٦)، والطحاوي في شرح المشكل (١ / ٧٧)، وقال البوصيري في الزوائد (٣ / ١٣٦): «إسناده صحيح، رجاله ثقات» وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (٤٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٥ / ٢٢٤ ، ٤٣٧)، والبزار (٢٣٠٨)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢ / ٢٠٢)، والطبراني في الأوسط (٤٢٥٢ ، ٦٦٥٥ ، ٧٧٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٩ / ٢٤)، والقضاعي في مسنده (١٦٤)، قال العقيلي في الضعفاء (٢ / ٢١٥): «أسانيده صالحة»، وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ٢٨٥): «رواه الطبراني بأسانيد كثيرة، وأحدها رجاله ثقات»، وهو في صحيح الجامع (٦١٠٣).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٩٦٧٩).

فصل: فيما ينقض العهد[1]

إن أبى الذمي بذل الجزية أو الصغار أو التزام حكم الإسلام، أو قاتلنا:

قال الشيخ رحمه الله:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. هذا الفصل فيما ينتقض به عهد الذمي الذي أعطيناه عهدًا وأعطيناه ذمة، وأمناه على نفسه وعلى ماله وعلى أهله وأولاده، واشترطنا عليه شروطًا إذا وفى بها وفينا بما أعطيناه من الأمان، وإذا أخل بها انتقض العهد الذي بيننا وبينه، وأصبح حربيًا يحل قتله ويحل ماله. ذكروا هذه الخصال التي ينتقض بها العهد؛ فمنها:

أولاً: أن يمتنع من بذل الجزية، وهي المال الذي يضرب عليه سنويًا ـ كما تقدم ـ ويؤديه وهو صاغر؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2] فإذا امتنع من بذلها انتقض عهده؛ لأنه عوهد على شيء ولم يف به.

ثانيًا: إذا امتنع من التزام أحكام الإسلام انتقض أيضًا عهده وقد تقدم أنه يلزم بأحكام الإسلام، وأن الإمام يأخذهم بحكم الإسلام في النفس والمال والعرض، ويقيم الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه دون ما يعتقدون حله، فإذا التزم أحكام الإسلام فهو ذمي، وإذا امتنع من تطبيق أحكام الإسلام عليه فهو مرتد منتقض العهد، لا ذمة له ولا عهد.

ومعلوم أن أحكام الإسلام تنطبق على أهل الإسلام، بمعنى أنهم يعاملون أن المسلمين يعاملون مثلا بما يقتضيه تعامل الأحكام الإسلامية؛ ففي الأنفس القصاص.

إذا مثلاً: لو أن ذميًا قتل ذميًا، فحكمنا أنه يقتص للقاتل أي: يقتص من القاتل

---

(١) انظر الموقع الرسمي للشيخ / عبد الله بن جبرين ـ رحمه الله ـ وأصل هذه المادة درس لفضيلة الشيخ ـ رحمه الله ـ قام بتفريغه طالب علم.

(٢) سورة التوبة: ٢٩.

حكمًا إسلاميّا مع أنه أيضًا حكم لهم؛ قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[1] وكذلك في المال والعرض؛ فإذا أتلف أحدهم مالاً ألزم بغرامته، سواء كان لمسلم أو لغير مسلم، سواء كان متعمدًا أو غير متعمد، يلزمه غرامته. كذلك إذا قذف مسلمًا أقيم عليه الحد، حد القذف الذي في القرآن يلزمه أن يخضع لإقامة الحد.

وكذلك إذا زنى ولو بذمية يقام عليه الحد الذي هو الجلد مع عدم الإحصان والرجم مع الإحصان، وكذلك التحاكم إذا تحاكموا إلينا نحكم بحكم الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾[2] .

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[3] فنحكم بينهم بكتابنا الذي هو شرعنا إذا تحاكموا إلينا، وإن لم يتحاكموا تحاكموا إلى رؤسائهم لم نطلبهم؛ لقوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾[4] خيره بين الحكم والإعراض.

هذا مما ينتقض به عهدهم إذا امتنعوا وقالوا: لا نخضع، لا نخضع لحكم الإسلام.

من أحكام الإسلام إذا كانوا في بلاد المسلمين: أن يلتزموا تعاليم الإسلام إذا كانوا فيما بين المسلمين؛ فلا تتبرج نساؤهم، فإن امتنعت وتبرجت انتقض العهد، وكذلك لا يظهرون الأكل في رمضان نهارًا، فإن فعلوا ذلك عنادًا انتقض العهد، وكذلك لا يعملون في أوقات الصلاة في حرفهم أو ورشهم أو مصانعهم، فإن فعلوا ذلك ؛ لأنه يؤخذ عليهم العهد في البلاد الإسلامية ألا يعملوا شيئًا والناس يصلون؛ إن فعلوا ذلك انتقض العهد؛ لأن هذا مما يؤخذ عليهم التزامه، وكذلك لا يجهرون بكتابهم فيما بين المسلمين ولا ينشرون كتبهم ولا يظهرون الدعاية إلى النصرانية أو إلى اليهودية وهم بين المسلمين.

---

(١) سورة المائدة: ٤٥ .

(٢) سورة المائدة: ٤٢ .

(٣) سورة المائدة: ٤٩ .

(٤) سورة المائدة: ٤٢ .

ولا يفتنون الناس ولا ينشـرون شبهـاتهم ، إن فعلوا ذلك انتقض عـهدهم؛ لأن هذه تعالـيم تنافي شعـائر الإسلام، والمسلمـون يسوؤهم أن يظهـر فيمـا بينهم شيء يخالف شعـائرهم،وهكذا إعلانهم للمحـرمات يعتبر أيضًـا ناقضًا ولو كانت مـباحة عندهم، فلا يعلنون شرب الخمـر ولا بيعها علنًا، ولو كانت مباحة فـي شرعهم كما يقولون، ولا يعـلنون أكل الربا ولا المعاملات الـربوية مع أنها محـرمة عليـهم؛ قال تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾(١) وهكذا أيضًـا لا يعلنون شـيئًـا فيـه تنقص للمسلمين .

فالحـاصل : أن هذه ينتـقض بها عهـدهم، وسواء كـانوا ذميين أو مـعاهدين أو مستأمنين وهم بين المسلمين؛ لأن الكفار لا يخرجون عن هذه الصفات الأربع: إما أن يكون ذميّا ؛ وهو الذي يبذل الجـزية، وإما أن يكون معاهداً؛ وهو الذي بين المسلمين وبينه عهـد كدولة بين المسلمين وبينهم عهـد، وإما أن يكونوا مسـتأمنين ؛ وهو الذي يدخل بلاد الإسلام بأمان ،وإما أن يكونوا حربيين؛ ليس بيننا وبينهم إلا الحرب .

* * *

(١) سورة النساء: ١٦١ .

كان مسلماً ثم رجع إلى بلاده وارتد ثم عاد إلى بلد إسلامي فهل هو معاهد؟ وكيف نعامله؟ [(١)]

رجل كان يعمل في بلاد إسلامية، وهو مسلم ، ثم خرج إلى بلاده، وارتد عن الإسلام، ثم عاد إلى البلاد الإسلامية التي كان يعمل فيها، وهو غير مسلم.

السؤال: هل ينطبق عليه إذا عاد ليعمل في البلاد الإسلامية أحكام المرتد، أم أنه ينطبق عليه أحكام المعاهد؟ أرجو التوضيح وما هي الطريقة المُثلى للتعامل معه؟

الجواب:

الحمد لله:

أولاً: من كان مسلمًا ثم ارتد عنه إلى الإلحاد:

فهو مرتد، لا إشكال في ذلك، ومن ارتد عن الإسلام إلى غيره من الأديان لم يُنسب إلى ذلك الدين، ولم يأخذ أحكامه، بل هو مرتد كسابقه، يعامل معاملة المرتدين، يستتاب ليرجع إلى الإسلام، فإن تاب ورجع وإلا قُتل كفراً.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله :

لو ارتد أحد إلى اليهودية، أو النصرانية: لا نقره؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[(٢)] يعني: من بدل دين الإسلام: فإننا نقتله [(٣)].

وعليه: فمن كان مسلمًا ثم صار نصرانيًا أو يهوديًا: لم تحل ذبيحته؛ لأنه ليس كتابيًا، بل هو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وإن كانت امرأة: لم يحل نكاحها؛ للسبب نفسه، وهؤلاء لا يكونون ذميين، ولا معاهدين، ولا مستأمنين؛ لأن هذه الأحوال إنما تكون لكافر أصلي، لا لمرتد، فليس أمام المرتد عن الإسلام إلا أن يرجع لدينه، أو

---

(١) انظر موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٢) الحديث: صحيح رواه البخاري (٢٨٥٤).

(٣) انظر الشرح الممتع على زاد المستقنع (١١ / ٣٠٦).

يختار القتل كفرًا على ذلك.

قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله:

والمرتد في الاصطلاح: هو الذي يكفر بعد إسلامه طوعًا، بنطق ،أو اعتقاد، أو شك ، أو فعل.

والمرتد: له حكم في الدنيا ، وحكم في الآخرة:

أما حكمه في الدنيا: فقد بينه الرسول ﷺ بقوله: «**من بدل دينه فاقتلوه**»(١) وأجمع العلماء على ذلك ، وما يتبع ذلك من عزل زوجته عنه، ومنعه من التصرف في ماله قبل قتله.

وأما حكمه في الآخرة: فقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾(٢).

والردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، سواء كان جادًا ، أو هازلاً، أو مستهزئًا، قال تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ** ﴾(٣) (٤) .

وينبغي التنبه إلى حد الردة ـ ومثله بقية الحدود ـ لا يقيمه إلا الخليفة، أو نائبه، بإجماع العلماء، ولا يجوز لآحاد الناس تنفيذ الحدود بأنفسهم.

ثانيًا: أما بخصوص طريقة التعامل معه:

فتكون كغيره من الكفار الذين يتلطف بدعوتهم للإسلام ، متى كنا نرجو منه الخير؛ وليس ثمة حدود تطبق ـ وللأسف ـ على المرتدين ، فلم يبق أمامكم إلا دعوته بالحسنى، وتذكيره بسالف أيامه يوم كان مسلمًا، وأنه لابد وأن يشعر بالفرق بين حياته في الإسلام،وحياته خارجه، ويستعان على ذلك بمن يعرف لغته ، من بني جلدته،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة البقرة: ٢١٧ .

(٣) سورة التوبة: ٦٥ .

(٤) انظر الملخص الفقهي : (٢ / ٥٦٥ ـ ٥٦٦).

ليكون أفهم له. وللهدية مفعولها الطيب في نفوس الأحرار ، فتعاهدوه بهدايا يحتاجها، تصلون من خلالها لقلبه، وإن كان عنده معاملة متعسرة أن تعينوه عليها، وتسهلوا أمر معاشه، فمن شأن ذلك كله أن يجعله بعيد النظر بفعله، ولعله أن يعود إلى الإسلام قبل موته، ويكتب ذلك في ميزان حسناتكم.

وإذا كانت السلطات في بلدك لا تسمح بوجود مثل هذا المرتد ؛ فإننا ننبه السلطات إلى حاله، حتى يتم ترحيله إلى بلده، لكن بعد أن نحاول معه، ونسلك طريق الدعوة إلى قلبه، فلعل الله أن يهديه، ويرده إلى دينه.

وهذا كله في المعاملة، أما الحكم : فسبق أنه ليس كالكافر الأصلي، فالمرتد لا يجوز للمسلم أن يرثه، ولا هو يرث مسلمًا ، والمرتدة لا تُنكح ، وإن كان تحت المرتد امرأة مسلمة: فسخ عقد نكاحها ، وغير ذلك من الأحكام، فينبغي التفريق بين الأحكام، والمعاملة، ولو كانت تطبق الحدود الشرعية على المرتدين لما احتجنا لهذا كله؛ لأن المرتد ـ كما سبق ـ ليس أمامه إلا أن يرجع إلى الإسلام ، أو يقتل في حال إبائه.

والله أعلم.

❊ ❊ ❊

من معاهدات الرسول ﷺ

عاهد النبي ﷺ بني ضمرة، من قبائل العرب، وهذا نص ذلك العهد:

«هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة، بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يحاربوا في دين الله، ما بلَّ بحرٌ صوفة، وإن النبي إذا دعاهم إلى النصرة، أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله، ولهم النصر من بر منهم واتقى».

وعاهد اليهود على حسن الجوار، أول ما استقر به المقام بالمدينة، وفيما يلي نص العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش، وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس.

المهاجرون من قريش على ربعتهم[1]، يتعاقلون[2] بينهم، وهم يفدون عانيهم[3]، بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها، بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث (من الخزرج) على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

---

(١) أمرهم الذي كانوا عليه.

(٢) يأخذون ديات القتلى ويعطونها، وأصله من العقل، وهو ربط إبل الدية ؛ لدفعها لأهل القتيل.

(٣) عانيهم: أسيرهم.

وبنو جشَم على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى،وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمر بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى،وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم ، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وإن المؤمنين لا يتركون مُفرحًا(١) بينهم أن يعطوه بالمعروف ،في فداء أو عقل، وألا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة(٢) ظلم، أو إثمًا، أو عدوانًا، أو فسادًا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة، يُجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم مولى بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة(٣) غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.

وأن سلم المؤمنين واحدة؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم(٤) ، وأن كل غازية غزت معنا، يعقب(٥) بعضها بعضًا، وأن

---

(١) هو من أثقله الدين والغرم، فأزال فرحه.

(٢) الدسع : الدفع، والمعنى: طلب دفعًا على سبيل الظلم، أو ابتغى عطية على سبيل الظلم.

(٣) في هذا ما يفيد أن النصر والمساواة لمن تبع اليهود.

(٤) يؤخذ من هذا أن إعلان الحرب على جماعة مسلمة إعلان لها على الأمة الإسلامية كلها.

(٥) أي: يكون الغزو بينهم نوبًا، يعقب بعضهم بعضًا فيه.

المؤمنين يبيء[١] بعضهم على بعض، بما نال دماءهم في سبيل الله.

وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه، وأنه لا يجبر مشرك مالاً لقريش ، ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط [٢] مؤمنًا قتلاً عن بيئة، فإنه قود به[٣] ، إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحدثًا، أو يؤويه ، وأنه من نصره ، أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ، ولا عدل[٤] .

وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مَردَّه إلى الله وإلى محمد، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ، ما داموا محاربين[٥] .

وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو أثم، فإنه لا يوتغ[٦] إلا نفسه وأهل بيته[٧] .

وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بن جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف.

إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغُ إلا نفسه وأهل بيته.

وأن جفنة ـ بطن من ثعلبة ـ كأنفسهم، وأن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.

---

(١) يبيء: من أبأت القاتل بالقتيل، إذا قتلته به.

(٢) اعتبطه: قتله بلا جناية أو جريرة ،توجب قتله.

(٣) فإن القاتل يقاد به، ويقتل.

(٤) فيه منع نصرة المجرم.

(٥) فيه استقلال كل أمة المسلمين واليهود، كما أنها تضمنت مخالفة عسكرية، بمقتضاها تتعاون الأمتان في كل حرب، وعلى كل منهما نفقة جيشها خاصة.

(٦) «يوتغ» يهلك ويفسد.

(٧) في هذا تقرير الحرية الدينية والاقتصادية.

وأن موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم،وأنه لا يخرج منهم أحد، إلا بإذن محمد.

وأنه لا ينحجز على ثأر جُرحٌ، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن له على أبر هذا.

وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم [١] .

وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم [٢] ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين، ما داموا محاربين ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار، يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

وإذا دعوا إلى صلح يصالحون ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين.

على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض، من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جارٌ لمن برَّ واتقى ومحمد رسول الله» [٣].

---

(١) في هذا إلزام الطرفين التشاور والتناصح ، قبل دخول الحرب.

(٢) لابد من أن تكون الحرب مشروعة، حتى يمكن للمسلمين المشاركة فيها.

(٣) انظر: كتاب «الرسالة الخالدة» عن كتاب «الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة» للدكتور محمد حميد الحيدر آبادي، أستاذ الحقوق الدولية، بالجامعة العثمانية بحيدر آباد/ دكن.

وصايا رسول الله ﷺ إلى قواده[١]

عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره [٢] قال: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**» [٣].

وعنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ ومعاذًا إلى اليمن، فقال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعا ولا تختلفا** [٤]» [٥] رواهما الشيخان.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا** [٦]، **ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة** [٧]، **ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا** [٨]، **وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين**» [٩] رواه أبو داود.

---

(١) انظر «فقه السنة» [٣ / ٣٨٤].

(٢) في بعض أمره: أي في أمر من أعمال الولاية والإدارة. قال: بشروا. أي: من قرب إسلامه، ومن تاب من العصاة بسعة رحمة الله، وعظم ثوابه لمن آمن وعمل صالحًا. ولا تنفروا، بذكر أنواع التخويف والوعيد، ويسروا على الناس، ولا تشددوا عليهم، فإن هذا أدعى لمحبة الدين.

(٣) البخاري: كتاب العلم ـ باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة... إلخ [١ / ٢٧]، ومسلم: كتاب الجهاد ـ باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، برقم (٦) (٣ / ١٣٥٨)، وأبو داود: كتاب الأدب ـ باب في كراهية المراء، برقم (٤٨٣٥) (٥ / ١٧٠) وأحمد في «المسند» (٤ / ٣٩٩).

(٤) اتركا الخلاف واعملا على الوفاق، فهذا أدعى للنصر والنجاح. وصدر الحديث موجه باعتبار الجماعة، وعجزه باعتبار المثنى.

(٥) البخاري: كتاب الجهاد، بلفظ: «**يسروا ولا تعسروا**» باب ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه.. إلخ (٤ / ٧٩)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير ـ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، برقم (٦) (٣ / ١٣٥٨)، وأحمد مختصرًا (١ / ٢٣٩، ٢٨٣، ٣٦٥) وبألفاظ متقاربة (٤ / ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٧).

(٦) إلا إذا كان مقاتلاً وذا رأي، فقد أمر ﷺ بقتل زيد بن الصمة الذي كان في جيش هوازن للرأي فقط، وعمره يربو على مائة وعشرين سنة.

(٧) إلا إذا كانت مقاتلة، أو والية عليهم، أو لها رأي فيهم.

(٨) نسأل الله صلاح الحال في الحال والمآل. آمين.

(٩) أبو داود: كتاب الجهاد ـ باب في دعاء المشركين، برقم (٢٦١٤) (٣ / ٨٦).

وصية عمر رضي الله عنه

وكتب عمـر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهمـا ـ ومن معه من الأجناد؛ أما بعد:

فإني آمـرك ومن معك من الأجنـاد بتقوى الله عـلى كل حال؛ فإن تقـوى الله أفضل العُدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدتَّنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنصـر عليهم بفضلنا لم نغلبـهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سـيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقـولوا: إن عدونا شر منا، فلن يُسلط علينا. فـرب قوم سلِّط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكـان وعدًا مفـعولاً، اسألوا الله العـون على أنفسكم، كمـا تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم.

وترفق بالمسلمين في سـيرهم، ولا تجشمـهم سيرًا يتـعبهم، ولا تقـصر بهم عند منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عذرهم ، والسـفر لم ينقص قوتهم؛ فإنهم سائرون إلى عدو مـقيم، حامي الأنفس والكُراع، وأقم بمن معـك في كل جمعة يومًـا وليلة، حتى تكون لهم زاحة، يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يَرزأ أحدًا من أهلها شيئًا؛ فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم، فتولوهم خيرًا، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح.

وإذا وطئت أرض العدو، فـأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخـفى عليك أمرهم، وليكن عندك من الـعرب أو من أهـل الأرض من تطمـئن إلى نصـحـه وصدقـه؛ فـإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدقك في بعضه، والغاشَّ عين عليك، وليس عينًا لك.

وليكن منك عند دنوك مـن أرض العدو أن تكثـر الطلائع ، وتبث السـرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم.

وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخـير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً ، كان أول من تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر عـلى الجلاد، ولا تخص بها أحدًا بهـوى، فتضيع من رأيك وأمـرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعـة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة، أو صنيعة ونكاية.

فإذا عاينت العـدو، فاضمم إليك أقاصيك ،وطلائـعك،وسراياك ،واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعـاجلهم المناجزة،ما لم يستكرهك قتال، حـتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ،وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنعه بك.

ثم أذك على عـسكرك ،وتيقظ من البـيات جـهدك ،ولا تمر بأسـير له عـقد إلا ضربت عنقه؛ لترهب به عدو الله وعدوك.

واللهُ ولي أمرك ومن معك،وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان.ا هـ.

* * *

البيعة التي أوجبتها النصوص على الأمة كافة هي بيعة الخلافة [(١)]

لا منازعة في أن البيعة العامة التي تكون على عموم النظر للمسلمين، والتي تنشئ عموم الطاعة في غير معصية، والتي تجب على عموم الأمة، والتي يعد من نقضها باغيًا، والتي لا تقبل التعدد ـ بحيث لو بويع اثنان يقتل الآخر منهما ـ لا منازعة في أن هذه البيعة لا تكون إلا للإمام الذي يجتمع عليه الناس كلهم، ومن ادعاها لنفسه من هذه الجماعات فقد غلط، وإلى هذه البيعة تنصرف عامة الأحاديث الواردة في باب البيعة، مثل قوله ﷺ: **«ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»** [(٢)] .

ووجه ذلك أن الأحاديث التي جاء فيها ذكر البيعة، قد وردت إما مقيدة ببيعة الإمام، أو مطلقة يجب حملها على هذه المقيدة، وفقًا للقاعدة الأصولية في حمل المطلق على المقيد.

وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله: **«من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»** ما معناه؟ فقال أتدري ما الإمام؟ الإمام الذي يُجمع المسلمون عليه، كلهم يقول: هذا إمام. فهذا معناه. ومثل هذه البيعة لا يحل فيها التعدد، فقد قال ﷺ: **«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»**. وقال ﷺ: **«وستكون خلفاء فتكثر»** فقالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **«وفوا بيعة الأول فالأول»**. ولهذا امتنع عبد الله بن عمر عن البيعة لأحد من الفريقين في وقت الفتنة، إلى أن اجتمع الناس على أحدهما، وهو الذي روى حديث: **«من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»** [(٣)] ولاشك أنه أولى بفهم الحديث على وجهه الصحيح.

يقول الحافظ ابن حجر عن عبد الله بن عمر: (امتنع أن يبايع لعليٍّ أو معاوية، ثم

---

(١) انظر «الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر» د/ صلاح الصاوي [ص / ٢٣٤ ـ ٢٣٧] كتاب البيان ـ سلسلة تصدر عن مجلة البيان.

(٢، ٣) رواه مسلم، ح (٣٤٤١).

بايع لمعاوية لما اصطلح مع الحسن بن علي، إلى أن قتل ابن الزبير وانتظم الملك كله لعبد الملك بن مروان فبايع له حينئذ، وروى عنه أنه كان يقول: أكره أن أبايع أميرين قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد)[١] .

بطلان البيعات المفرقة لجماعة المسلمين:

كما لا منازعة في أن البيعة الخاصة، التي يعقد أصحابها الولاء والبراء على أساسها، فيكفرون ما عداهم أو يبدعونه ، ويفرقون بها كلمة الأمة ـ بيعة باطلة باعتبار ما أفضت إليه من هذه المفاسد. وقد تقرر في الأصول أن للذرائع حكم المقاصد حلاً وحرمة. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [٢] .

روى سفيان الثوري عن أبي هريرة أنها نزلت في هذه الأمة.

وقال ابن كثير: (والظاهر أن الآية عامة في كل من فرق دين الله وكان مخالفًا له؛ فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿**وَكَانُوا شِيَعًا**﴾ أي فرقًا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات ، فإن الله تعالى برأ رسوله ﷺ مما هم فيه) [٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله، الذين يجعلون من وافقهم صديقًا وليّا، ومن خالفهم عدوّا باغيًا، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله) [٤] .

---

(١) راجع كتاب (الوجيز في فقه الخلافة)، ص ٧٧ ، ٧٨، د/ صلاح الصاوي.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٩ .
(٣) تفسير ابن كثير: ٢ / ١٩٦ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٨ / ١٦ .

ويقول في موضع آخر: (فتعليق الأمور من المحبة والبغض، والموالاة والمعاداة، والنصرة والخذلان ، والموافقة والمخالفة، والرضا والغضب، والعطاء والمنع، بما يخالف هذه الأصول المنزلة من عند الله ، مما هو أخص منها، أو أعم منها أو أعم من وجه وأخص من وجه.

فالأعم ما عليه المتفلسفة ومن اتبعهم، من ضُلاَّل المتكلمة والمتصوفة والممالك على ذلك، كملك الترك وغيرهم ، في تسويغ التدين بغير ما جاء به محمد ﷺ رسول الله ، وإن غظم محمداً وجعل دينه أفضل الأديان. وكذلك من سوغ النجاة والسعادة بعد مبعثه بغير شريعته.

والأعم من وجه والأخص من وجه، مثل الأنساب والقبائل، والأجناس العربية، والفارسية، والرومية، والتركية، أو الأمصار والبلاد.

والأخص مطلقًا، الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين كالتجند للمجاهدين، والفقه للعلماء، والفقر والتصوف للعباد. أو الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف ، كإمام معين، أو شيخ ، أو ملك، أو متكلم من رؤوس المتكلمين، أو مقالة ، أو فعل تتميز به طائفة، أو شعار هذه الفرق من اللباس من عمائم أو غيرها، كما يتعصب قوم للخرقة، أو (اللبسة) يعنون الخرق الشاملة للفقهاء والفقراء، أو المختصة بأحد هذين ، أو بعض طوائف أحد هؤلاء، أو لباس التجند، أو نحو ذلك ـ كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة، وأهلها خارجون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة ، بل دين الله ـ تعالى ـ أن يكون رسوله محمد ﷺ هو المطاع أمره ونهيه، المتبوع في محبته ومعصيته، ورضاه وسخطه، وعطائه ومنعه، وموالاته ومعاداته، ونصره وخذلانه.

ويعطى كل شخص ، أو نوع من أنواع العالم ،من الحقوق ما أعطاهم إياه الرسول، فالمقرب من قربه، والمقصي من أقصاه، والمتوسط من وسطه. ويحب من هذه الأمور أعيانها وصفاتها ما يحبه الله ورسوله منها، ويكره منها ما كرهه الله ورسوله منها ، ويترك منها لا محبوبًا ولا مكروهًا ، ما تركه الله ورسوله كذلك ،

لا محبوبًا ولا مكروهًا) (١).

لزوم جماعة المسلمين فريضة الوقت:

تتمثل فريضة الوقت في لزوم جماعة المسلمين ؛ فإن هذا هو المخرج من الفتنة في واقعنا المعاصر، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ قد جعلها المخرج من الفتنة في حديث حذيفة: فما تأمرني إن أدركني ذلك الزمان، يا رسول الله ؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» ولم يجعل لذلك من بديل إلا الاعتزال، ولو أن يعض على أصل شجرة حتى يدركه الموت وهو على ذلك. وليس بعد حكمه ﷺ حكم، ولا بعد بيانه بيان!

ولزوم الجماعة تكليف تُخاطَب به التجمعات كما يُخاطَبُ به الأفراد، ويتحقق في الواقع باتباع ما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد والتحليل والتحريم من ناحية، والتزام الطاعة في ذلك لأهل الحل والعقد من المسلمين إن انعقدت لهم راية، أو السعي لإنهاضهم لإقامة الجماعة، وإقدارهم على ذلك ، وحملهم عليه بكل سبيل يتاح من ناحية أخرى.

* * *

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

فتاوى في أهل الكتاب

من هم أهل الكتاب[١]

السؤال الخامس من الفتوى رقم (٧١٥٠):

س: من هم أهل الكتاب حاليًا؟

فالنصارى (الصليبيون) مثلثون فهم مشركون بالله، واليهود (قتلة الأنبياء) أعداء محمد ﷺ مشركون بالله لقولهم (نحن أبناء الله ـ يد الله مغلولة.. إلخ)، والكتاب محرف كما هو معروف، إذًا أجيبوا من فضلكم بصراحة صريحة أزيلوا جزاكم الله خيرًا حيرة المتحيرين؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى مع شركهم، وقد كان هذا الشرك موجودًا فيهم وقت نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ، فقد أخبر سبحانه عن تأليه النصارى المسيح عليه السلام وجعلهم إياه إلهًا مع الله يعبدونه معه فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٢] الآية.

كما أخبر عن اليهود أنهم قالوا عزير ابن الله، وأخبر سبحانه عن أهل الكتاب جميعًا أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٤].

---

(١) انظر الفتوى رقم (٧١٥٠).
(٢) سورة المائدة: ١٧.
(٣) سورة التوبة: ٣٠ ـ ٣١.
(٤) سورة آل عمران: ٦٤.

وأخبرنا سبحانه عن قولهم بالتثليث ونهاهم عنه فقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على شركهم وكفرهم وقت نزول الوحي، وقد سمَّاهم أهل الكتاب في غير موضع من القرآن.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

(١) سورة النساء: ١٧١ .

موقف الإسلام من أهل الكتاب[1]

من خلال إجابة على سؤال وُجه «للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء»:

وإليكم السؤال والجواب:

السؤال: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ﴾[4] ، وقال جل وعلا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ﴾[5] الآيات.
بحكم عملي واحتكاكي بمسيحيين بزمالتي لبعض منهم فإنه يحدث أحيانًا بعض المناقشات هل دين الإسلام اعترف بالمسيحيين[6] أم لا؟ وما موقف الإسلام من النصارى، ويستدلون ببعض الآيات من القرآن الكريم التي أوردت آنفًا بعضًا منها وغيرها في مواضع كثيرة، وإنما أوردت هذه الآيات الكريمات على سبيل المثال لا الحصر.

بناء على ذلك فإنني أرجو من علمائنا الأفاضل أن يعطوني الجواب الكافي، ورجائي أن يكون الجواب مبسطًا ومقنعًا ومزودًا بالأدلة والبراهين وبأسلوب هادئ هادف، وهل هناك شيء من هذه الآيات منسوخ، لأن النصارى يحتجون علينا بأن البعض منها يناقض الآخر، وإنما دعاني إلى كتابة هذه هو حرصي الشديد على الإسلام وأهله؟

الجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:
أصول الشرائع التي جاء بها الأنبياء والمرسلون واحدة أوحى الله بها إليهم وأنزل

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ فتوى رقم (١٤١٢).
(٢) سورة آل عمران: ٨٥ .
(٣) سورة آل عمران: ١٨ .
(٤) سورة آل عمران : ١١٣ .
(٥) سورة المائدة: ٨٢ ـ ٨٥ .
(٦) الصواب أن نقول: (نصارى).

عليهم بها كتبه، يوصي فيها سابقهم بالإيمان باللاحق منهم، ونصره وتأييده، ويوصي متأخرهم بتصديق من تقدمه منهم، وكل ما جاؤوا به من عند الله يسمى دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [(١)] .

وقال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [(٢)] .

وقال: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [(٣)] .

وقال: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [(٤)] .

وقال: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(٥)] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا

---

(١) سورة آل عمران: ٨١ ـ ٨٥ .
(٢) سورة البقرة: ٢٨٥ .
(٣) سورة المائدة: ٤٦ ـ ٤٨ .
(٤) سورة المائدة: ١٥ ، ١٦ .
(٥) سورة المائدة: ١٩ .

بين يديَّ من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[٢].

إلى غير ما ذكر من الآيات الدالة بالعموم والخصوص على وحدة أصول التشريع الذي جاء به الأنبياء من توحيد الله بالعبادة، والإيمان به وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر وأصل الصلاة والزكاة والصيام كقوله تعالى في ذكر دعاء خليله إبراهيم: ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ﴾ إلى أن قال في حكاية ضراعة خليله إليه: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا (٥٤) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا ﴾[٤] . وقوله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ﴾[٥] .

وقوله في زكريا: ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾[٦] الآية. وقوله في عيسى: ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا (٣٠) وجعلني مباركًا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا ﴾[٧] .

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[٨] الآيات.

---

(١) سورة الصف: ٦ .
(٢) سورة الأنبياء: ٢٥ .
(٣) سورة إبراهيم: ٣٧ ـ ٤٠ .
(٤) سورة مريم: ٥٤ ـ ٥٥ .
(٥) سورة يونس: ٨٧ .
(٦) سورة آل عمران: ٣٩ .
(٧) سورة مريم: ٣٠ ـ ٣١ .
(٨) سورة البقرة: ١٨٣ .

لكنها اختلفت في كيفياتها وتفاصيل فروعها كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١) .

وقال النبي ﷺ: «الأنبياء أولاد علات دينهم واحد وأمهاتهم شتى».

وعلى هذا فمن آمن بأصول الشرائع على ما جاء به الأنبياء والمرسلون فقد رضي الله عنهم وكتب لهم السعادة والفلاح وهم الذين امتدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم نبينا محمد ﷺ في سنته . ومن آمن ببعض الأصول التي جاؤوا بها من عند الله وكفر ببعض فأولئك هم الكافرون حقًّا بالجميع ضرورة وحدتها وتصديق بعضها بعضًا، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(٢) .

وهؤلاء هم الذين ذمهم الله في كتابه وذمهم رسوله ﷺ في سنته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٣) .

من أجل هذا أخبر الله سبحانه بأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا سواء في حكمه، بل أثنى على طائفة من هؤلاء ومن هؤلاء وذم طائفة أخرى من الفريقين، أثنى على الذين امتثلوا أمره من اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(٤) .

ومن هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة المائدة: ٤٨ .

(٢) سورة الفتح: ٦ .

(٣) سورة النساء: ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٤) سورة البقرة: ١٣٦ .

(٥) سورة آل عمران: ١٩٩ .

ومنهم بعض النصارى وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[(١)] ومنهم: جماعة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أثنى الله عليهم بقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[(٢)] .

وذم من الفريقين اليهود والنصارى من نافق أو آمن ببعض الرسل وكفر ببعض وكتموا الحق بعد ما تبين وحرفوا الكلم عن مواضعه وافتروا على الله الكذب في أصول الشرائع أو فروعها ونقضوا ما أخذ عليهم من العهد والميثاق، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[(٣)] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[(٤)] .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ

---

(١) سورة المائدة: ٨٢ ـ ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥ .

(٣) سورة البقرة: ٧٥ ـ ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران: ١٨٧ .

عنكُمْ سيِّئَاتكُمْ ولأُدْخلَنَّكُمْ جنَّات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهارُ فمَن كفر بعْدَ ذَلك منكُمْ فقَدْ ضَلَّ سَواء السَّبيلِ (١٢) فبمَا نَقْضهم ميثَاقَهُمْ لعنَّاهُمْ وجعلْنَا قُلُوبهُمْ قاسيةً يُحرِّفُونَ الْكَلمَ عن مَّواضعه ونَسُوا حظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا به ولا تزَالُ تطَّلعُ علَى خائنة مِّنْهُمْ إلاَّ قليلاً مِّنْهُمْ فاعْفُ عنْهُمْ واصْفحْ إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الْمُحْسنين (١٣) ومنَ الَّذين قالُوا إنَّا نصارَىٰ أخذْنا ميثَاقَهُمْ فنسُوا حظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا به فأغْرَيْنا بيْنَهُمُ الْعداوة والْبغْضاء إلَىٰ يوْمِ الْقيامة وسوْف يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بما كانُوا يصْنعُون ﴾(١) .

وذم منهم أيضًا الذين قالوا اتخذ الله ولدًا واتخـذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ورد عليهم فريتهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢) .

وذم منهم أيضًا من زعم مع كفره أن الجنة وقف عليهم لا يدخلها غيرهم وكذبهم في زعمهم وبين من هم أهل الجنة حقًا، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٣) .

وذم منهم أيضًا من قتل الأنبياء والصالحين بـغير حق وقالوا قلوبنا غلف. وافتروا على مريم بهتـانًا عظيمًا، وقالوا إنا قـتلنا المسيح عيسى ابن مـريم وأكلوا الربا وأموال الناس بالباطل، ومن قـال إن الله ثالث ثلاثة، وكفرهم جمـيعًا ورد عليهم مـزاعمهم الباطلة وتـوعدهم بالعذاب الأليم، إلى غـير ذلك من الآيات الدالة على ثنـائه تعالى على جماعـة من اليهود ومن النصارى ووصـفهم بصفات جعلتـهم أهلاً للثناء عليهم والفوز بالسـعادة والنعيم المقـيم، وذمه جماعـة أخرى من كل من الفريقين ووصـفهم بصفات استوجبوا بها سخط الله ولعنته وأليم عقابه.

---

(١) سورة المائدة: ١٢ ـ ١٤ .

(٢) سورة التوبة: ٣٠ ـ ٣١ .

(٣) سورة البقرة: ١١١ ـ ١١٢ .

لهذا يتبين أن الإسـلام وقف من اليهود والنصارى مـوقف إنصاف وعدل، وأنه لا تناقض بين نصوص الكتـاب والسنة في الإخبار عنهم ثناءً وذمًا، فـإن من أثنى عليهم يختلفون اختـلافًا بينًا عمن ذمهم ، فالذين يتبعـون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عنـدهم في التوراة والإنجيل يأمـرهم بالمعروف وينهـاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ** ﴾[1] أولئك الذين وسـعتـهم رحـمة الله وحق فـيـهم ثناؤه وأولئك هم المفلحون .

أما الذين كفروا بالجميع أو آمنوا ببعض وكفروا ببعض وحرفوا ما أنزل في التوراة أو الإنجيل إلى آخر ما تقدم بيانه وما في معناه فأولئك الذين ذمهم الله وحقت عليهم كلمة العـذاب وأولئك أصحـاب النار هم فيـها خالدون، وعلى هذا فـلا تناقض بين نصـوص الأخبـار عنهم ثناء على من هم أهل لذلك واعـتـرافًا بقـدرهم وإنزالاً لهم منازلهم مع ذم آخرين منهم لسوء سيرتهم وفساد عـقيدتهم وتغييرهم وتبديلهم لما أنزل إليهم مـن ربهم، أو تقليدهم من فـعل ذلك من أحبـارهم ورهبانهم على غـير هدي وبصيرة ، ولا نسخ فيها لعدم تنافيها بل بعضها يصدق بعضًا.

❋ ❋ ❋

(١) سورة النساء: ١٣٦ .

من لم تبلغه الدعوة الإسلامية[١]

س: أسلمت حديثًا إحدى الشابات البوذيات المثقفات بعد دراسة عميقة للإسلام استمرت سبع سنوات وهي الآن نشطة في الدعوة للإسلام ولقد أسلم على يديها بعض الأفراد من رجال ونساء، وفي إحدى جولاتها مع بعض الذين اهتدوا للتعريف بالإسلام والدعوة إليه في إحدى المناطق النائية وجه إليها أحد البوذيين هذا السؤال: كيف تحكمون بدخول النار لغير المسلم بينما نحن في هذه المنطقة لم نسمع عن الإسلام إلا الآن فهل آباؤنا في النار وما ذنبهم طالما أنكم معشر المسلمين لم تبلغوا دين الحق إلينا، ولقد اتصلت بنا هذه الأخت المهتدية وتريد منا جوابًا شافيًا على سؤال الرجل والذي دخل في الإسلام بعد هذا اللقاء؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

المسلمون لا يحكمون على غيرهم بأنهم في النار إلا بشرط وهو أن يكونوا قد بلغهم القرآن أو بيان معناه من دعاة الإسلام بلغة المدعوين لقول الله عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[٢] . وقوله سبحانه ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٣] ، فمن بلغتهم الدعوة الإسلامية من غير المسلمين وأصر على كفره فهو من أهل النار لما تقدم من الآيتين ، ولقول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**» أخرجه مسلم في صحيحه ،والأدلة في هذا المعنى من الآيات والأحاديث كثيرة.

أما الذين لم تبلغهم الدعوة على وجه تقوم به الحجة عليهم فأمرهم إلى الله عز وجل، والأصح من أقوال أهل العلم في ذلك أنهم يمتحنون يوم القيامة ؛ فمن أطاع

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ السؤال الخامس من الفتوى رقم (٦٣٩٧).

(٢) سورة الأنعام: ١٩ .

(٣) سورة الإسراء: ١٥ .

الأوامر دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وقد أوضح هذا المعنى الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾(١) والعلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «طريق الهجرتين» في آخره تحت عنوان (طبقات المكلفين)(٢) فنرى لك مراجعة الكتابين لمزيد الفائدة .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

(١) سورة الإسراء: ١٥ . وانظر تفسير ابن كثير (٥ / ٥٠) ط دار الشعب.

(٢) انظر «طريق الهجرتين» [ص / ٤٥٣] ط المصرية.

حكم من مات على غير الإسلام ولم تكن قد بلغته الدعوة على وجهها [١]

من مات على غير الإسلام والتوحيد ولم تكن قد بلغته الدعوة على وجهها فإن مآله في الآخرة موضع نظر بين أهل العلم.

فمنهم من جزم بعدم عذره وأنه معذب لا محالة، وهم المعتزلة وكثير من الحنفية.

قال أبو حنيفة رحمه الله: (لا عذر لأحد من الخلق في جهله معرفة خالقه؛ لأن الواجب على جميع الخلق معرفة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ وتوحيده، لما يرى من خلق السموات والأرض وخلق نفسه ، وسائر ما خلق الله ـ تعالى ـ فأما الفرائض فمن لم يعلمها ولم تبلغه ، فإن هذا لم تقم عليه حجة حكمية) [٢] .

ومنهم من جزم بعذره، وأنه لا يعذب أحد إلا إذا قامت عليه الحجة الرسالية، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٣] .

يقول ابن القيم رحمه الله: (إن العذاب يُسْتَحَق بسببين: أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها. والثاني: العناد لها بعد قيامها، وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها ، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل) [٤] .

ويقول الشنقيطي: (والآيات القرآنية مصرحة بكثرة على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة ، وما ركز من الفطرة ، بل إن الله تعالى لا يعذب أحدًا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، فمن ذلك قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾. فإنه قال

---

(١) انظر «الثوابت والمتغيرات» [ص / ١٩٧ ـ ٢٠٠].

(٢) راجع بدائع الصنائع، للكاساني: ٩ / ٤٣٧٨ .

(٣) سورة الإسراء: ١٥ .

(٤) طريق الهجرتين: ٤١٤ .

فيها: ﴿ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ، ولم يقل : حتى نخلق عقولاً ، وننصب أدلة، ونركز فطرة) [١] .

وهؤلاء فريقان:

منهم من أطلق القول بعذرهم، وأن الرحمة تشملهم ابتداء.

قال الغزالي: (بل أقول إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة، إن شاء الله تعالى ، أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك، ولم تبلغهم الدعوة، فإنهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: لم يبلغهم اسم محمد ﷺ أصلاً، فهم معذورون.

الصنف الثاني: بلغهم اسمه ونعته ، وما ظهر عليه من المعجزات. وهم المجاورون لبلاد الإسلام، والمخالطون لهم، وهم الكفار الملحدون.

الصنف الثالث: هم بين الدرجتين: بلغهم اسم محمد ﷺ ولم يبلغهم نعته وصفته، بل سمعوا أيضًا منذ الصبا أن كذابًا اسمه محمد ـ نعوذ من ذلك بالله تعالى ـ ادعى النبوة كما سمع صبيانًا أن كذابًا اسمه يقال له: المقفع . بعثه الله تحديًا بالنبوة، كاذبًا فهؤلاء عندي في أوصافه في معنى الصنف الأول، فإنهم مع أنهم لم يسمعوا اسمه، سمعوا ضد أوصافه ، وهذا لا يحرك النظر في الطلب)[٢] .

ومنهم من قال: يمتحنون في عرصات يوم القيامة.

وقد صحت في هذا القول بعض النصوص . وذهب إلى القول به عدد كبير من أهل العلم؛ منهم ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن حجر، وابن حزم، وابن كثير ، والبيهقي ، ونسبه أبو الحسن الأشعري إلى أهل السنة والجماعة.

قال ﷺ : «**أربعة يوم القيامة يدلون بحجة: رجل أصم لا يسمع، ورجل أحمق، ورجل هرم، ومن مات في الفطرة . فأما الأصم فيقول: يا رب؛ جاء الإسلام وما أسمع شيئًا. وأما الأحمق فيقول: جاء الإسلام والصبيان يقذفونني بالبعر . وأما الهرم**

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي: ٢ / ٢٠١ .

(٢) فيصل التفرقة، للإمام الغزالي: ١٠٥ ـ ١٠٦ .

فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل. وأما الذي مات على الفطرة فيقول: يا رب ما أتاني رسولك. فيأخذ مواثيقهم ليُطيعنه ، فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار» قال : **«فو الذي نفسي بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلامًا»**[١] .

قال ابن كثير رحمه الله ـ بعد أن ساق النصوص التي تشير إلى امتحان هؤلاء في عرصات يوم القيامة: (وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «الاعتقاد»، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد)[٢] .

وأجاب عمن ضعفوا هذه الأحاديث بقوله: (إن أحاديث هذا الباب ، منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط، أفادت الحجة عند الناظر فيها)[٣] .

وقال ابن حزم رحمه الله: (أما من لم يبلغه ذكره ﷺ ، فإن كان موحدًا، فهو مؤمن على الفطرة الأولى صحيح الإيمان ، لا عذاب عليه في الآخرة، وهو من أهل الجنة، وإن كان غير موحد، فهو من الذين جاء النص بأنه يوقد له نار يوم القيامة، فيؤمرون بالدخول فيها، فمن دخلها نجا، ومن أبى هلك)[٤] .

وقال الشنقيطي:(الظاهر أن التحقق في هذه المسألة التي هي: هل يعذر المشركون بالفترة، أو لا ؟ هو أنهم معذورون بالفترة في الدنيا ، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة ، وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا؛ لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم

(١) رواه أحمد والطبراني وابن حبان. وصححه الألباني (الصحيحة: رقم ١٤٤٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير: ٣ / ٣٠ .
(٣) المرجع السابق: ٣ / ٣١ .
(٤) الأحكام : ٥ / ٦٨٦ .

الرسل) (١) .

المنازعة في مدى قيام الحجة في قضية بعينها، أو في شخص بعينه:

إذا ثبت أصل العذر بالجهل ، كما تقرر فيما سبق ، فإن المنازعة قد تقع في التعيين في قضية بعينها، أو بالنسبة لشخص بعينه، وهذا مما تتفاوت فيه التقديرات ، وهو من موارد الاجتهاد بلا نزاع.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله: (إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص ؛ فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ، ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئًا ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة ، كما تقدم في حديث الأسود وأبي هريرة وغيرهما) (٢) .

المنازعة فيمن تقوم بمثله الحجة:

فالحجة على العامة لا تقوم إلا من خلال من يثقون به من أهل العلم؛ لأن العامة فرضهم سؤال أهل الذكر، ولا شأن لهم بالنظر في النصوص، أو استثمار الأحكام الشرعية منها، وقد تقوم عليهم برجل، ولا تقوم عليهم بآخر، ولا ضابط لمن ترد إليه الفتوى بالنسبة لهم إلا التسامع والاستفاضة، وفي مثل هذا تتفاوت الاجتهادات.

والحجة على أهل العلم تقوم بالأدلة الشرعية المعتبرة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وقد يحسن عرضها رجل ولا يحسن عرضها آخر، وكم من حامل حق لا بصيرة له في إحيائه ، وكم من قضية عادلة أضاعها محامون فاشلون ، فليس كل من حفظ دليلاً أو دليلين في مسألة تقوم بمثله الحجة، بل الأصل في الحجة أنها لا تقام إلا بالمجتهد أو بذي سلطان أو أمير مطاع . وهو الذي يعبر عنه الفقهاء بالاستتابة، وهي أقرب إلى عمل القضاء.

---

(١) أضواء البيان: للشنقيطي: ٣ / ٤٣٨ .

(٢) طريق الهجرتين: ٤١٤ .

النهي عن أكل ذبائح المشركين [(١)]

قال عز وجل في تحريم الذبائح الميتة وذبائح المشركين: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [(٢)] .

نهى عز وجل المسلمين عن أكل الميتة وذبيحة المشرك لأنه نجس، فذبيحته في حكم الميتة، ولو ذكر اسم الله عليها؛ لأن التسمية منه باطلة ، لا أثر لها؛ لأنها عبادة، والشرك يحبط العبادة ويبطلها، حتى يتوب المشرك إلى الله سبحانه وتعالى.

طعام أهل الكتاب مباح:

وإنما أباح الله عز وجل طعام أهل الكتاب في قوله سبحانه: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [(٣)] ؛ لأنهم ينتسبون إلى دين سماوي، ويزعمون أنهم من أتباع موسى وعيسى، وإن كانوا في ذلك كاذبين ، وقد نسخ الله دينهم وأبطله ببعث محمد ﷺ إلى الناس عامة، ولكن الله جل وعلا أحل لنا طعام أهل الكتاب ونساءهم؛ لحكمة بالغة وأسرار مرعية ، قد وضحها أهل العلم، بخلاف المشركين من عباد الأوثان، والأموات ، من الأنبياء والأولياء وغيرهم؛ لأن دينهم لا أصل له، ولا شبهة فيه، بل هو باطل من أساسه، فكانت ذبيحة أهله ميتة، ولا يباح أكلها.

وأما قول الشخص لمن يخاطبه: (جن أصابك) (جن أخذك ، شيطان طار بك) وما أشبه ذلك . فهذا من باب السب والشتم، وذلك لا يجوز بين المسلمين، كسائر أنواع السب والشتم، وليس ذلك من باب الشرك ، إلا أن يكون قائل ذلك يعتقد أن الجن يتصرفون في الناس بغير إذن الله ومشيئته ، فمن اعتقد ذلك في الجن أو غيرهم من المخلوقات ، فهو كافر بهذا الاعتقاد؛ لأن الله سبحانه هو المالك لكل شيء،

---

(١) انظر أركان الإسلام ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) سورة الأنعام: ١٢١ .

(٣) سورة المائدة: ٥ .

والقادر علـى كل شيء، وهو النافع الضار، ولا يوجـد شيء إلا بإذنه ، ومشـيئـته، وقدره السابق ، كما قال عز وجل آمـراً نبيه ﷺ أن يخبر الناس بهذا الأصل العظيم: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

فإذا كان سيد الخلق وأفضلهم عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرّا، إلا ما شاء الله، فكيف بغيره من الخلق؟! والآيات في هذا المعنى كثيرة.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأعراف: ١٨٨ .

الإقامة في بلاد الكفار لها أحكام ثلاثة

أ ـ كفر مخرج من الملة إذا كان المقيم متوليًا لهم، إذ إن التولي كفر مخرج من الملة.

ب ـ محرم إذا لم يظهر دينه ويقيمه مع قدرته على الهجرة، إذ الهجرة والحالة هذه واجبة بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾(١).

أما السنة فما رواه النسائي واللفظ له وابن ماجه من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً، أو يفارق المشركين إلى المسلمين**» وهو حديث حسن وما عداه من حديث جرير بن عبد الله وسمرة بن جندب وغيرهما فلا تثبت، بل هي أحاديث ضعاف، ولا يصح في الباب إلا حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

وكذلك يدل على وجوب الهجرة أن الصحابة هاجروا وبعضهم قتل بسببها كما في حديث عكرمة عن ابن عباس عند البخاري.

أما الإجماع فقد قال أبو الفداء إسماعيل بن كثير: فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكبٌ حرامًا بالإجماع وبنص هذه الآية.. اهـ(٢).

وقال العيني: وأما الهجرة عن المواضع التي لا يتأتى فيها أمر الدين فهي واجبةٌ

---

(١) سورة النساء: ٩٧.

(٢) في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾.

اتفاقًا ا .هـ.[(١)] .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: لأن هذا ذنبٌ ـ أي عدم الهجرة ـ قد تقرر أنه من الكبائر المُتوعـد صاحبها بالوعيد الشـديد بنص القرآن وإجماع أهل العلم إلا لمن أظهر دينه. . . ا .هـ[(٢)] .

وقال الشيخ المحقق عبد الرحمن السعدي: وكلام أهل العلم في هذه المسألة كثيرٌ متفـقون على الوجوب إذ عجز عن إظهـار دينه، واستحبـابه إذا كان قادرًا على ذلك وليس لأحدٍ خروجٌ عما قالوا واستدلوا عليه وعللوه. . ا. هـ[(٣)] .

ج ـ جائز وهو قسمان:

١ ـ من يستطيع إظهـار دينه وإقامته وهو قادر عـلى الهجرة[(٤)] . وذهبت طائفة إلى وجوب الهجرة حتى على من يستطيع إظهار الدين[(٥)] .

والقول الأول (أي الجواز): أظهر لعدم وجود الدليـل الدال على وجوب الهجرة لمن كان مستطيعًا إظهار دينه ، إذ الآية صريحة في المستضعفين دون غيرهم، ومن كان مظهرًا لدينه فليس مستضعفًا ، أما حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ : «**لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعـدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين**» فهو في من كان حديث عهدٍ بكفرٍ دون غيره، ثم يحمل على من لم يكن مظهرًا لدينه مُستضعفًا في الأرض لمفهوم المخالفة في الآية إذ مفهوم المخالفة مخصص

---

(١) عمدة القاري (١٤ / ٨٠).

(٢) الدرر السنية ص ١٤٦ مجلد الجهاد.

(٣) المجموعة الكاملة (٧ / ٦٩).

(٤) نص على هذا ابن قدامة في المغني (١٣ / ١٥١) ، وابن تيميـة في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٤١) وابن حجـر في الفتح (٦ / ٢٢٠)، وظاهر قـول الشوكاني في السـيل الجرار (٤ / ٥٧٦). وهو قول الشيخ عـبد اللطيف بن عبد الرحمن ص ١٤٦ ، والشيخ عـبد الرحمن بن حسن ص ١٣٦ ، والشيخ عبـد الله أبي بطين ص ١٣٦ . راجع أقوال أئمة الدعوة في الدرر السنية مـجلد الجهاد، وهو قول الشـيخ عبد الرحمن السـعدي ـ فيما سـبق نقله ـ وهذا قول الشيخ حمد بن عتيق في كتابه الدفاع عن أهل السنة والأتباع.

(٥) وهو ظاهر قـول الشوكاني الآخـر في نيل الأوطار (٨ / ٢٦) ونقل هذا القـول الشيخ عـبد الرحمن بن حسن في كتاب الجهاد من الدرر السنية ص ١٣٦ .

لعموم المنطوق عند الجمهور وهو الصحيح ، علمًا أنه قد تكون إقامة بعض المسلمين المظهرين لدينهم في بلاد الكفار مستحبةً إذا ترتب عليها مصالح كدخول بعض الكفَّار في الدين ونحو ذلك ،قاله الماوردي بمعناه(١) .

٢ ـ من يعجز عن الهجرة إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو لضعف وذلك لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(٢) (٣) ، وقبل الانتقال من هذا التنبيه يجدر التنبيه إلى أمرٍ مهمٍ ألا وهو: بماذا تحصل إقامة الدين وإظهاره؟

فننقل إليك شيئًا من كلام أهل العلم: قال ابن قدامة: من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه أو لا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة ـ ثم قال: ولأن القيام بواجب دينه واجبٌ على من قدر عليه والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته،وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ ا .هـ(٤).

وقال الشوكاني: وإن كانت الفائدة وجوب الهجرة عن دار الكفر، فليس هذا الواجب مختصًا بدار الكفر بل هو شريعة قائمة وسنةٌ ثابتة عند استعلان المنكر وعدم الاستطاعة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم وجود من يأخذ على أيدي المنتهكين لمحارم الله فحق على العبد المؤمن أن ينجو بنفسه ويفر بدينه إن تمكن من ذلك ووجد أرضًا خالية من التظاهر لمعاصي الله، وعدم التناكر على فاعلها، فإن لم يجد، فليس في الإمكان أحسن مما كان. ا هـ (٥) .

قال الشيخ عبد الله أبو بطين: فإن يقدر على إظهار التوحيد بحيث يُظهر لهم القول بأن هذه الأمور الشركية التي تُفعل عند القبور وغيرها باطل وضلالة، وأنا بريء منه وممن يفعله ،فمثل هذا لا تجب عليه الهجرة، وإن كان لا يقدر على إظهار ذلك مع اعتقاد بطلانه،وأنه الشرك العظيم فهذا ترك واجبًا عليه ولا يكفر بذلك.ا هـ(٦) .

---

(١) راجع نيل الأوطار (٨ / ٢٦).
(٢) سورة النساء: ٩٨ ـ ٩٩ .
(٣) علق عليه ابن قدامة في المغني (١٣ / ١٥١)، وابن حجر في الفتح (٦ / ٢٢٠)، والشيخ حمد بن عتيق.
(٤) المغني (١٣ / ١٥١).
(٥) السيل الجرار (٤ / ٥٧٦).
(٦) كتاب الجهاد في الدرر السنية ص ١٣٦ .

الاستعاذة

الاستعاذة: طلب الإعاذة ، والإعـاذة الحماية من مكروه ،فالمستعيذ مُـحتمٍ بمن استعاذ به ومعتصم به . والاستعاذة أنواع:

الأول: **الاستعـاذة بالله تعالى** وهي المتضمنة لكمـال الافتقار إليه والاعـتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضـر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غيـر بشر ودليلها قـوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾[1] إلى آخر السـورة وقـوله تعـالى: ﴿**قُلْ أَعُـوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾[2] إلى آخر السورة.

الثاني: **الاستعاذة بصفة من صفاته** ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك قوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[3] . وقوله: «**أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[4] وقوله في دعاء الألم: «**أعوذ بعزة الله وقـدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[5] ، وقوله: «**أعوذ برضـاك من سخطك**»[6] ، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ**﴾[7] فقال: «**أعوذ بوجهك**».

الثالث: **الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ**، فهذا شـرك ومنه قوله تعـالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُـوذُونَ بِرِجَـالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَـزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾[8] .

---

(١) سور الفلق: ١، ٢ .
(٢) سورة الناس: ١ـ٤ .
(٣) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٨٠٥ ـ الألباني.
(٤) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٧٤ ـ الألباني.
(٥) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٨٩٣ ـ الألباني.
(٦) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٨٠ ـ الألباني.
(٧) سورة الأنعام: ٦٥ .
(٨) سورة الجن: ٦ .

الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز ، ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن «**من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به**»(١) . وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: «**فمن كان له إبل فليلحق بإبله**»(٢) الحديث رواه مسلم، وفي صحيحه أيضًا عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي بها إلى النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة. الحديث. وفي صحيحه أيضًا عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث**»(٣) الحديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه(٤) .

❊ ❊ ❊

الاستعانة

الاستعانة طلب العون وهي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾(٥) ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿**إِيَّاكَ**﴾ وقاعدة اللغة العربية التي نزل بها القرآن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى مخرجًا عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر قادر عليه ؛ فهذه على حسب المستعان عليه، فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى**

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٦٢٤ ـ الألباني.
(٢) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٦٢٤ ـ الألباني.
(٣) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٦٢٤ ـ الألباني.
(٤) مجموع فتاوى العقيدة ، محمد بن صالح العثيمين ٦ / ٥٩، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ٣٥ ـ ٣٦].
(٥) سورة الفاتحة: ٥ .

الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾[١] .

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[٢] .

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين ،لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] .

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر ، فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن تستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقًا أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته ،فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، هذه مشروعة بأمر الله تعالى كما في قوله: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾[٤] .

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٥] ، وقوله ﷺ : «إذا استعنت فاستعن بالله»[٦] [٧] .

* * *

---

(١) سورة المائدة: ٢ .

(٢) سورة المائدة: ٢ .

(٣) سورة البقرة: ١٩٥ .

(٤) سورة البقرة: ٤٥ .

(٥) سورة الفاتحة: ٥ .

(٦) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٧٩٥٩ ـ الألباني.

(٧) مجموع فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين ٦ / ٥٨، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص ٣٦ ـ ٣٧].

الاستغاثة

الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهي أقسام:

الأول : الاستغاثة بالله عز وجل ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها ،وهو دأب الرسل وأتباعهم ،ودليله قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾(١) وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعًا يديه مستقبل القبلة يقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»(٢) .

وما زال يستغيث بربه رافعًا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه،وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة، فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون فيجعل لهم حظًا من الربوبية قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) .

الثالث: الاستغاثة بالأحياء القادرين على الإغاثة ، فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾(٤) .

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية ، مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه

---

(١) سورة الأنفال: ٩ .

(٢) رواه مسلم ـ باب الجهاد (٥٨) .

(٣) سورة النمل: ٦٢ .

(٤) سورة القصص: ١٥ .

العلة، ولعلة أخرى وهي أن الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة [١] .

* * *

التوسل [٢]

التوسُّل : هو أن يتخذ الإنسان وسيلة توصله إلى مقصوده ، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة.

وينقسم إلى قسمين:

الأول: قسم صحيح وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل بأسماء الله وهو على وجهين، الأول أن يكون ذلك على سبيل العموم كقول النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك**» [٣] . أما الوجه الثاني أن يكون ذلك على سبيل الخصوص بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم كأن يقول: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا فاغفر لي**» وهذا النوع داخل في قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [٤] .

النوع الثاني: التوسل إلى الله بصفاته وهو على وجهين، الأول أن يكون عامًّا كقول القائل: «اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى» والوجه الثاني أن تتوسل إلى الله بصفة معينة مخصوصة لمطلوب خاص مثل ما جاء في الحديث «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي**» [٥] ، فهنا توسل لله بصفات العلم والقدرة وهما مناسبان للمطلوب.

ومنه أن يتوسل لله بصفة فعلية مثل: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**

---

(١) مجموع فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين ٦ / ٦٠ .

(١) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص / ١٠٩ ـ ١١١].

(٣) أخرجه الإمام أحمد ١ / ٣٩١ .

(٤) سورة الأعراف: ١٨٠ .

(٥) انظر صحيح الجامع الصغير ١٣٠١ وهو جزء من حديث طويل ـ الألباني.

كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

النوع الثالث: التوسل إلى الله بالإيمان به وبرسوله مثل: «**اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي أو وفقني**».

النوع الرابع: أن يتوسل إلى الله بالعمل الصالح ،ومنه قصة النفر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار ثم أطبقت صخرة فسدّت عليهم الغار لا يستطيعون زحزحتها فتوسل كل واحد منهم بعمله الصالح، فانفرجت الصخرة.

النوع الخامس: أن يتوسل إلى الله بذكر حاله، يعني أن الداعي يتوسل إلى الله بذكر حاله وما هو عليه من الحاجة، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ (١) فهو يتوسل إلى الله بذكر حاله.

النوع السادس: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته، فالصحابة كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص ،مثل الرجل الذي دخل على النبي ﷺ وهو يخطب الجمعة فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «**اللهم أغثنا**» (٢) فما أن نزل من على المنبر حتى تحادر المطر، وبقي أسبوعًا كاملاً ،وكذلك توسل الصحابة بدعاء عم الرسول العباس.

القسم الثاني: التوسل غير الصحيح وهو أن يتوسل الإنسان إلى الله بما ليس بوسيلة، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول، ومن ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له، لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة (٣).

وقال في تسهيل العقيدة الإسلامية(٤) :

التوسل في اللغة : هو التقرب إلى الشيء بالشيء . ومنه أن يتقرب شخص إلى

(١)سورة القصص: ٢٤ .

(٢)متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان ٥١٧ .

(٣)مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ٢ / ٣٣٥ .

(٤)انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية [ص / ١٨٦ ـ ١٩٢].

شخص بعمل معين، أو بهدية معينة، أو بقرابة أو غيرها ليحصل له ما يريد منه.

والتوسل في الاصطلاح له تعريفان:

الأول: تعريف عام: وهو التقرب إلى الله تعالى بفعل المأمورات وترك المحرمات.

الثاني: تعريف خاص بباب الدعاء: وهو أن يذكر الداعي في دعائه ما يرجو أن يكون سببًا في قبول دعائه، أو أن يطلب من عبد صالح أن يدعو له.

والتوسل في أصله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع:

وهذا القسم يشمل أنواعًا كثيرة، يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ **التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته،** كما قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾(١) .

وذلك بأن يدعو الله تعالى بأسمائه كلها، كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي، أو أن يدعو الله تعالى باسم معين من أسمائه تعالى يناسب ما يدعو به، كأن يقول: اللهم يا رحمن ارحمني، أو أن يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم أن ترحمني.

أو أن يدعو الله تعالى بجميع صفاته، كأن يقول: «اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أن ترزقني رزقًا حلالاً» أو أن يدعوه بصفة واحدة من صفاته تعالى تناسب ما يدعو به، كأن يقول: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»، أو يقول مثلاً: «اللهم انصرنا على القوم الكافرين إنك قوي عزيز».

٢ ـ **الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه محمد ﷺ في بداية الدعاء،** لما ثبت عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على نبيه ﷺ ، فقال: «**عجل هذا**»، ثم دعاه فقال له: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ**

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠ .

بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ، ثم ليدع بما شاء»، قال : وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي فمجَّد الله وحمده، وصلى على نبيه محمد ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ادع تجب، وسل تعط**».

ومن ذلك أن يثني على الله تعالى بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، التي هي أعظم الثناء على الله تعالى، كما توسل بها يونس عليه السلام في بطن الحوت، ثم يصلي على النبي ﷺ ، فيقول في توسله مثلاً: «لا إله إلا الله ، اللهم صل على محمد، اللهم اغفر لي».

ومن ذلك سورة الفاتحة، فشطرها الأول ثناء على الله تعالى، وآخرها دعاء.

٣ ـ التوسل إلى الله تعالى بذكر وعده جل وعلا، كما في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ**﴾ (١). ومنه أن يقول الداعي: اللهم إنك وعدت من دعاك بالإجابة ، فاستجب دعائي.

٤ ـ التوسل إلى الله تعالى بأفعاله جل وعلا، كأن يقول: اللهم يا من نصرت محمداً ﷺ يوم بدر انصرنا على القوم الكافرين.

٥ ـ أن يتوسل العبد إلى الله تعالى بعباداته القلبية، أو الفعلية، أو القولية، أو غيرها، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا**﴾ (٢).

وكما في قصة الثلاثة أصحاب الغار، فأحدهم توسل إلى الله تعالى ببره بوالديه، والثاني توسل إلى الله تعالى بإعطاء الأجير أجره كاملاً بعد تنميته له، والثالث توسل إلى الله تعالى بتركه الفاحشة، وقال كل واحد منهم في آخر دعائه: «**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه**».

ومن ذلك أن يقول الداعي: اللهم إني أسألك بمحبتي لك ولنبيك محمد ﷺ ولجميع رسلك وأوليائك أن تنجني من النار، أو يقول: اللهم إني صمت رمضان

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٤ .

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٩ .

ابتغاء وجهك فارزقني السعادة في الدنيا والآخرة.

٦ـ أن يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله، وأنه محتاج إلى رحمة الله وعونه، كما في دعاء موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] فهو عليه السلام توسل إلى ربه جل وعلا باحتياجه للخير أن ينزل عليه خيراً.

ومن ذلك قول الداعي: اللهم إني ضعيف لا أتحمل عذاب القبر ولا عذاب جهنم فأنجني منهما، أو يقول: اللهم إني قد آلمني المرض فاشفني منه.

ويدخل في هذا الاعتراف بالذنب وإظهار الحاجة لرحمة الله ومغفرته، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2] .

٧ ـ التوسل بدعاء الصالحين رجاء أن يستجيب الله دعاءهم. وذلك بأن يطلب من مسلم حي حاضر أن يدعو له.

كما في قول أبناء يعقوب عليهم السلام له: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾[3] ، وكما في قصة الأعرابي الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو بنزول المطر، فدعا ﷺ ، وكما في قصة المرأة التي طلبت منه عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله لها بألا تتكشف، وكما طلب عمر ـ ومعه الصحابة ـ في عهد عمر من العباس أن يستسقي لهم، أي أن يدعو الله أن يغيثهم بنزول المطر.

فهذه التوسلات كلها صحيحة؛ لأنه قد ثبت في النصوص ما يدل على مشروعيتها، وأجمع أهل العلم على ذلك.

القسم الثاني: التوسل الممنوع:

لما كان التوسل جزءاً من الدعاء، والدعاء عبادة من العبادات، كما ثبت في الحديث: «**الدعاء هو العبادة**»، وقد وردت النصوص الصحيحة الصريحة بتحريم إحداث عبادة لم ترد في النصوص الشرعية، فإن كل توسل لم يرد في النصوص ما

---

(١) سورة القصص: ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف: ٢٣ .

(٣) سورة يوسف: ٩٧ .

يدل على مشروعيته فهو توسل بدعي محرم، ومن أمثلة هذه التوسلات المحرمة:

١ ـ أن يتوسل إلى الله تعالى بذات نبي أو عبد صالح، أو الكعبة، أو غيرها من الأشياءَ الفاضلة، كأن يقول: «اللهم إني أسألك بذات أبينا آدم عليه السلام أن ترحمني».

٢ ـ أن يتوسل بحق نبي أو عبد صالح أو الكعبة أو غيرها.

٣ ـ أن يتوسل بجاه نبي أو عبد صالح أو بركته أو حرمته أو بحق قبره ونحو ذلك.

فلا يجوز للمسلم أن يدعو الله تعالى بشيء من هذه التوسلات، ولذلك لم يثبت في رواية صحيحة صريحة أن أحداً من الصحابة أو التابعين توسل إلى الله تعالى بشيء منها، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وقد نقلت عنهم أدعية كثيرة جداً، وليس فيها شيء من هذه التوسلات، وهذا إجماع من أصحاب النبي ﷺ والتابعين على عدم مشروعية جميع هذه التوسلات[1].

وهذا لا يدل على نقص مكانة أو جاه أحد من الأنبياء أو الصالحين بوجه من الوجوه، ومن ظن ذلك فقد وهم، فمكانة الأنبياء والصالحين كبيرة، وجاههم عظيم،

---

(١) وقد حكى إجماع الصحابة والتابعين على ترك هذه التوسلات جمع من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١ / ٢٠٢، ٢٧ / ٨٣، ٨٥، ١٣٣).
وقال الشيخ محمد الشقيري المصري في والقول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي ص ٥٥: «التوسل بحق النبي أو الولي أو بجاهه أو بركته، أو بحق قبره أو قبته، وهذا مذموم منهي عنه بلا نزاع».
وقد ذكر الشيخ جيلان العروسي السوداني ما يقرب من خمسة عشر دليلاً لتحريم هذا التوسل البدعي في كتاب الدعاء ص ٦٣٦ ـ ٦٤٧.
وقد نص على تحريم هذه التوسلات أو بعضها جم غفير من فقهاء الحنفية والمالكية والحنابلة، وغيرهم، وفي مقدمتهم أبو حنيفة وصاحبه أبو يوسف.
ينظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب بداية المبتدي مع شرحه الهداية ومع شرحهما البناية في الفقه الحنفي: كتاب الكراهية ١١ / ٢٧٧ ـ ٢٨١، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان للسهسواني الهندي ص ١٨٧ ـ ٢٠٦، ٢٧٣، ٢٧٤، والشرك ومظاهره للميلي الجزائري ص ٢١٣.

ولكن جاههم منزلة لهم، خاصة بهم، وهم يشفعون في حياتهم في الدنيا وفي الآخرة لمن شاؤوا (١) وليس هناك ما يدل على أن لغيرهم أن يتوسل إلى الله بجاههم، وكذلك لا يجوز لأحد أن يقسم على الله في دعائه بأحد من خلقه ؛ لأن القسم بغير الله لا يجوز أصلاً، فكيف بمن يقسم به على الله تعالى؟! وأيضًا لا يجوز لأحد أن يسأل الله بحق فلان؛ لأن الحق لله على العباد ، وليس للعباد حق على الله تعالى إلا ما أوجبه تعالى على نفسه من نصرة المؤمنين ومن عدم تعذيبه للمخلصين، وإثابته لهم واستجابته لدعائهم (٢) ، وإنما يجوز أن يتوسل إلى الله تعالى بمحبته للأنبياء والأولياء والصالحين، ونحو ذلك من التوسلات الجائزة التي سبق ذكرها.

* * *

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوي ٢٧ / ١٣٣، ١٣٤ : «التوسل إلى الله بالنبيين هو التوسل بالإيمان بهم وبطاعتهم، كالصلاة والسلام عليهم ومحبتهم وموالاتهم، أو بدعائهم وشفاعتهم، وأما نفس ذواتهم فليس فيها ما يقتضي حصول مطلوب العبد وإن كان لهم عند الله الجاه العظيم والمنزلة العالية».

(٢) قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧ : «وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك، أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقًا. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه. وحقهم الواجب بوعده هو ألا يعذبهم ، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به، ولا أن يُسأل بسببه، ويتوسل به ، لأن السبب هو ما نصبه الله سببًا فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي، وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة ـ رضي الله عنهم ـ وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتبها الجهال والطرقية. والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع، ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك» . انتهى كلامه مختصرًا .

الذين لا يفرقون بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع[(١)]

س ـ يخلط بعض الناس بين التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وطاعته والتوسل بذاته وجاهه كما يقع الخلط بين التوسل بدعائه عليه الصلاة والسلام في حياته وسؤاله الدعاء بعد مماته . وقد ترتب على هذا الخلط التباس المشروع من ذلك بالممنوع منه. فهل من تفصيل يزيل اللبس في هذا الباب ويرد به على أصحاب الأهواء الذين يلبسون على المسلمين في هذه المسائل؟

الجواب: لا شك أن كثيراً من الناس لا يفرقون بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع بسبب الجهل وقلة من ينبههم ويرشدهم إلى الحق : ومعلوم أن بينهما فرقًا عظيمًا ؛ فالتوسل المشروع هو الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وخلق من أجله الثقلين وهو عبادته ـ سبحانه ـ ومحبته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام ومحبة جميع الرسل والمؤمنين والإيمان به وبكل ما أخبر الله به ورسوله من البعث والنشر والجنة والنار وسائر ما أخبر الله به ورسوله.

فهذا كله من الوسيلة الشرعية لدخول الجنة والنجاة من النار والسعادة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك دعاؤه ـ سبحانه ـ والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ومحبته والإيمان به وبجميع الأعمال الصالحة التي شرعها لعباده وجعلها وسيلة إلى مرضاته والفوز بجنته وكرامته والفوز أيضًا بتفريج الكروب وتيسير الأمور في الدنيا والآخرة كما قال الله ـ عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[(٢)] .

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[(٣)] .

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[(٤)] .

---

(١) انظر «تحفة الإخوان» (ص / ١٥ ـ ٢٠) مع تحقيقي لما نقلته من المصدر.

(٢) سورة الطلاق: ٢ ـ ٣ .

(٣) سورة الطلاق: ٤ .

(٤) سورة الطلاق: ٥ .

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[١] .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[٣] . هو العلم والهدى والفرقان ،والآيات في هذا المعنى كثيرة

ومن التوسل المشروع التوسل إلى الله سبحانه بمحبة نبيه ﷺ والإيمان به واتباع شريعته لأن هذه الأمور من أعظم الأعمال الصالحات ومن أفضل القربات.

أما التوسل بجاهه ﷺ أو بذاته أو بحقه أو بجاه غيره من الأنبياء والصالحين أو ذواتهم أو حقهم فمن البدع التي لا أصل لها بل من وسائل الشرك لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم أعلم الناس بالرسول ﷺ وبحقه لم يفعلوا ذلك ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، ولما أجدبوا في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يذهبوا إلى قبره ﷺ ولم يتوسلوا به ولم يدعوا عنده بل استسقى عمر ـ رضي الله عنه ـ بعمه ﷺ العباس بن عبد المطلب أي بدعائه فقال ـ رضي الله عنه ـ وهو على المنبر : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون[٤] .

ثم أمر رضي الله عنه ـ العباس أن يدعو فدعا وأمن المسلمون على دعائه فسقاهم الله ـ عز وجل .وقصة أهل الغار مشهورة وهي ثابتة في الصحيحين وخلاصتها أن ثلاثة ممن كان قبلنا آواهم المبيت والمطر إلى غار فدخلوا فيه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ولم يستطيعوا دفعها فقالوا فيما بينهم: لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فدعوه ـ سبحانه ـ واستغاثوا به وتوسل أحدهم ببر والديه، والثاني بعفته عن الزنا بعد القدرة ، والثالث بأداء الأمانة. فأزاح

(١) سورة الذاريات: ١٥ .

(٢) سورة القلم: ٣٤ .

(٣) سورة الأنفال: ٢٩ .

(٤) الحديث صحيح: وسبق تخريجه.

الله عنهم الصخرة وخرجوا[١] .

وهذه القصة من الدلائل العظيمة على أن الأعمال الصالحة من أعظم الأسباب في تفريج الكروب والخروج من المضائق والعافية من شدائد الدنيا والآخرة.

أما التوسل بجاه فلان أو بحق فلان أو ذاته فهذا من البدع المنكرة ومن وسائل الشرك. وأما دعاء الميت والاستغاثة به فذلك من الشرك الأكبر.

والصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم وأن يستغيث لهم إذا أجدبوا ويشفع في كل ما ينفعهم حين كان حيًّا بينهم ، فلما توفي ﷺ لم يسألوه شيئًا بعد وفاته ولم يأتوا إلى قبره يسألونه الشفاعة أو غيرها لأنهم يعلمون أن ذلك لا يجوز بعد وفاته ﷺ وإنما يجوز ذلك في حياته ﷺ قبل موته ويوم القيامة حين يتوجه إليه المؤمنون ليشفع لهم ليقضي الله بينهم ولدخولهم الجنة بعد ما يأتون آدم ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فيعتذرون عن الشفاعة كل واحد يقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري فإذا أتوا عيسى عليه الصلاة والسلام اعتذر إليهم وأرشدهم إلى أن يأتوا نبينا محمداً ﷺ فيأتونه فيقول: «**أنا لها أنا لها**» لأن الله - سبحانه - قد وعده ذلك فيذهب ويخر ساجداً بين يدي الله - عز وجل - ويحمده بمحامد كثيرة ولا يزال ساجداً حتى يقال له: «**ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط، واشفع تشفع**»، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وهو حديث الشفاعة المشهور[٢] ، وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله سبحانه في قوله - تعالى - في سورة الإسراء: ﴿ **عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾[٣] .

وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان وجعلنا الله من أهل شفاعته إنه سميع قريب.

---

(١) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٢١٥٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، وانظر «كنز العمال» (٤٠٤٦٣).

(٢) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) ، ورواه الترمذي (٣١٤٨) وقال: حسن صحيح.

(٣) سورة الإسراء: ٧٩ .

النذر نوع من أنواع العبادة [١]

النذر نوع من أنواع العبادة التي هي حق لله وحده ، لا يجوز صرف شيء منها لغيره ، فمن نذر لغيره فقد صرف نوعاً من العبادة التي هي حق الله تعالى لمن نذر له، ومن صرف نوعاً من أنواع العبادة نذرًا أو ذبحًا أو غير ذلك لغير الله يعتبر مشركًا مع الله غيره داخلاً تحت عموم قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [٢] .

وكل من اعتقد من المكلفين المسلمين جواز النذر والذبح للمقبورين ، فاعتقاده هنا شرك أكبر مخرج عن الملة يستتاب صاحبه ثلاثة أيام ويضيق عليه فإن تاب وإلا قتل .

ويجوز لابنه أن يأخذ من ماله في حياته ما طابت به نفسه له ، وهكذا يجوز له أن يأخذ ما يحتاجه من مال أبيه بالمعروف بغير علمه إذا كان فقيرًا عاجزًا عن الأسباب التي تعينه عن ذلك ؟ لحديث عائشة في قصة هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان لما اشتكت إلى النبي ﷺ إن أبا سفيان لا يعطيها ما يكفيها ويكفي بنيها ، فقال : «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » .

وبهذا يتبين أن الحق مع الفرقة الأولى التي قالت لا نذر إلا لله تعالى ، وهو لغير الله تعالى كفر وشرك .

---

(١) [اللجنة الدائمة : ٢٢٥١] .

(٢) سورة المائدة : ٧٢ .

السجود على القبور والذبح لها

السجـود على المقابر والذبح عليهـا عادة وثنية جاهليــة ، وشرك أكبر، فـإن كلا منهما عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده، فمن صـرفها لغير الله فهو مشرك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١]، وقال الله تعـالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [٢]، إلى غـير هذا من الآيات الدالة عـلى أن السجـود والذبح عبـادة، وأن صرفهما لغـير الله شرك أكبر، لا شك أن قصد الإنسان إلى المقابـر للسجود عليها أو الذبح عندها إنما هو لإعظامها وإجلالها بالسجود والقرابين التي تذبح أو تنحر عندها، وروى مسلم في حديث طويل في باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال فيـه: حدثني رسول الله ﷺ بأربـع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغـير الله، لعن الله من لعـن والديه، لعن الله من آوى محـدثا، لعن الله من غير منار الأرض**»، وروى أبو داود في «سننه» من طريق ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببدانة، فـسأل رسول الله ﷺ، فقال: «**هل كان فـيهـا وثن من أوثان الجاهليـة يعبـد؟**»، قالوا: لا، قـال: «فهل كان فـيها عـيد من أعيادهم؟»، قـالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك ، فـإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم».

فدل ما ذكـر على لعن من ذبح لغير الله، وفي تحريم الذبح في مكـان يعظم فيه غير الله من وثن أو قبر، أو مكان فيه اجتـماع لأهل الجاهلية اعتادوه وإن قصد بذلك وجه الله.

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٢، ١٦٣ .

(٢) سورة الكوثر : ١، ٢ .

بيان حكم الحلف بغير الله والتوسل والاستغاثة بالمخلوق [(١)]

أ ـ الحلف بغير الله:

الحلف: هو اليـمين وهي توكـيـد الحكم بذكـر مـعظم على وجـه الخـصـوص والتعظيم: حق لله تعالى فـلا يجوز الحلف بغيره، فقد أجـمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله بأسمائه وصفاته ،وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره والحلف بغير الله شرك لما روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٢)] وهو شرك أصغر .

إلا إذا كان المخلوق به معظمًـا عند الحالف إلى درجة عبادته له فهـذا شرك أكبر كما هي الحال اليوم عند عبَّاد القبور.

فإنهم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله وتعظيمه بحيث إذا طلب من أحـدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمـه لم يحلف به إلا إذا كان صادقًا. وإذا طلب منه أن يحلف بالله حلف به وإن كان كاذبًا.

فالحلف تعظيم للمـخلوق لا يليق إلا بالله، ويجب توقير اليمين بالـله فلا يكثر منها قال تعالى: ﴿**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ**﴾[(٣)] .

وقال تعالى: ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾[(٤)] .

أي لا تحلفوا إلا عند الحاجة وفي حالة الـصدق والبر لأن كثرة الحلف أو الكذب فيها يدلان على الاسـتخفاف بالله وعدم التعظيم له وهذا ينافي كمـال التوحيد، وفي

---

(١) انظر كتاب التوحيد [ص / ٦٩ ـ ٥٧] بتحقيقي في ما نقلته من المصدر.

(٢) الحديث صحـيح: رواه أحمد (٦٠٧٢)، والطيالسي (١٨٩٦)، والتـرمذي (١٥٣٥) وقال: حسـن ، والحاكم (١ / ٦٥) رقم (٤٥) وقـال: صحـيح على شرط الشـيخين، والبـيهـقي (١٩٦١٤)، والضياء (٢٠٥)، وأبو داود (٣٢٥١) ، وابن حبان (٤٣٥٨).

(٣) سورة القلم: ١٠ .

(٤) سورة المائدة: ٨٩ .

الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»[(١)] وجاء فيه «**ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**»[(٢)] فقد شدد الوعيد على كثرة الحلف مما يدل على تحريمه احترامًا لاسم الله تعالى وتعظيمًا له سبحانه ،وكذلك يحرم الحلف بالله كاذبًا وهي الغموس ، وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون.

فنخلص من ذلك إلى :

١ ـ تحريم الحلف بغير الله تعالى كالحلف بالأمانة أو الكعبة أو النبي ﷺ وأن ذلك شرك.

٢ ـ تحريم الحلف بالله كاذبًا متعمدًا وهو الغموس.

٣ ـ تحريم كثرة الحلف بالله ولو كان صادقًا إذا لم تدع إليه حاجة ؛لأن هذا استخفافًا بالله سبحانه.

٤ ـ جواز الحلف بالله إذا كان صادقًا وعند الحاجة.

ب ـ التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى:

التوسل: هو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه . والوسيلة القربة ،قال الله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[(٣)] أي القربة إليه سبحانه بطاعته واتباع مرضاته.

والتوسل قسمان:

القسم الأول: التوسل المشروع وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمر تعالى بذلك في

---

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم (١٠٧)، وأحمد في مسنده (١٠٢٣٢)، والنسائي (٢٥٧٥)، وإسحاق بن راهويه (٢٠١)، وأبو يعلى (٦١٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥٤٠٥).

(٢) الحديث: رواه الطبراني (٦١١١)، وقال المنذري (٢ / ٣٦٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي الصغير إلا أنه قال فيهما: «**ثلاثة لا يكلمهم الله** » ورواته محتج بهم في الصحيح، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٥٢).

(٣) سورة المائدة: ٣٥ .

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل كما قال الله تعالى عن أهل الإيمان: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾(٢) .

وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم فخرجوا يمشون.

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسل يونس عليه السلام ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٣) .

النوع الرابع : التوسل إلى الله تعالى بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله كما قال أيوب عليه السلام : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٤) .

النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ،ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم.

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ (٥) .

القسم الثاني: التوسل غير المشروع:

وهو التوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات والتوسل بجاه النبي ﷺ

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠ .

(٢) سورة آل عمران: ١٩٣ .

(٣) سورة الأنبياء: ٨٧ .

(٤) سورة الأنبياء: ٨٣ .

(٥) سورة القصص: ١٦ .

والتوسل بذوات المخلوقين أو حقهم . وتفصيل ذلك كما يلي:

١ ـ طلب الدعاء من الأموات لا يجوز:

لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة ،وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز لأن عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حيّاً كالعباس وكيزيد وقد قال عمر[١] : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون. فجعلوا هذا بدلاً من ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به ، يعني لو كان جائزاً ،فتركهم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات لا بدعائهم ولا بشفاعتهم . فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حيًا وميتًا سواء لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

٢ ـ التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره لا يجوز:

والحديث الذي فيه: «**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**» حديث مكذوب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث . وما دام لم يصح فيه دليل فهو لا يجوز لأن العبادات لا تثبت إلا بدليل صحيح صريح.

٣ ـ التوسل بذات المخلوقات لا يجوز:

لأنه إن كانت الباء للقسم فهو إقسام به على الله تعالى وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز وهو شرك كما في الحديث فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جل وعلا ؟! وإن كانت الباء للسببية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سببًا للإجابة ولم يشرعه لعباده.

٤ ـ التوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد وإنما هو الذي يتفضل سبحانه

---

(١) انظره في البخاري (٩٦٤) ، وابن حبان (٢٨٦١)، وانظر كنز العمال (٣٧٢٩٧).

على المخلوق بذلك كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعام وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به . فإذا توسل به غيره مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به وهذا لا يجديه شيئًا.

وأما الحديث الذي فيه: «**أسألك بحق السائلين**» فهو حديث لم يثبت لأن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف مجمع على ضعفه كما قال بعض المحدثين وما كان كذلك فإنه لا يحتج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة . ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين وإنما فيه التوسل بحق السائلين عمومًا وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك وهو حق أوجبه على نفسه لهم لم يوجبه عليه أحد فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق:

الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر.

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

فالاستعانة والاستغاثة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ،وهذا جائز ،قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾(٢) . وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾(٣) .

النوع الثاني: الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كالاستعانة بالأموات والاستغاثة بالأحياء والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء

(١) سورة الروم: ٤٧ .

(٢) سورة المائدة: ٢ .

(٣) سورة القصص: ١٥ .

المرضي وتفريج الكربات ودفع الضر فهذا النوع غير جائز وهو شرك أكبر.

وقد كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ : «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**» كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه وإن كان مما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وسدًا لذرائع الشرك وأدبًا وتواضعًا لربه وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال . فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي ﷺ في حياته فكيف يستغاث به بعد مماته ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله ؟! وإذا كان هذا لا يجوز في حقه ﷺ فغيره من باب أولى ؟!

* * *

الحلف بلفظ : وحق الله

لا يجوز الحلف إلا بالله أو صفة من صفاته ، وحق الله هو عبادته وحده لا شريك له ، وذلك من أفعال العبادة، فلا يجوز الحلف به [(١)] .

* * *

قول الإنسان : حلفت بالله ورسوله

لا يجوز ؛ لقول الرسول ﷺ :« **من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت** » وقوله :« **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » [(٢)] .

* * *

حكم الحلف بالكعبة

لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بغيرها من المخلوقات ، لقول النبي ﷺ :« **من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت** » . متفق على صحته .

وقوله ﷺ :« **من حلف بشيء دون الله فقد أشرك** » . رواه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه بإسناد صحيح).

وقوله ﷺ :« **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » ،أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما والأحاديث في ذلك كثيرة ، وفيها يعلم تحريم الحلف بالكعبة والأمانة والأنبياء وغيرهم من سائر الخلق. واليمين الشرعية هي اليمين بالله وحده، وصفتها أن يقول : والله ، أو بالله ، أو تالله لأفعلن كذا أو لا أفعل كذا ، وهكذا لو حلف بغير اسم الجلالة من أسماء وصفات كالرحمن والرحيم ، ومالك الملك ، وحياة الله، وعلم الله ،ونحو ذلك . وكان النبي ﷺ يحلف كثيراً بقوله : «**والذي نفسي بيده** » والله ولي التوفيق [(٣)] .

---

(١) انظر «اللجنة الدائمة» (٢٠٩٧٧) .

(٢) انظر «اللجنة الدائمة» (٥٦٦١) .

(٣) انظر «مجموع الفتاوى والمقالات» لابن باز (٢٣/ ١٠٥) .

الحلف بالأمانة

لا يجوز الحلف بالأمانة ؛ لقول النبي ﷺ : « **من حلف بالأمانة فليس منا** »(١) .

* * *

القراءة في الإنجيل والحلف به

لا تجوز قراءة المسلم في الإنجيل ، لأنه محرف ، وغير المحرف منه قد أغنى عنه القرآن الكريم ، إلا من احتاج لقراءته من أجل الرد على أهل الكتاب ، وذلك خاص بالعلماء ، ولا يجوز الحلف بالإنجيل أيضاً على وضعه الحاضر ؛ لأن بعضه محرف ومبدل، وليس المحرف والمبدل من كلام الله عز وجل (٢) .

* * *

الحلف بغير ملة الإسلام

لا يجوز للمسلم أن يحلف بملة غير الإسلام ، لما ثبت عن النبي ﷺ من النهي عن ذلك ، ففي« الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال: « **من حلف بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال ، وإن كان صادقا لم يعد إلى الإسلام سالمًا** » ، وإذا فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله فعليه كفارة يمين ، مع التوبة إلى الله، وعدم العودة إلى مثل هذه اليمين ، ولا يكفر بذلك وتكفيه التوبة والعمل الصالح، لقول الله سبحانه: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾(٣) . ولا تحبط أعماله ؛ لأنه لم يرد الكفر ، وإنما أراد التأكيد على نفسه بعمل شيء أو تركه (٤).

* * *

الحلف بالضريح والشيخ

يحرم الحلف بالضريح أو الشيخ ، ولا يجوز للقاضي أن يطلب الحلف بهما، لما

---

(١) انظر «اللجنة الدائمة» (٨٨١٨) .

(٢) انظر «اللجنة الدائمة» (١٥٦٦٢) .

(٣) سورة طه: ٨٢ .

(٤) انظر «اللجنة الدائمة» (١٩٦٢١) .

ثبت من قول النبي ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » واليمين المشروعة إنما تكون بلفظ الجلالة أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته [١] .

❊ ❊ ❊

السحر وحكم فاعله

السحر نوعان : نوع كفر ، ونوع عدوان وظلم . أما الكفر فهو الذي يكون متلقي من الشيطان ، فالذي يتلقى من الشياطين هذا كفر، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ [٢] .

وهذا النوع من السحر كفر مخرج عن الملة يقتل متعاطيه ، واختلف العلماء رحمهم الله لو تاب هذا الساحر هل تقبل توبته ؟ فقال بعض أهل العلم: إنها تقبل توبته ؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [٣] . فإذا تاب هذا الساحر وأقلع عن تعاطي السحر فما الذي يمنع من قبول توبته ، والله عز وجل يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ لكن إذا كان قد تسبب في سحره في قتل أحد من الناس أو عدوان عليه فيما دون القتل فإنه يضمن لحق الآدمي ، فإن كان بقتل قتل قصاصاً ، وإن كان بتمريض نظر في أمره ، وإن كان بإفساد مال ضمن هذا المال .

النوع الثاني من السحر: سحر لا يكون بأمر الشياطين ، لكنه بأدوية وعقاقير وأشياء حسية ، فهذا النوع لا يكفر ، ولكن يجب أن يقتل فاعله درءًا لفساده وإفساده[٤].

---

(١) انظر «اللجنة الدائمة» (٨٩٩٩) .

(٢) سورة البقرة: ١٠٢ .

(٣) سورة الزمر: ٥٣ .

(٤) انظر : نور على الدرب لابن عثيمين (٥/ ١٥) .

كيفية إبطال السحر

علاج السحر يكون بشيئين : أحدهما : الرقى الشرعية . والثاني : الأدوية المباحة التي جربت في علاجه، ومن أنجع العلاج وأنفع العلاج الرقى الشرعية، فقد ثب أن الرقية يرفع الله بها السحر ، ويبطل بها السحر .

وهناك نوع ثالث : وهو العثور على ما فعله الساحر من عقد أو غيرها ، وإتلافها ، كذلك من أسباب زوال السحر وإبطاله .

فمن الرقى التي تستعمل أن يرقى المسحور بفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [(١)] ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾[(٢)] . ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [(٣)] .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾ [(٤)] . مع آيات السحر التي جاءت في سورة الأعراف ، وسورة يونس ، وسورة طه ، وهي قوله سبحانه في سورة الأعراف : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۝﴾ [(٥)] وفي سورة يونس يقول سبحانه : ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۝ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) سورة الكافرون .

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) سورة الفلق .

(٤) سورة الناس .

(٥) سورة الأعراف : ١٧٧ ـ ١١٩ .

الْمُجْرِمُونَ (٨٢)﴾ [(١)] ، وفي سورة طه يقول سبحانه : ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾ [(٢)] ، هذه الآيات الكريمات العظيمات ينفث بها في الماء ،ثم بعد ذلك يصب هذا الماء الذي قرأت فيه على ماء أكثر ، ثم يغتسل به المسحور ، ويشرب منه بعض الشيء ، كثلاث حسوات يشربها منه ، ويزول السحر بإذن الله ويبطل ، ويعافى من أصيب بذلك ، وهذا مجرب مع المسحورين ، جربناه نحن وغيرنا ونفع الله به من أصابه شيء من ذلك وقد يوضع في الماء سبع ورقات خضر من السدر تدق وتلقى في الماء الذي يقرأ فيه ولا بأس بذلك ، وقد ينفع الله بذلك أيضاً ، والسدر معروف وهو شجر النبق .

وهناك أدوية لمن يتعاطى هذا الشيء ، ويعالج بهذا الشيء ، أدوية مباحة قد يستفاد منها في علاج السحر وإزالته كما أشار إلى هذا العلامة ابن القيم رحمه الله في بيان النشرة المشروعة ، وقد ذكر ذلك أيضاً الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابه «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد»، في باب ما جاء في النشرة .

أما ما يتعلق بإتيان الكهان أو السحرة والمشعوذين فهذا لا يجوز [(٣)].

* * *

الاعتقاد في أبراج الحظ

تعليق النحس والسعد في الأفلاك والأبراج من شرك الأوائل من المجوس ، والصابئة من الفلاسفة ، ونحوهم من طوائف الكفر والشرك ، وادعاء علم ذلك هو في الظاهر ادعاء لعلم الغيب ، وهذا منازعة لله في حكمه ،وهذا شرك عظيم ، ثم هو في حقيقته دجل وكذب وتلاعب بعقول الناس ، وأكل لأموالهم بالباطل ،

---

(١) سورة يونس: ٨٠ ـ ٨٢ .

(٢) سورة طه: ٦٥ ـ ٦٩ .

(٣) انظر : نور على الدرب لابن باز (١/ ١٩٣، ١٩٤) .

وإدخال للفساد في عقائدهم والتلبيس عليهم .

وعليه فإن (أبراج الحظ) يحـرم نشرها والنظر فيهـا وترويجها بين الناس ، ولا يجوز تصديقهم بل هو من شعب الكفـر والقدح في التوحيد ، والواجب ترك ذلك، والتواصـي بتركه ، والاعـتمـاد على الله سبـحانه وتعـالى ، والتوكل عليـه في كل الأمور(١).

* * *

حكم تعلم السحر

يحرم تعلم السحر سـواء للعمل به أو ليتقيه ،وقد نص الله سـبحانه وتعالى في كتابه الكـريم على أن تعلمه كفر ، فـقال تعالى : ﴿ **يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ (٢)، وقد نص النبي ﷺ على أن السـحر أحد الكبائر وأمر باجـتنابه فقال: «**اجتنبوا السبع الموبقات** » ، فذكر منها السحر.

وفي« السنن » عند النسائي :« **من عقد عـقدة ونفث فيهـا فقد سحـر ومن سحر فقد أشرك** ».

وأما ما ذكر من قول (تعلموا السـحر ولا تعملوا به) فليس بحديث لا صحيح ولا ضعيف فيما تعلم .

الرياء

الرياء من الشرك الأصغـر ؛ لأن الإنسان أشرك في عبادته أحدًا غـير الله ، وقد يصل إلى الشرك الأكـبر ، وقد مثـل ابن القيم رحمه الله لـلشرك الأصغر بـ « يسـير الرياء » وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر .

قال الله تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو**

---

(١)انظر «اللجنة الدائمة» (١٦٦٩٤) .

(٢)سورة البقرة: ١٠٢ .

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١).

والعمل الصالح ما كان صواباً خالصًا ، والخالص ما قصد به وجه الله ، والصواب: ما كان شريعة الله . فما قصد به غير الله فليس بصالح ، وما خرج عن شريعة الله فليس بصالح ويكون « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » ،وقال ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .الحديث .

قال بعض العلماء: هذا الحديثان ميزان الأعمال ، فحديث النية ميزان الأعمال الباطنة ، والحديث الآخر ميزان الأعمال الظاهرة (٢).

المفاضلة بين الملائكة والبشر

هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من البشر محل خلاف، وبين أهل العلم وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص ، ولكن القول الراجح أن يقال: إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية فإن الله سبحانه وتعالى يعدلهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما تعلم ، بل إن الملائكة في مقرهم ـ أي في مقر الصالحين وهو الجنة ـ ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٣).

أما باعتبار البداية : فإن الملائكة أفضل ؛ لأنهم خلقوا من نور وجبلوا على طاعة الله عز وجل والقوة عليها ، كما قال الله تعالى في ملائكة النار : ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ (٤).

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾ (٥)، هذا هو القول الفصل في هذه المسألة .

وبعد فإن الخوض فيها وطلب المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به ، والله المستعان (٦).

(١)سورة الكهف: ١١٠ .

(٢)انظر مجموع الفتاوى والرسائل لابن عثيمين (٢٧٤) .

(٣)سورة الرعد: ٢٣، ٢٤ . (٤)سورة التحريم : ٦.

(٥)سورة الأنبياء: ١٩ ، ٢٠ .

(٦)انظر مجموع الفتاوى والرسائل لابن عثيمين (١٠٧) .

التبرك المشروع

في معنى التبرك وحقيقته[١] :

قال ابن منظور في اللسان: وقال الليث في تفسير (تبارك الله): تمجيد وتعظيم. وتبارك بالشيء تفاءل به.

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾[٢] . قال: المبارك ما يأتي من قبله الخير الكثير وقال أيضًا ويقول: تبركت به أي تيمنت به[٣] .

قال الراغب: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء قال تعالى: ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾[٤] وسمي بذلك لثبوت الخير فيه، ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير.

ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يُحصى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسومة هو مبارك وفيه بركة[٥] .

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شرحه لقوله ﷺ في التشهد: «**اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد**» وذكر البركة وحقيقتها الثبوت واللزوم والاستقرار فمنه برك البعير إذا استقر على الأرض ومنه المبرك الموضع المبروك.

وقال صاحب الصحاح: وكل شيء ثبت وأقام فقد برك والبرك الإبل الكثيرة. والبركة بكسر الباء كالحوض، والجمع البرك ذكره الجوهري، قال: ويقال: سميت بذلك لإقامة الماء فيها . والبراكا : الثبات في الحرب والجد فيها قال الشاعر:

ولا ينجي من العمرات إلا ... براكا لقتال أو الفرار

---

(١) انظر «التبرك المشروع والتبرك الممنوع» د/ علي بن نفيع العلياني [ص / ١١ ـ ١٣].

(٢) سورة الأنعام: ٩٢ .

(٣) انظر اللسان (١٠ / ٣٩٦).

(٤) سورة الأعراف: ٩٦ .

(٥) انظر الشرك ومظاهره للميلي (ص / ٩٩).

والبركة: النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بـذلك، ويقال: باركه الله، وبارك فيه وفي القرآن الكريم: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(١) .

وفيه: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾(٢) .

وفيه: ﴿ بَارَكْنَا فِيهَا ﴾(٣) .

وفي الحديث: **«وبارك لي فيم أعطيت»** وفي حديث سعد: **«بارك الله في أهلك ومالك»**. والمبارك الذي قد بـاركه الله سبحانه كـما قال الله تعالى على لـسان المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾(٥) .

وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾(٦).

وهو أحق أن يسمى مباركًـا من كل شيء لكثره خيره ومنافعه ووجوه البـركة فيه والرب تعالى يقال في حقه (تبارك) ولا يقال: مبارك.

ثم قـالت طائفة منهم الجـوهري: إن (تبارك) بمعـنى بارك: مثل قاتـل وتقاتل، قال: إلا أن (فاعل) يتـعدى وتفاعل لا يتعدى وهذا غلط عند المحـققين. وإنما تبارك تفاعل من البركة. وهذا الثناء من حقه تعالى، إنما هو لوصف رجع إليه كتعالى. فإنه من العلو، ولهذا يقـرن بين هذين اللفظين فيـقال: تبارك وتعـالى. وفي دعاء القنوت **«تباركت وتعاليت»** وهو سبحـانه أحق بذلك وأولى من كل أحد فإن الخيـر كله بيده وكل الخيـر منه وصفاته كلـها صفات كـمال وأفعـاله كلها حكمـة ورحمة ومـصلحة وخيرات(٧) .

---

(١) سورة النمل: ٨ .

(٢) سورة الصافات: ١١٣ .

(٣) سورة الأنبياء: ٧١ .

(٤) سورة مريم: ٣١ .

(٥) سورة الأنبياء: ٥٠ .

(٦) سورة ص: ٢٩ .

(٧) انظر «جلاء الأفهام» (ص / ١٧٨).

خلاصته [١] :

١ ـ إن طلب التبرك من الأصنام وسدنتها في الجاهلية الأولى كان من الأسباب العظيمة الداعية إلى عبادتها وتقديم النذور والقرابين لها.

٢ ـ إن الروافض والمتصوفة قد وقع كثير منهم في البدع والشرك بسبب غلوهم في التبرك بآثار الصالحين وأمكنتهم وقبورهم والأزمنة المرتبطة بأحوالهم .

٣ ـ إن التبرك المشروع هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الكرام.

٤ ـ إن بعض الأعيان والذوات والأمكنة والأزمنة قد جعل الله فيها بركة وإن الاستفادة من تلك البركة تكون بالإتيان بما شرعه الرسول ﷺ لتحصيل تلك البركة.

٥ ـ إن قياس الصالحين على الأنبياء في التبرك قياس مع الفارق لم يفعله السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ ولا التابعون.

٦ ـ إن فضل الزمان والمكان لا يدعو إلى التبرك به بخلاف ما شرع.

* * *

---

(١) انظر «التبرك المشروع والتبرك الممنوع» د/ على بن نفيع العلياني (ص / ٩٧).

حكم التبرك

وقال في تسهيل العقيدة الإسلامية (١) :

والتبرك ينقسم من جهة حكمه إلى قسمين:

أ ـ تبرك مشروع: وهو أن يفعل المسلم العبادات المشروعة طلبًا للثواب المترتب عليها، ومن ذلك أن يتبرك بقراءة القرآن والعمل بأحكامه، فالتبرك به هو ما يرجو المسلم من الأجور على قراءته له وعمله بأحكامه، ومنه التبرك بالمسجد الحرام بالصلاة فيه ليحصل على فضيلة مضاعفة الصلاة فيه، فهذا من بركة المسجد الحرام.

ب ـ تبرك ممنوع:

وهو ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

١ ـ تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرك أن المتبرَّك به ـ وهو المخلوق ـ يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالاً ؛ لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها، فقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**البركة من الله**»، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر.

٢ ـ تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه.

وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فهو من الشرك الأصغر؛ ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر كما سيأتي بيانه.

---

(١) انظر «تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية» [ص / ١٢١ ـ ١٣٤] قلت: نقلت التبرك هذا من المرجع المشار إليه، رغم أن لي مبحثًا كبيرًا فيه، وألقيته حلقة في قناة الخليجية على مدار ساعة وثلث الساعة، إلا أنني رأيت الدكتور العطار قد هذبه وبسطه وطبعه بطريقة رائعة وميسورة، فأثرت نقله منه حتى بتعليقاته التي وضعها في هوامش الموضوع.

وهذا القسم من التبرك وهو التبرك البدعي ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التبرك الممنوع بالأولياء والصالحين:

وردت أدلة كثيرة تدل على مشروعية التبرك بجسد وآثار النبي ﷺ، كشعره وعرقه وثيابه وغير ذلك.

أما غير النبي ﷺ من الأولياء والصالحين فلم يرد دليل صحيح صريح يدل على مشروعية التبرك بأجسادهم ولا بآثارهم(١)، ولذلك لم يرد عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحد من الصالحين، فلم يتبركوا بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولا بغيره من العشرة المبشرين بالجنة، ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، لحرصهم الشديد على فعل جميع أنواع البر والخير، فإجماعهم على ترك التبرك بجسد وآثار غيره ﷺ من الصالحين دليل صريح على عدم مشروعيته.

وعليه فإن من تبرك بذات أو آثار أحد من الصالحين غير النبي ﷺ فقد عصى الله تعالى، وعصى نبيه محمداً ﷺ، وأعطى هذه الخاصية التي خص بها ربنا جل وعلا نبيه ﷺ لغيره من البشر، وسواهم بالنبي ﷺ في ذلك، فسوى عموم الأولياء والصالحين بخير البشر وسيد ولد آدم ﷺ، وهذا فيه هضم لحقه ﷺ، ودليل على نقص محبته عليه الصلاة والسلام في قلب هذا المتبرك (٢).

ومن أنواع التبرك المحرم بالصالحين:

أ ـ التمسح بهم (٣)ولبس ثيابهم أو الشرب بعد شربهم طلبًا للبركة.

---

(١)بركة المسلم هي في طاعته لله تعالى، وما يجري الله على يديه من النفع للمسلمين. وما يغيث الله تعالى به العباد من المطر والخير والنصر، وما يدفع عنهم من الشر ببركة طاعته وصلاحه ودعائه، فهذا حق وثابت، وليس من التبرك الممنوع. ينظر: مجموع الفتاوى ١١ / ١١٣ ـ ١١٥، ٢٧ / ٩٦.

(٢)قال علامة الهند حسن صديق خان في الدين الخالص ٢ / ٢٥٠: «ولا يجوز أن يقاس أحد من الأمة على رسول الله ﷺ ومن ذلك الذي يبلغ شأوه ؟ قد كان له ﷺ في حال حياته خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره».

(٣)وقد ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة «الحكم الجديرة بالإذاعة» ص ٥٦ : أن رجلاً=

ب - تقبيل قبورهم[١] ، والتمسح بها، وأخذ ترابها طلبًا للبركة، وقد حكى جمع من أهل العلم إجماع العلماء على أن هذا كله منهي عنه[٢] ، وذكر أبو حامد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، وغيره من علماء الشافعية والحنفية أن هذه الأفعال من عادات النصارى[٣] ، وذكر بعض علماء الشافعية وبعض علماء الحنفية أن

= جاء إلى الإمام أحمد ، فمسح يديه على ثيابه، ومسح بهما وجهه، فغضب الإمام أحمد، وأنكر ذلك أشد الإنكار، وقال: عمن أخذتم هذا الأمر؟!

(١) قال الإمام عز الدين بن جماعة الكناني الشافعي في هداية السالك ص ١٣٩٠ ، ١٣٩١ : «عد بعض العلماء من البدع الانحناء للقبر المقدس عند التسليم ، قال: يظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، لم يفعله السلف الصالح، والخير كله في اتباعهم - رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم - ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف، واستشهد لذلك بالشعر. نسأل الله أن يوفقنا في القول والعمل ، وأن يعصمنا من الهوى والزلل بمنه وكرمه». وينظر : رسالة التوحيد للدهلوي الهندي ص ٢٤ ، ٢٣ .

(٢) وقال الإمام النووي الشافعي في منسكه ص ٤٥٣ : «الثامن - أي من مسائل الزيارة - لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله الحليمي وغيره. ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ، وينبغي ألا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم. . . ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء، وكيف يبتغى الفضل في مخالفة الصواب».

(٣) قال الإمام النووي في المجموع ٥ / ٣١١: «قال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني، وكان من الفقهاء المحققين في كتابه الجنائز: ولا يستلم القبر بيده ولا يقبله، قال: وعلى هذا مضت السنة، قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعًا، ينبغي تجنب فعله وينهى فاعله. قال أبو موسى: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون : المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه، فإن ذلك عادة النصارى، قال: وما ذكروه صحيح لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور ؛ ولأنه إذا لم يستحب استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركنين الآخرين، فلأن لا يستحب مس القبور أولى والله أعلم » . =

استلام القبور تبركًا كبيرة من كبائر الذنوب[١] .

ج ـ عبادة الله عند قبورهم تبركًا بها ، معتقدًا فضل التعبد لله تعالى عندها، وأن ذلك سبب لقبول هذه العبادة ، وسبب لاستجابة الدعاء .

النوع الثاني: التبرك بالأزمان والأماكن والأشياء التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها:

ومن أمثلة هذه الأشياء :

١ ـ الأماكن التي مر بها النبي ﷺ ، أو تعبد لله فيها اتفاقًا من غير قصد لها لذاتها، وإنما لأنه ﷺ كان موجودًا في هذه الأماكن وقت تعبده لله تعالى بهذه العبادة، ولم يرد دليل شرعي يدل على فضلها.

ومن هذه الأماكن: جبل ثور، وغار حراء، وجبل عرفات[٢] ، والأماكن التي مر بها النبي ﷺ في أسفاره، والمساجد السبعة التي قرب الخندق، والمكان الذي يزعم بعضهم أن النبي ﷺ ولد فيه ـ مع أنه مختلف في مكان ولادته عليه الصلاة والسلام

= وقال أبو محمد العيني الحنفي في البناية في الجنائز عند كلامه على وضع اليد على القبر ٣ / ٣٠٥ : « قال شرف الأئمة : بدعة ، قال: جاء الله بمشايخ مكة ينكرون ذلك ويقولون: إنه عادة أهل الكتاب، وفي الأخبار، هو عادة النصارى. وقال الزعفراني : لا يلثم القبر ولا يقبله، قال: وعلى هذا مضت السنة، وما يفعله القوم الآن من البدع المنكرة شرعًا، وفي جوامع الفقه: يزار القبر من بعد ولا يقعد الزائر، وعند الدعاء للميت يستقبل القبلة وكذا عند قبر النبي ﷺ ».

(١) ذكر ذلك ابن حجر الهيتمي الشافعي في الزواجر عن اقتراف الكبائر: الكبيرة ٩٣ ـ ٩٨، ج ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩، ونقل ذلك أيضًا عن بعض الشافعية، ونقل كلام الهيتمي الألوسي الحنفي في تفسيره روح المعاني ، (تفسير الآية ٢١ من سورة الكهف) مقرًا له وسيأتي نقل كلام الهيتمي في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى عند بيان أن بناء المساجد وغيرها على القبور والتعبد لله عندها من كبائر الذنوب.

(٢) ويسمى جبل « إلال » على وزن «هلال » ، ويسميه العامة «جبل الرحمة » ينظر: الاقتضاء ص ٨١٠، ورسالة: «جبل إلال بعرفات » الشيخ بكر أبو زيد .

اختلافًا كثـيرًا ـ ومثل الأماكن التي قيل إنه ولد فيها نبي أو ولي أو عاشـوا فيها ونحو ذلك ـ مع أن كثيرًا من ذلك لم يثبت .

فلا يجوز للمسلم قـصد زيارة هذه الأماكن للتعبد لله تعـالى عندها، أو فوقها، بصلاة أو دعاء أو غيرهما، كمـا لا يجوز للمسلم مسح شيء من هذه الأماكن لطلب البـركة ، ولا يشـرع صعـود هذه الجـبال لا في أيام الحج ولا غـيـرها، حتى جـبل عرفات، لا يشرع صعوده في يوم عرفة، ولا غيره، ولا التمسح بالعمود الذي فوقه ، وإنما يشرع الـوقوف عند الصخـرات القريبـة منه إن تيسـر ، وإلا وقف الحاج في أي مكان من عرفات .

ولذلك لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قصد شيئًا من هذه الأماكن للتبرك بها بتقبيل أو لمس أو غيرهما ولا أن أحدًا منهم قصدها للتعبد لله فيها [(١)] .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى**» رواه البخاري ومسلم ، وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هو ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم أنه لما رأى الناس وهو راجع من الحج ينزلون فـيصلون في مسجـد، فسأل عنهم، فـقالوا: مسجد صلى فـيه النبي ﷺ فقال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتـخذوا آثار أنبيائهم بيعًا [(٢)] ، من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل، وإلا فليمض.

فهـذا قول الخليـفة الراشد عـمر بن الخطاب الذي قـال عنه النبي ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لـسان عمـر وقلبه**» . وقال عنه النبي ﷺ وعن أبي بكر ـ رضي الله

---

(١) قال ابن وضاح المـالكي الأندلسي المتوفى سنة (٢٨٧ هـ) في رسالة «ما جـاء في البدع» باب ما جاء في ابتداع الآثار ص ٩١ : «كان مالـك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ بالمدينة ما عدا قبـاء وأحدًا» وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٦ / ١٤٤ : «أما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام، كالمسجد الذي تحت الصفا، وما في سفح أبي قبيس، ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار النبي ﷺ وأصحابه، كمسجد المولد وغـيره، فليس شيء من ذلك من السنة ولا استحبه أحد من الأئمة».

(٢) البيع: جمع بيعة بكسر الباء، وهي المكان الذي يتعبد فيه اليهود والنصارى.

عنهما: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، وهو - أي قول عمر السابق - يدل على التحذير من التبرك بالأماكن التي مر بها أو تعبد فيها نبينا ﷺ دون قصد لها، وعلى عدم مشروعية قصد هذه الأماكن للتعبد لله فيها، وعلى هذا أجمع سلف هذه الأمة وكل من سار على طريقتهم لما سبق؛ ولأن ذلك من المحدثات التي لا دليل عليها.

٢ - التبرك ببعض الأشجار وبعض الأحجار وبعض الأعمدة وبعض الآبار والعيون التي يظن بعض العامة أن لها فضلاً، إما لظنهم أن أحد الأنبياء والأولياء وقف على ذلك الحجر، أو لاعتقادهم أن نبيًّا نام تحت تلك الشجرة، أو يرى أحدهم رؤيا أن هذه الشجرة أو هذا الحجر مبارك، أو يعتقدون أن نبيًّا اغتسل في تلك البئر أو العين، أو أن شخصًا اغتسل فيها فشفي، ونحو ذلك، فيغلون فيها ويتبركون بها فيتمسحون بالأشجار والأحجار، ويغتسلون بماء هذه البئر أو تلك العين طلبًا للبركة، ويعلقون بالشجرة الخرق والمسامير والثياب، فربما أدى بهم غلوهم هذا في آخر الأمر إلى عبادة هذه الأشياء واعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها.

ولا شك أن التبرك بالأشجار والأحجار والعيون ونحوها، بأي نوع من أنواع التبرك، من مسح أو تقبيل، أو اغتسال أو غيرها، عبادات ليس لها أصل في الشرع [١]، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر [٢]، ولما روى أبو واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر،

---

(١) هذا فيما يتعبد به لله تعالى، أما فيما يتعلق بالاستشفاء بها مع أنه لم يثبت بالتجربة أو غيرها أن فيها شفاء ونحو ذلك، فهو محرم أيضًا من جهة اتخاذ ما ليس بسبب سببًا، فهو من الشرك الأصغر.

(٢) قال الحافظ ابن حجر الشافعي في الفتح في الجهاد، باب البيعة ٦ / ١١٨ في شرح قول ابن عمر: «كانت رحمة من الله» يريد خفاء موضع شجرة بيعة الحديبية على الصحابة: «سيأتي في المغازي موافقة المسيب بن حزن - والد سعيد - لابن عمر على خفاء الشجرة، وبيان الحكمة في ذلك: هو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها، حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر، كما نراه الآن مشاهدًا فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: كانت رحمة...».

وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال ﷺ : «**الله أكبر ، هذا كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾**[1] ثم قال: « **إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم**» .

فلما طلب حدثاء العهد بالإسلام من الصحابة شجرة يتبركون بها تقليداً للمشركين أنكر عليهم النبي ﷺ ذلك، وأخبرهم أن طلبهم هذا يشبه طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة تقليداً لمشركي زمانهم، فطلبهم مشابه لطلب بني إسرائيل من جهة طلب التشبه بالمشركين فما هو شرك ، وإن كان ما طلبه هؤلاء الصحابة من الشرك الأصغر.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه ليس هناك حجر أو غيره يشرع مسحه أو تقبيله تبركًا، حتى مقام إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لا يشرع تقبيله مطلقًا مع أنه قد وقف عليه وأثرت فيه قدماه ـ عليه السلام ـ وهذا كله قد أجمع عليه أهل العلم[2] .

ومسح الحجر الأسود وتقبيله وكذلك مسح الركن اليماني في أثناء الطواف إنما هو من باب التعبد لله تعالى،واتباع سنة النبيﷺ ،ولذلك قال عمر رضي الله عنه لما قبل الحجر الأسود: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ،ولولا أني رأيت رسول اللهﷺ يقبلك ما قبلتك رواه البخاري ومسلم.

كما أنه يجب قطع الأشجار وهدم الآبار والعيون وإزالة الأحجار التي يتبرك بها العامة[3] ،حسمًا لمادة الشرك ،كما فعل عمر رضي الله عنه حين قطع شجرة بيعة الرضوان.

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨ .

(٢) حكى هذا الإجماع شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٣ / ٢٧٤، والاقتضاء ص ٨٠٨، كما حكاه جمع من علماء الحنفية كما في جهود علماء الحنفية ص ٦٥٧ .

(٣) قال أبو بكر الطرطوشي المالكي المتوفى سنة ٥٣٠ هـ في الحوادث والبدع، الباب الثاني ص ٣٨ ، ٣٩ بعد ذكره لحديث أبي واقد الليثي السابق،قال: «فانظروا ـ رحمكم الله ـ أينما =

٣ ـ التبرك ببعض الليالي والأيام التي يقال: إنها وقعت فيها أحداث عظيمة، كالليلة التي يقال إنها حصل فيها الإسراء والمعراج، ونحو ذلك .

النوع الثالث : التبرك بالأماكن والأشياء الفاضلة:

وردت نصوص شرعية كثيرة تدل على فضل وبركة كثير من الأماكن، كالكعبة المشرفة، والمساجد الثلاثة، وكثير من الأزمان كليلة القدر ويوم عرفة، وكثير من الأشياء الأخرى، كماء زمزم، والسحور للصائم، والتبكير في طلب الرزق ونحوه، وغير ذلك.

والتبرك بهذه الأشياء يكون بفعل العبادات وغيرها مما ورد في الشرع ما يدل على فضلها فيها [١] ،ولا يجوز التبرك بها بغير ما ورد، وعليه فمن تبرك بالأزمان أو الأماكن أو الأشياء التي وردت نصوص تدل على فضلها أو بركتها بتخصيصها بعبادات أو تبركات معينة لم يرد في الشرع ما يدل على تخصيصها بها ،فقد خالف المشروع، وأحدث بدعة ليس لها أصل في الشرع، وذلك كمن يخص ليلة القدر بعمرة، وكمن يتبرك بجدران الكعبة بتقبيلها أو مسحها أو يتمسح بمقام إبراهيم أو بالحجر المسمى حجر إسماعيل، أو بأستار الكعبة، أو بجدران المسجد الحرام، أو المسجد النبوي أو أعمدتها ونحو ذلك، فهذا كله محرم، وهو من البدع المحدثة، وقد اتفق أصحاب النبي ﷺ وسلف هذه الأمة على عدم مشروعيته [٢] ، ومثله أن يتبرك بأحجار أو تراب شيء من المواضع الفاضلة بالتمرغ عليه أو بجمعه والاحتفاظ به.

= وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها ».

(١) فمثلاً يكون التبرك بالكعبة المشرفة بالطواف بها، والتعبد لله تعالى باستلام الحجر الأسود والركن اليماني، أو تقبيل الحجر الأسود حال الطواف فقط، وبالصلاة داخلها، والتبرك بالمسجد الحرام بالصلاة والاعتكاف فيه، ونحو ذلك، والتبرك بليلة القدر بقيامها بالصلاة وقراءة كتاب الله تعالى ونحو ذلك، وماء زمزم بشربه والاغتسال منه طلبًا للشفاء من الأمراض ونحو ذلك، وهكذا بقية الأشياء المباركة الفاضلة.

(٢) روى عبد الرزاق: المقام (٨٩٥٧)، والفاكهي: ذكر مسح المقام (١٠٠٥) بإسناد صحيح =

ومما يدل أيضًا على تحريم التبرك بالأشياء الفاضلة بغير ما ورد في الشرع ما ثبت في صحيح البخاري عن ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي قال عنه النبي ﷺ: «**إن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه**»، وقال ﷺ عنه وعن أبي بكر: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، أنه قال رضي الله عنه لما قبل الحجر الأسود: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك رواه البخاري ومسلم، فقول عمر هذا صريح في أن تقبيل الحجر الأسود إنما هو اتباع للنبي ﷺ ، فالمسلم يفعله تعبدًا لله تعالى، واقتداءً بخير البرية ﷺ ، وليس من باب التبرك في شيء.

وإذا كان هذا في شأن الحجر الأسود الذي هو أفضل الكعبة، فغيره من الأماكن والأشياء الفاضلة أولى ، فيتعبد المسلم فيها بما ورد في الشرع ولا يزيد عليه.

ومما يدل كذلك على تحريم التبرك بالأشياء الفاضلة بغير ما ورد في الشرع ما ثبت عن حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عم النبي ﷺ عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه أنكر على من استلم أركان الكعبة الأربعة؛ لأن النبي ﷺ لم يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليماني. رواه البخاري، وما ثبت عن الصحابي الجليل عبد الله ابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ من الإنكار على من مسح مقام إبراهيم.

وهذا النوع في التبرك من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ولذلك لما عصى اللهَ تعالى بعضُ المسلمين بفعل التبرك البدعي أدى

= على شرط الشيخين عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أرأيت أحدًا يقبل المقام أو يمسه؟ قال: أما أحد يعتد به فلا. وعطاء ـ وهو ابن أبي رباح ـ من أجلة التابعين، وممن لازم التدريس بالمسجد الحرام، فهذا يدل على إجماع الصحابة وعلماء التابعين على عدم مشروعيته إذ لو كان مشروعًا لبادروا إلى فعله لحرصهم على الخير.

وقال الإمام النووي في منسكه ، الباب الخامس ص ٣٩٧: «لا يقبل مقام إبراهيم ولا يستلمه، فإنه بدعة»، وقال الهيتمي الشافعي في حاشيته عليه: «التقبيل والاستلام عبادتان مطلوبتان في الحجر الأسود، فلا يثبتان لغيره إلا بنص كذلك » ثم ذكر ما ثبت في الركن اليماني ـ يعني مسحه ـ وذكر أنه لم يثبت في المقام شيء.

ذلك بكثير منهم إلى الوقوع في الشرك الأكبر، وذلك بالوقوع في التبرك الشركي ، أو بالوقوع في نوع آخر من أنواع الشرك الأكبر.

وقد نقل ابن إسحاق صاحب المغازي وغيره ما يدل على أن سبب وقوع العرب في الشرك هو تعظيم حجارة حرم مكة والتبرك بها، بل قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي عند كلامه على التبرك: «العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ في جهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه، وهذا التبرك هو أصل العبادة ، ولأجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ، بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية حسبما ذكره أهل السير» [(١)] وهذا يدل أيضًا على تحريم جميع أنواع التبرك الممنوع.

رفع القبور وتجصيصها ، وإسراجها وبناء الغرف فوقها ، وبناء المساجد عليها ، وعبادة الله عندها:

وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن هذه الأمور كلها ، ومنها :

١ ـ ما رواه جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس[(٢)] وهو يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك**» رواه مسلم.

٢ ـ ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد**».

٣ ـ ما روته أم المؤمنين عائشة وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه،

---

(١) الاعتصام ٢ / ٩، وقال ابن الحاج المالكي كما في إصلاح المساجد ص (١٠١): «التعليل الذي لأجله كره العلماء رحمهم الله تعالى التمسح بالمصحف والمنبر والجدران إلى غير ذلك أن ذلك كان السبب في عبادة الأصنام».

(٢) أي قبل أن يموت عليه الصلاة والسلام بخمس ليال.

فقال وهو كذلك : **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر مثل ما صنعوا . قالت عائشة ـ رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . رواه البخاري ومسلم[1] .

* * *

(١) صحيح البخاري (٤٣٥ ، ٤٣٦)، وصحيح مسلم (٥٢٩ ، ٥٣١). قال الحافظ ابن حجر الشافعي في الفتح، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور من كتاب الجنائز ٣ / ٢٠٠ عند قول عائشة ـ رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره قال: «أي لكشف قبر النبي ﷺ ، ولم يتخذ عليه الحائل، والمراد الدفن خارج بيته، وهذا قالته عائشة قبل أن يوسع المسجد النبوي، ولهذا لما وسع جعل حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة».

وكانت توسعة المسجد النبوي وإدخال غرفة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيه في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي بأمر منه بعد موت جميع الصحابة الذين بالمدينة.

هل يجوز التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم (١)

هناك من يرى جواز التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم مستدلاً بما ثبت من تبرك الصحابة رضي الله عنهم ـ بالنبي ﷺ ،فما حكم ذلك؟ ثم أليس فيه تشبيه لغير النبي ﷺ بالنبي ﷺ وهل يمكن التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته وما حكم التوسل إلى الله تعالى ببركة النبي ﷺ ؟

الجواب: لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ لا بوضوئه ولا بشعره ولا بعرقه ولا بشيء من جسده ، بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة. ولهذا لم يتبرك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بأحد منهم لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم ،فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص بالنبي ﷺ دون غيره ولأن ذلك وسيلة الشرك وعبادة غير الله سبحانه وهكذا لا يجوز التوسل إلى الله ـ سبحانه ـ بجاه النبي ﷺ أو ذاته أو صفاته أو بركته لعدم الدليل على ذلك ولأن ذلك من وسائل الشرك به والغلو فيه عليه الصلاة والسلام ولأن ذلك أيضًا لم يفعله أصحابه رضي الله عنهم ـ ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ولأن ذلك خلاف الأدلة الشرعية فقد قال الله عز وجل: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾(٢) ولم يأمر بدعائه سبحانه ـ بجاه أحد أو حق أحد أو بركة أحد.

ويلحق بذلك أيضًا التوسل بمحبة الله ـ سبحانه ومحبة رسوله ﷺ وبالإيمان بالله وبرسوله والتوسل بالأعمال الصالحات كما في قصة أصحاب الغار الذين آواهم المبيت والمطر إلى غار فدخلوا فيه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار ولم يستطيعوا دفعها فتذاكروا بينهم في وسيلة الخلاص منها، واتفقوا بينهم على أنه لن ينجيهم منها إلا أن يدعوا الله بصالح أعمالهم فتوسل أحدهم إلى الله سبحانه في ذلك ببر والديه فانفرجت الصخرة شيئًا لا يستطيعون الخروج منه . ثم توسل الثاني

---

(١) انظر «تحفة الإخوان» (ص / ٣٣ ـ ٣٧).

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠ .

بعفته عن الزنا بعد القدرة عليه ،فانفرجت الصخرة بعض الشيء لكنهم لا يستطيعون الخروج من ذلك ثم توسل الثالث بأداء الأمانة فانفرجت الصخرة وخرجوا.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن النبي ﷺ من أخبار من قبلنا لما فيه من العظة لنا والتذكير.

وقد صرح العلماء رحمهم الله ـ بما ذكرته في هذا الجواب . كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم والشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» وغيرهم .وأما حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ في حياته ﷺ فشفع فيه النبي ﷺ ودعا له فرد الله عليه بصره فهذا توسل بدعاء النبي وشفاعته وليس ذلك بجاهه وحقه كما هو واضح في الحديث.

وكما يتشفع الناس به يوم القيامة في القضاء بينهم كما يتشفع به يوم القيامة أهل الجنة في دخولهم الجنة ،وكل هذا توسل به في حياته الدنيوية والأخروية وهو توسل بدعائه وشفاعته لا بذاته وحقه كما صرح بذلك أهل العلم ومنهم من ذكرنا آنفًا.

ولقوله ـ عز وجل ـ في سورة التوبة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾(١) . ولا يلتفت إلى كونهم جهالاً بل يجب أن يعاملوا معاملة الكفار حتى يتوبوا إلى الله من ذلك لقول الله ـ سبحانه ـ في أمثالهم: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢) . ولقول الله ـ عز وجل ـ في النصارى وأمثالهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(٣) . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

---

(١) سورة التوبة: ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف: ٢٨ ـ ٣٠ .

(٣) سورة الكهف: ١٠٣ ، ١٠٤.

النهي عن اتخاذ القبور مساجد(١)

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه:

«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: فلولا ذاك أبرز (٢) قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً (٣) .

ومثل قول عائشة هذا ما روي عن أبيها رضي الله عنهما، فأخرج ابن زنجويه عن عمر مولى غفرة قال:

---

(١) انظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للشيخ الألباني ـ رحمه الله [ص / ٩ ـ ٢٠] ط ثانية ـ وقفية ـ ولأن تعليقات الشيخ درر علمية فإني آثرت أن أنقلها كاملة بهوامشها دون تصرف فيها.

(٢) أي كشف قبره ﷺ ولم يتخذ عليه الحائل. والمراد الدفن خارج بيته، كذا في «فتح الباري».

فائدة: قول عائشة هذا، يدل دلالة واضحة على السبب الذي من أجله دفنوا النبي ﷺ في بيته، ألا وهو سد الطريق على من عسى أن يبني عليه مسجداً، فلا يجوز والحالة هذه أن يتخذ ذلك حجة في دفن غيره ﷺ في البيت، يؤيد ذلك أنه خلاف الأصل، لأن السنة الدفن في المقابر، ولهذا قال ابن عروة في «الكواكب الدراري» (ق ٨٨ / ١ تفسير ٥٤٨): «والدفن في مقابر المسلمين أعجب إلى أبي عبد الله (يعني الإمام أحمد) من الدفن في البيوت، لأنه أقل ضرراً على الأحياء من ورثته، وأشبه بمساكن الآخرة، وأكثر للدعاء له والترحم عليه، ولم يزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يقبرون في الصحارى. فإن قيل: فالنبي ﷺ قبر في بيته، وقبر صاحباه معه؟ قلنا: قالت عائشة: إنما فعل ذلك لئلا يتخذ قبره مسجداً، ولأن النبي ﷺ كان يدفن أصحابه بالبقيع، وفعله أولى من فعل غيره، وإنما أصحابه رأوا تخصيصه بذلك ولأنه روي: «**يدفن الأنبياء حيث يموتون**» وصيانة لهم عن كثرة الطراق، وتمييزاً له عن غيره».

(٣) رواه البخاري (٣ / ١٥٦ ، ١٩٨، ٨ / ١١٤) ومسلم (٢ / ٦٧) وأبو عوانة (١ / ٣٩٩) وأحمد (٦ / ٨٠ ، ١٢١ ، ٢٥٥) والسراج في «مسنده» (٣ / ٤٨ / ٢) عن عروة عنها. وأحمد (٦ / ١٤٦ ، ٢٥٢) والبغوي في «شرح السنة» (ج١ ص ٤١٥ طبع المكتب الإسلامي) عن سعيد بن المسيب عنها. وسنده صحيح على شرط الشيخين.

لما ائتمروا في دفن رسـول الله ﷺ قال قائل: ندفنه حيث كان يصلي في مـقامه! وقال أبو بكر: معـاذ الله أن نجعله وثنًا يعبد، وقال الآخرون: ندفنه في البـقيع حيث دفن إخوانه من المهـاجرين، قال أبو بكر: إنا نكره أن يخرج قـبر رسول الله ﷺ إلى البـقيع ، فيـعوذ به مـن الناس لله عليه حق، وحق الله فـوق حق رسول اللـه، فإن أخرجناه (الأصل: أخـرناه) ضيعنا حق الله، وإن أخفـرناه أخفرنا قـبر رسول ﷺ ، قالوا: فما ترى أنت يا أبا بكر؟ قـال : سمعت رسول ﷺ يقول: «**ما قبض الله نبيًا قط إلا دفن حـيث قبض روحـه**»، قالوا: فـأنت والله رضي مقنع، ثـم خطوا حول الفراش خطًا، ثم احتمله علي والعباس والفـضل وأهله ووقع القوم في الحفر يحفرون حيث كان الفراش[1] .

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ««**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2] .

٣ ، ٤ ـ عن عائشة وابن عباس أن رسـول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة [3] له، فإذا اغتم كشفـها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله على اليهـود والنصارى اتخذوا قبـور أنبيائهم مسـاجد** » . تقول عائشـة: يحذر مثل الذي صنعوا [4] .

---

(١) قال ابن كثـير: وهو منقطع من هذا الوجه، فإن عـمر مولى غفرة مع ضـعفه لم يدرك أيام الصديق. كذا في «الجامع الكبير» للسيوطي (٣ / ١٤٧ / ١ ـ ٢).

(٢) رواه البخـاري (٢ / ٤٢٢) ومسلم وأبـو عوانة وأبو داود (٢ / ٧١) وأحـمد (٢ / ٢٨٤، ٣٦٦ ، ٣٩٦ ، ٤٥٣ ، ٥١٨) وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٨ / ١) والسـراج والسهمي في «تاريخ جرجان» (٣٤٩) وابن عساكر (١٤ / ٢٦٧ / ٢) عن سـعيد بن المسيب عنه، ومسلم أيضًا عن يزيد بن الأصم عنه. وأخرجه عـبد الرزاق في «مصنفه» (١ / ٤٠٦ / ١٥٨٩) من الوجه الأول عنه، ولكنه أوقفه.

(٣) ثوب خز أو صوف معلم. كذا في «النهاية».
قلت: والمراد هنا الثاني ، لأن الخز هو الحرير كمـا هو معروف الآن وهو حرام على الرجال كما هو ثابت في السنة خلافًا لمن يستحله ممن لا يقيم للسنة وزنًا!

(٤) رواه البخاري (١ / ٤٢٢ ، ٦ / ٣٨٦ ، ٨ / ١١٦) ومسـلم (٢ / ٦٧) وأبو عوانة (١ / ٣٩٩) والنسائي (١ / ١١٥) والدارمي (١ / ٣٢٦) وأحمد (١ / ٢١٨، ٦ / ٣٤، ٢٢٩=

قال الحافظ ابن حجر: «وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم».

قلت: يعني من هذه الأمة، وفي الحديث الآتي (٦) التصريح بنهيهم عن ذلك، فتنبه.

٥ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية ـ وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة ـ فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: [فرفع النبي ﷺ رأسه] فقال: « **أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله [يوم القيامة]**»(١) .

قال الحافظ ابن رجب في «فتح الباري»:

«هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصوير صورهم فيها، كما يفعله النصارى، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراده؛ فتصوير صور الآدميين يحرم، وبناء القبور على المساجد بانفراده يحرم، كما دلت عليه نصوص أخر، يأتي ذكر بعضها، قال: والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ظل، فتصوير الصور على مثال صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها، والاستشفاع بها يحرم في دين الإسلام، وهو من جنس عبادة الأوثان، وهو الذي أخبر النبي ﷺ أن أهله شرار

= ٢٧٥) وابن سعد في «الطبقات» (٢ / ٢٥٨) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١ / ٤٠٦ / ١٥٨٨) عن ابن عباس وحده.

(١) رواه البخاري (١ / ٤١٦، ٤٢٢) ومسلم (٢ / ٦٦) والنسائي (١ / ١١٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤ / ١٤٠ طبع الهند) وأحمد (٦ / ٥١ طبع المكتب الإسلامي) وأبو عوانة في «صحيحه» (١ / ٤٠٠ ـ ٤٠١) والسياق له وابن سعد في «الطبقات» (٢ / ٢٤٠ ـ ٢٤١) والسراج في «مسنده» (٤٨ / ٢) وأبو يعلى في «مسنده» (ق ٢٢٠ / ٢) والبيهقي (٤/ ٨٠) والبغوي (٢ / ٤١٥، ٤١٦).

الخلق عند الله يوم القيامة، وتصوير الصور للتأسي برؤيتها أو للتنزه بذلك، والتلهي محرم، وهو من الكبائر وفاعله من أشد الناس عذابًا يوم القيامة، فإنه ظالم ممثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره، وأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى».

ذكره في «الكواكب الدراري» (مجلد ٦٥ / ٨٢ / ٢).

قلت: ولا فرق في التحريم بين التصوير اليدوي والتصوير الآلي والفوتوغرافي، بل التفريق بينهما جمود وظاهرية عصرية، كما بينته في كتابي «آداب الزفاف» (ص ١٠٦ ـ ١١٦ الطبعة الثانية طبع المكتب الإسلامي).

٦ ـ عن جندب بن عبد الله البجلي أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

«قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ [(١)] إلى الله أن يكون لي فيكم خليل، وإن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا [وإن] من كان قبلكم [كانوا] يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك» [(٢)].

٧ ـ عن الحارث النجراني قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

---

(١) أي امتنع من هذا وأنكره، والخليل هو المنقطع إليه، قيل: هو مشتق من الخلة، بفتح الخاء وهي الحاجة، وقيل: من الخلة بضم الخاء وهي تخلل المودة في القلب، فنفى ﷺ أن تكون حاجته وانقطاعه إلى غير الله تعالى. «شرح مسلم» للنووي.

(٢) رواه مسلم (٢ / ٦٧ ـ ٦٨) وأبو عوانة (١ / ٤٠١) والسياق له والطبراني في «الكبير» (١ / ٨٤ / ٢) ورواه ابن سعد (٢ / ٢٤٠) مختصراً دون ذكر الإخوة واتخاذ الخليل.

وله عنده (٢ / ٢٤١) شاهد من حديث أبي أمامة، وله شاهد ثان أخرجه الطبراني عن كعب بن مالك بسند لا بأس به كما قال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» (١ / ١٢٠) وضعفه الحافظ نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٤٥).

«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»[١] .

٨ ـ عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: **«أدخلوا علي أصحابي»**.

فدخلوا عليه وهو متقنع ببردة معافري[٢] ، [فكشف القناع] فقال: **«لعن الله اليهود [والنصارى] اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[٣] .

٩ ـ عن أبي عبيدة بن الجراح قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ : **«أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا (وفي رواية: يتخذون)[٤] قبور أنبيائهم مساجد»**[٥] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (ق ٢ / ٨٣ / ٢ و ط ٢ / ٣٧٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) برود باليمن منسوبة إلى معافر وهي قبيلة باليمن. «النهاية».

(٣) رواه الطيالسي في مسنده (٢ / ١١٣ من ترتيبه) وأحمد (٥ / ٢٠٤) والطبراني في «الكبير» (ج١ / ق ٢٢ / ١)، وسنده حسن في الشواهد ، وقال الشوكاني في «نيل الأوطار » (٢ / ١١٤) «وسنده جيد» ! وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢ / ٢٧) : «ورجاله موثقون».

(٤) وبين الروايتين فرق ظاهر، فالرواية الأولى تعني ناسًا تقدموا، وهم اليهود والنصارى كما في الأحاديث المتقدمة، والرواية الأخرى تعني من يسلك سبيلهم من هذه الأمة ويؤيدها الأحاديث (٦ ، ٧، ١٢).

(٥) رواه أحمد (رقم ١٦٩١ ، ١٦٩٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤ / ١٣) وأبو يعلى (٥/ ١) وابن عساكر (٨ / ٣٦٧ / ٢) بسند صحيح، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥ / ٣٢٥). «رواه أحمد بأسانيد (الأصل بإسنادين)، ورجال طريقين منها ثقات متصل إسنادهما، ورواه أبو يعلى».

قلت: وفي هذا الكلام نظر ظاهر، لأن مدار الطرق الثلاثة التي أشار إليها على إبراهيم بن ميمون عن سعد بن سمرة ، إلا أن الطريق الثالث أدخل بعض الرواة بينهما إسحاق بن سعد ابن سمرة وهو وهم من بعضهم كما بينه الحافظ في «التعجيل» ثم إنه ليس فيه «**واعلموا أن شرار الناس...**» !.

ثم إن الحديث ذكره الهيثمي في مكان آخر (٢ / ٢٨) نحوه وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات». وله شاهد مرسل عن عمر بن عبد العزيز مرفوعًا نحوه ، رواه ابن سعد (٢ / ٢٥٤).

١٠ ـ عن زيد بن ثابت أن رسـول الله ﷺ قال: «**لعن الله** (وفي رواية : قاتل الله) **اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١] .

١١ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا**[٢] ، **لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣] .

---

(١) رواه أحمد (٥ / ١٨٤ ، ١٨٦) ورجاله ثقات غير عقـبة بن عبد الرحمن وهو ابن أبي معمر وهو مجهول كما في «التقريب» ولا تغتر بقول الهيثمي (٢ / ٢٧): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون» كما فعل الشوكاني ، فإنه قال (٢ / ١١٤) : «وسنده جيد» وذلك لأن قوله «موثقون» دون قوله «ثقات» فإن قولهم «موثقون» إشارة منهم إلى أن بعض رواته ليس توثيقه قويًا ، فكأن الهيثمي يشير إلى أن عقبـة هذا إنما وثقه ابن حبان فقط وأن توثيق ابن حبان غير موثوق به والله أعلم، وكون توثيق ابن حبان لا يـوثق به مما لا يرتاب فيه المتضلعون في هذا العلم الشريف، وقـد فصلت القول في ذلك في ردي على رسـالة «التعقب الحثيث» للشيخ عبـد الله الحبشي وقد نشـر في التمدن الإسـلامي في مقالات متـتابعة ، ثم نشـر في رسالة مستقلة تحت عنوان « الرد على التعـقب الحثيث » فراجع (ص ١٨ ـ ٢١) على أن قول القائل في «حديث ما رجاله ثقـات أو رجاله رجال الصحيح» ، فليس معناه أن إسناده صـحيح كما بينه في غـير هذا الموضوع، فـانظر مثـلاً «سلسلة الأحاديث الصـحيـحة» (ج٢ ص٥ ـ طبع المكتب الإسلامي)، لكن الحديث صحيح لشواهده المتقدمة.

(٢) قال ابن عبـد البر: الوثن الصنم، يقول: لا تجعل قـبري صنمًا يصلى ويسجد نحـوه ويعبد، فقد اشتـد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحـابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبلهم، الذين صلوا إلى قـبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسـجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كـانوا يسجدون إليهـا ويعظمونها، وذلك الشرك الأكـبر، وكان رسول الله ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه، خشية عليهم من امتثـال طرقهم، وكان ﷺ يحب مخـالفة أهل الكتاب وسائر الكفـار، وكان يخاف على أمته اتباعهم، ألا ترى إلى قوله ﷺ على جـهة التعيير والتوبيخ «**لتتبعن سنن الذين كانوا من قبلكم حذو النعل بالنعل، حتى أن أحدهم لو دخل جحر ضب لدخلتموه؟**».
كذا في «فتح الباري» لابن رجب (٦٥ / ٩٠ / ٢) من «الكواكب».

(٣) رواه أحمد (رقم ٧٣٥٢) وابن سعد (٢ / ٢٤١ ـ ٢٤٢) والمفضل الجندي في «فضائل المدينة» (٦٦ / ١) وأبو يعلى في «مسنده» (٣١٢ / ١) والحـميدي (١٠٢٥) وأبو نعـيم في «الحلية» (٦ / ٢٨٣ ، ٧ / ٣١٧) بسند صحيح.
وله شاهد مرسل رواه عبد الرزاق في «المـصنف» (١ / ٤٠٦ / ١٥٨٧) وكذا ابن أبي شيبة (٤ / ١٤١) عن زيد بن أسلم. وإسناده قوي.
=

١٢ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد»**(١) .

١٣ ـ عن علي بن أبي طالب قال:

لقيني العباس فقال: يا علي انطلق بنا إلى النبي ﷺ فإن كان لنا من الأمر شيء وإلا أوصى بنا الناس، فدخلنا عليه، وهو مغمي عليه، فرفع رأسه فقال: **«لعن الله اليهود اتخذوا قبور الأنبياء مساجد»**. زاد في رواية: «ثم قالها الثالثة».

فلما رأينا ما به خرجنا ولم نسأله عن شيء (٢) .

= وآخر أخرجه مالك في الموطأ (١ / ١٨٥) وعنه ابن سعد (٢ / ٢٤٠ ـ ٢٤١) عن عطاء بن يسار مرفوعًا. وسنده صحيح، وقد وصله البزار عنه عن أبي سعيد الخدري وصححه ابن عبد البر مرسلاً وموصولاً فقال: «فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند، لإسناد عمر بن محمد له ، وهو ممن تقبل زيادته» انظر «تنوير الحوالك» للسيوطي.

وفيما قاله ابن عبد البر في عمر هذا نظر، فقد قال الحافظ ابن رجب في «الفتح»: «خرجه من طريقه البزار، وعمر هذا هو ابن صهبان، جاء منسوبًا في بعض نسخ البزار ، وظن ابن عبد البر أنه عمر بن محمد العمري، والظاهر أنه وهم ، وقد روي نحوه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة بإسناد فيه نظر».

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١ / ٩٢ / ٢) وابن حبان (٣٤٠ ، ٣٤١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤ / ١٤٠ طبع الهند) وأحمد (رقم ٣٨٤٤، ٤١٤٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٧٧ / ١) وأبو يعلى في «مسنده» (٢٥٧ / ١) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١ / ١٤٢) بإسناد حسن، وأحمد أيضًا (رقم ٤٣٤٢) بسند آخر حسن بما قبله، والحديث بمجموعهما صحيح وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (١٣١١) «والاقتضاء» (ص ١٥٨): «وإسناده جيد» وقال الهيثمي (٢ / ٢٧): «رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن».

وفي اقتصاره في عزوه على الطبراني وحده قصور ظاهر، مع أنه في المسند في ثلاثة مواضع منه كما أشرنا إليها آنفًا!

والشطر الأول من الحديث رواه البخاري في صحيحه (١٣ / ١٥) معلقًا.

(٢) رواه ابن سعد (٤ / ٢٨) وابن عساكر (١٢ / ١٧٢ / ٢) من طريقين عن عثمان بن اليمان: نا أبو بكر بن أبي عون أنه سمع عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه =

١٤ ـ عن أمهات المؤمنين أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: كيف نبني قبر رسول الله ﷺ ؟ أنجعله مسجدًا؟ فقال أبو بكر الصديق: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » [(١)] .

* * *

= عن جده أو قال: عن أبيه، أو عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول:

قلت: وهذا سند حسن لولا أنني لم أعرف أبا بكر هذا، ولم يورده الدولابي وأبو أحمد الحاكم في «الكنى».

(١) رواه ابن زنجويه في «فضائل الصديق» كما في «الجامع الكبير» (٣ / ١٤٧ / ١).

مذاهب العلماء في
اتخاذ المساجد على القبور من الكبائر[1]

اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك، ومنهم من صرح بأنه كبيرة ، وإليك تفاصيل المذاهب في ذلك:

١ ـ مذهب الشافعية أنه كبيرة:

قال الفقيه ابن حجر الهيتمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١ / ١٢٠): «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها».

ثم ساق بعض الأحاديث المتقدمة وغيرها، ثم قال (ص ١١١):

«(تنبيه): عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من الأحاديث، ووجه اتخاذ القبر مسجداً منها واضح، لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله تعالى يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية: «يحذر ما صنعوا»، أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا ، ومن ثم قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركًا وإعظامًا، ومثلها الصلاة عليه للتبرك والإعظام ، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث المذكورة لما علمت، قال بعض الحنابلة:

قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركًا به عين المحادة لله ورسوله، وابتداع دين لم يؤذن به الله، للنهي عنها تم إجماعًا، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، أو بناؤها عليها ،والقول بالكراهة محمول على غير ذلك، إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺلعن فاعله، ويجب المبادرة لهدمها، وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار، لأنها أسست على

---

(١)انظر: «تحذير الساجد» [ص / ٣٣ ـ ٤٦].

معصية رسول الله ﷺ ، لأنه نهى عن ذلك، وأمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره. انتهى».

هذا كله كلام الفقيه ابن حجر الهيتمي ، وأقره عليه المحقق الآلوسي في «روح المعاني» (٥ / ٣١) ، وهو كلام يدل على فهم وفقه في الدين ، وقوله فيما نقله عن بعض الحنابلة:

«والقول بالكراهة محمول على غير ذلك».

كأنه يشير إلى قول الشافعي «وأكره أن يبنى على القبر مسجد. .» إلخ كلامه الذي نقلته بتمامه فيما سبق (ص ٣١)، وعلى هذا أتباعه من الشافعية كما في «التهذيب» وشرحه «المجموع» ، ومن الغريب أنهم يحتجون على ذلك ببعض الأحاديث المتقدمة، مع أنها صريحة في تحريم ذلك، ولعن فاعله ، ولو أن الكراهة كانت عندهم للتحريم لقرب الأمر، ولكنها لديهم للتنزيه فكيف يتفق القول بـ (الكراهة) مع تلك الأحاديث التي يستدلون بها عليها ؟!

أقول هذا ، وإن كنت لا أستبعد حمل الكراهة في عبارة الشافعي المتقدمة خاصة على الكراهة التحريمية ؛ لأنه هو المعنى الشرعي المقصود في الاستعمال القرآني ، ولا شك أن الشافعي متأثر بأسلوب القرآن غاية التأثر، فإذا وقفنا في كلامه على لفظ له معنى خاص في القرآن الكريم وجب حمله عليه، لا على المعنى المصطلح عليه عند المتأخرين، فقد قال تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾[1] وهذه كلها محرمات، فهذا المعنى ـ والله أعلم ـ هو الذي أراده الشافعي رحمه الله بقوله المتقدم «وأكره»، ويؤيده أنه قال عقب ذلك : «وإن صلى إليه أجزأه، وقد أساء» فإن قوله: «أساء» معناه ارتكب سيئة، أي حرامًا، فإنه هو المراد بالسيئة في أسلوب القرآن أيضًا، فقد قال تعالى في سورة (الإسراء) بعد أن نهى عن قتل الأولاد، وقربان الزنا، وقتل النفس وغير ذلك: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[2] أي محرمًا.

---

(١) سورة الحجرات: ٧ .

(٢) سورة الإسراء: ٣٨ .

ويؤكد أن هذا المعنى هو المراد من الكراهة في كلام الشافعي في هذه المسألة أن من مذهبه أن الأصل في النهي التحريم، إلا ما دل الدليل على أنه لمعنى آخر، كما صرح بذلك في رسالته «جماع العلم» (ص ١٢٥) ونحوه في كتابه «الرسالة» (ص ٣٤٣)، ومن المعلوم لدى كل من درس هذه المسألة بأدلتها أنه لا يوجد أي دليل يصرف النهي الوارد في بعض الأحاديث المتقدمة إلى غير التحريم كيف والأحاديث الأخرى تؤكد أنه للتحريم كما سبق؟ ولذلك فإني أقطع بأن التحريم هو مذهب الشافعي، لا سيما وقد صرح بالكراهة بعد أن ذكر حديث «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» كما تقدم ، فلا غرابة إذًا إذا صرح الحافظ العراقي - وهو شافعي المذهب - بتحريم بناء المسجد على القبر كما تقدم (ص ٢٨) والله أعلم.

ولهذا نقول: لقد أخطأ من نسب إلى الإمام الشافعي القول بإباحة تزوج الرجل بنته من الزنا بحجة أنه صرح بكراهة ذلك، والكراهة لا تنافي الجواز إذا كانت للتنزيه! قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١ / ٤٧ - ٤٨):

«نص الشافعي على كراهة تزوج الرجل بنته من ماء الزنا، ولم يقل قط: إنه مباح، ولا جائز، والذي يليق بجلالته وإمامته ومنصبه الذي أحله الله به من الدين أن هذه الكراهة منه على وجه التحريم، وأطلق لفظ الكراهة لأن الحرام يكرهه الله ورسوله، وقد قال تعالى عقب ذكر ما حرمه من المحرمات من عند قوله: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [١] إلى قوله: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [٢] إلى قوله: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [٣] إلى آخر الآيات ثم قال: ﴿ **كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** ﴾ [٤] وفي الصحيح: «**إن الله عز وجل كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**». فالسلف كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استعملت فيه في كلام الله ورسوله، ولكن المتأخرين اصطلحوا على تخصيص الكراهة بما ليس

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء: ٣٣ .

(٣) سورة الإسراء: ٣٦ .

(٤) سورة الإسراء: ٣٨ .

بمحرم، وتركه أرجح من فعله، ثم حمل من جمل منهم كلام الأئمة على الاصطلاح الحادث، فغلط في ذلك، وأقبح غلطًا منه من حمل لفظ الكراهة، أو لفظ لا ينبغي في كلام الله ورسوله على المعنى الاصطلاحي الحادث!».

وبهذه المناسبة نقول:

إن من الواجب على أهل العلم : أن ينتبهوا للمعاني الحديثة التي طرأت على الألفاظ العربية التي تحمل معاني خاصة معروفة عند العرب، هي غير هذه المعاني الحديثة، لأن القرآن نزل بلغة العرب، فيجب أن تفهم مفرداته وجمله في حدود ما كان يفهم العرب الذين أنزل عليهم القرآن، ولا يجوز أن تفسر بهذه المعاني الاصطلاحية الطارئة التي اصطلح عليها المتأخرون ، وإلا وقع المفسر بهذه المعاني في الخطأ، والتقول على الله ورسوله من حيث لا يشعر، وقد قدمت مثلاً على ذلك لفظ (الكراهة)، وإليك مثالاً آخر لفظ (السنة) ، فإنه في اللغة الطريقة وهذا يشمل كل ما كان عليه ﷺ من الهدى والنور فرضًا كان أو نفلاً، وأما اصطلاحًا فهو خاص بما ليس فرضًا من هديه ﷺ ، فلا يجوز أن يفسر بهذا المعنى الاصطلاحي لفظ (السنة) الذي ورد في بعض الأحاديث الكريمة، كقوله ﷺ : «... **وعليكم بسنتي..**» وقوله ﷺ : «... **فمن رغب عن سنتي فليس مني**» ومثله الحديث الذي يورده بعض المشايخ المتأخرين في الحض على التمسك بالسنة بمعناها الاصطلاحي وهو: «**من ترك سنتي لم تنله شفاعتي**» ، فأخطؤوا مرتين:

الأولى: نسبتهم الحديث إلى النبي ﷺ ولا أصل له فيما نعلم.

والثانية: تفسيرهم للسنة بالمعنى الاصطلاحي، غفلة منهم عن معناها الشرعي، وما أكثر ما يخطئ الناس فيما نحن فيه بسبب مثل هذه الغفلة!.

ولهذا كثر ما نبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله على ذلك، وأمروا في تفسير الألفاظ الشرعية بالرجوع إلى اللغة لا العرف، وهذا في الحقيقة أصل لما يسمونه اليوم بـ «الدراسة التاريخية للألفاظ».

ويحسن بنا أن نشير إلى أن من أهم أغراض مجمع اللغة العربية في مصر (وضع معجم تاريخي للغة العربية، ونشر بحوث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات، وما طرأ على مدلولاتها من تغير).

كما جاء في الفقرة الثـانية من المادة الثانية من القانون ذي الرقم (٤٣٤) (١٩٥٥) الخاص بشأن تنظيم مجمع اللغة العربية (انظر «مجلة المجمع» ج ٨ ص ٥). فعسى أن يقوم المجمع بهذا العمل العظيم، ويعهد به إلى أيد عربية مسلمة، فإن أهل مكة أدرى بشعـابها، وصاحب الدار أدرى بما فيـها، وبذلك يسلم هذا المشروع العظيم من كـيد المستشرقين، ومكر المستعمرين!

٢ ـ مذهب الحنفية الكراهة التحريمية:

والكراهة بهذا المعنى الشرعي قد قال به هنا الحنفية فـقال الإمام محمد تلميذ أبي حنيفة في كتابه «الآثار» (ص ٤٥):

«لا نرى أن يزاد على ما خـرج من القبر، ونكره أن يجـصص أو يطين أو يجعل عنده مسجدًا».

والكراهة عند الحنفية إذا أطلقـت فهي للتحريم ، كما هو مـعروف لديهم، وقد صرح بالتحريم في هذه المسألة ابن الملك منهم كما يأتي.

٣ ـ مذهب المالكية التحريم :

وقال القرطبي في تفسيره (١٠ / ٣٨) بعد أن ذكر الحديث الخامس:

«قـال علماؤنا: وهذا يحـرم على المسلمين أن يتـخذوا قـبور الأنبـياء والعلمـاء مساجد».

٤ ـ مذهب الحنابلة التحريم :

ومذهب الحنابلة التـحريم أيضًا كـما في «شرح المنتهى (١ / ٣٥٣) وغـيره، بل نص بعضـهم على بطلان الصلاة في المساجد المبنيـة على القبور، ووجـوب هدمها ، فقال ابـن القيم في «زاد المعاد» (٣ / ٢٢) في صدد بيـان ما تضمنته غـزوة تبوك في الفقه والفوائد، وبعد أن ذكر قصة مـسجد الضرار الذي نهى الله تبارك وتعالى نبيه أن يصلي فيه، وكيف أنه ﷺ هدمه وحرقه قال:

«ومنها تحريق أمكنة المعصـية التي يعصى الله ورسوله فيها، وهدمـها، كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار، وأمر بهدمـه وهو مسجد يصلى فيه، ويذكر اسم الله

فيه، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقًا بين المؤمنين ، ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام [١] تعطيله ، إما بهدم وتحريق ، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار؛ فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله أحق بذلك وأوجب، وكذلك محال المعاصي والفسوق، كالحانات، وبيوت الخمارين، وأرباب المنكرات، وقد حرق عمر ابن الخطاب قرية بكاملها يباع فيها الخمر، وحرق حانوت رويشد الثقفي [٢] وسماه فويسقًا ،وحرق قصر [٣] سعد لما احتجب فيه عن الرعية، وهم رسول الله ﷺ بتحريق بيوت تاركي حضور الجماعة والجمعة [٤] ، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك [٥] ،ومنها أن الوقف لا يصح على غير بر، ولا قربة، كما لم يصح وقف هذا المسجد، وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بني على قبر كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان

---

(١) قلت: مفهوم هذا أن ذلك لا يجب على غير الإمام. ومثله من ينوب عنه، وهذا هو الذي يقتضيه النظر الصحيح، لأنه لو قام به غيره لترتب على ذلك مفاسد وفتن بين المسلمين قد تكون أكبر من المصلحة التي يراد جلبها.

(٢) روى الدولابي في «الكنى» (١ / ١٨٩) عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: رأيت عمر أحرق بيت رويشد الثقفي حتى كأنه جمرة أو حممة وكان جارنا يبيع الخمر. وسنده صحيح. ورواه عبد الرزاق عن صفية بنت أبي عبيد كما في «الجامع الكبير» (٣ / ٢٠٤ / ١) وأبو عبيد في «الأموال» (ص ١٠٣) عن ابن عمر، وسنده صحيح أيضًا.

(٣) يعني باب القصر، والقصة رواها عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٧٩ / ١) من «الكواكب الدراري» تفسير (٥٧٥ ورقم ٥١٣ ـ ٥١٨ ط) وأحمد (رقم ٣٩٠) بسند رجاله ثقات.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «سنن أبي داود» (٥٥٧ و ٥٥٨). (تنبيه): إن حديث الجمعة حديث آخر من رواية ابن مسعود مرفوعًا، أخرجه مسلم دون البخاري.

(٥) قلت: هذا وإن كان هو المعقول، لكن السند بذلك لم يصح عنه ﷺ، فإن فيه أبا معشر نجيح المدني وهو ضعيف لسوء حفظه ، بل حديثه هذا منكر كما بينته في «تخريج المشكاة» (١٠٧٣) التحقيق الثاني.

الحكم للسابق، فلو وضعا معًا لم يجز، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ولعنه من اتخذ القبر مسجداً، أو أوقد عليه سراجًا (١) فهذا دين الإسلام الذي بعث به رسوله ونبيه، وغربته بين الناس كما ترى!».

فتبني مما نقلناه عن العلماء أن المذهب الأربعة متفقة على ما أفادته الأحاديث المتقدمة، من تحريم بناء المساجد على القبور. وقد نقل اتفاق العلماء على ذلك أعلم الناس بأقوالهم ومواضع اتفاقهم واختلافهم، ألا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد سئل رحمه الله بما نصه:

---

(١) يشير إلى حديث ابن عباس **«لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»** رواه أبو داود وغيره، ولكنه ضعيف السند، وإن لهج بذكره كثير من السلفيين، فالحق أحق أن يقال ويتبع، وممن ضعفه من المتقدمين الإمام مسلم فقال في «كتاب التفصيل»:

«هذا الحديث ليس بثابت، وأبو صالح باذام قد اتقى الناس حديثه، ولا يثبت له سماع من ابن عباس».

نقله ابن رجب في «الفتح» كما في «الكواكب» (٦٥ / ٨٢ / ١).

وقد بينت ضعف هذا الحديث في «الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» رقم (٢٢٥) وقد ذكرت هناك أن الحديث صحيح لغيره، إلا اتخاذ السرج، فإنه منكر لم يأت إلا من هذا الطريق الضعيف.

وقد وقفت الآن على خطأ فاحش حول هذا الحديث، فجاء في كتاب « القول المبين » لأحد أفاضل العلماء المعاصرين السلفيين ما نصه (ص ٧٩):

«وهذا الحديث وإن كان في إسناده عند أصحاب السنن مقال، فإن إسناده عند الحاكم خال من هذا المقال، لأن طريق الحاكم غير طريقهم»!

قلت: والحديث مداره عند الحاكم وغيره على أبي صالح عن ابن عباس، وقد قال الحاكم عقبه (١/ ٣٧٤):

«أبو صالح هو باذام ولم يحتجا به».

قلت: وهو ضعيف عند جمهور الأئمة، ولم يوثقه إلا العجلي وحده كما قال الحافظ في «التهذيب»، والعجلي معروف بتساهله في التوثيق كابن حبان ولم نجد للحديث طريقًا أخرى لنشد عضده به بعد مزيد البحث عنه.

ولعل المشار إليه، عنى بكلامه بعض الشواهد التي ذكرتها هناك لكن هذه ليس فيها ذكر للسرج أصلاً، فهو وهم على وهم.

«هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر؛ والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا؟ وهل يمهد القبر، أو يعمل عليه حاجز أو حائط؟ فأجاب:

الحمد لله، اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر، لأن النبي ﷺ قال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»، وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غُير ، إما بتسوية القبر، وإما بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني بعد القبر، فإما أن يزال المسجد وإما أن تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه» كذا في الفتاوى له (١ / ١٠٧، ٢ / ١٩٢).

وقد تبنت دار الإفتاء في الديار المصرية فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية هذه، فنقلتها عنه في فتوى لها أصدرتها تنص على عدم جواز الدفن في المسجد، فليراجعها من شاء في «مجلة الأزهر» (ج ١١ ص ٥٠١ ـ ٥٠٣)[1] .

وقال ابن تيمية في «الاختيارات العلمية» (ص ٥٢):

«ويحرم الإسراج على القبور، واتخاذ المساجد عليها، وبينها ، ويتعين إزالتها، ولا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين».

ونقله ابن عروة الحنبلي في «الكواكب الدراري» (٢ / ٢٤٤ / ١) وأقره.

وهكذا نرى أن العلماء كلهم اتفقوا على ما دلت الأحاديث من تحريم اتخاذ المساجد على القبور، فنحذر المؤمنين من مخالفتهم، والخروج عن طريقتهم ، خشية أن يشملهم وعيد قوله عز وجل: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[2] .

و﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾[3] .

---

(١) وفي المجلة نفسها مقال آخر في تحريم البناء على القبور مطلقًا فانظر (مجلد سنة ١٩٣٠ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٤).

(٢) سورة النساء: ١١٥ .

(٣) سورة ق: ٣٧ .

من فتاوى علماء الأزهر الشريف

أولاً: بدع القبور[١]

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ مر على قبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة قالوا يا رسول الله: لم فعلت؟

قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**».

قال الخطابي في معالم «السنن»[٢]: وقوله: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي ﷺ ودعائه بالتخفيف عنهما وكان ﷺ جعل مدة بقاء النداوة فيهما حدّاً لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تغرس الخوص في قبور موتاهم وأراهم ذهبوا إلى هذا وليس لما تعاطوه من ذلك وجه.

وصدق الخطابي وقد ازداد العامة إصراراً على هذا العمل الذي لا أصل له وغلوا فيه خصوصًا في بلاد مصر تقليداً للنصارى حتى صاروا يضعون الزهور على القبور ويتهادونها بينهم ،فيضعها الناس على قبور أقاربهم ومعارفهم تحية لهم ومجاملة للأحياء وحتى صارت عادة شبيهة بالرسمية في المجاملات الدولية فتجد الكبراء من المسلمين إذا نزلوا بلدة من بلاد أوروبا ذهبوا إلى قبور عظمائها أو إلى قبور من يسمونه «الجندي المجهول» ووضعوا عليها الزهور وبعضهم يضع الزهور الصناعية التي لا نداوة فيها تقليداً للإفرنج واتباعًا لسنن من قبلهم ولا ينكر ذلك عليهم العلماء أشباه

---

(١) الفتوى للعلامة / أحمد محمد شاكر ـ القاضي الشرعي ـ رحمه الله ، وانظر «نظرة موضوعية في بيان حقيقة الصوفية» وهو أحد فصول كتاب «بدع الاعتقاد» للشيخ محمد حامد الناصر ، إعداد سليمان بن صالح الخراشي [ص / ١٩٠ ـ ١٩٤] ط خيرية.

(٢) انظر «معالم السنن» (١ / ١٩ ـ ٢٠) للخطابي.

العامة بل تراهم أنفسهم يصنعون ذلك في قبور موتاهم.

ولقد علمت أن أكثر الأوقاف التي تسمى أوقافًا خيرية: موقوف ريعها على الخوص والريحان الذي يوضع في القبور.

وكل هذه بدع ومنكرات لا أصل لها في الدين ولا مستند لها من الكتاب والسنة ويجب على أهل العلم أن ينكروها وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا.

أحمد محمد شاكر ـ القاضي الشرعي

هذا الذي أشار إليه فضيلة العلامة السلفي الشيخ أحمد شاكر بعض ما ضل الناس به في بدع القبور وإلا فهي لا تكاد تقع اليوم تحت حصر ولا عد؛ فمن ذلك تخصيصهم أول رجب بزيارة القبور والمبيت بها ليلة أو أكثر وحرصهم على ذلك أشد الحرص. وما يدعوهم إلى ذلك ما وقع في نفوسهم الجاهلة وعقولهم المريضة أن لرجب فضيلة على غيره في زيارة القبور حتى زعموا أن ذلك أيضًا للنبي ﷺ فاتخذوا شهر رجب أيضًا لزيارة قبر الرسول ﷺ ودعوها الزيارة الرجبية وكل ذلك ضلال مؤسس على جهل وعمى وهو بعيد عن هدي النبي ﷺ الذي أرسله الله رحمة للناس وبشرى للمحسنين. فما كان رسول الله ﷺ يعين لزيارة القبور شهرًا خاصًا ولا يومًا خاصًا باعتبار أن ذلك الشهر أو اليوم للزيارة فيه ميزة على غيره أصلاً، ومن ادعى ذلك على رسول الله ﷺ فهو كاذب مفتر وها هي كتب الحديث الصحيحة بين أيدينا فأوجدونا شيئًا من ذلك.

ولقد جر الجهل بالدين إلى فساد كبير وشر عظيم فمن ذلك خروج النساء في تلك الليالي إلى المقابر من كل الطبقات ومبيتهن بها وسط قوم فاسقين فاسدين مما ينتسبون إلى القرآن وغيرهم وقد قال النبي ﷺ: «**لعن الله زوارت القبور**»[1]، ومن ذلك ـ وهو شر من كل شر ـ إهانة القرآن الكريم أعظم إهانة باستئجار أولئك المجرمين الشباحين بقرش وقرص وأقل من ذلك لقراءة سورة كذا وسورة كذا وهذا وربك قضاء على مكانة القرآن أي قضاء. وخصوصًا من ذلك الشباح الفاجر الذي

---

(١) الحديث ضعيف.

يقرأ وعينه ذائفة في وجه هذه المرأة وتلك والتأمل في محاسنهن ومفاتنهن حتى لقد أغرى ذلك كثيراً من النساء الفاسدات إلى قصد هذا والتهيؤ له وعمل الفاحشة وسط تلك القبور التي جعلت لذكر الموت وتذكر الدار الآخرة وزعموا أن تلك الإهانات للقرآن ينزل الله بها الرحمة على الموتى وكذبوا وكذبوا وكذبوا فهو والله منزل الغضب واللعنة على الأحياء ومؤذ للموتى أشد الأذى وما أنزل القرآن ليقرأ على الموتى وإنما أنزل على ما أخبر الله نبيه ﷺ في غير آية: ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[١] .

ومن أعظم البلاء وأكبر المصائب أن يفعل ذلك بعض من يلبس لباس العلماء ويتشبه بهم ،فيرى العامة والدهماء هذا الجهول المتعالم في سيارته الفخمة وقد حشر فيها كل نساء داره من زوج وبنات وقد حملها بالخوص والورد والزهور ويجيء صاحب الفضيلة أو الرذيلة على الأصح وينادي الشباح : تعال اقرأ سورة يس وخذ لك تعريفة ورغيفًا: يا لضيعة الدين فماذا يصنع العامي حين يرى هذا من ذاك الذي يعده إمامًا وقدوة في الدين؟! فما أشد مصيبة الدين من أولئك الجاهلين المتعالين وقد كثروا في هذا الزمن لا كثرهم الله حتى ذهبت صيحات المصلين في وسط ضجيجهم وعجيجهم صرخة في واد والأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله[٢] .

* * *

(١) سورة يس: ٧٠ .

(٢) وللمعرفة والوقوف على الصواب انظر «أحكام الجنائز وبدعها». للشيخ الألباني ـ رحمه الله، وانظر «السنة المهجورة، والبدع المشهورة» للشيخ أحمد الزغبي، وانظر «جامع الحياة البرزخية» للمؤلف.

لا يجتمع مسجد وقبر في الإسلام (١)

جاءنا من الأخ الدكتور الحاج محمد السعيد أحمد طبيب الأسنان بالمحلة الكبرى ومن الشيخ زكريا علي يوسف إمام وخطيب مسجد الحصري ومن ولدي محمد الطاهر محمد حامد الفقي بسلاح الطيران الملكي المصري ومن غيرهم من الإخوان في الإسكندرية ودمنهور ومنوف ومحلة أبو علي والقناطر الخيرية وسوهاج وغيرها ما يأتي:

ما حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور؟

ونحن ننشر جوابًا على ذلك فتوى أصدرها في الشهر الماضي [جمادى الثانية ١٣٩٥هـ] فضيلة العلامة المجتهد الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية. قال: كتبت وزارة الأوقاف ما يأتي: يوجد بوسط مسجد عز الدين أيبك قبران ورد ذكرهما في الخطط التوفيقية وتقام الشعائر أمامهما وخلفهما وقد طلب رئيس خدم هذا المسجد إلى محافظة مصر دفنه في أحد هذين القبرين لأن جده الذي جدد بناء المسجد مدفون بأحدهما فنرجو التفضل ببيان الحكم الشرعي في ذلك؟

الجواب: أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره فإن المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر.

وقال في فتوى أخرى: إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير، إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدًا. . . إلخ.

وذلك لأن الدفن في المسجد إخراج لجزء من المسجد عما جعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر وتدريس العلم وذلك غير جائز شرعًا. ولأن اتخاذ قبر في المسجد على الوجه الوارد في السؤال يؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك.

---

(١) المرجع السابق (ص / ١٩٥ ـ ١٩٨)، والفتوى للشيخ / عبد المجيد سليم ـ شيخ الجامع الأزهر نقلاً عن مجلة الهدي النبوي ـ عدد (٥٠) لسنة (١٣٥٩) هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» [1] ما نصه: إن النصوص عن النبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقًا. وعن اتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها.

ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**».

وقال ابن القيم رحمه الله في «**زاد المعاد**»: نص الإمام أحمد وغيره على أنه إذا دفن الميت في المسجد ينبش. وقال ابن القيم أيضًا: لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق.

وقال الإمام النووي في «**شرح المهذب**» ما نصه: اتفقت نصوص الشافعية والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أو غيره لعموم الأحاديث. قال الشافعي والأصحاب: ونكره الصلاة إلى القبور سواء كان الميت صالحًا أو غيره.

قال الحافظ أبو موسى: قال الإمام الزعفراني رحمه الله: ولا يصلى إلى قبر ولا عنده تبركًا به ولا إعظامًا له للأحاديث اهـ.

وقد نص الحنفية على كراهة صلاة الجنازة في المسجد لقوله ﷺ: «**من صلى على جنازة في المسجد فلا أجر له**».

وعلل صاحب الهداية هذه الكراهة بعلتين: إحداهما أن المسجد بني لأداء المكتوبات يعني وتوابعها من النوافل والذكر وتدريس العلم وإذا كانت صلاة الجنازة في المسجد مكروهة للعلة المذكورة كراهة تحريم ـ كما هو إحدى الروايتين وهي التي اختارها العلامة ابن قاسم وغيره ـ كان الدفن في المسجد أولى بالحظر لأن الدفن في المسجد فيه إخراج الجزء المدفون فيه عما جعل له المسجد من صلاة المكتوبات وتوابعها وهذا مما لا شك في عدم جوازه شرعًا والله أعلم.

* * *

(١) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص / ١٥٨).

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف
تحرم إقامة الأضرحة وتشييد القبور[1]

تلقت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف السؤال التالي:

دفن المرحوم العارف بالله الشيخ منصور هيكل بطابق علوي ودفن قبلا والده المرحوم العلامة الشرقاوي بالطابق الأرضي من المقبرة ويراد نقل الأول إلى مقام شيد له وبالأرض رطوبة ضاربة بالجدران ظاهرة للعيان حتى أن الجدران لا تمسك مواد البناء فيها [الأسمنت] فهل من أئمة المسلمين من يجيز نقل الميت بعد دفنه؟

رأي لجنة الفتوى

اطلعت اللجنة على هذا وتفيد بأنه إذا كان الحال كما ذكر به جاز نقل هذا الميت إلى مكان آخر ولكن لا يجوز شرعًا نقله إلى ضريح أو قبة كما يصنعه بعض الناس لمن يتعدون فيه الولاية والصلاة.

فإن هذا نهى عنه رسول الله ﷺ فقد روى مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي [حيان بن حصين] عن علي قال: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا [مرتفعًا] إلا سويته. وعن جابر قال: نهى النبي ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه. رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وصححه ولفظه [أي الترمذي] نهى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه .

قال الشوكاني في شرحه للحديث الأول: ومن رفع القبور الداخل تحت دخولاً أوليًا القبب والمشاهد المعمورة على القبور. . . إلى أن قال: وكم سرى عند تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم

---

(١) المرجع السابق (ص / ١٩٩ ـ ٢٠٠) نقلاً عن جريدة الأساس ـ عدد (١٣ / ١٢).

وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا ، وبالجملة فإنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه . فإنا لله وإنا إليه راجعون إلى آخر ما قال في صفحة [٣٢٥] من الجزء الثالث .

وجملة القول : إن اللجنة ترى تحريم نقل هذ الميت إلى ضريح أو قبر ذي قبة للأحاديث التي ذكرها الشوكاني وغيره وهي مفاسد تمس العقيدة وتخل بالإيمان الصحيح .

* * *

تزيين القبور وإقامة الأضرحة عليها [١]

وجهت بعض الهيئات الدينية الإسلامية في الهند إلى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف سؤالاً قالت فيه:

هل من الجائز شرعًا تزيين القبور وإقامة أضرحة عليها؟ وهل يجوز شرعًا إقامة مرافق بجوارها مثل السبيل والمسجد والاستراحة ؟ وما الحكم في وضع بعض الأصص «الزهريات» على القبور، أو إضاءتها في ليالي المواسم الدينية؟

وقد استهل فضيلة الأستاذ الباقوري إجابته على ما يتعلق بتزيين القبور وإقامة أضرحة عليها بأن هذا العمل ضرب من الوثنية وعبادة الأشخاص وقد منعه الإسلام ونهى عنه النبي ﷺ وحث على تركه.

فقد روي عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

وقال على رضي الله عنه لأحد أصحاب النبي ﷺ يوصيه: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته .

وإذا كان المسلمون اليوم يتخذون من تزيين القبور مجالاً للتفاخر والتظاهر ويمضي بعضهم في الشطط حتى يقيم الضريح على القبر ،إظهارًا للميت بأنه من أولياء الله أو بأنه من سلالة فلان أو فلان استغلالاً لهذه الرابطة على حساب الدين فإن ذلك حرام في حرام.

أما إقامة مرافق بجوار القبور كالسبل والمسجد والاستراحة فإن الإسلام يكره مزاحمة القبر والتضييق عليه وهذا إن كانت تلك المرافق على أرض خاصة بالمنشئ أما

---

(١) انظر المرجع السابق (ص / ٢٠١ ـ ٢٠٣). والفتوى للشيخ / أحمد حسن الباقوري ـ رحمه الله ـ نقلاً عن جريدة الأهرام المصرية في [١٤ / ٢ / ١٩٩٥].

إن كانت على أرض عامة للدفن فـيحرم شرعًا شغلها بأي بناء آخـر سوى القبور وفي الأرض متسع لتلك المرافق فيما يجاورها أو يقرب منها.

أما وضع بعض الأصص والرياحين عند القبور وحولها فلا مانع ،ولكن الأشجار حكمها حكم المرافق تكره في المدافن الخاصة وتحرم في المدافن العامة لمزاحمتها للقبور والتضييق على الموتى.

بقي موضوع إضـاءة القبور إشادة بها وبأصحـابها وهذا ليس من الدين في شيء لأن الذي يضيء القـبر هو عـمل الميت وما ادخـر من عـمل صالح وطيب لهـا تلك القناديل أو الشموع أو الثريات التي أقامها الحي الغني.

❊ ❊ ❊

نظرة الإسلام[١]

وقد سأل مندوب «الأهرام» الأستاذ الباقوري عن نظرة الإسلام إلى ذلك: فقال: الإسلام دين المساواة بين الأحياء فكيف يفرق بين الموتى في أشكال القبور ومظاهرها؟

ثم إن الإسلام يقرر أن القبر وقف على الميت وأن على الذين يدفنون الميت أن يضعوا على القبر ما يشير إليه لكيلا يقع من الحي اعتداء على مكان أخيه الميت فيتركه له بعدما ترك هذه الدنيا جميعها واستقر في حفرة صغيرة.

فإذا جاء الأغنياء فأقاموا لموتاهم الأضرحة والقباب وأضاؤوها وحفوها بالحدائق أو الأشجار فإن الإسلام لن يقيم لهم وزنًا بل سيحاسبهم على ما أسرفوا وأضاعوا من أموال وعلى ما اجترؤوا على الله من مظاهر القربى الكاذبة الخداعة.

وقد كان من ترسل الأغنياء في إقامة الأضرحة والقباب أن انصرفوا عن الجوهر إلى المظهر فشمخت القباب والأضرحة في أنحاء العالم الإسلامي وسابقت المآذن وأقيمت الموالد ،كل هذا اعتقادًا بأنه يؤدي عند الله ما قصرت عنه أنفسهم من صلاة أو صوم أو حج أو زكاة ونتج عن ذلك أن عظم المسلمون أصحاب الأضرحة الكبيرة والقباب العالية ونحن نرى في مصر دليلاً على هذا في أصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا فيها مثل عمرو بن العاص وعقبة بن نافع. ممن لا يوليهم المسلمون عناية مثل غيرهم من أصحاب الأضرحة والقباب العالية مع أنهم دونهم في المكانة والقربى من الله بنص حديث رسول الله ﷺ وإجماع أهل العلم والفقه من المسلمين.

هذا في مصر وله أشباه في البلاد الأخرى فقد عرف المستعمرون والمحتلون هذه النقطة من الضعف فعنوا أول ما عنوا بإقامة الأضرحة والقباب في ربوع البلاد، فانصاع الناس لهم وأطاعوهم راضين .

ونحن جميعًا نعلم حيلة نابليون وخديعته للشعب المصري ببيانه المشهور عقب

---

(١) المرجع السابق (ص / ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

احتلاله القاهرة حين سلك السبيل إلينا بتظاهره بالإسلام واحترامه إياه وحين ترسم خطاه الجنرال مينو الذي أعلن أن اسمه [عبد الله مينو] .

كذلك نحن لا ننسى خداع «لورانس» الذي نفذ إلى صميم العروبة باستغلاله المظهر الإسلامي واستيلائه به على أكثر الجزيرة العربية .

وبهذه المناسبة أذكر أن أحد كبار الشرقيين حدثني عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا من أن الضرورة كانت تقتضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد للمستعمر فيه غاية لم نجد أية وسيلة من وسائل الدعاية تجعل القوافل تختاره وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات وما هو إلا أن انتشرت الإشاعات بمن فيها من الأولياء وبما شوهد من كراماتهم حتى صارت تلك الطرق مأهولة مقصودة عامرة .

وأحب أن أرسلها كلمة خالصة لوجه الله إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يقلعوا عن مظاهر المقابر فإنها نعرة للفرد ودعوة إلى الأنانية وإلى الأرستقراطية الممقوتة التي قتلت روح الشرف ، وأن يعودوا إلى رحاب الدين الذي يسوي بين الناس جميعًا أحياء وأمواتًا لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى وما قدمت يداه للإنسانية من أعمال خالصة لوجه الله .

* * *

أحكام مخالفات تقع عند القبور، وما يتصل بالحلف والأيمان والنذور[١]

انتشرت في بعض المجتمعات الإسلاميـة مخالفات متعددة منها ما يقع عند بعض القبور ومنهـا ما يتصل بالحلف والأيمان والنذور . وقد تختـلف أحكام هذه المخالفات بين ما يكون منها من قـبيل الشرك المخرج من الملة وما يكون دون ذلك، فـياحبذا لو تفضل سماحتكم ببسط القول وبيان أحكام تلك المسائل ونصيحة أخرى لعامة المسلمين ترهيبًا لهم من التساهل بأمر تلك المخالفات والتهاون بشأنها ؟

الجواب: الحمد لله وصلى الله وسلم على رسـول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإن كـثيرًا من الناس تلتـبس عليهم الأمور المشـروعة بالأمور الشركـية والمبتـدعة حول القـبور كمـا أن كثيـرًا منهم قد يقع في الشـرك الأكبر بسـبب الجهل والتقليد الأعمى.

فالواجب على أهل العلم في كل مكان أن يوضـحوا للناس دينهم وأن يبينوا لهم حقيقة التوحيد وحقيـقة الشرك ،كما يجب على أهل العلم أن يوضحوا للناس وسائل الشرك وأنواع البـدع الواقعة بينهـم حتى جذورها لقـول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣] .

---

(١) انظر «تحفة الإخوان» بتحقيقي في ما نقلته من المصدر.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠ .

وقال النبي ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» رواه مسلم في صحيحه.

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(١) رواه مسلم أيضًا ،وفي الصحيحين عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(٢) .

والآيات والأحاديث في الدعوة إلى نشر العلم وترغيب الناس في ذلك والتحذير من الإعراض وكتمان العلم كثيرة .

أما ما يقع عند القبور من أنواع الشرك والبدع في بلدان كثيرة فهو أمر معلوم وجدير بالعناية والبيان والتحذير منه ؛ فمن ذلك دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وطلب شفاء المرضى والنصر على الأعداء ونحو ذلك وهذا كله من الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية ،قال الله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٣) .

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾(٤) . وقال سبحانه: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾(٥) .

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾(٦) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة والعبادة التي خلق الثقلان لأجلها وأمروا بها هي توحيده سبحانه وتخصيصه بجميع الطاعات التي أمر بها من صلاة وصوم وزكاة وحج

---

(١) الحديث صحيح.

(٢) الحديث صحيح.

(٣) سورة البقرة: ٢١ .

(٤) سورة الذاريات: ٥٦ .

(٥) سورة الإسراء: ٢٣ .

(٦) سورة البينة: ٥ .

وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١] .

والنسك هو العبادة ومنها الذبح كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[٢] .

وقال النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[٣] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال الله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٤] .

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[٥] .

وقال عز وجل في سورة فاطر: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٦] .

فأوضح سبحانه في هذه الآيات: أن الصلاة لغيره والذبح لغيره ودعاء الأموات والأصنام والأشجار والأحجار كل ذلك من الشرك بالله والكفر به وأن جميع المدعوين من دونه من أنبياء أو ملائكة أو أولياء أو جن أو أصنام أو غيرهم لا يملكون لداعيهم نفعًا ولا ضرًا ، وأن دعوتهم من دونه سبحانه شرك وكفر ، كما أوضح سبحانه أنهم لا يسمعون دعاء داعيهم ولو سمعوا لم يستجيبوا له.

فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس الحذر من ذلك والتحذير منه

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٢) سورة الكوثر: ١ ـ ٢ .
(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم.
(٤) سورة الجن: ١٨ .
(٥) سورة المؤمنون: ١١٧ .
(٦) سورة فاطر: ١٣ ـ ١٤ .

وبيان بطلانه وأنه يخالف ما جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له كما قال - سبحانه -: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] .

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] وقد مكث النبي ﷺ في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو فيها إلى الله - سبحانه - ويحذر الناس من الشرك به ويوضح لهم معنى لا إله إلا الله فاستجاب له الأقلون واستكبر عن طاعته واتباعه الأكثرون ،ثم هاجر - عليه الصلاة والسلام - إلى المدينة فنشر الدعوة إلى الله - سبحانه - في المدينة بين المهاجرين والأنصار وجاهد في سبيل الله وكتب إلى الملوك والرؤساء وأوضح لهم دعوته وما جاء به من الهدى وصبر وصابر في ذلك هو وأصحابه - رضي الله عنهم - حتى ظهر دين الله ودخل الناس في دين الله أفواجًا وانتشر التوحيد وزال الشرك من مكة والمدينة ومن سائر الجزيرة على يده ﷺ وعلى يد أصحابه من بعده . ثم قام أصحابه بالدعوة إلى الله - سبحانه - والجهاد في سبيله في المشارق والمغارب حتى نصرهم الله على أعدائه ومكن لهم في الأرض وظهر دين الله على سائر الأديان كما وعد بذلك - سبحانه - في كتابه العظيم حيث قال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[3] .

ومن البدع ووسائل الشرك ما يفعل عند القبور من الصلاة عندها والقراءة عندها وبناء المساجد والقباب عليها وهذا كله بدعة ومنكر ومن وسائل الشرك الأكبر. ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[4] متفق على صحته من حديث عائشة - رضي الله عنها.

---

(١) سورة النحل: ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥ .

(٣) سورة التوبة: ٣٣ ، سورة الصف: ٩ .

(٤) الحديث صحيح.

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[١] فأوضح ﷺ في هذين الحديثين وما جاء في معناهما: أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فحذر أمته من التشبه بهم باتخاذها مساجد والصلاة عندها والعكوف عندها والقراءة عندها لأن هذا كله من وسائل الشرك ؛ومن ذلك: البناء عليها واتخاذ القباب والستور عليها فكل ذلك من وسائل الشرك والغلو في أهلها ،كما وقع ذلك من اليهود والنصارى ومن جهال هذه الأمة حتى عبدوا أصحاب القبور وذبحوا لهم واستغاثوا بهم ونذروا لهم وطلبوا منهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء كما يعلم ذلك من عرف ما يفعل عند قبر الحسين والبدوي والشيخ عبد القادر الجيلاني وابن عربي وغيرهم من أنواع الشرك الأكبر .والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تجصيص القبور والقعود عليها والبناء عليها والكتابة عليها وما ذاك إلا لأن تجصيصها والبناء عليها من وسائل الشرك الأكبر بأهلها.

فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبًا الحذر من هذا الشرك ومن هذه البدع وسؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة والسير على منهج سلف الأمة عما أشكل عليهم من أمور دينهم حتى يعبدوا الله على بصيرة عملاً بقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾[٢] .

وقول النبي ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**». وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٣] .

---

(١) الحديث صحيح.

(٢) سورة الأنبياء: ٧ .

(٣) سبق تخريجه.

ومعلوم أن العباد لم يخلقوا عبثًا وإنما خلقوا لحكمة عظيمة وغاية شريفة وهي عبادة الله وحده دون كل ما سواه كما قال ـ عز وجل ـ: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[1] .

ولا سبيل إلى معرفة هذه العبادة إلا بتدبر الكتاب العظيم والسنة المطهرة ومعرفة ما أمر الله به ورسوله من أنواع العبادة وسؤال أهل العلم عما أشكل في ذلك .

وبذلك تعرف عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ التي خلق العباد من أجلها وتؤدى على الوجه الذي شرعه الله، وهذا هو السبيل الوحيد إلى مرضاة الله ـ سبحانه ـ والفوز بكرامته والنجاة من غضبه وعقابه ،وفق الله المسلمين لكل ما فيه رضاه ومنحهم الفقه في دينه وولى عليهم خيارهم وأصلح قادتهم ووفق علماء المسلمين لأداء ما يجب عليهم من الدعوة والتعليم والنصح والتوجيه إنه جواد كريم.

ومن أنواع الشرك الحلف بغير الله كالحلف بالأنبياء وبرأس فلان وحياة فلان والحلف بالأمانة والشرف، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[2] متفق على صحته وقوله ﷺ: «**من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**»[3] رواه الإمام أحمد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح.

وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[4] أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حلف بالأمانة فليس منا** » .

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: « **لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون** » .

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦ .

(٢) الحديث صحيح.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة . والحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يفضي إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد تعظيمه مثل تعظيم الله أو أنه ينفع ويضر دون الله أو أنه يصلح لأن يدعى أو يستغاث به ،ومن هذا الباب قول: ما شاء الله وشاء فلان ولولا فلان: وهذا من الله وفلان.

وهذا كله من الشرك الأصغر لقول النبي ﷺ : **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»** .

وبهذا يعلم أنه لا حرج بأن يقول: لولا الله ثم فلان أو هذا من الله ثم فلان إذا كان له تسبب في ذلك.

وثبت عنه ﷺ أن رجلاً قال له: ما شاء الله وشئت فقال له ﷺ: **«أجعلتني لله ندًا قل ما شاء الله وحده»** فدل هذا الحديث على أنه إذا قال ما شاء الله وحده فهذا هو الأكمل، وإن قال ما شاء الله ثم شاء فلان فلا حرج جمعًا بين الأحاديث والأدلة كلها . والله ولي التوفيق .

❊ ❊ ❊

بعض الانحرافات العقدية

الشريعة والحقيقة «الظاهر والباطن» (١)

وقع المتصوفة في انحرافات عقدية خطيرة تغلغلت في طرقهم من عقائد الشيعة والباطنية خاصة، كما أنها دخلت إليهم من عقائد الملل الأخرى مما أوقع القوم في ضلالات ، ومن أولها هذا الانحراف الذي قسم الدين فيه إلى ظاهر وباطن وإلى شريعة وحقيقة ثم انجرفوا إلى القول بسقوط التكاليف الشرعية وتأويل القرآن تأويلاً باطنيًا فاسدًا.

فالشريعة كما يراها المتصوفة ـ هي مجموعة من الأحكام العملية التكليفية أي ما يسمى « بالفقه الإسلامي» والحقيقة هي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار حسب زعمهم .لقد أهملوا علوم الشريعة لأنها عندهم من علوم الظاهر التي لا تؤدي بزعمهم للوصول إلى الحضرة كما هو شأن علم الباطن ويسمون العلماء بحملة الشريعة، بينما يسمون أنفسهم بحملة الحقيقة.

ومن هنا احتقر المتصوفة العلم وأهله وقبحوا طريقة العلماء في فهم الكتاب والسنة حتى ترك كثير من علمائهم في القرنين الأخيرين حلقات التدريس والعلم واعتزلوا الناس تمامًا ليتفرغوا للأتباع والمريدين(٢) .

وقد نقل عن الجنيد أنه كان يقول: «المريد الصادق غني عن علم العلماء وإذا أراد الله بالمريد خيرًا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء»(٣) .

فالفقهاء في نظر الصوفية يعلمون الناس أركان الصلاة وسننها ، بينما هم يهتمون .

---

(١) انظر كتاب: «نظرة موضوعية في بيان حقيقة الصوفية » وهو أحد فصول كتاب «بدع الاعتقاد» للشيخ / محمد حامد الناصر. إعداد سليمان بن صالح الخراشي [ص / ٢٧ ـ ٣٤].

(٢) انظر: «الأحوال الدينية عند المسلمين» في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين ـ رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى سنة ١٤١٤ هـ ـ على بن بخيت الزهراني.

(٣) انظر طبقات الشعراني (١ / ٨٤) ط (١٣٠٥ هـ).

بأعمال القلوب من المحبة والخشية . ويقول غلاتهم: إن هذه الأحكام خاصة بعوام المسلمين نظرًا لضيق عقولهم وقلوبهم عن استيعاب المعاني العلوية دون الالتزام برسوم وأشكال معينة» (١) .

وقد انحرف غلاتهم بعد ذلك إلى التنفير من علوم الحديث حتى يضعوا الأحاديث لتناسب طرائقهم وبدعهم ولهم في ذلك عجائب لا تحصى ، من ذلك :

ما نقله فريد الدين العطار عن أبي الحسين الخرقاني أنه قال: «وهبني الله جميع العلوم والمعارف مع كوني أميًا وقرأت الحديث على رسول الله ﷺ فلم يصدقه مريده فرأى ـ المريد ـ في المنام رسول الله وسمعه يقول: صدق الرجل صدق الرجل. وقال المريد: بدأت بعدها أتردد إلى الشيخ وأقرأ الحديث فأحيانًا كان يقول: هذا الحديث ليس بصحيح ولما سألته كيف عرف ذلك ؟ قال: لما تقرأ الحديث أشتغل بمشاهدة رسول الله ﷺ فكلما قرأت الحديث الصحيح يبتسم النبي وتنورت جبهته وإذا مررت بحديث موضوع أرى كآبة على وجهه ﷺ فبذلك أميز الصحيح من الضعيف» (٢) .

ويصرح الدباغ قائلاً: « قد ينزل الملك على الولي ويخبره بصحة حديث ضعفه العلماء» (٣) فالمتصوفة يرون أن العلم اللدني ليس بينه وبين الغيب حجاب ، أي أنه لا يحتاج إلى إسناده وقد جعلوا حديث الناس حديثًا للنبي المعصوم معتمدين على كشفهم وإهمامهم فجعلوا الموضوع ثابتًا والسقيم صحيحًا دون النظر إلى رواته قائلين: بأنهم سمعوه عن النبي رأسًا أو علموا تصحيحه عن رسول الله مشافهة أو بواسطة الملك أو بتعليم الخضر» (٤) .

لقد خالف المتصوفة ما قاله العلماء في أهمية علم الإسناد في الحديث النبوي فعن عبد الله بن المبارك أنه قال: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » رواه مسلم.

---

(١) الصوفية ـ العبدة (ص ٥١) طارق عبد الحليم.

(٢) انظر «تذكرة الأولياء» فريد الدين العطار (ص / ٢٧٧) نقلاً عن دراسات في التصوف (ص / ١٢٩).

(٣) انظر «الإبريز» عبد العزيز الدباغ (ص / ١٥١) ط مصر.

(٤) دراسات في التصوف (ص / ١٣ ـ ١٣١) إحسان إلهي ظهير.

وما أكثر ما يقول المتصوفة ردًا على أهل الحديث لتمسكهم بالإسناد «أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»[١] أي «أخذتم علمكم عن الرجال، رجال السند وقد ماتوا ، أما علمهم فقد أخذوه مباشرة عن الحي الذي لا يموت ،هذا مع ادعائهم في كتبهم قائلين «علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة».

الظاهر والباطن :

لقد ادعى المتصوفة أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا ؛فالظاهر هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي وهو ما يهتم به علماء الظاهر أما الباطن فهو العلم الخفي وراء تلك الألفاظ وهو المراد الحقيقي بها وهذا لا يطلع عليه إلا الخواص من أصحاب المقامات السامية ويطلقون عليه «الإشارات» وهم يغمزون أهل الفقه بأنهم لا يهتمون بأعمال القلوب[٢] .

ولعل فكرة الظاهر والباطن تسربت إلى التصوف من التشيع ، إذ إن الشيعة بجميع فرقها وخاصة الإسماعيلية منهم يعتقدون أن لكل ظاهر باطنًا وقد اختص معرفة الباطن علي رضي الله عنه وأولاده وأئمتهم المعصومون حسب زعمهم . وقد سموا الموالين لهم بالخاصة وغير الموالين بالعامة.

ثم قسموا الظاهر والباطن بين النبي ﷺ والوصي وقالوا : «كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض منه جزيل الإنعام»[٣] .

يقصدون عليا رضي الله عنه ثم قالوا: «إن الظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة وصاحب الشريعة هو الرسول محمد ﷺ وصاحب الحقيقة هو الوصي علي ابن أبي طالب»[٤] وقال المتصوفة: « العلوم ثلاثة: ظاهر ،وباطن، وباطن الباطن كما أن الإنسان له ظاهر وباطن وباطن الباطن.

---

(١) انظر «ذخائر الأخلاق» ابن عربي (ص / ١٥٣) ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

(٢) الصوفية ـ العبدة ـ طارق عبد الحليم (ص / ٥١).

(٣) الذخيرة في الحقيقة ـ للداعي الإسماعيلي علي بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢ هـ (ص/ ١١٣). ط دار الثقافة ـ بيروت ـ نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر (ص / ٢٤٣).

(٤) الافتخار ـ للداعي أبي يعقوب السجستاني (ص / ٧١) ط لبنان.

فعلم الشريعة ظاهر وعلم الطريقة باطن وعلم الحقيقة باطن الباطن»[(١)] .

ونلاحظ أن التوافق بينهم وبين الباطنية الإسماعيلية في هذه المصطلحات واضح جلي فما سبب توغل الصوفية في علم الباطن.

وما سبب لجوئهم إليه؟

يقول الصوفية: «إن علم الباطن المسمى بعلم القلب وبعلم التصوف علم جليل شريف نفيس وهو أجل العلوم وأشرفها وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التي لم تبعث الأنبياء إلا لأجلها [(٢)] وقالوا:

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن إلا كجسم فيه روح ساكن

والعلم الظاهر هو علم العبودية . والعلم الباطن هو علم الربوبية[(٣)]:

وسئل بعض علمائهم عن علم الباطن أي شيء هو؟

فقال: «سر من الله تعالى يقذفه في قلوب عباده لم يُطلع عليه ملكًا ولا بشرًا»[(٤)].

ومن أسباب ذلك أيضًا: « أن الصوفية تقوَّلوا بكلمات كلها كفر وإلحاد ونقل عن الباطنية والتشيع فلما سمع العلماء هذه المقولات كفروهم بها ورموهم بالإلحاد والزندقة فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن والهروب إلى التأويل»[(٥)] .

فالمتصوفة يدعون «أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة أو أن رسول الله ﷺ مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها أما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها أو لم يكن يعرفها أو هم أعرف بها منه أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته» [(٦)] .

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية : ابن عجيبة الحسني (ص / ٣٣٣) ط عالم الفكر ـ القاهرة.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير (ص / ٢٤٨).

(٣) الفتوحات الإلهية: ابن عجيبة (ص ٣٣٣).

(٤) قوت القلوب: لأبي طالب المكي (ص ١٢٠) ط دار صادر بيروت.

(٥) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٢٥٢).

(٦) مجموع الفتاوى ابن تيمية (١١ / ٦٥).

ومن ادعى من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن له طريقا لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين، فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر»[1].

ومن بعض ضلالاتهم «أنهم قد يقولون كما يقول صاحب «الفصوص» ابن عربي أنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى رسول الله، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة»[2].

وقد نتج عن هذه العقيدة المنحرفة أمران خطيران:

١ ـ سقوط التكاليف الشرعية عن نساكهم ومتقدميهم.

٢ ـ الضلال في تفسير القرآن اعتماداً على التأويل الباطني.

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية (١١ / ٢٢٥).

(٢) المرجع السابق (١١ / ٢٢٧).

القول الفصل في مُدَّعي الولاية [١]

والقول الفصل في مدَّعي الولاية: ما قاله ابن تيمية رحـمه الله قال: «من اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقًا إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان، ولو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد فليس بمؤمن ولا ولي لله تعالى كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم ،وكل من له علم أو زهد وعبادة في دينه وليس مؤمنًا بجميع ما جاء به فهو كافر عدو لله وإن ظن طائفة أنه ولي لله».

والناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى [٢] .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «نظرة موضوعية في بيان حقيقة الصوفية» وهو أحد فصول كتاب «بدع الاعتقاد» للشيخ/ محمد حامد الناصر ـ إعداد سليمان بن صالح الخراشي (ص / ٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية (١١ / ١٧٠ ـ ١٧٥).

البدعة[1]

البدعة في اللغة: مصدر (بدع)، وهو: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، وإحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر.

فالبدعة لغة: خلاف السنة، وهي اسم لما ابتدع في الدين وغيره .

والبدعة في الاصطلاح الشرعي: كل اعتقاد أو قول أو فعل أو ترك تعبد به لله تعالى، وليس في الشرع ما يدل على مشروعيته.

والبدعة تنقسم بحسب متعلقها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: البدعة الاعتقادية : وهي اعتقاد خلاف ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ .

ومن أمثلة هذه البدعة: بدعة التمثيل أو التعطيل، وبدعة نفي القدر أو القول بالجبر، والابتداع باستعمال علم الكلام والاعتماد على العقل البشري[2] وكاعتقاد أن الأولياء يتصرفون في الكون ونحو ذلك.

القسم الثاني: البدعة العملية: وهي التعبد لله بغير ما شرع، وذلك بإحداث عبادة

---

(١) انظر تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية (ص / ١٦٥ -١٦٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: الاعتصام - باب الاقتداء (١٣ / ٢٥٣) بعد ذكره لبعض الأمور التي أحدثت وأدركها بعض السلف، قال: «اشتد إنكار السلف لذلك كأبي حنيفة وأبي يوسف والشافعي، وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور، وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه ، وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر شيء من الأهواء. يعني بدع الخوارج والروافض والقدرية . وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرهًا، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف. . إلخ».

لم تُشرع، أو الزيادة أو النقص في عبادة مشروعة، أو الإتيان بالعبادة على صفة محدثة ، أو المواظبة على عبادة مشروعة في وقت معين، مع أنه لم يرد دليل شرعي على مشروعيتها في هذا الوقت.

ومن أمثلة هذه البدعة: البناء على القبور، والدعاء عندها، وبناء المساجد عليها، والأعياد والاحتفالات المحدثة التي يُتعبد لله تعالى بها، ونحو ذلك.

القسم الثالث: بدعة الترك : وهي ترك المباح أو ترك ما طلب فعله تعبدًا .

ومن أمثلة هذه البدعة: ترك أكل اللحم تعبُّدًا ، وترك الزواج تعبُّدًا .

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريم البدع والتغليظ على مبتدعها وفاعلها، ومن أهمها قول الله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾[1] وما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[2] رواه مسلم، وما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[3] وما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[4] رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[5] .

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الثلاثة الذين أرادوا أن يزيدوا

---

(١) سورة الشورى: ٢١ .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٣) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد (٤ / ١٢٦) والدارمي (٩٥) والحاكم (١ / ٩٥ ـ ٩٦).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ فذكرته.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٧١٨).

على عبادة النبي ﷺ ، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[١] رواه البخاري ومسلم.

فصيغ العموم الواردة في النصوص السابقة تدل على تحريم جميع البدع التي يحدثها الناس، ويتعبدون لله بها وليس لها أصل في الشرع وأنه ليس شيء منها حسنًا.

وهذه الصيغ العامة هي: «ما» في الآية والحديث، و«**كل محدثة بدعة**» و «**كل بدعة ضلالة**» و«**عملاً**» فهذه الألفاظ كلها تدل على العموم ، فهي صريحة في أن جميع البدع محرمة وممنوع من فعلها[٢] .

فلا يجوز لمسلم أن يعارض قول رسول الله ﷺ بقول غيره من البشر كائنًا من كان ، فإن عارض قوله ﷺ بقول غيره، كان ذلك دليلاً على ضعف التأسي بالنبي ﷺ ، ودليلاً على نقص محبته له عليه الصلاة والسلام، لتقديمه قول غيره وهوى نفسه على سنة خير البشر ﷺ [٣] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي في الاعتصام ١ / ١٤١ ، ١٤٣ : «جاء في الأحاديث المتعددة والمتكررة في أوقات شتى وبحسب الأحوال المختلفة، أن كل بدعة ضلالة، وأن كل محدثة بدعة، وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على أن البدع مذمومة . ولم يأت في آية ولا حديث تقييد ولا تخصيص ولا ما يفهم منه خلاف ظاهر الكلية فيها. فدل ذلك دلالة واضحة على أنها على عمومها وإطلاقها» انتهى كلامه رحمه الله.

(٣) إذ كيف يقول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» ثم يأتي ويقول: بل ليس كل بدعة ضلالة، وبدعة كذا حسنة، وهذا بلا شك مضادة للشرع الذي جاء به النبي ﷺ. قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي في الاعتصام ١ / ١٤٢ ـ ١٤٤ بعد كلامه الذي سبق نقله قريبًا، وبعد ذكر إجماع الصحابة على ترك البدع: «إن متعقل البدعة يقتضي ذلك بنفسه؛ لأنه من باب مضادة الشارع واطراح الشرع، وكل ما كان بهذه المثابة فمحال أن ينقسم إلى حسن وقبيح، وأن يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم، إذ لا يصح في معقول ولا منقول استحسان =

وقد ثبت عن الإمام مالك أنه قال: من ابتـدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خـان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾(١) فما لم يكن يومئذ دينًـا فلا يكون اليوم دينًا (٢) ، وقد ثبت عن جمع مـن أصحاب النبي ﷺ النهي عن كثير من البدع في وقائع متعددة.

وقـد حكى الإمام أبو إسـحاق الـشاطبي المالكي الأندلـسي إجمـاع السلف من الصحابـة والتابعين ومن يليهم على ذم البدع وتقـبيحهـا، وهذا إجماع صحـيح غير مخروم، فلم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه أجاز شيئًا من البدع أو تساهل في أمرها (٣) ، بل قد ثـبت عن ابن عمر ـ رضـي الله عنهمـا أنه قال: «**كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة**».

= مشاقة الشارع، والشرع قد دل على أن الهـوى هو المتبع الأول في البدع، وهو المقصود السابق في حقهم ودليل الشـرع كالتبع في حقهم، ولذلك تجـدهم يتأولون كل دليل خالف هواهم، ويتبعون كل شبهة وافقت أغراضهم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة آل عمـران: ٧] فأثبت لهم الزيغ أولاً، وهو الميل عن الصـواب ، ثم اتباع المتـشابه وهو خـلاف المحكم الواضح المعنى، الذي هو أم الكتـاب ومعظمـه. ومتشـابهه على هذا قليل، فـتركوا اتبـاع المعظم إلى اتباع الأقل المتـشابه الذي لا يعطي مفهومًا واضحًا ابتغاء تأويله».

(١) سورة المائدة: ٣ .

(٢) روى هذا القول عن الإمام مالك تلميذه ابن الماجشون كما في الاعتصام ١ / ٤٩ ، وقال أبو إسحاق الشاطبي الأندلسي المـالكي في الموضع السابق من الاعتصام: «فالمبتـدع إنما محصول قوله بـلسان حاله أو مـقاله: إن الشـريعة لم تتم، وأنه بـقي منها أشياء يجب أو يسـتحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها».

(٣) أما مـا رواه البخـاري (٢٠١٠) عن عمر رضي الله عـنه أنه قال لما جمع النـاس على إمام واحد في صـلاة التراويح : «نعمت البدعـة هذه» . فالمراد بدعة لغـة ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صلاة التراويـح (٢٠١٢) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ صلى بالناس التـراويح ثلاث ليال ثم اجتـمع الناس في الليلة الرابعـة فلم يخرج عليـهم ﷺ حتى خرج لصلاة الصبح، فلمـا قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثـم قال: «أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشـيت أن تفرض عليكم فتعـجزوا عنها»، فهل مـا فعله النبي ﷺ يصح أن تسمى بدعة شرعية؟ إذن فهو بدعة في اللغة لا في الشرع، ثم إن ما فعله =

فالبدع محرمة ومذمومة كلها [1] ،وخطرها كبير سواء منها ما هو شرك وكفر أم ما لم يصل منها إلى درجة الشرك والكفر.

وما كان من البدع دون الشرك والكفر فهو من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في الشرك والكفر، فإذا فتح المسلم لنفسه باب الابتداع في الدين، أو استحسن شيئًا من البدع فلن يقف في غالب الأحوال هو أو من يقلده عند حد يقع في الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر.

= الخلفاء الراشدون مما لم يكن له مثال سابق لا يعتبر بدعة بالمعنى الشرعي، بل هو سنة لحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...» الحديث، ومثل فعل الخلفاء الراشدين أو قولهم ما جاء عن أحد من أصحاب النبي ﷺ عند من يرى أن قول الصحابي حجة، وبالأخص إذا كان في عصر الخلفاء الراشدين.

(١) ذكر الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي أن ما قيل فيه من البدع «مكروه» ينبغي أن يُحمل على كراهة التحريم ،لعموم قوله ﷺ : «كل بدعة ضلالة» والضلالة ضد الهدى، ولأنه ليس في الشرع دليل يدل على ارتفاع الإثم عن فاعل أي بدعة، بل ورد في الشرع ما يدل على خلاف ذلك ، وهو حديث: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» وهذه العبارة أشد شيء في الإنكار مع أنهم إنما التزموا ترك بعض المباحات تعبداً، وبعضهم التزم فعل بعض العبادات التي أصلها مشروع كالصلاة والصيام لكن على طريقة لم ترد في السنة.
وذكر أن الصغائر قد تتحول إلى كبائر إذا داوم عليها، أو دعا إليها، أو فعلها في مجتمعات الناس، أو استحقرها واستهان بها، فالاستهانة بالذنب أعظم من الذنب، ينظر: الاعتصام: الباب السادس ٢ / ٤٩ ـ ٧٢ .
وقال: الشيخ أحمد الرومي الحنفي كما في المجالس الأربعة من مجالس الأبرار ص ٣٧٢: «البدعة في الاعتقاد بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر، لكنها أكبر من كل كبيرة حتى القتل والزنا، وليس فوقها إلا الكفر، والبدعة في العبادة وإن كانت دونها لكن فعلها عصيان وضلال، لا سيما إذا صادمت سنة مؤكدة».
وقال الشيخ محمد بن عبد السلام الشقيري المصري في السنن والمبتدعات ص ١٧ : «وقد ذهب كثير من محققي العلماء إلى أن كل بدعة في الدين صغيرة كانت أو كبيرة فهي محرمة، واستدلوا لذلك بالأحاديث التي جاءت في ذم البدع بصيغ العموم».

وقال في كتاب التوحيد [١] :

البدعة في اللغة:

مأخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [٢] أي مخترعها على غير مثال سابق وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [٣] أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل . ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق إليها .

والابتداع على قسمين :

١ ـ ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح لأن الأصل في العادات الإباحة:

٢ـ وابتداع في الدين ، وهذا محرم ؛ لأن الأصل فيه التوقف، قال ﷺ « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» [٤] وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» [٥] .

أنواع البدع ـ البدعة في الدين نوعان :

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صيامًا غير مشروع أصلاً أو أعيادًا غير مشروعة كالأعياد والموالد وغيرها.

---

(١) انظر كتاب التوحيد [ص / ١٠٣ ـ ١٠٨] مع تحقيقي لما نقلته من المصدر .
(٢) سورة البقرة: ١١٧ .
(٣) سورة الأحقاف: ٩ .
(٤) الحديث: سبق تخريجه.
(٥) الحديث: سبق تخريجه .

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

القسم الرابع : ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليله بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها :

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة لقوله ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[١] .

وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢] .

وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣] .

فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة. فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربًا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، وكأقوال غلالة الجهمية والمعتزلة. ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها . ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدع الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائمًا في الشمس والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع .

---

(١) انظره محققًا تحقيقًا مطولاً في مقدمة الكتاب.

(٢) الحديث: سبق تخريجه.

(٣) الحديث: سبق تخريجه.

تنبيه: من قسم البدعة إلى بدع حسنة وبدع سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله ﷺ: **«كل بدعة ضلالة»** (١) لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة.

قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: فقوله ﷺ: **«كل بدعة ضلالة»** من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»**. فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة . انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نعمت البدعة هذه» (٢) .

وقالوا أيضًا: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة وقول عمر (نعمت البدعة) يريد البدعة اللغوية لا الشرعية.

فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل: إنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعًا.

لأن البدعة شرعًا: ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن لكن كان مكتوبًا متفرقًا فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد حفظًا له، والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي وتخلف عنها في الأخير خشية أن تفرض عليهم . واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعًا متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته إلى

---

(١) انظره في مقدمة الكتاب مع الفوائد الجمة المذكورة في ثنايا تحقيقه.

(٢) الحديث: رواه البخاري (١٩٠٦)، ومالك (٢٥٠)، وعبد الرزاق (٧٧٢٣)، وابن خزيمة (١١٠٠)، والبيهقي (٤٣٧٩)، وانظر «كنز العمال» (٢٣٤٦٦).

أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ وليس هذا بدعة في الدين. وكتابة الحديث أيضًا لها أصل في الشرع فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه. فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحذور لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ ،فدون المسلمون الحديث بعد ذلك حفظًا له من الضياع . فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين.

* * *

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها[١]

١ ـ ظهور البدع في حياة المسلمين وتحته مسألتان:

المسألة الأولى : وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقعت في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: **«من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»**[٢] وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعة التشيع والخوارج ،ولما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية ،ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة ،وحدثت المرجئة قريبًا من ذلك ،وأما الجهمية فإنما حدثت في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز . وقد روي أنه أنذر بهم وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك.

هذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال وحدثت الفتن بين المسلمين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة. وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت.

المسألة الثانية : مكان ظهور البدع :

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» (ص / ١٠٩ ـ ١١٣) مع تحقيقنا لما نقلنا من المصدر.

(٢) الحديث: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١٧١٨٤)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (٣٢٩) وقال: صحيح ليس له علة ، والبيهقي (٢٠١٢٥)، وابن حبان (٥)، والدارمي (٩٥).

ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان والعراقان والشام منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك .

والشام كان بها النصب والقدر. وأما التجهم فإنما ظهر في ناحية خراسان وهو شر البدع وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية . فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وإن كان بها من هو مضمر لذلك فكان عندهم مهانًا مذمومًا، إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم ولكن كانوا مقهورين ذليلين بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة والاعتزال وبدع النساك بالبصرة والنصب بالشام فإنه كان ظاهرًا وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها. ولم يزل العلم والإيمان ظاهرًا إلى زمن أصحاب مالك وهم من أهل القرن الرابع.

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج من سائر الأمصار.

٢ ـ الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع :

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾[١] ، وقد وضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله خطًا فقال: « هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم تلا : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[٢] فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعته الطرق المضلة والبدع المحدثة.

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٥٣، والحديث : إسناده حسن ـ رواه ابن حبان في صحيحه باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً ـ الجزء الأول (٦) (١ / ١٨٠)، ورواه غيره .

فالأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية:

الجهل بأحكام الدين ، واتباع الهوى والتعصب للآراء والأشخاص والتشبه بالكفار وتقليدهم ، ونتناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

أ ـ الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قَلَّ العلم وفشا الجهل كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «**من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**» (١) .

وقوله: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(٢) فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

ب ـ اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ** ﴾ (٤) والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

ج ـ التعصب للآراء والرجال:

يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾(٥) وهذا هو الشأن في المتعصبين اليوم من بعض

---

(١) الحديث: سبق تخريجه.

(٢) الحديث صحيح: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، وأحمد (٦٥١١) والترمذي (٢٦٥٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٥٢)، وابن أبي شيبة (٣٧٥٩٠)، والدارمي (٢٣٩)، وابن حبان (٤٥٧١).

(٣) سورة القصص: ٥٠

(٤) سورة الجاثية: ٢٣ .

(٥) سورة البقرة: ١٧٠ .

أتباع المذاهب الصوفيـة والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنـة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشائخهم وآبائهم وأجدادهم.

د ـ التشبه بالكفار :

هو من أشد ما يوقع في البـدع كما في حديث أبي واقد الليـثي قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثـاء عهد بكفر وللمشـركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسـلحتهم يقـال لها: ذات أنواط فمـررنا بسدرة فقلـنا: يا رسول الله، اجعل لـنا ذات أنواط كما لـهم ذات أنواط. فقال رسـول الله ﷺ : «**الله أكـبر إنهـا السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[١] لتركبن سنن من كان قبلكم**»[٢] .

ففي هذا الحـديث أن التشبه بـالكفار هو الذي حمل بني إسـرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد ﷺ أن يسألوه أن يجـعل لهم شجرة يتـبركون بهـا من دون الله . وهذا نفس الواقع اليوم فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات مثل أعياد الموالد وإقـامة الأيام والأسـابيع لأعمـال مخـصصـة والاحتـفال بالمناسـبات الدينـية والذكريات وإقـامة التماثيل والـنصب التذكارية وإقامـة المآتم وبدع الجنائز والبناء على القبور وغير ذلك.

* * *

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨ .

(٢) الحديث: رواه أحـمد في «مسنـده» (٢١٩٥٠)، والطبراني (٣٢٩٢)، والحمـيدي (٨٤٨)، وابن حبان (٦٧٠٢)، وغيرهم.

دعوى البدعة الحسنة وحقيقة هذه الدعوى[(١)]

ما ادعاه بعض العلماء من أن هناك بدعة حسنة ، فلا تخلو من حالين :

١ ـ ألاَّ تكون بدعة لكن يظنها بدعة.

٢ ـ أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها . فكل ما ادعى أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا . وعلى هذا فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ : «**كل بدعة ضلالة**» إن هذا السيف الصارم إنما صنع في مصانع النبوة والرسالة ،إنه لم يصنع في مصانع مضطربة لكنه صنع في مصانع النبوة وصاغه النبي ﷺ هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول: إنها حسنة ورسول الله ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة**» .

وكأني أحس أن في نفوسكم دبيبًا يقول ما تقول في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الموفق للصواب حينما أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في رمضان فخرج والناس على إمامهم مجتمعون فقال:«نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها أفضل من التي يقومون»[(٢)] .

فالجواب عن ذلك من وجهين :

الوجه الأول: أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول ﷺ بأي كلام ،لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها ،ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها ،ولا بكلام أحد غيرهم لأن الله تعالى يقول:

---

(١) انظر الإبداع في كمال الشرع وحظر الابتداع ـ للشيخ / محمد بن صالح العثيمين ـ [ص/ ١٤ ـ ٢١] إعداد فهد بن ناصر سلمان ـ وكالة المطبوعات والبحث العلمي ـ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية [١٤٢٩ هـ].

(٢) الحديث صحيح: رواه البخاري (٢٠١٠)ـ كتاب صلاة التراويح ـ باب فضل من قام رمضان.

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]. قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتدري ما يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك» اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر».

الوجه الثاني: إننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس تعظيمًا لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ وكان مشهورًا بالوقوف على حدود الله تعالى حتى كان يوصف بأنه كان وقافًا عند كلام الله تعالى. وما قصة المرأة التي عارضته ـ إن صحت القصة ـ في تحديد المهور بمجهولة عند الكثير حيث عارضته بقوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[٣] فانتهى عمر عما أراد من تحديد المهور. لكن هذه القصة في صحتها نظر. لكن المراد بيان أن عمر كان وقافًا عند حدود الله تعالى لا يتعداها. فلا يليق بعمر رضي الله عنه وهو من هو أن يخالف كلام سيد البشر محمد ﷺ وأن يقول عن بدعة «نعمت البدعة» وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله بقوله: «**كل بدعة ضلالة**» بل لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر: إنها «نعمت البدعة» على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي ﷺ في قوله: «**كل بدعة ضلالة**» فعمر رضي الله عنه يشير بقوله «نعمت البدعة هذه» إلى جمع الناس على إمام واحد بعد أن كانوا متفرقين وكان أصل قيام رمضان من رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة وقال: «**إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها**»[٣] فقيام الليل في رمضان جماعة من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وسماها عمر رضي الله عنه بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه ويقوم الرجل

---

(١) سورة النور: ٦٣.

(٢) سورة النساء: ٢١.

(٣) الحديث صحيح: رواه البخاري (٢٠١٢) كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ومسلم (٧٦١) كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

ومعه الرجل والرجل ومعه الرجلان والرهط والنفر في المسجد فرأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه برأيه السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة فهي بدعة اعتبارية إضافية وليست بدعة مطلقة إنشائية أنشأها عمر رضي الله عنه لأن هذه السنة كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ .فهي سنة لكنها تركت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى أعادها عمر رضي الله عنه ،وبهذا التقعيد لا يمكن أبدا أن يجد أهل البدع في قول عمر هذا منفذًا لما استحسنوا من بدعهم.

وقد يقول قائل: هناك أشياء مبتدعة قبلها المسلمون وعملوا بها وهي لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ كالمدارس وتصنيف الكتب وما أشبه ذلك وهذه البدعة استحسنها المسلمون وعملوا بها ورأوا أنها من خيار العمل فكيف تجمع بين هذا الذي يكاد أن يكون مجمعًا عليه بين المسلمين وبين قول قائد المسلمين ونبي المسلمين ورسول رب العالمين ﷺ : **«كل بدعة ضلالة»**.

فالجواب: أن نقول هذا في الواقع ليس ببدعة بل هذا وسيلة إلى مشروع والوسائل تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة، ومن القواعد المقررة أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فوسائل المشروع مشروعة ووسائل غير المشروع غير مشروعة، بل وسائل المحرم حرام. والخير إذا كان وسيلة للشر كان شرًا ممنوعًا واستمع إلى الله عز وجل حيث يقول: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[1] وسب آلهة المشركين ليس عدوًا بل حق وفي محله لكن سب رب العالمين عدو وفي غير محله وعدوان وظلم .ولهذا لما كان سب آلهة المشركين المحمود سببًا مفضيًا إلى سب الله كان محرمًا ممنوعًا. سقت هذا دليلاً على أن الوسائل لها أحكام المقاصد فالمدارس وتصنيف العلم وتأليف الكتب وإن كان بدعة لم يوجد في عهد النبي ﷺ على هذا الوجه إلا أنه مقصد بل هو وسيلة والوسائل لها أحكام المقاصد ولهذا لو بنى شخص مدرسة لتعليم علم محرم كان البناء حرامًا ولو بنى مدرسة لتعليم علم شرعي كان البناء مشروعًا.

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٨ .

فإن قال قائل: كيف تجيب عن قول النبي ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[1] وسن بمعنى (شرع).

فالجواب: أن من قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**». هو القائل: «**كل بدعة ضلالة**» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر. ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبدًا.

ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبدًا ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسول الله ﷺ متناقضًا فليعد النظر فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه وإما عن تقصير ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبدًا.

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث «**كل بدعة ضلالة**» لحديث: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أن النبي ﷺ يقول: «**من سن في الإسلام**» والبدع ليست من الإسلام ويقول: «**حسنة**» والبدعة ليست بحسنة وفرق بين السن والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنى «من سن» من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها وعلى هذا فيكون «السن» إضافيًا نسبيًا كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك جواب ثالث يدل له سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلى النبي ﷺ وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي ﷺ إلى التبرع لهم فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**» فهنا يكون معنى «السن» سن العمل تنفيذًا وليس سن العمل تشريعًا فصار معنى «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» من عمل بها تنفيذًا لا تشريعًا لأن التشريع ممنوع «**كل بدعة ضلالة**».

* * *

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم (١٠١٧) كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد عليهم[(١)]

١ ـ موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة:

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها . وإليك نماذج من ذلك :

* عن أم الدرداء قالت: دخل علي أبو الدرداء مغضبًا فقلت له : ما لك ؟فقال: والله ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعًا [(٢)] .

* عن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعًا فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرًا ـ قال: وما هو؟ قال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة. فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة فيقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال: فماذا قلت لهم؟ فقال: ما قلت لهم انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليها فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ فعدوا سيئاتكم . فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم . هؤلاء أصحابه متوافرون وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة ، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم مريد للخير لن يصيبه ،إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» (ص / ١١٤ ـ ١١٧) مع تحقيقي لما نقلته من المصدر .

(٢) الحديث أخرجه ابن عساكر (٤٧ / ١٩١) وانظر «كنز العمال» (٢٢٨٠٤).

يجاوز تراقيهم ، وايم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم .فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج [١] .

* جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال : من أين أحرم ؟ فقال: من الميقات الذي وقت رسول الله ﷺ وأحرم منه . فقال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه فقال مالك: لا أرى ذلك . فقال: ما تكره من ذلك؟. قال: أكره عليك الفتنة قال:وأي فتنة في ازدياد الخير فقال: فإن الله تعالى يقول: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [٢] .

وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ [٣] .

وهذا نموذج . ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر والحمد لله.

٢ ـ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع :

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة ،وهو المنهج المقنع، حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات، وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك وردوا في كتب العقائد على الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة في مقالاتهم المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة ،وألفوا كتبًا خاصة في ذلك ، كما ألف الإمام أحمد كتاب الرد على الجهمية وألف غيره من الأئمة في ذلك كعثمان بن سعيد الدارمي وكما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من الرد على تلك الفرق وعلى القبورية والصوفية وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع فهي كثيرة منها على سبيل المثال من الكتب القديمة:

١ ـ كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي.

---

(١) الحديث: رواه الدارمي باب في «كراهية أخذ الرأي» (٢٠٤) (١ / ٧٩) وإسناده جيد.

(٢) سورة النور: ٦٣ .

(٣) ذكره أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث » نقلاً عن أبي بكر الخلال (ص/ ١٤).

٢ ـ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءًا كبيرًا منه.

٣ ـ كتاب إنكار الحوادث والبدع لابن وضاح.

٤ ـ كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي.

٥ ـ كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة.

ومن الكتب العصرية:

١ ـ كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ.

٢ ـ كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

٣ ـ رسالة التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن باز.

ولا يزال العلماء المسلمون ـ والحمد لله ـ ينكرون ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والندوات والمحاضرات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين.

وقال في الولاء والبراء عن موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب البدع والأهواء[١]:

يدخل في معتقد أهل السنة والجماعة البراءة من أرباب البدع والأهواء.

والبدعة: مأخوذة من الابتداع وهو الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذى ولا ألف مثله ومنه قولهم: ابتدع الله الخلق أي خلقهم ابتداء ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾[٣].

---

(١) انظر الولاء والبراء [ص / ١٤٢ ـ ١٤٦].

(٢) سورة البقرة: ١١٧.

(٣) سورة الأحقاف: ٩.

أي لم أكن أول رسول إلى أهل الأرض.

وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب، وفيما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح[(١)] .

قال ابن الجوزي: «البدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع. والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان»[(٢)] .

ولقائل أن يقول: ما شأننا الآن وأصحاب البدع لا سيما وأنت تتكلم عن ولاء الكفار والبراء منهم وموالاة المؤمنين ونصرتهم؟

والجواب على ذلك: أولا: أن البدعة خطرها عظيم وكبير، والدليل على ذلك أنها تنقسم إلى رتب متفاوتة ما بين الكفر الصريح إلى الكبيرة والصغيرة، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي:

«البدعة تنقسم إلى رتب متفاوتة منها ما هو كفر صراح، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن بقوله: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا** ﴾[(٣)] .

وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ** ﴾[(٤)] .

وقوله: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ** ﴾[(٥)] .

وكذلك بدعة المنافقين حين اتخذوا الدين ذريعة بحفظ النفس والمال وما أشبه ذلك مما لا يشك أنه كفر صراح»[(٦)] .

---

(١) كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ٣٨ ـ ٣٩ تحقيق محمد الطالبي.
(٢) تلبيس إبليس [ص / ٢٦].
(٣) سورة الأنعام: ١٣٦ .
(٤) سورة الأنعام: ١٣٩ .
(٥) سورة المائدة: ١٠٣ .
(٦) انظر «الاعتصام» (٢ / ٣٧).

وقضية التحليل والتحريم خصوصية لله عز وجل، فمن ادعى التحليل والتحريم فقد شرع ومن شرع فقد أله نفسه. وكما أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق فهو أيضًا صاحب الأمر والسلطان، قال تعالى: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ** ﴾ (٢).

فهذه البدعة الكفرية وأمثالها لأصحابها منا العداء والبغض والكره والجهاد بعد الإعذار والإنذار، والبراءة منهم لا تختلف عن البراءة من الكافر الأصلي، فقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**» (٣).

قال البغوي: «وقد اتفق علماء السنة على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم» (٤).

ونعود لرتب البدع كما ذكرها الشاطبي فقال: «ومن البدع ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يُختلف فيها هل هي كفر أم لا؟ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة.

ومنها ما هو معصية ويتفق على أنها ليست بكفر، كبدعة التبتل (٥) والصيام قائمًا في الشمس والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.

ومنها: ما هو مكروه كالاجتماع للدعاء عشية عرفة، وذكر السلاطين في خطب الجمعة على ما قاله ابن عبد السلام الشافعي (٦) وما أشبه ذلك» (٧).

---

(١) سورة الأعراف: ٥٤. (٢) سورة النحل: ١١٦.

(٣) رواه البخاري في الصلح ٥ / ٣٠١ ح ٢٦٩٧، ومسلم كتاب الأقضية ٣ / ١٣٤٣ ح ١٧١٨.

(٤) شرح السنة ١ / ٢٢٧.

(٥) التبتل: هو الانقطاع عن الدنيا إلى الله. انظر مختار الصحاح ص ٥٣.

(٦) هو سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد سنة ٥٧٧هـ. توفي سنة ٦٦٠ هـ من مؤلفاته التفسير الكبير، والإلمام في أدلة الأحكام، وقواعد الشريعة وقواعد الأحكام والفتاوى. انظر الأعلام للزركلي ٤ / ٢١ ط ٤ وفيه أن له ترجمة في فوات الوفيات ١ / ٢٨٧ وطبقات السبكي ٥ / ٨٠، والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٠٨ وذيل الروضتين ٢١٦ ـ ومفتاح السعادة ٢ / ٢١٢.

(٧) الاعتصام ٢ / ٣٧.

فأرباب هذه البدع يتبرأ منهم أهل السنة والجماعة.

ثانيًا: لخطورة البدع على الدين أورد هنا نماذج من أقوال سلف الأمة في التحذير من البدع وأصحابها. ومن ذلك ما قاله الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول:

«من كان مستنًا فليستن بمن قد مات: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا ، وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم»(١) .

وقال سفيان الثوري رحمه الله: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها (٢) .

وقال الإمام مالك رحمه الله: من أحدث في هذه الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾(٣) .

فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا (٤) .

وذكر الشاطبي رحمه الله أن مفاسد البدع تنحصر في أمرين:

١ ـ أنها مضادة للشارع، ومراغمة له، حيث نصب المبتدع نفسه منصب المستدرك على الشريعة لا منصب المكتفي بما حد له.

٢ ـ أن كل بدعة ـ وإن قلت ـ تشريع زائد أو ناقص ، أو تغيير للأصل الصحيح، وكل ذلك قد يكون على الانفراد، وقد يكون ملحقًا بما هو مشروع فيكون قادحًا في المشروع، ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدًا لكفر ، إذ

---

(١) شرح السنة للبغوي ١ / ٢١٤ .
(٢) شرح السنة ١ / ٢١٦ .
(٣) سورة المائدة: ٣ .
(٤) الاعتصام ٢ / ٥٣ .

الزيادة والنقصان فيها أو التغيير ـ قل أو كثر ـ كفر[١] .

ويعضد هذا النظر عموم الأدلة في ذم البدع، ومنها: قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[٢] وقوله ﷺ: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[٣] .

وقال أحد علماء السلف: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ، أو قال أصحاب الخصومات ،فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»[٤] .

فالخلاصة: أنه من معتقد أهل السنة والجماعة البراء من البدعيين خاصة أصحاب البدع الكفرية.

❊ ❊ ❊

(١) الاعتصام ٢ / ٢١ بتصرف بسيط.
(٢) صحيح مسلم كتاب الجمعة ٢ / ٥٩٢ ح ٨٦٧ .
(٣) صحيح مسلم كتاب العلم ٤ / ٢٠٦٠ ح ٢٦٧٤ .
(٤) شرح السنة ١ / ٢٢٧ .

فتوى الشيخ ابن باز
في الأوراد البدعية وحكمها[١]

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم (.......) وفقه الله لكل خير آمين .. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد: فقد وصل إلي كتابُكم الكريم وصلكم الله بهداه وما تضمنه من الإفادة أنه يوجد في بلادكم أناس متمسكون بأوراد ما أنزل الله بها من سلطان منها ما هو بدعي ومنها ما هو شركي وينسبون ذلك إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره.

ويقرؤون تلك الأوراد في مجالس الذكر أو في المساجد بعد صلاة المغرب زاعمين أنها قربة إلى الله، كقولهم: بحق الله رجال الله أعينونا بعون الله وكونوا عوننا بالله، وكقولهم: يا أقطاب ويا أوتاد ويا أسياد أجيبوا يا ذوي الأمداد فينا واشفعوا لله هذا عبدكم واقف وعلى بابكم عاكف، ومن تقصيره خائف، أغثنا يا رسول الله ومالي غيركم أذهب ومنكم يحصل المطلب وأنتم خير أهل الله بحمزة سيد الشهداء ومن منكم لنا مدداً أغثنا يا رسول الله، وكقولهم اللهم صل على من جعلته سبباً لانشقاق أسرارك الجبروتية وانفلاقاً لأنوارك الرحمانية فصار نائباً عن الحضرة الربانية وخليفة أسرارك الذاتية . ورغبتكم في بيان ما هو بدعة وما هو شرك وهل تصح الصلاة خلف الإمام الذي يدعو بهذا الدعاء؟ كل ذلك كان معلوماً.

والجواب : الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد، فاعلم وفقك الله أن الله سبحانه إنما خلق الخلق وأرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام بأن يُعبد وحده لا شريك له دون كل ما سواه كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[٢] .

---

(١) انظر الرسالة الثالثة ـ للشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ وانظر: «إقامة البراهين» [ص / ٣٠ ـ ٤٧].
(٢) سورة الذاريات: ٥٦ .

والعبادة هي طاعته سبحانه وطاعة رسوله محمد ﷺ بفعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله ،عن إيمان بالله ورسوله وإخلاص لله في العمل مع غاية الحب لله وكمال الذل له وحده كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[١] أي أمر وأوصى بأن يُعبد وحده وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢] .

أبان سبحانه بهذه الآيات أنه هو المستحق لأن يُعبد وحده ويُستعان به وحده، وقال عز وجل: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[٣] . وقال سبحانه: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٥] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على وجوب إفراد الله بالعبادة ومعلوم أن الدعاء بأنواعه من العبادة فلا يجوز لأحد من الناس أن يدعو إلا ربَّه ولا يستعين ولا يستغيث إلا به عملاً بهذه الآيات الكريمة وما جاء في معناها. وهذا فيما عدا الأمور العادية والأسباب الحسية التي يقدر عليها المخلوق الحي الحاضر فإن تلك ليست من العبادة بل يجوز بالنص والإجماع أن يستعين الإنسانُ بالإنسان الحي القادر في الأمور العادية التي يقدر عليها ،كأن يستعين به أو يستغيث به في دفع شر ولده أو خادمه أو كلبه وما أشبه ذلك وكأن يستعين الإنسان بالإنسان الحي الحاضر القادر، أو الغائب بواسطة الأسباب الحسية كالمكاتبة ونحوها في بناء بيته أو إصلاح سيارته أو ما أشبه ذلك، ومن هذا الباب قول الله عز وجل في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[٦] .

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ .
(٢) سورة الفاتحة: ٢ ـ ٥ .
(٣) سورة الزمر: ٢ ، ٣ .
(٤) سورة غافر: ١٤ .
(٥) سورة الجن: ١٨ .
(٦) سورة القصص: ١٥ .

ومن ذلك استغاثة الإنسان بأصحابه في الجهاد والحرب ونحو ذلك. فأما الاستغاثة بالأموات والجن والملائكة والأشجار والأحجار فذلك من الشرك الأكبر وهو من جنس عمل المشركين الأولين مع آلهتهم كالعزى واللات وغيرهما وهكذا الاستغاثة والاستعانة بمن يُعتقد فيهم الولاية من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله كشفاء المرضى وهداية القلوب ودخول الجنة والنجاة من النار وأشباه ذلك، والآيات السابقات وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تدل على وجوب توجيه القلوب إلى الله في جميع الأمور وإخلاص العبادة لله وحده لأن العباد خُلقوا لذلك وبه أُمروا كما سبق في الآيات وكما في قوله سبحانه: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[1]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2] وقول النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» متفق على صحته. وقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار**». رواه البخاري.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**».

وفي لفظ: «**فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**». وفي رواية للبخاري: «**فادعهم إلى أن يوحدوا الله**».

وفي صحيح مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من وحَّد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهذا التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة وهو رأس الأمر وهو أهم الفرائض وهو الحكمة في خلق الثقلين والحكمة في إرسال الرسل جميعًا عليهم الصلاة والسلام كما تقدمت الآيات الدالة على ذلك، ومنها قوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء: ٣٦. (٢) سورة البينة: ٥.

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

ومن الأدلة على ذلك أيضًا قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١) .

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٢) .

وقال عز وجل عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام أنهم قالوا لقومهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣) . وهذه دعوة الرسل جميعًا كما دلت على ذلك الآيتان السابقتان . وقد اعترف أعداء الرسل بأن الرسل أمروهم بإفراد الله بالعبادة وخلع الآلهة المعبودة من دونه كما قال عز وجل في قصة عاد أنهم قالوا لهود عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى عن قريش ـ لما دعاهم نبينا محمد ﷺ إلى إفراد الله بالعبادة وترك ما يعبدون من دونه من الملائكة والأولياء والأصنام والأشجار وغير ذلك: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٥) . وقال عنهم سبحانه في سورة الصافات: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (٦) .

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة ومما ذكرناه من الآيات والأحاديث يتضح ذلك ـ وفقني الله وإياك للفقه في الدين والبصيرة بحق رب العالمين ـ أن هذه الأدعية وأنواع الاستغاثة التي بينتها في سؤالك كلها من أنواع الشرك الأكبر لأنها عبادة لغير الله وطلب لأمور لا يقدر عليها سواه من الأموات والغائبين وذلك أقبح من شرك الأولين، لأن الأولين إنما يشركون في حال الرخاء وأما في حال الشدائد فيخلصون لله

(١) سورة النحل: ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء: ٢٥ .
(٣) سورة الأعراف: ٥٩ .
(٤) سورة الأعراف: ٧٠ .
(٥) سورة ص : ٥ .
(٦) سورة الصافات: ٣٥ ، ٣٦ .

العبادة لأنهم يعلمون أنه سبحانه هو القادر على تخليصهم من الشدة دون غيره كما قال تعالى في كتابه المبين عن أولئك المشركين: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى يخاطبهم في آية أخرى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾(٢) .

فإن قال قائل من هؤلاء المشركين المتأخرين: إنا لا نقصد أن أولئك يفيدون بأنفسهم ويشفون مرضانا بأنفسهم أو ينفعوننا بأنفسهم وإنما نقصد شفاعتهم إلى الله في ذلك؟

فالجواب أن يقال له:

إن هذا هو مقصود الكفار الأولين ومرادهم وليس مرادهم أن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تنفع أو تضر بنفسها ،فإن ذلك يبطله ما ذكره الله عنهم في القرآن وأنهم أرادوا شفاعتهم وجاههم وتقريبهم إلى الله زلفى كما قال سبحانه وتعالى في سورة يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾(٣) . فرد الله عليهم ذلك بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤) . فأبان سبحانه أنه لا يعلم في السموات ولا في الأرض شفيعًا عنده على الوجه الذي يقصده المشركون وما لا يعلم الله وجوده لا وجود له لأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء. وقال تعالى في سورة الزمر ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٥ .

(٢) سورة الإسراء: ٦٧ .

(٣) سورة يونس: ١٨ .

(٤) سورة يونس: ١٨ .

(٥) سورة يونس: ١ ـ ٣ .

فأبان سبحانه أن العبادة له وحده وأنه يجب على العباد إخلاصها له جل وعلا لأن أمره للنبي ﷺ بإخلاص العبادة له أمر للجميع. ومعنى الدين هنا هو العبادة . والعبادة هي طاعته وطاعة رسوله ﷺ كما سلف ويدخل فيها الدعاء والاستغاثة والخوف والرجاء والذبح والنذر كما يدخل فيها الصلاة والصوم وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله . ثم قال عز وجل بعد ذلك: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ (١) أي يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فرد الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ (٢) فأوضح سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الكفار ما عبدوا الأولياء من دونه إلا ليقربوهم إلى الله زلفى. وهذا هو مقصد الكفار قديمًا وحديثًا وقد أبطل الله ذلك بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾.

فأوضح سبحانه كذبهم في زعمهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى وكفرهم بما صرفوا لها من العبادة وبذلك يعلم كل من له أدنى تمييز أن الكفار الأولين إنما كان كفرهم باتخاذهم الأنبياء والأولياء والأشجار والأحجار وغير ذلك من المخلوقات شفعاء بينهم وبين الله واعتقدوا أنهم يقضون حوائجهم من دون إذنه سبحانه ولا رضاه كما تشفع الوزراء عند الملوك فقاسوه عز وجل على الملوك والزعماء، وقالوا: كما أنه من له حاجة إلى الملك والزعيم يتشفع إليه بخواصه ووزرائه فهكذا نحن نتقرب إلى الله بعبادة أنبيائه وأوليائه وهذا من أبطل الباطل لأنه سبحانه لا شبيه له ولا يقاس بخلقه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه في الشفاعة ولا يأذن إلا لأهل التوحيد وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وهو أرحم الراحمين لا يخشى أحدًا ولا يخافه لأنه سبحانه هو القاهر فوق عباده والمتصرف فيهم كيف يشاء بخلاف الملوك والزعماء فإنهم ما يقدرون على شيء ولا يعلمون كل شيء فلذلك

---

(١) سورة الزمر: ٣ .

(٢) سورة الزمر: ٣ .

يحتاجون إلى من يعينهم على ما قد يعجزون عنه من وزرائهم وخواصهم وجنودهم، كما يحتاجون إلى تبليغهم حاجات من لا يعلمون حاجته فيحتاجون إلى من يستعطفهم ويسترضيهم من وزرائهم وخواصهم، أما الرب عز وجل فهو سبحانه غني عن جميع خلقه وهو أرحم بهم من أمهاتهم وهو الحكم العدل يضع الأشياء في مواضعها على مقتضى حكمته وعلمه وقدرته فلا يجوز أن يقاس بخلقه بوجه من الوجوه ولهذا أوضح سبحانه في كتابه أن المشركين قد أقروا بأنه الخالق ويحيي ويميت إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه وإنما الخصومة بين المشركين وبين الرسل في إخلاص العبادة لله وحده كما قال عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾(٢) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة وسبق ذكر الآيات الدالة على أن النزاع بين الرسل وبين الأمم إنما هو في إخلاص العبادة لله وحده كقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٣) وما جاء في معناها من الآيات . وبيّن سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم شأن الشفاعة فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾(٤) .

وقال في سورة النجم: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾(٥) . وقال في سورة الأنبياء في وصف الملائكة: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾(٦) . وأخبر عز وجل أنه لا يرضى من عباده الكفر وإنما يرضى منهم الشكر والشكر هو توحيده والعمل بطاعته فقال تعالى

---

(١) سورة الزخرف: ٨٧ .

(٢) سورة يونس : ٣١ .

(٣) سورة النحل: ٣٦ .

(٤) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٥) سورة النجم: ٢٦ .

(٦) سورة الأنبياء: ٢٨ .

في سورة الزمر: ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾[1] . وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**». أو قال: «**من نفسه**». وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئًا**». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وجميع ما ذكرنا من الآيات والأحاديث كله يدل على أن العبادة حق الله وحده وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغير الله لا للأنبياء ولا لغيرهم، وأن الشفاعة ملك لله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾[2] ولا يستحقها أحد إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع فيه وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما سبق . أما المشركون فلا حظ لهم في الشفاعة كما قال تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[3] . وقال تعالى: ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾[4] والظلم عند الإطلاق هو الشرك كما قال تعالى: ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[6] .

أما ما ذكرته في السؤال من قول بعض الصوفية في المساجد وغيرها: اللهم صل على من جعلته سببًا لانشقاق أسرارك الجبروتية وانفلاقًا لأنوارك الرحمانية فسار نائبًا عن الحضرة الربانية وخليفة أسرارك الذاتية . . إلخ.

الجواب:

أن يقال: إن هذا الكلام وأشباهه من جملة التكلف والتنطع الذي حذر منه نبينا

---

(١) سورة الزمر: ٧ .
(٢) سورة الزمر: ٤٤ .
(٣) سورة المدثر: ٤٨ .
(٤) سورة غافر: ١٨ .
(٥) سورة البقرة: ٢٥٤ .
(٦) سورة لقمان: ١٣ .

محمد ﷺ فيما رواه مسلم في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون. قالها ثلاثًا**». قال الإمام الخطابي رحمه الله: المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

وقال **أبو السعادات ابن الأثير**: هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق قولاً وفعلاً. وبما ذكره هذان الإمامان من أئمة اللغة يتضح لك ولكل من له أدنى بصيرة أن هذه الكيفية في الصلاة والسلام على نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ من جملة التكلف والتنطع المنهي عنه . والمشروع للمسلم في هذا الباب أن يتحرى الكيفية الثابتة عن رسول الله ﷺ في صفة الصلاة والسلام عليه وفي ذلك غنية عن غيره. ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين واللفظ للبخاري عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: « **قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

وفي الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال بشير بن سعد: يا رسول الله أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فسكت ثم قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم**».

فهذه الألفاظ وأشباهها وغيرها مما ثبت عن النبي ﷺ هي التي ينبغي للمسلم أن يستعملها في صلاته وسلامه على رسول الله ﷺ ،لأن الرسول ﷺ هو أعلم الناس بما يليق أن يستعمل في حقه ، كما أنه هو أعلم الناس بما ينبغي أن يستعمل في حق ربه من الألفاظ . أما الألفاظ المتكلفة والمحدثة والألفاظ المحتملة لمعنى غير صحيح كالألفاظ التي ذكرت في السؤال فإنه لا ينبغي استعمالها لما فيها من التكلف، ولكونها قد تفسر بمعانٍ باطلة مع كونها مخالفة للألفاظ التي اختارها رسول الله ﷺ وأرشد إليها أمته وهو أعلم الخلق وأنصحهم وأبعدهم عن التكلف، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام .

وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة في بيان حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك والفرق بين ما كان عليه المشركون الأولون والمشركون المتأخرون في هذا الباب.

وفي بيان كيفية الصلاة المشروعة على رسول الله ﷺ كفاية ومقنع لطالب الحق. أما من لا رغبة له في معرفة الحق فهذا تابع لهواه وقد قال الله عز وجل: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(١) ، فبين سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الناس بالنسبة إلى ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق قسمان أحدهما مستجيب لله ولرسوله، والثاني تابع لهواه وأخبر سبحانه أنه لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . فنسأل الله عز وجل العافية من اتباع الهوى ، كما نسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم وسائر إخواننا من المستجيبين لله ولرسوله ﷺ والمعظمين لشرعه والمحذرين من كل ما يخالف شرعه من البدع والأهواء إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

---

(١) سورة القصص: ٥٠ .

المراد بالبدع

أسئلة وأجوبة في البدع وتقسيمها وما يتعلق بها وأحكامها(١) :

السؤال الثالث من الفتوى رقم ٩٤٨ :

س: اختلف علماؤنا في البدعة فقال بعضهم: البدعة منها ما هو حسن ومنها ما هو قبيح فهل هذا صحيح؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد :

ج: البدعة هي كل ما أحدث على غير مثال سابق، ثم منها ما يتعلق بالمعاملات وشؤون الدنيا كاختراع آلات النقل من طائرات وسيارات وقاطرات وأجهزة الكهرباء وأدوات الطهي والمكيفات التي تستعمل للتدفئة والتبريد وآلات الحرب من قنابل وغواصات ودبابات إلى غير ذلك مما يرجع إلى مصالح العباد في دنياهم، فهذه في نفسها لا حرج فيها ولا إثم في اختراعها، أما بالنسبة للمقصد من اختراعها وما تستعمل فيه فإن قصد بها خير واستعين بها فيه فهي خير، وإن قصد بها شر من تخريب وتدمير وإفساد في الأرض واستعين بها في ذلك فهي شر وبلاء، وقد تكون البدعة في الدين عقيدة أو عبادة قولية أو فعلية كبدعة نفي القدر وبناء المساجد على القبور وإقامة القباب على القبور وقراءة القرآن عندها للأموات والاحتفال بالموالد إحياء لذكرى الصالحين والوجهاء والاستغاثة بغير الله والطواف حول المزارات ،فهذه وأمثالها كلها ضلال؛ لقول النبي ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» لكن منها ما هو شرك أكبر يخرج من الإسلام كالاستغاثة بغير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية والذبح والنذر لغير الله إلى أمثال ذلك مما هو عبادة مختصة بالله، ومنها ما هو ذريعة إلى الشرك كالتوسل إلى الله بجاه الصالحين

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ جمع وترتيب الشيخ / عبد الرزاق الدويش [٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٩] طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الإدارة العامة للطبع والترجمة الرياض [١٤١٢] هـ.

والحلف بغير الله وقول الشخص ما شاء الله وشئت، ولا تنقسم البدع في العبادات إلى الأحكام الخمسة كما زعم بعض الناس لعموم حديث: «**كل بدعة ضلالة**».

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة
عبد الله بن منيع	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي

* * *

السؤال الأول من الفتوى رقم ٢١٣٩ :

- **س: ما محدثات الأمور وما معناها ؟**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . . وبعد:

ج: المراد بذلك في قوله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور**» كل ما أحدثه الناس في دين الإسلام من البدع في العقائد والعبادات ونحوها مما لم يأت به كتاب ولا سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ واتخذوه دينًا يعتقدونه، ويتعبدون الله به زعمًا منهم أنه مشروع وليس كذلك بل هو مبتدع ممنوع كدعاء من مات من الصالحين أو الغائبين منهم واتخاذ القبور مساجد والطواف حول القبور، والاستنجاد بأهلها زعمًا منهم أنهم شفعاء لهم عند الله ووسطاء في قضاء الحاجات وتفريج الكربات واتخاذ أيام موالد الأنبياء والصالحين أعيادًا يحتفلون فيها ويعملون ما يزعمونه قربات تخص ليلة المولد أو يومه أو شهره إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا ثبت في سنة رسول الله ﷺ شيء منها . ويتضح مما ذكرنا أن بعض المحدثات يكون شركًا كالاستغاثة بالأموات والنذر لهم وأن بعضها يكون بدعة فقط ولم تبلغ أن تكون شركًا كالبناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ما لم يغل في ذلك بما يجعله شركًا .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

فتوى رقم ٢٤٦٧

س: قدمت إليك الحديث الآتي ذكره فقد أشكل عليّ ووقع الاختلاف بين الطلبة فيه ثم عرضته عليك لتشرحه لي مكتوبًا لأطالع فيه ويطالع كل طالب مثلي ويزيل الوهم في قلوبنا وهذا هو :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : «صبحكم ومساكم»، ويقول: « بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: « **أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» ثم يقول: «**وأنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ**» رواه مسلم، ورد هذا الحديث بلفظ كل بدعة ضلالة وأنا ضد البدعة وجاهد معها بسيف السنة الصحيحة عرضت لك هذا الحديث لتشرح لي وتبين ماهية البدعة لغة واصطلاحًا حتى لا أنكر شيئًا ليس منها. وقد شرح بعض الفقهاء ، قالوا إن البدعة على الأحكام الخمسة فهل لهم دليل على ذلك التقسيم فقالوا: منها واجبة ومباحة ومكروهة ومندوبة ومحرمة. أطلب من سماحتكم شرح ذلك واضحًا فقد وقع بين الطلبة اختلاف في كلمة كل بدعة ضلالة، قالوا: لأن لفظ «كل» يقتضي الحصر إلا إذا أتى بعدها استثناء ، وأيضًا روى أبو داود والترمذي بحديث طويل اختصرت بعضه فقالا: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ...** » إلى آخره ، أرجو منك يا سماحة الشيخ حل هذه المشكلة التي انبهمت عني ولا يحلها لي غيرك ...».

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه. . . وبعد:

ج: أولاً: هذه الشريعة كاملة من عند الله فليست بحاجة إلى تكميل من البشر، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾(١) .

ثانيًا: الأصل في باب العبادات التوقيف فمن قال: إن هذه العبادة مشروعة فعليه أن يأتي بالدليل الشرعي الدال على مشروعيتها وإلا فهي مردودة، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» .

ثالثًا: معنى البدعة لغة واصطلاحًا أما معناها اللغوي فهو: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، وأما معناها الاصطلاحي فهو: إحداث عبادة قولية أو فعلية أو عقدية لم يشرعها الله سبحانه وتعالى والبدع كلها ضلالة كما قال النبي ﷺ .

رابعًا: أما تقسيم البدعة في الدين إلى خمسة أقسام فلا نعلم له أصلاً في الشرع.

وننصحك بالرجوع إلى «كتاب الاعتصام» للشاطبي فقد تكلم فيه عن البدع بما لا تكاد تجده مجموعًا في غيره، وكذلك «كتاب السنن والمبتدعات» و«كتاب الإبداع في مضار الابتداع وتنبيه الغافلين» للنحاس و«زاد المعاد» للعلامة ابن القيم و«اقتضاء الصراط المستقيم » لشيخ الإسلام ابن تيمية.

خامسًا: أما لفظ «كل» فليس من ألفاظ الحصر بالمعنى الاصطلاحي بل هو من ألفاظ العموم كما هو مقرر في علم الأصول.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

فتوى رقم ٢٥٧٧

س: أطلب شرح الحديث مفصلاً والحديث: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

نرجو شرحًا وافيًا لمعنى مفهوم هذه العبارة وما يتعلق بها من محدثات اليوم مثل الطائرات ومكبرات الصوت وجميع المحدثات التي هي محدثة وبدعة ولكننا نستعملها وهل القرآن الشريف طبعه وكتابته يمكن أن تكون بدعة أو محدثة.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

ج: **أولاً**: قسم العلماء البدعة إلى بدعة دينية وبدعة دنيوية، فالبدعة في الدين هي: إحداث عبادة لم يشرعها الله سبحانه وتعالى وهي التي تراد في الحديث الذي ذكر وما في معناه من الأحاديث.

وأما الدنيوية: فما غلب فيها جانب المصلحة على جانب المفسدة فهي جائزة وإلا فهي ممنوعة، ومن أمثلة ذلك ما أحدث من أنواع السلاح والمراكب ونحو ذلك.

ثانيًا: الطائرات ومكبرات الصوت ونحو ذلك من الأمور العادية الدنيوية المبتدعة وليس فيها محذور شرعي، فاستعمالها لا محذور فيه إذا لم يكن في ذلك ظلم لأحد ولا نصر لبدعة أو منكر وليست داخلة في الأحاديث المحذرة من البدع.

ثالثًا: طبع القرآن وكتابته من وسائل وتعلمه وتعليمه والوسائل لها حكم الغايات، فيكون ذلك مشروعًا وليس من البدع المنهي عنها؛ لأن الله سبحانه ضمن حفظ القرآن الكريم وهذا من وسائل حفظه.

رابعًا: ننصحك بالرجوع إلى كتاب «تنبيه الغافلين» للنحاس و«الاعتصام» للشاطبي «والسنن والمبتدعات» و«الإبداع في مضار الابتداع».

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

السؤال الأول من الفتوى رقم ٢٢٢٧ :

س: ما حكم المبتدع المواظب على بدعته من قراءة القرآن على الميت قبل الدفن وبعده وذبح الشاة لإصلاح الطعام لمن جاء لحضور الجنازة ، ومن قراءة توسل القادرية منها: سهل مرادنا بجاه أحمد ، ومن وضع المباخر في حلقتهم وغيرها ، ومن تشييع الجنازة بالتهليل وتلقين الميت عند القبر.

من العلماء من يقول : إنهم من الكفار لمخالفة قول رسول الله ﷺ من التحذير عن البدع ومنهم من يقول إنهم مسلمون عصاة .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ... وبعد:

ج: ليست البدع في درجة واحدة من الشر، بل منها ما هو كفر، ومنها ما هو معصية دون الكفر، فقراءة القرآن على الميت قبل دفنه أو بعده، وذبح شاة مثلاً لإصلاح طعام لمن حضر لتشييع الجنازة، وتشييع الجنازة بالتهليل، وتلقين الميت عند القبر وحلقة الذكر الجماعي ووضع المبخرة فيها، من البدع التي أحدثها الناس فإنها لم تثبت عن النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً ولم تثبت عن صحابته رضي الله عنهم ولا عن أئمة السلف الصالح رحمهم الله، فهذه من المعاصي والإصرار عليها يجعلها كبيرة وليست بكفر، إلا بالنسبة لمن عرف أنها بدعة وأصر عليها يريد بذلك مضاهاة شرع الله بتشريع من عنده، تغريراً بالعامة وصرفًا لهم عن الصراط المستقيم ، فهو كافر بتشريعه قصداً ما لم يأذن به واستباحته مخالفة شرع الله ، ودعاء الأموات والاستعانة بهم كعبد القادر الجيلاني وأحمد التيجاني ونحوهما لجلب نفع أو دفع ضر وتفريج كربة وأمثال ذلك شرك بالله وكفر به كشرك وكفر الجاهلية الأولى التي دعا النبي ﷺ أهلها إلى التوحيد، وحارب من أصر منهم على شركه وقاتلهم عليه، قال الله تعالى بعد وصف نفسه بصفات الربوبية: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[1] .

---

(١) فاطر : ١٣ ، ١٤ .

وقد تكون بعض البدع ذريعة قريبة إلى الشرك كقول بعض المتصوفة :سهل مرادنا بجاه أحمد، وكالطواف حول الأضرحة متقربًا إلى الله، فإن قصد التقرب به إلى الولي صار شركًا أكبر، وكشد الرحال لزيارة قبور الصالحين.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

السؤال السابع من الفتوى رقم ٣٢٣٠:

س: نطلب منكم أن تشرحوا لنا ما البدعة وأنواع البدع بكل وضوح؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد:

ج: البدعة هي التي لم يشرعها الله كالاحتفال بالموالد ،والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، ورفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ من المؤذن بعد انتهاء الأذان وأشباه ذلك، وقد صنف جماعة من العلماء كتبًا في بيان البدعة وأنواعها نرشد إلى بعضها فيما يلي:

١ ـ كتاب السنن والمبتدعات للشيخ محمد أحمد عبد السلام الحوامدي.

٢ ـ كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ.

كلاهما من علماء مصر وقبلهما بزمن طويل كتاب البدع والنهي عنها للإمام محمد بن وضاح وكتاب الاعتصام للشاطبي.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

السؤال السادس من الفتوى رقم ٦٧١٩:

س: قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» هل يرد على البدعي عمل البدعة فقط أم جميع أعماله:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

ج: البدع تختلف، فمنها ما ينافي أصل الدين، ومنها ما يقع في صفة العبادة أو إحداث شيء في الدين لم يشرع، فإن كان عمل المبتدع مما يقدح في أصل الدين كدعاء غير الله فبدعته وجميع عمله مردود قال تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾[1]، وإن كان في صفة العبادة مثل التكبير والذكر والتلبية الجماعية، أو كانت البدعة في إحداث شيء في الدين لم يشرع كالاحتفال بالمولد، فهذا العمل مردود على صاحبه لما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

السؤال الثاني من الفتوى رقم ٧٧٢١:

س: كم قسمًا تنقسم البدعة وهل كل بدعة ضلالة وإذا كان ذلك كذلك رأيت أن وضع الحركات في القرآن الكريم من ضمة وفتحة وكسرة وسكون ونقطة ونبرة كلها بدعة، لأن القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ لم يكتب إلا على صفحات وليس له حركات كما نراه اليوم. هل وضع الحركات فيه من البدع. هل هذه البدعة ضلالة؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

---

(١) سورة الفرقان: ٢٣ .

ج: البدعة تنقسم إلى بدعة دينية وبدعة عادية، فالعادية مثل كل ما جد من الصناعات والاختراعات والأصل فيها الجواز إلا ما دل دليل شرعي على منعه.

أما البدعة الدينية فهي كل ما أحدث في الدين مضاهاة لتشريع الله كالأذكار الجماعية بصوت واحد وكبدع الموالد وبدع الاحتفالات بنصف شهر شعبان والسابع والعشرين من رجب وبليلة الأربعين من وفاة الميت وقراءة القرآن للأموات على القبور إلى أمثال ذلك مما لا يحصى عدًا، ولا أقسام للبدعة في الدين من حيث الحكم عليها، بل كل بدعة ضلالة لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» رواه مسلم. ولما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليه بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

أما نقط حروف القرآن وضبطها بالحركات فليس من البدع وإن لم يكن موجودًا على عهد النبي ﷺ لكونه من المصالح المرسلة لدلالة أدلة الشرع الآمرة بحفظه على ذلك في الجملة، ونوصيك بقراءة كتاب «الاعتصام» للشاطبي فإنه وفّى الموضوع حقه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

❊ ❊ ❊

فصل

حقوق النبي وأصحابه [١]

أفضل الخلق عند الله الرسل ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[٢] .

وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم. وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٣] .

وفي الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[٤] .

وأفضلهم محمد ﷺ لقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» متفق عليه[٥]، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل ثم موسى لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم ،ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية.

---

(١) انظر «لمعة الاعتقاد» (ص / ١٣٥ ـ ١٣٩).

(٢) سورة النساء: ٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب: ٧ .

(٤) سورة الشورى: ١٣ .

(٥) البخاري : كتاب التفسير من سورة بني إسرائيل: باب (ذرية من حملنا مع نوح..) (٤٧١٢).

ومسلم: كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) (٣٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خصائص النبي ﷺ

اختص النبي ﷺ بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها:

١ ـ خاتم النبيين لقوله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١).

٢ ـ سيد المرسلين وسبق دليله.

٣ ـ لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته لقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (٢) الآية وبعث النبي ﷺ إلى الناس كافة وغيره من الأنبياء كانوا يُبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.

٤ ـ لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥ ـ سبق أمته الأمم في دخول الجنة لعموم قوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**» وسبق (٣).

٦ ـ صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**». رواه الترمذي وقد روى الأولى والأخيرة مسلم (٤).

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٠ .

(٢) سورة النساء: ٦٥ .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) حديث صحيح: الترمذي (٣١٤٨) (٣٦١٥) وقال: «حسن صحيح» وأيضًا ابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧١) وأما رواية مسلم فمن حديث أبي هريرة : كتاب الفضائل: باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨) (٣). بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

٧ ـ صاحب المقام المحمود أي العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (١) .

وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

٨ ـ صاحب الحوض المورود والمراد الحوض الكبير الكثير وارده أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضًا.

٩ ـ ١١ إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم لحديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**» رواه الترمذي وحسنه (٢) .

١٢ ـ أمته خير الأمم لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٣) .

فأما قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤) .

فالمراد عالمي زمنهم.

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى ، رضي الله عنهم أجمعين ، لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نقول والنبي ﷺ حي : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان (٥) ، ثم علي، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره» .

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو

(١) سورة الإسراء: ٧٩ .

(٢) حديث حسن: أخرجه أحمد (٥ / ١٣٧ ، ١٣٨) والترمذي (٣٦١٥) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٤٣١٤) والحاكم (١ / ٧١) ، (٤ / ٧٨) وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي وحسنه الألباني في تخريج المشكاة (٥٧٦٨).

(٣) سورة آل عمران: ١١٠ .

(٤) سورة البقرة: ٤٧ .

(٥) قال المعلق على طبعة السلفية ص (٢٥): اقتصر الحديث على هؤلاء الثلاثة في طبعة دمشق سنة ١٣٣٨ وطبعة المنار سنة ١٣٤٠، وزيد في طبعتي ١٣٥١ ، ١٣٥٥ : «ثم على » ا هـ.

بكر ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث»[١] .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته ، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم من بعده عمر رضي الله عنه، لفضله وعهد أبي بكر إليه.

ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له.

ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنَّواجِذ**»[٢] .

* * *

(١) أثر صحيح: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ١٠٦ ، ١١٠) وابنه عبد الله في زوائده (١ / ١٠٦ ، ١١٠، ١٢٧) وأحمد في فضائل الصحابة (٣٩٧) بأسانيد صحيحة وحسنه وكذا أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٢٠١) وصححه الألباني في تخريج السنة (٢ / ٥٧٠).

(٢) حديث صحيح: تقدم تخريجه من حديث العرباض بن سارية .

حكم سب الله أو سب الرسول أو انتقاصهما
وحكم من جحد شيئًا مما أوجب الله أو استحل ما حرم الله[١]

ما حكم من سب الله أو سب رسوله أو انتقصهما وما حكم من جحد شيئًا مما أوجب الله أو استحل شيئًا مما حرم الله؟ أبسطوا لنا الجواب في ذلك لكثرة وقوع هذه الشرور من كثير من الناس؟

الجواب: كل من سب الله ـ سبحانه ـ بأي نوع من أنواع السب أو سب الرسول محمدا ﷺ أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السب أو سب الإسلام أو تنقص أو استهزأ بالله أو برسوله ﷺ ، فهو كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع المسلمين لقول الله عز وجل : ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [٢] .

وقد بسط العلامة الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله الأدلة في هذه المسألة في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول فمن أراد الوقوف على الكثير من الأدلة في ذلك فليراجع هذا الكتاب لعظم فائدته ولجلالة مؤلفه واتساع علمه بالأدلة الشرعية ـ رحمه الله .

وهكذا الحكم في حق من جحد شيئًا مما أوجبه الله أو استحل شيئًا مما حرمه الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كمن جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب صوم رمضان أو وجوب الحج في حق من استطاع السبيل إليه أو جحد وجوب بر الوالدين أو نحو ذلك ،ومثل ذلك من استحل شرب الخمر أو عقوق الوالدين أو استحل أموال الناس ودماءهم بغير حق أو استحل الربا أو نحو ذلك من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة وبإجماع سلف الأمة فإنه كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع أهل العلم. وقد بسط العلماء ـ رحمهم الله ـ

---

(١) انظر «تحفة الإخوان» (ص / ٤٥ ـ ٤٧).

(٢) سورة التوبة: ٦٥ ـ ٦٦ .

في هذه المسائل وغيرها من نواقض الإسلام في باب حكم المرتد ووضحوا أدلتها .

فمن أراد الوقوف على ذلك فليـراجع هذا الباب في كتب أهل العلم من الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وغيرها ليـجد ما يشفيه ويكفيه إن شاء الله. ولا يجوز أن يعذر أحـد بدعوى الجهل فـي ذلك لأن هذه الأمور من المسائل المعلومـة بين المسلمين وحكمها ظاهر في كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ . والله ولي التوفيق.

* * *

فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم؟!

ما المراد بالصحابة ؟ وما الذي يجب اعتقاده فيهم؟

الصحابة جمع صحابي: وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك.

والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣) .

ففي هذه الآيات أن الله سبحانه أثنى على المهاجرين والأنصار ووصفهم بالسبق إلى الخيرات، وأخبر أنه قد رضي عنهم، وأعد لهم الجنات، ووصفهم بالتراحم فيما بينهما والشدة على الكفار، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود وصلاح القلوب، وأنهم

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٢) سورة الفتح: ٢٩ .

(٣) سورة الحشر: ٨ ـ ٩ .

يعرفون بسيما الطاعة والإيمان وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار.

كما وصف المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصر دينه وابتغاء فضله ورضوانه وأنهم صادقون في ذلك.

ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح وبذلك حازوا الفلاح .هذه بعض فضائلهم العامة وهناك فضائل خاصة ومراتب يفضل بها بعضهم بعضًا رضي الله عنهم بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة.

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة: وهم هؤلاء الأربعة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ويفضل المهاجرون على الأنصار وأهل بدر وأهل الرضوان ويفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح.

٢ ـ مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة:

سبب الفتنة: تآمر اليهود على الإسلام وأهله فدسوا ماكرًا خبيثًا تظاهر بالإسلام كذبًا وزورًا هو عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ويختلق التهم ضده فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان محبي الفتنة وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلومًا وعلى أثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

قال شارح الطحاوية: إن أصل الرفض إنما يحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول ﷺ كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولس بدين النصرانية فأظهر التنسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في عليٍّ والنصر له ليتمكن بذلك من أغراضه وبلغ

ذلك عليًا فطلب قتله فهرب إلى قرقيس. وخبره معروف في التاريخ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فلما قتل عثمان رضي الله عنه تفرقت القلوب وعظمت الكروب وظهر الأشرار وذل الأخيار وسعى في الفتنة من كان عاجزًا عنها وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ وأفضل من بقي. لكن كانت القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة فلم تتفق الكلمة ولم تنتظم الجماعة ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام وكان ما كان.

وقال أيضًا مبينًا عذر المقاتلين من الصحابة في قتال علي ومعاوية: ومعاوية لم يدع الخلافة ولم يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتل على أنه خليفة ولا أنه يستحق الخلافة وكان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليًا وأصحابه بالقتال ، بل لما رأى علي رضي الله عنه وأصحابه أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد وأنهم خارجون عن طاعته ويمتنعون عن هذا الواجب وهم أهل شوكة ، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب فتحصل الطاعة والجماعة وهم (أي معاوية ومن معه) قالوا: إن ذلك لا يجب عليهم أنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين قالوا لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين وقتلته في عسكر علي وهم غالبون لهم شوكة فإذا امتنعنا ظلمونا واعتدوا علينا وعلي لا يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان وإنما علينا أن نبايع خليفة يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف.

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ويكفون عن البحث فيه؛ لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا ويقولون: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

(١) سورة الحشر: ١٠ .

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساويهم وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الوجه الثاني: أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه وغير من وجهه الصحيح ودخله الكذب فهو محرف لا يلتفت إليه.

الوجه الثالث: أن ما صح من هذه الآثار وهو القليل هم فيه معذورون لأنهم إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور؛ لما في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**».

الوجه الرابع: أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة منها:

١ ـ أن يكون قد تاب منه والتوبة تمحو السيئة مهما كانت كما جاءت به الأدلة.

٢ ـ أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾[1] .

٣ ـ أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: «**أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهبًا إذا تصدق به غيرهم**» رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع لهم درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ**

---

(١) سورة هود: ١١٤ .

وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾(٢) .

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سببًا للوقيعة بهم والنيل من كرامتهم. وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكتاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون فجعلوا أنفسهم حكمًا بين أصحاب رسول الله ﷺ يصوبون بعضهم ويخطئون بعضهم بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذنابهم حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين ممن ثقافتهم ضحلة بتاريخ أمتهم المجيدة وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام وتفريق كلمة المسلمين وإلقاء البغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) .

* * *

(١) سورة الزمر: ٣٣ ـ ٣٥ .
(٢) سورة الأحقاف: ١٥ ـ ١٦ .
(٣) سورة الحشر: ١٠ .

سب الصحابة وحكمه[(١)]

ينقسم سب الصحابة إلى أنواع ولكل نوع من السب حكم خاص به.

والسب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم من السب بعقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوهما [(٢)] .

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض فمن سب بالكفر أو الفسق، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل وضعف الرأي. وهذا السب إما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم وهذا الفرد إما أن يكون ممن تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك .

وإليك تفصيل وبيان أحكام كل قسم:

أولاً: من سب الصحابة بالكفر والردة أو الفسق جميعهم أو معظمهم:

فلا شك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

إن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.

إن في هذا تكذيبًا لما نص عليه القرآن من الرضا عنهم والثناء عليهم (فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي) [(٣)] ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

إن في ذلك إيذاء له ﷺ لأنهم أصحابه وخاصته، فسب المرء وخاصته والطعن فيهم يؤذيه ولا شك أن أذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر.

---

(١) انظر اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم، تأليف ـ د/ محمد بن عبد الله الوهيبي ـ [ص / ٢٤ ـ ٣٤] وكالة المطبوعات والبحث العلمي ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية (١٤٢٧ هـ) .

(٢) انظر الصارم المسلول [ص ٥٦١].

(٣) الرد على الرافضة [ص ١٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا حكم هذا القسم: (وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضًا في كفره ؛لأنه مكذب لما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ـ إلى أن قال ـ وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام (١) .

وقال الهيثمي رحمه الله: (ثم الكلام ـ أي الخلاف ـ إنما هو في سب بعضهم ، أما سب جميعهم فلا شك في أنه كفر) (٢) .

ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة ذكر بعض العلماء أدلة أخرى تفصيلية منها:

أولاً: ما مر معنا من تفسير العلماء للآية الأخيرة من سورة الفتح: من قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٣) إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه الشافعي وغيره (٤) .

ثانيًا: ما سبق من حديث أنس عند الشيخين أن النبي ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار**» وفي رواية: «**لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**» .

ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «**لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر**» (٥) فمن سبهم فقد زاد على بغضهم. فيجب أن يكون منافقًا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر(٦) .

---

(١) انظر الصارم المسلول [ص / ٥٨٦ ـ ٥٨٧].
(٢) انظر الصواعق المحرقة [ص / ٣٧٩].
(٣) سورة الفتح: ٢٩ .
(٤) انظر الصواعق المحرقة (ص ٣١٧)،وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٤) وانظر الخبر بإسناده في «السنة» للخلال (ص/ ٤٧٨) برقم (٧٦٠) تحقيق د/ عطية الزهراني.
(٥) صحيح مسلم (١ / ٨٦).
(٦) الصارم المسلول (ص / ٥٨١).

ثالثًا: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ضرب بالدرة مَنْ فَضَّله على أبي بكر . ثم قال عمر: (أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا). ثم قال عمر: (من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري)[١] .

وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري) [٢] .

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليًا على أبي بكر وعمر أو من يفضل عمر على أبي بكر مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب، علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير[٣] .

ثانيًا من سب بعضهم سبًا يطعن في دينهم:

كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق وكان ممن تواترت[٤] النصوص بفضله كالخلفاء .

فذلك كفر ـ على الصحيح ـ لأن في هذا تكذيبًا لأمر متواتر.

روى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون قال: (من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي: إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد) [٥] .

وقال هشام بن عمار: سمعت مالكًا يقول فيها: من سب أبا بكر وعمر قتل ومن سب عائشة رضي الله عنها قُتل لأن الله تعالى يقول: ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا**

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١ / ٣٠٠) وأورده ابن تيمية في الصارم [ص / ٥٨٥] وصححه.

(٢) فضائل الصحابة (١ / ٨٣) والسنة لابن أبي عاصم (٢ / ٥٧٥) وسنده فيه أبو عبيدة بن الحكم وهو ضعيف، لكن له شواهد يصيرها حسنًا.

(٣) انظر الصارم المسلول (ص / ٥٨٦).

(٤) بعض العلماء يقيد ذلك بالخلفاء ، والبعض يقتصر على الشيخين، ومنهم من يفرق باعتبار تواتر النصوص بفضله أو عدم تواترها، ولعله الأقرب، وانظر للاستزادة هامش (ص / ٢٧ ـ من اعتقاد أهل السنة).

(٥) انظر « الشفا » للقاضي عياض (٢ / ١١٠٩) تحقيق البجاوي.

إن كُنتم مُّؤْمِنِينَ﴾ [(١)] . فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قُتل)[(٢)] .

أما قول مالك رحمه الله في الرواية الأخرى: (من سب أبا بكر جُلد ومن سب عائشة قُتل: قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن). فالظاهر والله أعلم أن مقصود مالك رحمه الله هنا في سب أبي بكر رضي الله عنه فيما دون الكفر، يوضحه بقية كلامه عن عائشة رضي الله عنها. حيث قال: (من رماها فقد خالف القرآن) فهذا سب مخصوص يكفر صاحبه ـ ولا يشمل كل سب ـ وذلك لأنه ورد عن مالك القول بالقتل فيمن كفر من هو دون أبي بكر[(٣)] .

قال الهيثمي مشيرًا إلى ما يقارب ذلك عند كلامه عن حكم سب أبي بكر: فيتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية وعلى أحد الوجهين عند الشافعية. ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر. نعم قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر. فتكون المسألة عنده على حالين: (إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفره وإلا كفر)[(٤)] .

وقال أيضًا : (وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي والذي أراه الكفر فيها قطعًا [(٥)] .

وقال الخرشي : (من رمى عائشة بما برأها الله منه. . أو أنكر صحبة أبي بكر أو إسلام العشرة أو إسلام جميع الصحابة أو كفر الأربعة أو واحدًا منهم كفر)[(٦)] .

وقال البغدادي : (وقالوا بتكفير كل من كفر واحدًا من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن) [(٧)] .

---

(١) سورة النور: ١٧ .

(٢) انظر الصواعق المحرقة (ص / ٣٨٤).

(٣) انظر «الشفا» للقاضي عياض [٢ / ١١٠٩].

(٤) انظر الصواعق المحرقة (ص / ٣٨٦).

(٥) انظر المرجع السابق (ص / ٣٨٥).

(٦) الخرشي على مختصر خليل (٨ / ٧٤).

(٧) الفرق بين الفرق (ص / ٣٦٠) تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد .

والمسألة فيها خلاف مشهور . ولعل الراجح ما تقدم . وأما القائلون بعدم كفر من هذه حاله فقد أجمعوا على أنه فاسق لارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب، يستحق التعزير والتأديب على حسب منزلة الصحابي ونوعية السب.

وإليك بيان ذلك:

قال الهيثمي : (أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق)[1].

وقال ابن تيمية: (قال إبراهيم النخعي : كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله تعالى فيها: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**﴾[2] .

وإذا كان شتمهم بهذه المثابة فأقل ما فيه التعزير لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة. . وهذا مما لا نعلم فيه خلافًا بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم وعقوبة من أساء فيهم القول[3].

وقال القاضي عياض: (وسب أحدهم من المعاصي الكبائر . ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل) [4] .

وقال عبد الملك بن حبيب: (من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبًا شديدًا وإن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت) [5] .

فلا يقتصر في سب أبي بكر رضي الله عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد

---

(١) انظر الصواعق المحرقة (ص / ٣٨٣).

(٢) سورة النساء: ٣١ .

(٣) اللالكائي (٨ / ١٢٦٢ ، ١٢٦٦) ،والصارم المسلول (ص / ٥٧٨).

(٤) مسلم بشرح النووي (١٦ / ٩٣).

(٥) انظر « الشفا » للقاضي عياض (٢ / ١١٠٨) ،وعنه الصارم المسلول (ص / ٥٦٩).

غيره؛ لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة، فإذا انضاف إلى الصحبة مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي ﷺ وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه[١] .

وعقوبة التعزير المشار إليها لا خيار للإمام فيها بل يجب عليه فعل ذلك.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع) [٢] .

فانظر أخي المسلم إلى قول إمام أهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحد منهم ووجوب عقوبته وتأديبه. ولما كان سبهم المذكور من كبائر الذنوب عند بغض العلماء فحكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مبينًا حكم استحلال سب الصحابة: (ومن خص بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعًا عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافر وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق لأن سباب المسلم فسوق وقد حكم البعض على من سب الشيخين بالكفر مطلقًا والله أعلم) [٣] .

وقال القاضي أبو يعلي تعليقًا على قول الإمام أحمد رحمه الله حين سئل عمن شتم الصحابة : فيحتمل أن يحمل قوله:(ما أراه على الإسلام) إذا استحل سبهم فإنه يكفر بلا خلاف ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي بالمعاصي ثم ذكر بقية الاحتمالات) [٤] .

---

(١) انظر الصواعق المحرقة (ص / ٣٨٧).

(٢) انظر طبقات الحنابلة (١ / ٢٤)، والصارم المسلول (ص / ٥٦٨).

(٣) الرد على الرافضة (ص / ١٩).

(٤) انظر الصارم المسلول (ص / ٥٧١ وما قبلها).

يتلخص مما سبق فيمن سب بعضهم سبًا يطعن في دينه وعدالته وكان ممن تواترت النصوص بفضله أنه يكفر ـ على الراجح ـ لتكذيبه أمرًا متوترًا . أما من لم يكفره العلماء فأجمعوا على أنه من أهل الكبائر ويستحق التعزير والتأديب ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه ،ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي، ولا يكفر ـ عندهم ـ إلا إذا استحل السب . أما من زاد على الاستحلال كأن يتعبد الله عز وجل بالسب والشتم فكفر مثل هذا مما لا خلاف فيه .

ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك.

وباتضاح هذا النوع بإذن الله يتضح ما بعده بكل يسر وسهولة ولذلك أطلنا القول فيه.

ثالثًا : أما سب صحابي لم يتواتر النقل بفضله سبًا يطعن في الدين :

فقد بينا فيما سبق رجحان تكفير من سب صحابيًا تواترت النصوص بفضله من جهة دينه ،أما من لم تتواتر النصوص بفضله فقول جمهور العلماء بعدم كفر من سبه وذلك لعدم إنكاره معلومًا من الدين بالضرورة إلا أن يسبه من حيث الصحبة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكماله فالظاهر أن سابه فاسق إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإنه يكفر)[١] .

رابعًا : أما سب بعضهم سبًا لا يطعن في دينهم وعدالتهم:

فلا شك أن فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب. ولكن من مطالعتي لأقوال العلماء في المراجع المذكورة لم أر أحدًا منهم يكفر فاعل ذلك ولا فرق عندهم بين كبار الصحابة وصغارهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما إن سبهم سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهو الذي يستحق التأديب والتعزير ،ولا نحكم بكفره ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم

---

(١) انظر الرد على الرافضة (ص / ١٩).

يكفرهم من العلماء) [١] .

وذكر أبو يعلى من الأمثلة على ذلك اتهامهم بقلة المعرفة بالسياسة [٢] .

ومما يشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي وضعف الشخصية والغفلة وحب الدنيا ونحو ذلك .

وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة باسم الموضوعية والمنهج العلمي ،وللمستشرقين أثر في غالب الدراسات التي من هذا النوع.

* * *

(١) انظر الصارم المسلول (ص / ٥٨٦).
(٢) انظر الصارم المسلول (ص / ٥٧١).

أخطاء تتعلق بالألفاظ ونحوها [(١)]

أولاً: شكوى الزمـان، وسب الدهر. وهذا يكثر عند الشـعراء، وعند غـيرهم. حتى إن بعض النـاس يقول: تسلط علينا الدهر ، وبعـضهم يقول: الزمـان غدَّار. . ونحو ذلك من العبارات المنهي عنها.

ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء على سبيل الإخبار، ومن ثم نقول: إن هذا الأمر يحتاج إلى تفصيل وبيان:

أ ـ فإذا جاء الأمـر على طريقة الإخبار المحض مثل أن يقـول الإنسان: هذا اليوم الحار، أو يقـول: اليوم بارد برودة شـديدة، أو نحو ذلك. فنقـول: إن هذا من باب الخير وهو جائز مثل قول لوط عليه الصلاة والسلام :﴿ **هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾ (٢) .

ب ـ أن يسب الدهر أو الزمـان على أن الدهر هو الفـاعل لهذه المصـائب أو أن الزمان هو الفاعل لها، فنقول: إن هذا قد يرتفع بصاحبه إلى نوع من الشرك الأكبر.

ج ـ أن يسب الزمن أو الدهر مع اعـتـقاده أن الـفاعل هو الله تـبارك وتعـالى. فنقول: إن هذا منهي عنه، والنبي ﷺ قال ـ كـما في الحديث القدسي ـ: «**يقول الله تعالى: يؤذيني بني آدم بسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**»(٣) فينبغي أن نبتعد عن هذه الألفاظ.

ثانيًا: المقالة المشـهورة: إن المادة لا تفنى ولا تسـتحدث وهذه نجـدها عند طلاب المدارس في دروس الكيمـياء والفـيزياء ونحوها. ونحن نـقول: إن هذا باطل، بل إن الموجودات كلـها كانت عـدمًا، ثم أوجـدها الله سبـحانه وتعـالى. فالقول بـأنها لا تستحدث، غير صحيح . بل الماديات كلها كانت عدمًا ثم أحدثها الله.

---

(١) انظر «أخطاء عقدية» (ص / ٤٧ ـ ٥٥).

(٢) سورة هود: ٧٧ .

(٣) رواه البخاري (٤٨٢٦)، و(٦١٨١)، باب: لا تسبوا الدهر، والتوحيد (٧٤١١). ومسلم في الأدب (٢٢٤٦ / ٢)، باب:النهي عن سب الدهر، وفي رواية ثانيـة عند مسلم (٥/٢٢٤٦): «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

ثم نقول أيضًا: إنها قابلة للفناء والعدم؛ لأن كل ما قبل الحدوث فهو قابل للعدم، ومن هنا نقول: إن هذه المخلوقات ستفنى، ثم يحييها الله من جديد ويبعثها مرة أخرى، أما بقاء الجنة ونعيمها وأهلها ودوامهم أبد الأبد ،وبقاء النار وعذابها وأهلها أبد الأبد، فإننا نقول: ليس دوامها لذاتها، وإنَّما دوامها بإدامة الله سبحانه وتعالى لها. أما ما سوى الله سبحانه وتعالى فهو قابل للحدوث وللعدم .

ثالثًا: من الأخطاء الشائعة في الألفاظ، أنك إذا نصحت أحدًا من الناس بشيء من السنَّة لا سيما السمت الظاهري، مثل: إطلاق اللحية أو تقصير الثوب ونحوها ، فإنه يبادرك بقوله: هذا ليس ضروريًا؛ لأن «التقوى ها هنا». ونقول: إن هذه كلمة حق أريد بها باطل؛ لأن النبي ﷺ هو الذي قال هذه، لكن متى قالها؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانًا . المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ولا يكذبه**» ثم قال: «**التقوى ها هنا** ـ ويشير إلى صدره ـ **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ،كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**» [1] أين أورد النبي ﷺ هذه الكلمة؟ أوردها في أمور تتعلق بالمعاملة ، ولو كان الأمر كما يقول هذا الإنسان المنصوح الذي لا يمتثل النصيحة ولا يريد أن يعمل بالسنة. لو كان الأمر كما يزعم من أن «التقوى ها هنا» ،يعني في قلبه، وأنها موجودة، لخضعت جوارحه ولتحولت التقوى إلى عمل. فانتبه يا أخي ولا تقل هذه الكلمة تريد بها عدم تطبيق الأمور الشرعية المطلوبة منك، فإنه يخشى عليك من إطلاق مثل هذه العبارات.

رابعًا: اشتهار بعض الأسماء التي ينبغي تغييرها وتبديلها. وسنذكر نماذج منها، مثل: اسم إيمان وفتنة وأبرار وملاك ونحوها. ونقول: إن هذه الأسماء التي فيها تزكية، ينبغي تغييرها، فإن النبي ﷺ ثبت عنه كما في الصحيحين وغيرهما أنه غير اسم برة فسماها مرة زينب [2] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأدب (٦٦٤)،وكتاب النكاح (٥١٤٣) ومسلم، كتاب البر (٢٥٦٤)، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، (٦١٩٢)، ومسلم في الأدب (٢١٤١).

ومرة سماها جويرية [(١)] فإيمان فيه تزكية أشد من برة فينبغي تغيير مثل هذا الاسم.

خامسًا: ومن الأخطاء المشهورة: قول بعضهم حينما يجيب من يطرق عليه أو يتصل به بالهاتف ويرفع السماعة بقوله: خير يا طير.. وهذه منتشرة عند كثير من الناس؛ لأن قول: خير يا طير من باب التطير، ومعلوم أن أهل الجاهلية كان عندهم التطير بالطيور، وكان التطير بها على أنواع منها إذا وقعت على بيته بومة تطير منها، وبعضهم إذا أراد أن يسافر وجاءت الطيور عن يمينه مضى، وإذا جاءت عن يساره لم يسافر. فنقول: إن مثل هذه الكلمة مبنية على مثل هذا، فينبغي الابتعاد عنها.

سادسًا: ومن الأخطاء أيضًا: الحلف بغير الله تبارك وتعالى، فينبغي أن نتجنبه؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وقال: «**من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك**»[(٢)] ومن الحلف بغير الله: الحلف بالذمة، والحلف بالنبي، والحلف بحياة الإنسان، والحلف بشرفه. ونقول: فهذه منكرات يجب الابتعاد عنها.

سابعًا: هناك أيضًا ألفاظ أخرى منتشرة، منها قول بعضهم في الدعاء لبعض: أدام الله أيامك. ونقول: هذا لا يجوز؛ لأنه لا يوجد أحد يدوم. فإذا ما أردت الدعاء له بذلك، فقل: أطال الله بقاءك على طاعته، لكن أن نقول: أدام الله أيامك فهو خطأ لأنه لا يوجد أحد يدوم إلا الله تعالى الحي القيوم.

ثامنًا: من العبارات الشائعة أن بعض الناس لما يسأل عن حاله يقول: الله يسأل عن حالك؟ فهذه لا تجوز؛ لأنها توحي أن الله لا يعلم عن حاله فيسأل عنه، فينبغي الابتعاد عن هذا.

تاسعًا: ومن العبارات أيضًا: قول بعضهم: شاءت الأقدار، أو شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا، ونحن نقول هذا لا يجوز ؛لأن الظروف أو الأقدار لا تشاء، وإنما المشيئة والأقدار بيد الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه مسلم في الأدب (٢١٤٠).

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٤ ، ٨٦)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

عاشرًا: ومن العبارات أيضًا قول بعضـهم لضيفه: (وجه الله إلا تأكل)، ونقول: هذا لا يجوز؛ لأن هذا استشفاع بالله على المخـلوق، ولا يجوز الاستشفاع بالله على المخلوق ؛ فإن الله سبحانه وتعالى أعظم من أن يستشفع به على مخلوق، فلابد من الانتباه لهذا.

الحادي عشر: ومن الأخطاء أيضًا: ما نشاهده أحيـانًا في بعض البرامج المدرسية من أنواع التسـلية والضحك في أمـثلة، الدعاء مـثل تندر بعضهـم وقوله: إن بعض المدرسين يدعـو الله على حسب تخـصصـه في مادته، فـيأتي مدرس الـلغة العـربية ويقول: اللهم اجعلني فاعلاً للخير منتـصبًا له.. إلى آخره. ويأتي مدرس الرياضيات ويقول: : اجعلني مستقيمًا ولا تجعلني في زاوية من الضلال.. إلى آخر العبارات.. ويأتي مدرس الجيولوجيا ويقول: اللهم اجعلني صخرة.. إلى آخر العبارات .وينبغي أن نعلم أن دعاء الله سبـحانه وتعالى قربة إلى الله وخضوع وتذلـل وهو مقام خوف ورجاء، فالهزل فيه لا يناسب هذا المقام.

الثاني عشر: ومن البدع أيضًا : قول بعـضهم: لا يجوز السؤال بـ «أين الله؟». وينكر على السـائل والمعلم السؤال بهـذا، مع العلم أن رسول الله ﷺ سـأل الجارية وقال لها : «**أين الله؟**» قالت: في السـماء [(١)] . وهؤلاء الذين ينكرون على السائل سؤاله بأين الله، إنما يفعلون ذلك بناءً على مذهبـهم في عدم الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى فوق خلقه، حيث يقولون: إن الله في كل مكان. وهذه بدعة وضلالة ابتدعها أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن تبـعهم من الأشعرية والماتريدية، وقد دلَّت عليه الأدلة الكثيـرة جدًا على أن الله تعـالى ـ في السمـاء، على العرش اسـتوى بائن من خلقه تبارك وتعالى، ومن هنا فلا يجوز الإنكار على من سأل مثل هذا السؤال أو بين هذا البيان؛ لأنها من الأمـور الفطرية التي فطر عليها الجميع ، كـيف وقد دلت عليها الأدلة الشرعية والعقلية؟

الثالث عشر: وهناك أخطاء ـ قولية ـ شائعة نشير إليها باختصار، فمنها:

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد (٧٣٥).

١ ـ قول بعضهم لمن قام بنجدتهم: فلان جاء أسرع من فرج الله، نعوذ بالله من هذه المقالة الشنيعة.

٢ ـ قول بعضهم لمن ظلمه: الله يظلمك ، فهذا لا يجوز لأن الله ليس بظلام للعبيد.

٣ ـ ومثله قول بعضهم: خان الله من يخون. فهذا لا يجوز.

٤ ـ قول بعضهم إذا سمع أو أخبر عن شخص أنه مات: ربنا افتكره.

٥ ـ قول بعضهم إذا أصيب بمصيبة: ماذا فعلت ياربي؟ فهذا اعتراض على الله وعلى أقداره.

٦ ـ قول بعضهم إذا دعي إلى الأكل وهم جلوس عليه: يأكل معكم الرحمن. فهذا خطأ.

هذه خلاصات سريعة لأنواع من الأخطاء الشائعة في العقيدة. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يبصرنا بالعقيدة الصحيحة، وأن يدلنا عليها دائمًا، وأن يبعد عنا كل عقيدة شائنة أو كل تصرف أو كل لفظ لا يرضى الله سبحانه وتعالى. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، اللهم إنا نسألك الإيمان الصحيح، والعقيدة الصحيحة، اللهم إنا نسألك الثبات على ذلك إلى أن نلقاك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ومن الأخطاء الشائعة الحلف والقسم بغير الله تعالى [(١)]

ولذلك صور متعددة منها:

الحلف بالنبي أو بجاهه، وقول بعضهم، و«حياة أبوك» ، وقول بعضهم: وحياتي أو وحياتك، وقول بعضهم: بشرفي، والحلف بالطلاق وهو مشهور حتى صار معظمًا أشد من تعظيم الحلف بالله. فهذا كله لا يجوز وهي من الشرك الأصغر، وقد ترقى إلى الأكبر، فينبغي الانتباه إلى ذلك.

ومن ذلك الاستغاثة والاستجارة بغير الله تعالى:

وأعظم صور ذلك التعلق بالقبور والأولياء والاستغاثة بهم عند الشدائد من دون الله تعالى. وكذلك الاستعاذة بالجن ودعائهم.

وهناك صور أخرى لذلك منها: قول بعضهم: أنا في وجه النبي ـ وقول بعضهم: دخلت على الله وعليك، وقول بعضهم: سبعة شلوك (أي سبعة من الجن حملوك وطاروا بك) يدعو عليه. وقول بعضهم: الله لي في السماء وأنت لي في الأرض.

وغيرها من الألفاظ الشركية المقتضية للتعلق بغير الله تعالى والاستعاذة بالمخلوقين.

ومن الأخطاء الشائعة الذبح لغير الله تعالى، وهو من الشرك الأكبر لأن الذبح لله تعالى عبادة، وصرفها لغير الله تعالى شرك:

وأشهر صور ذلك:

أ ـ الذبح للقبور والأولياء والتقرب إليهم بها، وسواء كان ذلك عن طريق وصايا الأموات بالذبح لهم، أو بالنذور عند شفاء مريض أو كان ذلك تطوعًا من المتعلقين بهم، فهذا كله شرك ولا يجوز.

---

(١) انظر «أخطاء عقدية» د/ عبد الرحمن بن صالح الحمود [ص / ٣٢ ـ ٣٧]. دار الفضيلة ـ دار الهدى النبوي ـ سلسلة قضايا عقدية (٧) .

ب ـ الذبح للجن تقربًا إليهم من قبل السحرة أو من يطيعهم من الجهال الذين يأتون إليهم طلبًا للشفاء من هؤلاء السحرة المشعوذين ، فهذا كله حرام وهو شرك لا يجوز .

ج ـ الذبح عند بناء البيت وذر دم الذبيحة على قواعد البناء عند تأسيسه، أو الذبح عند سكن البيت الجديد ونثر دمه على جدرانه من أجل حمايته من الجن. وهذا كله شرك ولا يجوز.

ومن الأمور والبدع الشائعة المتعلقة بالشركيات ونحوها:

اعتقاد أن الرسول ﷺ نور، وهذا منتشر بين الصوفية وأتباعهم ومن تأثر بهم، ويعتقد هؤلاء أن النبي ﷺ نور إلهي تقلّد في الأصلاب ، ثم يحتجُّون على ذلك بقصة موضوعة مكذوبة وردت في سيرة ابن هشام خلاصتها: أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان في جبينه نور، ثم تقول القصة : إن إحدى البغايا في مكة أرادته لنفسها فأبى عليها ، ثم إنه دخل على زوجته آمنة، فلما أتاها لقيته تلك المرأة البغي بعد أيام فدعاها لنفسها فقالت له: لا أريدك. قال لها: ولمَ؟ قالت: لأنني كنت رأيت على جبينك نورًا. فأردت أن يكون هذا النور في وإن النور قد زال الآن!!!

فيزعم هؤلاء أن الرسول ﷺ نور تقلب في الأصلاب ، وأنه كان في جبين عبد الله والد رسول الله ﷺ ، ثم انتقل هذا النور إلى بطن أمه آمنة، ثم خرج إلى الدنيا !!!

ونقول: هذا كله غير صحيح، بل إن النبي ﷺ بشرٌ ولد كما يُولد الأطفال. وأما قول الصوفية في رسول الله ﷺ إنه نور، فهذا القول شبيه بقول النصارى في المسيح، حتى عبدوه، وقد أدى بهؤلاء الصوفية إلى عبادة رسول الله ﷺ ودعائه من دون الله والزعم بأنه يحضر بنفسه الموالد.. وكل ذلك من الباطل.

فيا أيها الناس: احذروا هذه البدع التي نخشى أن تغزونا، ونقول: إن ما يتعلق برسول الله ﷺ من حقوق معروفة، والواجب طاعته ﷺ ومحبته واتباعه بلا إفراط ولا تفريط ، فقولوا: عبد الله ورسوله، كما قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا عبد**»

فقولوا: عبد الله ورسوله[1]. وهذا هو المنهج الوسط الجمع بين العبودية التي لا ترفعه فوق منزلتـه، والرسالة التي تحفظ له حـقوقه الكثـيرة وليس هذا موطن تفـصيل هذه المسألة.

ومن الأمور الخطيرة والشائعة والتي يجب الانتباه إليها:

الاستهزاء بالدين، وبالملتزمين وبشعائر الإسلام؛ كاللحية أو الصلاة أو غير ذلك من الشعائر. ومن المؤسف جـدًا أن هذا شائع وانتشر بين كـثير من الناس. وهذا باب خطير جدًا قد يؤدي بصاحبه إلى الكفـر إذ الاستهزاء بالله أو بالإسلام أو بشريعة من الشـرائع كفر بـالله تبارك وتعـالى، والله تعالى يقـول عن أولئك الذين سخـروا من رسول الله ﷺ وأصـحابه: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾[2] .

فيا أيها الناس: احذروا من هذا حذرًا شديدًا ؛ فإن الاسـتهزاء بالدين كفر، ولو كان على سبيل المزاح أو إضحاك القوم.

أمـا بالنسبـة للاستـهزاء بالملتـزمين بالدين، فـإنه خطير؛ لأنه يُخـشى أن يكون لكراهيته لما التزم به من شعائر الإسلام.

ومن ثم نقول: إن من استهـزأ بأحد الملتزمين لأجل ما تمثل به من شـريعة، فإن هذا استهزاء بالشريعة. والاسـتهزاء بالشريعة كفر. أما إذا استهـزأ بأشخاصهم، فهذا منزلـق خطر يخشى على صاحبه.

* * *

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حـديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصـارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا: عبـد الله ورسوله» أخرجه البـخاري في الأنبـياء (٣٤٤٥)، وفي المحـاربين (٦٨٣٠)، باب: رجم الحـبلى في الزنا إذا أحصنت (في الفتح).

(٢) سورة التوبة: ٦٥ ، ٦٦ .

كنوز ثرية
من معجم المناهي اللفظية

الله ينشد عن حالك[١] :

لدى بعض أعراب الجزيرة إذا قال واحد للآخر: كيف حالك قال الآخر: الله ينشد عن حالك . وهذه الكلمة إغراق في الجهل وغاية في القبح ولا يظهر لها محمل حسن ولو فرض لوجب اجتنابها . لأن علم الله ـ سبحانه ـ محيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ، فعلى من سمعها إنكارها ،والله أعلم .

وانظر: الله يسأل عن حالك.

الله الله [٢] :

للعلامة محمد صديق حسن خان ـ رحمه الله تعالى ـ بحث مهم في عدم مشروعية الذكر بالاسم المفرد «الله» وأنه لا أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم ـ ولا عن أحد من أهل القرون المفضلة.

وهناك نصوص يحتجون بها ولا دلالة فيها:

منها قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[٣] وحديث أنس رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**» رواه مسلم والترمذي وذكره الذهبي في «السير».

والمراد بهذا من النصين قوله : (لا إله إلا الله) على طريق الإشارة. قال محقق «السير»: (وليس في هذا الحديث مستند لمن يُسوغ الذكر بالاسم المفرد لأن المراد منه: أنه لا يبقى في الأرض من يوحد الله توحيدًا حقيقيًا ويعبده عبادة صادقة كما جاء

(١) انظر «معجم المناهي اللفظية » ويليه فوائد في الألفاظ ـ د/ بكر بن عبد الله أبو زيد [ص / ١٢٠].

(٢) انظر المرجع السابق [ص/ ١٢٠ ـ ١٢١].

(٣) سورة الأنعام: ٩١ .

مفسرًا في رواية أحمد: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله**» وسنده صحيح ولم يثبت عنه ولا عن صحابته ولا عن أحد من القرون المشهود لها بالفضل: أنهم ذكروا الله بالاسم المفرد...).

ومنها حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «**ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئًا**» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وهذا ليس مفردًا بل هو مضاف إما تقديرًا أو تصريحًا.

ومنها: أثر ابن عباس وأبي الدرداء ـ رضي الله عنهم ـ : «**إن اسم الله الأكبر: ربِّ ربِّ**» ورواه الحاكم وسكت عليه الذهبي.

وهذا للبيان والله أعلم.

الله بالخير:[1]

سُئل الشيخ عبد الله أبو بطين عن استعمال الناس هذا في التحية فقال: (هذا كلام فاسد خلاف التحية التي شرعها الله ورضيها وهو السلام فلو قال: صحبكم الله بالخير أو قال: الله يصبحك بالخير بعد السلام فلا ينكر).

الله موجود في كل مكان [2] :

عن عبد الله بن معاوية الغاضري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من فعلهن فقد طَعِم طَعم الإيمان**» وفيه «**وزكى نفسه**» فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «**أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان**» رواه البيهقي وغيره .

قال الألباني:

(فائدة: قوله ﷺ: «**إن الله معه حيث كان**» قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي: «يريد أن الله علمه محيط بكل مكان والله على العرش».

ذكره الحافظ الذهبي في «العلو» رقم الترجمة (٧٣) بتحقيقي واختصاري.

---

(١) انظر «معجم المناهي اللفظية» [ص / ١٢٤].

(٢) انظر المرجع السابق [ص / ١٢٧]، وانظر «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٤٦)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣ / ١٣٨).

وأما قول العامة وكثيـر من الخاصة: الله موجود في كل مكان أو في كل الوجود ويعنون بذاته فهو ضـلال بل هو مأخوذ من القول بوحدة الوجـود الذي يقول به غلاة الصوفية الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق ويقـول كبيرهم: كل ما تراه بعينك فهو الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً).

اللهم لا تحوجنا لأحد من خلقك(١) :

يروى عن علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قـال: اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك فقال ﷺ: «**لا تقل هكذا فإنه ليس أحد إلا هو مـحتاج إلى الناس ولكن قل: اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك. الذين إذا أعطوا منعوا وإن منعوا عابوا** ».

لا أصل له ،فيه ابن فرضخ يتهم بالوضع.

وقال العجلوني: (قال ابن حجر المكي نقلاً عن الحـافظ السيوطي : إنه موضوع بل قد يقال: إن الدعاء به ممنوع. سمع أحمد رجلاً يقول: اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك. فقال : هذا رجل تمنى الموت. ثم ذكر أثر علي المذكور) اهـ والله أعلم.

تجب الثقة بالنفس (٢) :

في تقرير للـشيخ محـمد بن إبراهيم ـ رحمـه الله تعالى ـ لما سُئل عن قول من قال: تجب الثقـة بالنفس أجاب : (لا تجب ولا تجوز الثقـة بالنفس في الحديث: «**ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ...**».

قال الشيخ ابن قاسم معلقًـا عليه: (وجاء في حديث رواه أحمد «**وأشـهد أنك إن تكلنـي إلى نفـسي تكلـني إلى ضـيعـة وعـورة وذنب وخطيئـة وإني لا أثق إلا برحمتك**».

---

(١) انظر المرجع السابق [ص / ١٣٥ ـ ١٣٦] ، وانظر «كشف الخـفاء» للعجلوني (١ / ١٨٨ ـ ١٨٩) برقم (٥٦١)، وتذكرة الموضوعات للفتني (ص / ٥٦).

(٢) انظر المرجع السابق [ص / ١٨٥]، و«الفتاوى» (١ / ١٧٠)، و«مسند أحمد» (٥ / ١٩١)، و«مجمع الزوائد» (١٠ / ١١٣)، والطبراني في «الكبير» (٤٩٣٢).

التخلق بأسماء الله أو بأخلاق الله[١] :

رُوي: «**تخلقوا بأخلاق الله**» وهو لا أصل له .وقد قرر ابن القيم أنها عبارة غير سديدة وأنها منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة .قال:(وأحسن منها : عبارة أبي الحكم بن برهان: وهي التعبد وأحسن منها: العبارة المطابقة للقرآن. وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

فمراتبها أربعة أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه وأحسن منها عبارة من قال: التخلق وأحسن منها عبارة من قال: التعبد وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن).

تكلمت بالقرآن[٢] :

ذكر السكوني في «لحن العوام» (مما يمتنع قولهم: إذا قال: لفظت بالقرآن لأن اللفظ في اللغة هو الطرح والصواب أن يقال: قرأت القرآن ولا يقال: لفظت بالقرآن ولا: تكلمت بالقرآن» لأن المتكلم بالقرآن هو الله سبحانه. فلا يصرف عن غير مصارفه وهو تعرض لتحريفه عما أُنزل فيه وهذا محرم بإجماع الأمة) انتهى وانظر في حرف اللام: لفظي بالقرآن مخلوق.

ثالث الحرمين[٣] :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(وأما المسجد الأقصى: فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ... إلى أن قال: والأقصى اسم للمسجد كله ولا يسمى هو ولا غيره حرمًا وإنما الحرم

---

(١) انظر المرجع السابق (ص / ١٨٦)، وانظر «بدائع الفوائد» (١ / ١٦٤)، و«عدة الصابرين» (ص / ٣٦)، و«مختصر شرح العقيدة السفارينية» لابن سلوم (ص / ١٠٢)، «والمقصد الأسنى» للغزالي (ص / ٢٠)، وفتاوى ابن باز (١ / ١٣٨ ـ ١٣٩)، الطحاوية (١٢٠) بتحقيق الألباني.

(٢) انظر «معجم المناهي اللفظية» (ص / ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وانظر لحن العوام (ص / ١٨١).

(٣) المرجع السابق [ص / ٢٠٩]،وانظر اقتضاء الصراط المستقيم (ص / ٤٣٤)،والفتاوى ٢٧/ ١٤ ـ ١٥).

بمكة والمدينة خاصة وفي وادي وج الذي بالطائف نزاع بين العلماء).

وحيث إن المسجد الأقصى لا يسمى (حرمًا) فلا يقال حينئذ « ثالث الحرمين» .

والظاهر أنها مولدة الاستعمال في هذا العصر ولم أرها لدى السلف والله أعلم.

وأما ما يوجد في الأردن وفي مصر كقولهم حرم الحسين وحرم الست نفيسة فهذا من البدع المحدثة.

الجبر:[1]

في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[2] وبيان ردها على القدرية والجبرية ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

(والنبي ﷺ أخبر بمثل ما أخبر به الرب تبارك وتعالى: أن العبد ميسر لما خلق له، لا مجبور ،فالجبر لفظ بدعي والتيسير لفظ القرآن والسنة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مبحث القدر:

(ولهذا أنكر الأئمة على من قال: «جبر الله العباد» كالثوري والأوزاعي والزبيدي وأحمد بن حنبل وغيرهم وقالوا: الجبر لا يكون إلا من عاجز كما يجبر الأب ابنته على خلاف مرادها) انتهى.

والزبيدي المذكور هو: (أبو الهذيل محمد بن الوليد بن عامر الحمصي القاضي ثقة ثبت ، من كبار أصحاب الزهري، مات سنة ١٤٦ هـ وقيل : ١٤٧ هـ وقيل: ١٤٩ هـ) انتهى من «التقريب » لابن حجر.

عن بقية بن الوليد الكلاعي قال: سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر؟ فقال الزبيدي: أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحبه.

---

(١) انظر «معجم المناهي اللفظية» (ص / ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«التبيان» لابن القيم (ص / ٤١)، ومنهاج السنة (٣ / ٣٦) طبع جامعة الإمام ، والفتاوى ٣ / ٣٢٢ ـ ٣٢٦، ٧ / ٦٦٤ ـ ٦٦٥، ٨ / ١٠٤ ـ ١٠٥، ١٣١ ـ ١٣٢ ، ٢٩٤ ، ٣٩٤، ٤٦٢ ـ ٤٦٥، ٥٠١ ـ ٥٠٢، ١٢ / ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(٢) سورة الليل: ٦ .

وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا معروف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ . انتهى.

وقال أيضًا: (فلما كان لفظ الجبر مجملاً نهى الأئمة الأعلام عن إطلاق إثباته أو نفيه) انتهى.

حدثني قلبي عن ربي[1] :

هذه من ألفاظ أصحاب الخيالات والجهالات . قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن شيخه ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : (وأما ما يقول كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثني قلبي عن ربي . فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عمن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟

فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به وذلك كذب . قال: ومحدث الأمة ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يومًا من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك. . .) انتهى وهو مهم.

الحنَّان[2] :

ليس من أسماء الله ـ سبحانه ـ «الحنَّان» بتشديد النون ومعناه ذو الرحمة؛ لهذا فلا يقال: «عبد الحنَّان» وإنما هو صفة فعل لله ـ تعالى ـ بمعنى الرحيم، من الحنان بتخفيف النون ـ وهو الرحمة ـ قال تعالى: ﴿ **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا** ﴾[3] أي رحمة منا ورجح بعض المفسرين ومنهم ابن كثير أن الصفة ليحيى ـ عليه السلام ـ فيكون المعنى: جعلناه ذا حنان وزكاة . وأما ما جاء في حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الحنان المنان. فهو حديث في السنن الأربع ورواه أحمد وتفرد في

---

(١) المرجع السابق (ص/ ٢٢٧) ،ومدارج السالكين(١/ ٤٠).

(٢) المرجع السابق (ص / ٢٤٠ ـ ٢٤١)، و«المسند» (٣ / ١٥٨)، و«الجواب المختار» لابن عثيمين (ص / ٩)، و«المجموع الثمين» (٣ / ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) سورة مريم: ١٣ .

المسند: ٣ / ١٥٨ بلفظ «الحنان» وكذا ابن حبان في صحيحه. وانظر في حرف الباء: يا حنين.

كلاهما من طريق خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي وهو صدوق مختلط وفي المسند أيضًا: (٣ / ٢٣٠) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ : إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان يا منان وهو ضعيف. وقد ورد عدُّه أيضًا في رواية الحاكم في المستدرك ١ / ١٧ لحديث أبي هريرة وفي سنده ابن الترجمان: عبد العزيز بن الحصين وهو ضعيف بالاتفاق.

ولهذا قال الخطابي في شأن الدعاء: «ومما يدعو به الناس خاصهم وعامهم وإن لم يثبت به الرواية عن رسول الله ﷺ الحنان» انتهى.

أقول: وكذلك: «المنَّان» لكنه ثابت من أسماء الله عز وجل ـ وانظر في الملحق في حرف الميم : المنان.

خضنا بحرًا وقف الأنبياء على ساحله[1] :

هذه من شطحات الباطنية والتي تسربت إلى عامة المتصوفة مع فيها من الشطح وتلاعب الشيطان بهم وملاعبتهم لعقول العامة، وهكذا من صدق بالباطل صار إلى الشطح كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة ٥ / ١٧٠) وهي عبارات منتشرة ومشهورة بينهم ومنها ما ينسب إلى بعض الكبار فالله أعلم بحقيقة الحال الذي يهمنا هنا الإشارة إلى جملة من هذه العبارات وأنها جميعها ليس لها في الحق نصيب فأسوقها هنا مساقًا واحدًا للتحذير منها وقياس ما لم يذكر عليها لاجتنابها.

الخلق عيال الله[2]:

هذا لفظ منتشر في مؤلفات بعض أهل العلم ومنه: كتاب باسم (عيال الله) للحافظ أحمد بن حرب النيسابوري ـ م سنة ٢٣٤ هـ.

---

(١) المرجع السابق (ص / ٢٤٨)، وفتاوى ابن تيمية، و«الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص / ١٣٠ ـ ١٣١، ٣٢٠ ، ٣٢١).

(٢) المرجع السابق [ص / ٢٥١]، و«السير» للذهبي (١١ / ٣٣)، و«الروح» (ص / ١٣٤)، «وطريق الهجرتين» (ص / ٦٣٤)، و«ضعيف الجامع الصغير» (٣ / ١٤٥)، و«مقدمة=

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مبحث : إهداء القرب للأموات والإحسان إليهم من كتاب «الروح»:

(والخلق عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله وإذا كان سبحانه يحب من ينفع عياله بشربة ماء ومذقة لبن وكسرة خبز فكيف بمن ينفعهم في حال ضعفهم وفقرهم وانقطاع أعمالهم).

ولعل هذا اللفظ سرى إليهم لوجوده من حديث ابن مسعود وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**الخلق كلهم عيال الله فأقربهم إليه أنفعهم لعياله**» رواه أبو يعلى والبزار والطبراني، لكنه ضعيف جدًا.

وعليه: فالتوقي من هذا اللفظ أولى وإن تجوز بالتعبيرية بعض الأكابر والله أعلم.

رأي الدين[1]:

رأي الدين: الرأي في أساسه مبني على التدبر والتفكر ومنها قولهم «رأي الدين» «رأي الإسلام» «رأي الشرع» وهي من الألفاظ الشائعة في أخريات القرن الرابع عشر الهجري وهو إطلاق مرفوض شرعًا لأن «رأى» إذا تجاوزنا معناها اللغوي: (رأى البصرية) إلى معناها اللغوي الآخر «رأى العلمية» والرأي يتردد بين الخطأ والصواب صار من الواضح منع إطلاقها على ما قضى الله به في كتابه وسنة رسوله ﷺ فهذا يقال فيه: «دين الإسلام» (إن الدين عند الله الإسلام) والله سبحانه يقول: ﴿ **إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾[2] .

فتشريع الله لعباده ، يقال فيه: حكم الله وأمره ونهيه وقضاؤه وهكذا وما كان كذلك فلا يقال فيه رأي ، والرأي مدرجة الظن والخطأ والصواب.

= «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٣٣ - ٣٤)، و«الجواب الصحيح» (٣ / ٥٣)، و«المنتقى» لابن عثيمين (ص / ١٠٥).

(١) المرجع السابق [ص / ٣٧١ - ٣٧٢].

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦ .

أما إذا كان بحكم صادر عن اجتهاد فلا يقال فيه: «رأي الدين» ولكن يقال: «رأي المجتهد» أو «العالم» لأن المختلف فيه بحق يكون الحق فيه في أحد القولين أو الأقوال. وانظر بحثًا مهمًا في كتاب « تنوير الأفهام لبعض مفاهيم الإسلام» للشيخ محمد بن إبراهيم شقرة ص / ٦١ ـ ٧٣ .

علم الباطن والظاهر[١]:

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان منزلة الإرادة :

(يريد ـ أي الهروي ـ أن هذا العلم ـ التصوف ـ مبني علي الإرادة فهي أساسه ومجمع بنائه وهو يشتمل على تفصيل أحكام الإرادة وهي حركة القلب ولهذا سمي علم الباطن.

كما أن علم الفقه: يشمتل على تفصيل أحكام الجوامع ولهذا سموه: علم الظاهر).

أي أن غلاة المتصوفة سموا: (علم الشريعة) (علم الظاهر) وسموا هواجس النفس (علم الباطن) واحتجوا بحديث ينسبونه عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: «علم الباطن سرٌ من سر الله عز وجل» وهو حديث موضوع ،ومن هذا التقسيم الفاسد جاء قول بعض غلاتهم: «حدثني قلبي عن ربي».

وهذا من فاسد الاصطلاح. فرحم الله ابن القيم ما أكثر اعتذاره عن الهروي في سقطاته؟ والله المستعان.

العلم اللدني[٢]:

قال الله تعالى في حق الخضر عليه السلام: ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾[٣].

---

(١) انظر المرجع السابق (ص / ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، وانظر «مدارج السالكين» (٣ / ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«الباهر في علم الباطن والظاهر» للسيوطي.

(٢) انظر المرجع السابق (ص / ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، و«مدارج السالكين» (٢ / ٤٧٥ـ ٤٧٧، ٣ / ٤١٦ ، ٤٣١ ـ ٤٣٣).

(٣) سورة الكهف: ٦٥ .

وهو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهامًا بلا سبب من العبد ولهذا سمي لدنيًا والله تعالى هو الذي علم العباد ما لا يعلمون ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [١] .

هذه هي حقيقة العلم اللدني عند الصوفية وقد كثر في عباراتهم وإطلاقاتهم.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ما مر تلخيصه من مدارج السالكين:

(ونحن نقول: إن الحاصل بالشواهد والأدلة : هو العلم الحقيقي . وأما ما يدعى حصوله بغير شاهد ولا دليل: فلا وثوق به وليس بعلم ـ إلى أن قال ـ: وأما دعوى وقوع علم بغير سبب من الاستدلال فليس بصحيح.

فالعلم اللدني: ما قام الدليل الصحيح عليه: أنه جاء من عند الله على لسان رسوله،وما عداه فلدُني من لدن نفس الإنسان منه بدأ وإليه يعود ،وقد انبثق سرُّ العلم اللدني ورخص سعره حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدني انتهى ملخصًا.

وهذا الاصطلاح من مخترعات الصوفية ومواصفاتها ،وإلا فإن العلم اللدني هو: العلم العندي .فعند ولدن في الآية معناهما واحد في لغة العرب التي بها نزل القرآن فما لم يكن العلم من عند الله على لسان رسول الله فلا يكون من لدنه والأمور مرهونة بحقائقها والله المستعان.

علمه بحالي يغني عن سؤالي[٢]:

هذا يُحكى عن الخليل عليه السلام، لما ألقي في النار قال جبريل عند ذلك: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا . قال جبريل: فسل ربك فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وفي لفظ: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

وقد قال ابن تيمية فيه: (كلام باطل) وفي: تنزيه الشريعة لابن عراق نقل عن ابن تيمية أنه موضوع .

---

(١) سورة العلق: ٥ .

(٢) المرجع السابق (ص / ٣٩٨)، «وفتاوى ابن تيمية» (٨ / ٥٣٩)، و«تنزيه الشريعة» لابن عراق (١ / ٢٥٠)، و«السلسلة الضعيفة» (١ / ٢٨) برقم (٢١).

وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (لا أصل له) ثم قال بعد بحث نفيس: (وبالجملة فهذا الكلام المعزو إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لا يصدر من مسلم يعرف منزلة الدعاء في الإسلام فكيف يقول من سمانا مسلمين؟.

وعليه فإذا مررت به في «الورد المصفى المختار» ص / ٧١ فاشطب عليه.

ليس إلاَّ الله[١]:

هذا من أذكار ابن سبعين وأمثاله من الملاحدة يقولون في أذكارهم: ليس إلا الله بدل قول المسلمين: لا إله إلا الله لأن معتقدهم أنه وجود كل موجود.

فلا موجود إلا هو والمسلمون يعتقدون أن الله هو المعبود الحق دون سواه فهذا الذكر من شطحات ابن سبعين وأصحابه من أهل وحدة الوجود بدل قول المسلمين (لا إله إلا الله).

ولذا كان يقال لهم: (الليسية) ولهم نحوها من العبارات المعلنة للكفر والزندقة الشيء الكثير منها ما في (فصوص الحكم) وغيره وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ على ذكر جملة كثيرة منها وفند الرد عليها وكشف ما فيها من كفر وضلال بتحقيق فائق.

وأكثر هذه الألفاظ في الجزء الثاني من الفتاوى وفي مواضع من بقية الأجزاء وهي في فهرسها على ما يلي: ٣٦ / ٣٤ ـ ٣٦ ، ٣٩ ، ٨٥ ، ٨٨ .

وقد تحاشيت ذكر الألفاظ دون ذكر الرد عليها وذكرهما مما يطول لهذا اكتفيت بهذه الإشارة وقل أن يعرض لطالب العلم عبارة لهؤلاء القوم إلا ويجد دحضها في المرجع المذكور والله الموفق.

المريد[٢]:

المريد: هو المتجرد عن إرادته.

---

(١) انظر المرجع السابق (ص / ٤٨٢) ، و«الفتاوى» (٧ / ٥٩٥ ـ ٥٩٦).

(٢) المرجع السابق [ص / ٥٠٣ ـ ٥٠٤]، «ومدارج السالكين » (٣ / ١١٧ ، ٣١٦ ، ٤١١)، و«التصوف الإسلامي» (١ / ٥٩)، و«مصطلحات الصوفية» لابن عربي.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى: (وتقسيم السائرين إلى الله إلى: طالب وسائر وواصل وإلى مريد ومراد، تقسيم فيه مساهلة لا تقسيمًا حقيقيًا فإن الطلب والسلوك والإرادة لو فارق العبد لانقطع عن الله بالكلية...).

وعلق عليه محقق الكتاب الشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: (بل تقسيم على غير ما قسم الله في كتابه وعلى لسان رسوله أهدى السالكين وأكرم الواصلين إلى مرضاة ربه في الدنيا والآخرة ﷺ).

الملائكة خدم أهل الجنة[١]:

في كتاب «الحبائك في أخبار الملائك» للسيوطي: (ص / ١٥٦ ، ٢٠٤) ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ مبحثًا في المفاضلة بين بني آدم والملائكة وفي (ص / ٢٠٢) قال: «والملائكة خدم أهل الجنة» وقد رد محققه الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري هذه المقولة وأنه لا دليل يبيح إطلاقها وردها من أربعة وجوه والله أعلم.

خليفة الله[٢]:

جماع خلاف أهل العلم في هذا على ثلاثة أقوال:

الأول: الجواز، فيجوز أن يقال: فلان خليفة الله في أرضه. واحتجوا بحديث الكُميل عن علي: «أولئك خلفاء الله في أرضه»، وبقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٣] ونحوها في القرآن.

---

(١) المرجع السابق (ص / ٥٢٦).

(٢) خليفة الله: مفتاح دار السعادة ص / ١٦٥ . الفواكه الجنوية ص / ٣٨ . فيض القدير ٢ / ٤٠٦ . الاستعاذة لابن مفلح ص / ١٧ . سيرة عمر بن عبد العزيز ص / ٤٦ . شرح ابن علان على الأذكار ٧ / ٨٢ . نقض أصول الحكم لمحمد الخضر حسين ص / ٢٢٧ . فتاوى النووي: ١٦٢ ، منهاج السنة ١ / ١٣٧ . زاد المعاد ٢ / ٢٢٧ . وفيات الأعيان ٦ / ١٠٤ ـ ١٠٥ . وفيه قصة اللهبي مع عمر ـ رضي الله عنه . الفتاوى الحديثية ص / ١٣٤ ـ ١٤٦ ـ ففيه مبحث مهم في نحو أربعين لفظًا فلينظر مجموع الفتاوى ٣٥ ـ ٤٢ ـ ٤٥ ، ٢ / ٤٦١ . مسند أحمد ١ / ١٠ . السلسلة الضعيفة ١ / ١٢٠ . حلية البشر للبيطار: ١ / ٢٥٧؛ وانظر معجم المناهي اللفظية [ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦].

(٣) سورة البقرة: ٣٠ .

وبقول النبي ﷺ : «**إن الله ممكن لكم في الأرض ومستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**».

وبحديث المهدي وفيه: «خليفة الله المهدي» لكنه ضعيف كما في رقم / ٨٥ من «السلسلة الضعيفة».

واحتجوا بقول الراعي يخاطب أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ:

خليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلاً
عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلاً تنزيلاً

الثاني: منع هذا الإطلاق ؛ لأن الخليفة إنما يكون عمن يغيب ويخلفه غيره، والله تعالى شاهد غير غائب، فمحال أن يخلفه غيره بل هو سبحانه وتعالى الذي يخلف عبده المؤمن فيكون خليفته.

واحتجوا بقول أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لما قيل له: يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ ، وحسبي ذلك.

الثالث: وهو ما قرره ابن القيم بعد ذلك فقال:

قلت: إن أُريد بالإضافة إلى الله: أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة فيها وإن أُريد بالإضافة: أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها: خليفة الله الذي جعله الله خلفًا عن غيره، وبهذا يخرج الجواب عن قول أمير المؤمنين: أولئك خلفاء الله في أرضه. . إلخ والله أعلم.

ولابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فصول جامعة في ألفاظ يكره التلفظ بها، جمعها في موضع واحد من زاد المعاد ٢ / ٣٦ ـ ٣٧ ذكر فيها نحواً من ثلاثين لفظًا، منها لفظ: «خليفة الله» وقد رأيت أن أسوق هذه الفصول بتمامها في هذا الموضع، وأحيل عليه لبقية الألفاظ؛ حتى يكون أجمع لكلامه ـ رحمه الله تعالى ـ ونصه:

الألفاظ التي كره ﷺ أن تقال:

فصل: في ألفاظ كان ﷺ يكره أن تقال: فمنها أن يقول: خبثت نفسي، أو: جاشت نفسي، وليقل لَقِسَتْ، ومنها أن يسمى شجر العنب: كرمًا ،نهى عن ذلك،

وقال: «**لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: العنب والحبلة**» وكره أن يقول الرجل: هلك الناس، وقال: «**إذا قال ذلك فهو أهلكهم**».

وفي معنى هذا: فسد الناس وفسد الزمان ونحوه: ونهى أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان، بل يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، فقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده**». وفي معنى هذا: لولا الله وفلان، لما كان كذا، بل هو أقبح وأنكر، وكذلك: أنا بالله وبفلان؛ وأعوذ بالله وبفلان، وأنا في حسب الله وحسب فلان، وأنا متكل على الله وعلى فلان؛ فقائل هذا قد جعل فلانًا ندًا لله عز وجل . ومنها أن يقال: مطرنا بنوء كذا وكذا، بل يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته، ومنها أن يحلف بغير الله ، صح عنه ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». ومنها أن يقول في حلفه: هو يهودي أو نصراني أو كافر، إن فعل كذا. ومنها أن يقول لمسلم: يا كافر، ومنها أن يقول للسلطان: ملك الملوك، وعلى قياسه: قاضي القضاة، ومنها أن يقول السيد لغلامه وجاريته : عبدي وأمتي، ويقول الغلام لسيده: ربي، وليقل السيد: فتاي وفتاتي، ويقول الغلام: سيدي وسيدتي. ومنها سب الريح إذا هبت، بل يسأل الله خيرها وخير ما أُرسلت به. ويعوذ بالله من شرها وشر ما أرسلت به. ومنها سب الحمى، نهى عنه وقال: «**إنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد**». ومنها النهي عن سب الديك، صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**». ومنها الدعاء بدعوى الجاهلية والتعزي بعزائهم، كالدعاء إلى القبائل والعصبية لها، وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطرائق، والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية وكونه منتسبًا إليه ، فيدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به؛ كل هذا من دعوى الجاهلية. ومنها تسمية العشاء بالعتمة، تسمية غالبة يهجر فيها لفظ العشاء.

ومنها النهي عن سباب المسلم، وأن يتناجى اثنان دون الثالث، وأن تخبر المرأة زوجها بمحاسن امرأة أخرى. ومنها أن يقول في دعائه : اللهم اغفر لي إن شئت وارحمني إن شئت. ومنها الإكثار من الحلف. ومنها كراهة أن يقول: قوس قزح، لهذا الذي يُرى في السماء. ومنها أن يسأل أحد بوجه الله. ومنها أن يسمي المدينة

بيثرب. ومنها أن يقول: صمت رمضان كله، أو: قمت الليل كله.

(فصل) ومن الألفاظ المكروهة، الإفصاح عن الأشياء التي ينبغي الكناية عنها بأسمائها الصريحة . ومنها أن يقول: أطال الله بقاءك، وأدام الله أيامك، وعشت ألف سنة، ونحو ذلك.

ومنها أن يقول الصائم: وحق الذي خاتمه على فم الكافر. ومنها أن يقول للمكوس: حقوقًا . وأن يقول لما ينفقه في طاعة الله: غرمت أو خسرت كذا وكذا. وأن يقول: أنفقت في هذه الدنيا مالاً كثيراً ، ومنها أن يقول المفتي: أحل الله كذا، وحرم الله كذا ، في المسائل الاجتهادية، وإنما يقول فيما ورد النص بتحريمه، ومنها أن يسمى أدلة القرآن والسنة: ظواهر لفظية ومجازات ، فإن هذه التسمية تسقط حرمتها من القلوب، ولا سيما إذا أضاف إلى ذلك تسمية شبه المتكلمين والفلاسفة قواطع عقلية؛ فلا إله إلا الله كم حصل بهاتين التسميتين من فساد في العقول والأديان والدنيا والدين!!

(فصل) ومنها أن يحدثَ الرجلُ بجماع أهله وما يكون بينه وبينهم كما يفعله السَّفلة . ومما يكره من الألفاظ: زعموا، وذكروا وقالوا، ونحوه. ومما يكره منها أن يقول للسلطان: خليفة الله، أو: نائب الله في أرضه، فإن الخليفة والنائب إنما يكون عن غائب، والله سبحانه وتعالى خليفة الغائب في أهله، ووكيل عبده المؤمن.

(فصل) وليحذر كل الحذر من طغيان: (أنا) و(لي) و(عندي)؛ فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتُلي بها إبليس وفرعون وقارون ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ** ﴾ [ص: ٧٦] لإبليس، و﴿ **لِي مُلْكُ مِصْرَ** ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، و﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾[القصص: ٧٨] لقارون، وأحسن ما وضعت (أنا) في قول العبد: (أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترف) ونحوه. و(لي) في قوله: (لي الذنب ولي الجرم ولي المسكنة ولي الفقر والذل) و(عندي) في قول: (اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي) اهـ.

لطيفة:

في الهفوات النادرة ص / ٣٦١ ، والكامل ١ / ١٤٥، وعنهما ابن خلكان في تاريخه ٦ / ١٠٤ ـ ١٠٥ قال: «ونقلت منه أيضًا ـ أي من الهفوات النادرة أن أعرابيًا

شهد الموقف مع عمر - رضي الله عنه - قال الأعرابي: فصاح به صائح من خلفه: يا خليفة رسول الله، ثم قال: يا أمير المؤمنين، فقال رجل من خلفي: دعاه باسم ميت، مات والله أمير المؤمنين .. إلى آخر القصة.

قال ابن خلكان: (وقوله: دعاه باسم ميت؛ إنما قال ذلك لأن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - كان يقال له: خليفة رسول الله ﷺ فلما توفي وتولى عمر - رضي الله عنه - قيل له: خليفة خليفة رسول الله ﷺ فقال للصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -: هذا أمر يطول شرحه، فإن كل من يتولى يقال له: خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله ﷺ. وإنما أنتم المؤمنون، وأنا أميرُكُم، فقيل له: يا أمير المؤمنين. فهو أول من دُعي بهذا الاسم، وكان لفظ الخليفة مختصًا بأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فلهذا قال: دعاه باسم ميت) اهـ.

جاهلية القرن العشرين[1]

بين العلامة الألباني ما في هذا التعبير من تسمُّحٍ، وغضٍّ من ظهور الإسلام على الدين كله.

فجاء في كتاب: «حياة الألباني» ما نصه: (مصطلح «جاهلية القرن العشرين» في نظر الألباني:

السؤال: تناول الداعية «سيد قطب» - رحمه الله مصطلحًا متداولاً بكثرة في إحدى المدارس الإسلامية التي يمثلها، ألا وهو مصطلح «جاهلية القرن العشرين» فما مدى الدقة والصواب في هذه العبارة؟ وما مدى التقائها مع الجاهلية القديمة وفقًا لتصوركم؟

فأجاب العلامة الألباني:

(الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

---

(١) جاهلية القرن العشرين: كتاب حياة الألباني ١ / ٣٩١ - ٣٩٤، وانظر معجم المناهي اللفظية، ويليه «فوائد في الألفاظ» أ. د/ بكر عبد الله أبو زيد - دار العاصمة للنشر والتوزيع [ص / ٢١٢ - ٢١٥].

الذي أراه أن هذه الكلمة «جاهلية القرن العشرين» لا تخلو من مبالغة في وصف القرن الحالي ، القرن العشرين، فوجود الدين الإسلامي في هذا القرن، وإن كان قد دخل فيه ما ليس منه يمنعنا من القول بأن هذا القرن يمثل جاهليةً كالجاهلية الأولى.

فنحن نعلم أن الجاهلية الأُولى، إن كان المعني بها العرب فقط فهم كانوا وثنيين وكانوا في ضلال مبين، وإن كان المعني بها ما كان حول العرب من أديان كاليهودية والنصرانية فهي أديان محرفة، فلم يبق في ذلك الزمان دين خالص منزه عن التغيير والتبديل، فلا شك في أن وصف الجاهلية على ذلك العهد وصف صحيح، وليس الأمر كذلك في قرننا هذا ما دام أن الله تبارك وتعالى قد مَنَّ على العرب أولاً، ثم على سائر الناس ثانيًا، بأن أرسل إليهم محمداً ﷺ خاتم النبيين ،وأنزل عليه دين الإسلام، وهو خاتم الأديان ،وتعهد الله عز وجل بحفظ شريعته هذه بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] ونبيه ﷺ قد أخبر أن الأمة الإسلامية وإن كان سيصيبها شيء من الانحراف الذي أصاب الأمم من قبلهم في مثل قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» . قالوا: من هم يا رسول الله؟ اليهود والنصارى؟ فقال عليه الصلاة والسلام « **فَمَنِ الناس؟!** » أقول: وإن كان الرسول ﷺ قد أخبر بهذا الخبر المفيد أن المسلمين سينحرفون إلى حد كبير ويقلدون اليهود والنصارى في ذلك الانحراف، لكن عليه الصلاة والسلام في الوقت نفسه قد بشَّر أتباعه بأنهم سيبقون على خطه الذي رسمه لهم، فقال عليه الصلاة والسلام في حديث التفرقة: «**وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة**»، قال عليه الصلاة والسلام: «**كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**» وفي رواية قال: «**هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي**».

وأكد ذلك عليه الصلاة والسلام في قوله في الحديث المتفق عليه بين الشيخين: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر**

---

(١) سورة الحجر: ٩ .

الله». فإذن لا تزال في هذه الأمة جماعة مباركة طيبة قائمة على هدي الكتاب والسنة، فهي أبعد ما تكون عن الجاهلية القديمة أو الحديثة، ولذلك فإن الذي أراه: أن إطلاق الجاهلية على القرن العشرين فيه تسامح، قد يُوهم الناس بأن الإسلام كله قد انحرف عن التوحيد وعن الإخلاص في عبادة الله عز وجل انحرافًا كليا، فصار هذا القرن ـ القرن العشرون ـ كقرن الجاهلية الذي بُعث رسول الله ﷺ إلى إخراجه من الظلمات إلى النور حينئذ، هذا الاستعمال أو هذا الإطلاق يحسن تقييده في الكفار أولاً، الذين كما قال تعالى في شأنهم: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ (١) .

وصف القرن العشرين بالجاهلية إنما ينطبق على غير المسلمين الذين لم يتبعوا الكتاب والسنة ، ففي هذا الإطلاق إيهام بأنه لم يبق في المسلمين خير، وهذا خلاف ما سبق بيانه من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام المبشرة ببقاء طائفة من الأمة على الحق، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء**» ... قالوا: من هم يا رسول الله؟ جاء الحديث على روايات عدة في بعضها يقول الرسول ﷺ واصفًا الغرباء: «**هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي**»، وفي رواية أُخرى قال عليه الصلاة والسلام: «**هم أُناس قليلون صالحون بين أُناس كثيرين من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**» فلذلك لا يجوز هذا الإطلاق في العصر الحاضر على القرن كله؛ لأنَّ فيه ـ والحمد لله ـ بقية طيبة لا تزال على هدي النبي وعلى سنته، وستظل كذلك حتى تقوم الساعة، ثم إن في كلام سيد قطب ـ رحمه الله ـ وفي بعض تصانيفه ما يشعر الباحث أنه كان قد أصابه شيء من التحمس الزائد للإسلام في سبيل توضيحه للناس. ولعل عذره في ذلك أنه كان يكتب بلغة أدبية؛ ففي بعض المسائل الفقهية كحديثه عن حق العمال في كتابه «العدالة الاجتماعية» أخذ يكتب بالتوحيد، وبعبارات كلها قوية تحيي في نفوس المؤمنين الثقة بدينهم وإيمانهم، فهو من هذه الخلفية في الواقع جدد دعوة الإسلام في قلوب

---

(١) سورة التوبة: ٢٩ .

الشباب، وإن كنّا نلمس أحيانًا أن له بعض الكلمات تدل على أنه لم يساعده وقته على أن يحرر فكره من بعض المسائل التي كان يكتب حولها أو يتحدث فيها، فخلاصة القول: إن إطلاق هذه الكلمة في العصر الحاضر لا يخلو من شيء من المبالغة التي تدعو إلى هضم حق الطائفة المنصورة، وهذا ما عنَّ في البال فذكرته.

هديه ﷺ في حفظ المنطق واختيار الألفاظ:

كان ﷺ يتخير في خطابه، ويختار لأُمته أحسن الألفاظ ، وأجملها، وألطفها، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة، والفُحش، فلم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا ، ولا صخابًا ، ولا فظًا.

وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله.

فمن الأول منعُه أن يُقال للمنافق: «يا سيدنا» وقال: «**فإنه إن يك سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل**». ومنعُه أن تسمى شجرة العنب كرمًا ، ومنعه تسمية أبي جهل بأبي الحكم، وكذلك تغييره لاسم أبي الحكم من الصحابة: بأبي شريح، وقال: «**إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحُكْمُ**».

ومن ذلك نهيه للمملوك أن يقول لسيده أو لسيدته: ربي وربتي ، وللسيد أن يقول لمملوكه :عبدي، ولكن يقول المالك : فتاي وفتاتي ، ويقول المملوك: سيد وسيدتي. وقال لمن ادَّعى أنه طبيب: «**أنت رجل رفيق، وطبيبها الذي خلقها**» . والجاهلون يسمون الكافر الذي له علم بشيء من الطبيعة: حكيمًا، وهو من أسفه الخلق.

ومن هذا قوله للخطيب الذي قال: من يُطِع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصمها فقد غوى: «**بئس الخطيب أنت**».

ومن ذلك قوله: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم ما شاء فلان**». وقال له رجل: شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده**» .

وفي معنى هذا الشرك المنهي عنه قولُ من لا يتوقَّى الشرك: أنا بالله وبك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، وهذا من الله ومنك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، والله وحياتك، وأمثال هذا من الألفاظ التي يجعل فيها قائلها المخلوق ندًا للخالق، وهي أشد منعًا وقبحًا من قوله: ما شاء الله وشئت. فأما إذا قال: أنا بالله ثم بك، وما شاء الله ثم شئت؛ فلا بأس بذلك، كما في حديث الثلاثة: «**لا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك**» وكما في الحديث المتقدم الإذن أن يُقال: ما شاء الله ثم شاء فلان.

وأما القسم الثاني وهو أن تُطلق ألفاظ الذم على من ليس من أهلها، فمثل نهيه ﷺ عن سب الدهر، وقال: «**إن الله هو الدهر**». وفي حديث آخر: «**يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم فيسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**». وفي حديث آخر: «**لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر**».

في هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداها: سبه من ليس بأهل أن يُسب، فإن الدهر خَلْقٌ مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، مذلل لتسخيره، فسابُّه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدًا. وكثير من الجهَّال يُصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت وفق أهوائهم، حمدوا الدهر، وأثنوا عليه. وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر**» فسابُّ الدهر

دائر بين أمرين لابد له من أحدهما: إما سبه لله، أو الشرك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك ، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله، فقد سب الله.

ومن هذا قوله ﷺ «**لا يقولون أحدكم: تعس الشيطان، فإنه يتعاظم حتى يكون مثل البيت، فيقول: بقوتي صرعته، ولكن ليقل: بسم الله ، فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب**».

وفي حديث آخر: «**إن العبد إذا لعن الشيطان يقول: إنَّك لتلعن ملعنًا**».

ومثل هذا قول القائل: أخزى الله الشيطان، وقبح الله الشيطان، فإن ذلك كله يُفرحه ويقول: علم ابن آدم أني قد نلته بقوتي، وذلك مما يُعينه على إغوائه، ولا يُفيده شيئًا فأرشد النبي ﷺمن مسه شيء من الشيطان أن يذكر الله تعالى، ويذكر اسمه، ويستعيذ بالله منه، فإن ذلك أنفع له، وأغيظ للشيطان.

المشرك لا تشمل الكتابي[(١)]:

هذا غلط قبيح، وقد دعت إليه في عصرنا «منظمة مجمع الأديان السماوية» رد الله كيدهم عليهم.

والأدلة على شرك اليهود والنصارى وكفرهم أكثر من أن تُحصر، منها:

قوله ﷺ «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...**» الحديث: دلالة على إطلاق لفظ «المشرك» على أهل الكتاب فإنهم هم المعنيون بهذا الحديث.

ولشيخنا العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٩٣ هـ) رحمه الله تعالى ـ فتوى مفصَّلة مُدَلَّلة في شمول لفظ المشركين: أهل الكتاب، مع جواب على سؤالين آخرين: عن مقر العقل من الإنسان، وهل يجوز دخول الكافر مساجد الله غير المسجد الحرام؟

وهي أنموذج متين للفتاوى المحررة، فرحمه الله رحمة واسعة وهذا نصها:

---

(١) المشرك لا تشمل الكتابي ـ السلسلة الصحيحة رقم ١١٣٣، ١١٣٤، وانظر معجم المناهي اللفظية [ص / ٥٠٩ ـ ٥١١].

(وأما الجواب عن المسألة الثانية: فهو أن ما ذكرتم من أن القرآن فرّق بين المشركين وبين أهل الكتاب واستشهدتم لذلك بآية المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ (١) فهو كما ذكرتم ؛ لأن العطف يقتضي بظاهره الفرق بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد تكرر في القرآن عطف بعضهم على بعض كالآية التي تفضلتم بذكرها، وكقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ (٢) الآية ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (٣) الآية، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٤) الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ (٥) الآية إلى غير ذلك من الآيات.

وظاهر العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين، لأن عطف الشيء على نفسه يحتاج إلى دليل خاص يجب الرجوع إليه، مع بيان المسوغ لذلك كما هو معلوم في محله، وما تفضلتم بذكره من أن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - أمر بإلحاق أهل الكتاب بالمشركين في عدم دخول المسجد الحرام فمستنده المسوغ له: أن الله جل وعلا صرح في سورة التوبة أن أهل الكتاب من يهود ونصارى من جملة المشركين، وإذا جاء التصريح في القرآن العظيم بأنهم من المشركين، فدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (٦) الآية، لا إشكال فيه، وآية التوبة التي بين الله فيها أنهم من جملة المشركين هي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٧) . فتأمل قوله تعالى في اليهود والنصارى

---

(١) سورة المائدة: ٨٢ .
(٢) سورة البينة: ١ .
(٣) سورة البينة: ٦ .
(٤) سورة البقرة: ١٠٥ .
(٥) سورة آل عمران: ١٨٦ .
(٦) سورة التوبة: ٢٨ .
(٧) سورة التوبة: ٣٠ - ٣١ .

﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١] يظهر لك صدق اسم الشرك عليهم فيتضح إدخالهم في عموم ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[٢] .

ووجه الفرق بينهم بعطف بعضهم على بعض: هو أنهم جميعًا مشركون، والمغايرة التي سوغت عطف بعض المشركين على بعض هي اختلافهم في نوع الشرك، فشرك المشركين غير أهل الكتاب كان شركًا في العبادة لأنهم يعبدون الأوثان وأهل الكتاب لا يعبدون الأوثان ، فلا يشركون هذا النوع من الشرك ، ولكنهم يشركون شرك ربوبية كما أشار له تعالى بقوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[٣] الآية ، ومن اتخذ أربابًا من دون الله فهو مشرك به في ربوبيته ، وادعاء أن عزير ابن الله والمسيح ابن الله: من الشرك في الربوبية، ولما كان الشرك في الربوبية يستلزم الشرك في العبادة قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٤] .

الكلام غير المتكلم[٥] :

للمتكلمة عبارات يصلون بها إلى تحقيق مذاهبهم، مع ما فيها من تلبيس على السامع، منها:

الكلام غير المتكلم.

القول غير القائل.

القدرة غير القادر.

الصفة غير الموصوف.

---

(١) سورة التوبة: ٣١ .

(٢) سورة التوبة: ٢٨ .

(٣) سورة التوبة: ٣١ .

(٤) سورة التوبة: ٣١ .

(٥) الكلام غير المتكلم : الفتاوى ٣ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، ١٢ / ٥٦٠ ـ ٥٦١، وانظر معجم المناهي اللفظية [ص / ٤٥٦ ـ ٤٥٨].

وهكذا في ألفاظ أخر، وقد بين الأئمة مقاصدهم، ومرامي كلامهم.

ونُقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في : الفتاوى ما نصه:

«وسُئِلَ رحمه الله: ما تقول السادة العلماء الجهابذة ـ أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين ـ فيمن يقول: الكلام غير المتكلم، والقول غير القائل، والقرآن والمقروء والقارئ كل واحد منها له معنى؟ بينوا لنا ذلك بيانًا شافيًا؛ ليصل إلى ذهن الحاذق والبليد ، أثابكم الله بمنه؟

فأجاب ـ رضي الله عنه ـ:

الحمد لله ، من قال: إن الكلام غير المتكلم، والقول غير القائل، وأراد أنه مباين له ومنفصل عنه، فهذا خطأ وضلال، وهو قول من يقول: إن القرآن مخلوق، فإنهم يزعمون أن الله لا يقوم به صفة من الصفات، لا القرآن ولا غيره، ويوهمون الناس بقولهم: العلم غير العالم، والقدرة غير القادر، والكلام غير المتكلم، ثم يقولون: وما كان غير الله فهو مخلوق، وهذا تلبيس منهم.

فإن لفظ «الغير» يُراد به ما يجوز مباينته للآخر ومفارقته له، وعلى هذا فلا يجوز أن يُقال: عِلْمُ الله غيره، ولا يُقال: إن الواحد من العشرة غيرها،وأمثال ذلك.

وقد يُراد بلفظ «الغير» ما ليس هو الآخر، وعلى هذا فتكون الصفة غير الموصوف، لكن على هذا المعنى لا يكون ما هو غير ذات الله الموصوفة بصفاته مخلوقًا؛ لأن صفاته ليست هي الذات؛ لكن قائمة بالذات، والله سبحانه وتعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات كماله، وليس الاسم اسمًا لذات لا صفات لها؛ بل يمتنع وجود ذات لا صفات لها.

والصواب في مثل هذا أن يُقال :الكلام صفة المتكلم ، والقول صفة القائل ، وكلام الله ليس بائنًا منه؛ بل أسمعه لجبريل، ونزل به على محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ [(١)] ولا يجوز أن يُقال: إن كلام الله فارق ذاته، وانتقل إلى غيره، بل يُقال كما قال السلف: إنه كلام الله غير

---

(١) سورة الأنعام: ١١٤ .

مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود. فقولهم: «منه بدأ» رد على من قال: إنَّه مخلوق في بعض الأجسام، ومن ذلك المخلوق ابتدأ. فبينوا أن الله هو المتكلم به «منه بدأ» لا من بعض المخلوقات «وإليه يعود» أي فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف حرف ، وأما القرآن فهو كلام الله.

فمن قال: إن القرآن الذي هو كلام الله غير الله، فخطؤه وتلبيسه كخطأ من قال: إن الكلام غير المتكلم، وكذلك من قال: إن كلام الله له مقروء غير القرآن الذي تكلم به؛ فخطؤه ظاهر، وكذلك من قال: إن القرآن الذي يقرؤه المسلمون غير المقروء الذي يقرؤه المسلمون فقد أخطأ.

وإن أراد بـ «القرآن» مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا، وقال: أردت أن القراءة غير المقروء؛ فلفظ القراءة مجمل ، قد يراد بالقراءة : القرآن، وقد يُراد بالقراءة : المصدر، فمن جعل «القراءة» التي هي المصدر غير المقروء، كما يجعل التكلم الذي هو فعله غير الكلام الذي هو يقوله، وأراد بالغير أنه ليس هو إياه، فقد صدق، فإن الكلام الذي يتكلم به الإنسان يتضمن فعلاً كالحركة، ويتضمن ما يقترن بالفعل من الحروف والمعاني؛ ولهذا يجعل القول قسيمًا للفعل تارة، وقسمًا منه أُخرى.

فالأول كما يقول: الإيمان قول وعمل. ومنه قوله ﷺ : «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به**». ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾[1] ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ** ﴾[2] وأمثال ذلك مما يفرق بين القول والعمل. وأما دخول القول في العمل ففي مثل قوله تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[3] وقد فسروه بقول: لا إله إلا الله، ولما سُئل ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله**» مع قوله: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله؛ وأدناها إماطة**

---

(١) سورة فاطر: ١٠ .

(٢) سورة يونس: ٦١ .

(٣) سورة الحجر: ٩٣ .

الأذى عن الطريق» ونظائر ذلك متعددة.

وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملاً إلا إذا قال قولاً كالقراءة ونحوها هل يحنث؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره، بناء على هذا.

فهذه الألفاظ التي فيها إجمال واشتباه إذا فصلت معانيها، وإلاَّ وقع فيها نزاع واضطراب.

❊ ❊ ❊

حكم العمليات الاستشهادية

إن كان القصد من العملية (الاستشهادية) النكاية في الكفار بما لا يمكن إلا بقتل نفسه[١]

وهنا يقصد المجاهد أن ينكأ في العدو بإتلاف شيء من ممتلكاتهم أو قتل بعضٍ من مقاتلتهم أو أعوانهم فيزرع في جسده أو عربته نوعًا من المتفجرات ويقتحم به ليتلف ما أراد فتصاب نفسه مع ذلك الإتلاف. وقد اختلف أهل العلم من المعاصرين في هذه المسألة، ويمكن إجمال أقوالهم في قولين:

القول الأول: عدم جواز الإقدام عليها إما مطلقًا ، أو لعدم وجود خليفة للمسلمين.

القول الثاني: جواز الإقدام عليها، إذا كان فيها مصلحة ومنفعة .

وقد استدل من قال بعدم جوازها بعدة أدلة منها:

أن عمله من قبيل قتل النفس وهو محرم، وينبغي للإنسان أن يحافظ على نفسه ولا يُعرض نفسه للقتل[٢] .

ولأن قتل عدد من الكفار مهما كثر لا نفع للإسلام فيه؛ إذ لم يُسلمُوا[٣] .
ولأنه قد تترتب عليه مفسدة كبيرة من تعنت الكفار وفتكهم بالمسلمين[٤] .

واستدل من اشترط وجود الخليفة لجوازها بأنه لا يجوز القتال إلا بأمر حاكم مسلم يرفع راية الجهاد في سبيل الله؛ إذ أمر الجهاد موكول للإمام. وبدون ذلك لا يجوز الجهاد.

---

(١) انظر «العمليات الاستشهادية» صورها وأحكامها [ص / ٧١ ـ ٨٠].
(٢) انظر فتوى فضيلة شيخنا العلامة. د. صالح بن فوزان الفوزان الملحقة بهذه الرسالة.
(٣) انظر فتوى العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله الملحقة بهذه الرسالة.
(٤) الفتوى السابقة.

وإذا لم يكن جهاد، فلا يكون العمل مباحًا [١] .

واستدل من أجاز الإقدام عليها:

بأن الشرع جاء بالثناء على أعمال جهادية يغلب على الظن أن يُقتل منفذها بل الجهاد مظنة القتل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (الجهاد مظنة القتل، بل لابد منه في العادة من القتل)[٢] .

فهذا تسبب في قتل نفسه، وإذا جاز له أن يقدم على قتل نفسه تسببًا لمصلحة الجهاد فقتل نفسه مباشرة لمصلحة الجهاد جائزة ولا فرق؛ إذ لا فرق بين المباشرة والتسبب كما تقدم.

وبأن قتل النفس مفسدة محصورة لا تقارن بمصالح إقامة الجهاد وإغاظة الكافرين وإتلافهم.

مناقشة:

يمكن أن تناقش أدلة القول الأول بما يلي:

أما أنه لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للقتل، فهو ممنوع؛ إذ الشرع جاء بالثناء على من يعرض نفسه للقتل إذا كان فيه مصلحة كما سبق بأمثلة كثيرة.

وأما أنه لم تحصل بد منفعة إذ لم يسلم الكفار ، فيناقش بأنه سبق أن أجاز أهل العلم أن يعرض الإنسان نفسه للقتل إذا كان فيه منفعة من إرهاب للعدو أو نكاية فيهم.

وأما اشتراط الإمام للجهاد ، فمع أنه محل اختلاف بين أهل العلم[٣] ، (فإنَّ من

(١) انظر فتوى سماحة العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ الملحقة.

(٢) قاعدة في الانغماس في العدو ص ٣٩ .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله في رده على ابن نبهان: (بأي كتاب، أم بأية حجة أن الجهاد لا يجب إلا مع إمام متبع؟ هذا من الفرية في الدين والعدول عن سبيل المؤمنين ، والأدلة على إبطال هذا القول أشهر من أن تذكر، ومن ذلك عموم الأمر بالجهاد، والترغيب فيه، والوعيد في تركه قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ [سورة الحج: ٤٠] وكل من قام بالجهاد في سبيل الله فقد =

اشترطه جعل عدم وجود الإمام لا يمنع الجهاد؛ قال ابن قدامة: فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد؛ لأن مصلحته تفوت بتأخيره.. وإن بعث الإمام جيشًا وأمر عليهم أميرًا فقتل أو مات فللجيش أن يؤمروا واحدًا منهم...)(١) .

الرأي المختار...

من تأمل أكثر ما استدل به من منع العمليات وجده عائدًا لأمر خارج، كقلة المصلحة ، وضراوة الكفار المترتبة، وعدم الإمام القائد للمجاهدين.

وإذا أردت إيضاح مدى مشروعية هذا العمل وتوصيف حكمه، فإني أحتاج أن أذكر بما سبق من مقدمات في هذا البحث. ولعلي أربط أعناق تلك الممهدات ببعض لأتوصل إلى نتيجة.

فقد سبق أن دفع الكفار واجب.

وأن المدنيين لا يقتلون إلا إذا أعانوا على القتال بنفس أو رأي أو لم يمكن التمييز، أو اختلطوا بالمقاتلة في موضع واحد.

وأن تخريب أموال الكفار ومنشآتهم وتدميرها جائزٌ، إذا اقتضته الأعمال الحربية.

وأن تبييت الكفار ومباغتتهم جائز.

وأن قتل النفس كما يكون بالمباشرة، يكون بالتسبب.

وأن الموت يفضل على السلامة الممكنة أحيانًا ولا يكون اختياره قتلاً للنفس.

وأنه يجوز أن يعمل المجاهد عملاً جهاديًا يغلب على الظن قتل فاعله لما فيه من مصلحة.

وأن المصالح إذا تعارضت مع المفاسد نظر في الأرجح منهما.

= أطاع الله وأدى ما فرضه الله، ولا يكون الإمام إمامًا إلا بالجهاد... والعبر والأدلة على بطلان ما ألفته كثير.. لا تكاد تخفى على البليد إذا علم بقصة أبي بصير.. فهل قال رسول الله ﷺ : أخطأتم في قتال قريش لأنكم لستم مع إمام...) الدرر السنية (٨ / ١٩٩ - ٢٠٠).

(١) المغني (٣ / ١٧).

وفي هذا العمل تعارضت مفسدة قتل النفس بمصلحة الجهاد، وإذا أردنا الموازنة فإننا نقول:

في الجهاد حفظٌ للدين ودفع عنه، وفيه حفظ للنفس والنسل والمال مما يلحقها من تسلط الكفار وغلبتهم؛ فإنه يترتب على تغلبهم من إفساد الدين:

فساد العقائد: قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾(١) .

ومنع المؤمنين من القيام بشعائر دينهم، والتضييق عليهم، وفتور همتهم عن الدين.

وإظهار الأحكام والقوانين المنافية للإسلام.

وزهد الآخرين في الدين لما يرون من حال أهله من الذلة والمهانة(٢) .

وقل مثل ذلك من إفساد النسل والاعتداء على الأعراض وإفساد الأموال بالاستيلاء عليها أو إتلافها، وإتلاف النفوس مما شهد به الواقع، ونطقت به وسائل الإعلام ولم يعد خافيًا.

يقابل ذلك مفسدة قتل النفس، وهي مفسدة خاصة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إذا فعل ما أمره الله، فأفضى ذلك إلى قتل نفسه فهذا محسن في ذلك كالذي يحمل على الصف وحده حملاً فيه منفعة للمسلمين وهو يعلم أنه يُقتل . وقتل النفس حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

كما ثبت عنه في الصحاح أنه قال: من قتل نفسه بشيء عُذب به يوم القيامة وحديث الذي قتل نفسه لما اشتدت عليه الجراحة وكان النبيﷺ يخبر أنه من أهل النار لعمله بسوء خاتمته.

فينبغي للمؤمن أن يفرق بين ما نهى الله عنه من قصد الإنسان قتل نفسه أو تسببه

---

(١) سورة البقرة: ٢١٧ .

(٢) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي ص ٢٠٥ .

في ذلك، وبين ما شرعه الله من بيع المؤمنين أنفسهم وأموالهم له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (١) ، والاعتبار في ذلك بما جاء به الكتاب والسُّنة لا بما يستحسنه المرء أو يجده أو يراه من الأمور المخالفة للكتاب والسنة. .

ومما ينبغي أن يُعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق. . لا!! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله ، فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل. . . فالله سبحانه إنما حرم علينا الخبائث لما فيها من المضرة والفساد، وأمرنا بالأعمال الصالحة لما فيها من المنفعة والصلاح لنا، وقد لا تحصل هذه الأعمال إلا بمشقة كالجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب العلم فيتحمل تلك المشقة ويثاب عليها لما يعقبها من المنفعة. . . وأما إذا كانت فائدة العمل منفعة لا تقاوم مشقته فهذا فساد والله لا يحب الفساد) (٢) .

فبعد تبيين ما سبق من الدرجات المتعاقبة المهدة، وما ذكره شيخ الإسلام نقول (إن كان في العمل الاستشهادي من هذا القسم ستة شروط وهي:

١ ـ أن يكون عمله موجهًا ضد العدو.

٢ ـ أن يكون فيه مصلحة كلية للمسلمين. يقدرها أهل الشأن، يغلب على الظن حصولها.

٣ ـ أن لا تحصل المصلحة إلا به ـ بأن لم يمكن زرع اللغم أو وسيلة الإتلاف إلا بإتلاف النفس ولم يمكن استخدام أية وسيلة أخرى.

٤ ـ ولم يقصد خوف الأسر ـ حسبما سبق تفصيله ـ.

---

(١) سورة التوبة: ١١١ .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١).

٥ ـ وراعى مبادئ القتال الشرعية، فلم يقصد إتلاف من لا مدخل له في القتال، وراعى العهود ـ على ما سبق تفصيله ـ.

٦ ـ ولم يكن في عمله مفسدةٌ تربو على مصلحة عمله، بأن تزيد ضراوة الكفار ونحو ذلك.

فإن الظاهر أن قيامه بالمصلحة يُسوغ له إتلاف نفسه ولا يكون قاتلاً لنفسه، فإذا عدم منها شرطٌ: لم يجز له الإقدام على عمله. والله أعلم.

وبعد فإن جميع ما سبق إنما هو تصوير وتقعيد لقضية عصرية ومناقشتها على ضوء قواعد الشريعة وما ذكره أهل العلم، أما تنزيل الأحكام على وقائعها وتحقيق المناط فيها فإنه من عمل أهل الفتوى المعتبرين الذين ينزلون الحكم الشرعي على كل واقعة بعينها بعد فهم الواقع وتمام تصوره، ومعرفة المصالح والمفاسد من خلال ما يعرفه قادة المجاهدين وأهل الرأي والخبرة منهم.

والله الموفق والهادي لا إله إلا هو.

❊ ❊ ❊

موجز في العمليات الاستشهادية . صورها وأحكامها[١]

١ ـ العمليات الاستشهادية ـ وقد يسميها البعض الانتحارية ـ هي أعمال يقوم بها المجاهد ضد العدو تعرضه للقتل . وهي من المسائل العصرية المتعلقة بأحكام الجهاد ومن فروعها ما هو من النوازل المحتاجة إلى مزيد عناية وتحرير .

٢ ـ تعمد قتل الإنسان لنفسه حرام في الأصل ، وقد ينتقل الحكم عن التحريم في أحوالٍ محصورة .

٣ ـ أن قتل المدنيين ـ الذين لا يشاركون في القتال بنفس ولا رأي ـ لا يجوز ، إلا إذا لم يتوصل إلى قتل المقاتلة إلا به .

٤ ـ مال الحربي حلال فيجوز إتلافه وتخريبه إذا كان في ذلك إضعافٌ له .

٥ ـ للعهود مكانة عظيمة في الشرع ، فيجب الوفاء بها وبما تضمنته من شروط ، حتى تنتهي مدتها ، أو تنبذ .

٦ ـ تقدير مصلحة العمل الاستشهادي ومدى رجحانه على المفاسد المترتبة عليه يحتاج لدراية بالواقع وخبرة به .

٧ ـ مقدار المصالح والمفاسد والتفاوت بينها لا يعرف إلا بالتقريب ولذا فهي مما يختلف النظر فيها .

٨ ـ العمليات الاستشهادية تتخذ طرقًا وصورًا مختلفة متفاوتة ، فمنها ما يتعرض فيه للقتل بيد أعدائه فيكون قتله لنفسه بطريق التسبب ، ومنها ما يقتل فيها نفسه مباشرة .

٩ ـ يجوز للمجاهد أن يقوم بأعمالٍ جهاديَّة تعرضه للقتل بين أعدائه ـ كأن ينغمس في الكفار أو يبادر العدو ـ إذا كانٌ في عمله مصلحة للمسلمين ولم يكن في قتله مفسدة عامة .

---

(١) انظر «العمليات الاستشهادية » [ص / ٨٣ ـ ٨٥].

١٠ ـ والأعمال الاستشهادية التي تعرض المجاهد للقتل بيده لها عدة صور، منها: أن يقتل نفسه خشية الأسر والتعذيب وهذا غير جائز، إلا أن يكون ممن يعرف أسرار المسلمين فيخشى أن يفضحهم لعلمه أن لدى الأعداء ما يمكنهم من انتزاع أقوال منه تضر بالمسلمين ضرراً عامًا فله قتل نفسه.

كما يجوز للمسلم أن يقوم بعمل يقتل فيه نفسه إذا كان بذلك يمنع استئصال المجاهدين ووصول الأعداء لهم .

١١ ـ وأما قصد النكاية في الكفار بما لا يمكن إلا بقتل النفس كأن يقصد قتل بعض المقاتلة أو إتلاف بعض الممتلكات فهذا من أكثر ما يقع من المجاهدين في هذا العصر وهو محل اختلاف بين الفقهاء المعاصرين في اعتباره قتلاً للنفس محرمًا، أو إباحة الإقدام عليه.

ولعل الظاهر أنه إن اجتمع في العمل أن تتحقق به مصلحة كلية لا تتحقق إلا به، ولم يكن فيه مفسدة تربو عليها فإنه يسوغ له إتلاف نفسه ،والله أعلم .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

❊ ❊ ❊

فتوى سماحة الشيخ العلامة المحدث
محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

. . . نحن نقول: العمليات الانتحارية كلها غير مشروعة ، وكلها محرمة، وقد تكون من النوع الذي يخلد صاحبه في النار، وقد تكون من النوع الذي لا يخلد صاحبه.

أما أن تكون عملية الانتحار قربة يتقرب بها إلى الله إنسان يقاتل في سبيل أرضه، في سبيل وطنه، هذه العمليات ليست إسلامية إطلاقًا، بل أنا أقول اليوم ما يمثل الحقيقة الإسلامية، وليس الحقيقة التي يريدها بعض المسلمين المتحمسين.

أقول: اليوم لا جهاد في الأرض الإسلامية إطلاقًا. هناك قتال في كثير من البلاد، أما جهاد يقوم تحت راية إسلامية ، ويقوم على أساس أحكام إسلامية، ومن هذه الأحكام أن الجندي لا يتصرف باجتهاد من عنده إنما هو يأتمر بأمر قائده.

وهذا القائد ليس هو الذي نصب نفسه قائدًا، وإنما هو الذي نصبه خليفة المسلمين، فأين خليفة المسلمين اليوم؟ أين الخليفة، بل الحاكم الذي رفع راية الإسلام ودعا المسلمين أن يلتفوا حوله، وأن يجاهد في سبيل الله عز وجل، هذا لا وجود له.

فالجهاد الإسلامي يشترط أن يكون تحت راية إسلامية، هذه الراية الإسلامية لا وجود لها فإذن جهاد إسلامي لا وجود له، إذن انتحار إسلامي لا وجود له.

أنا أعني انتحارًا قد كان معروفًا من قبل في عهد القتال بالحراب وبالسيوف وبالسهام. نوع من هذا القتال كان يُشبه الانتحار.

مثلاً: حينما يهجم فرد من أفراد الجيش بسيفه على كردوس ، على جماعة من الكفار المشركين فيعمل فيهم ضربًا يمينًا ويسارًا فهذا في النادر قلما يسلم، فهل يحـ له أن يفعل ذلك؟

نقول: يجوز، ولا يجوز.

إذا كان قائد الجيش - هو في زمن الرسول ﷺ هو الرسول - أذن له: جاز له ذلك. أما أن يتصرف في نفسه فلا يجوز له؛ لأنها مخاطرة ومغامرة إن لم نقل مقامرة تكون النتيجة خاسرة.. لا يجوز إلا بإذن الحاكم المسلم أو الخليفة المسلم، لم؟

لأن المفروض في هذا الخليفة المسلم أن يقدر الأمور حق قدرها، وهو يعرف متى ينبغي أن يهجم مائة من المسلمين على ألف أو أقل أو أكثر فيأمرهم بالهجوم وهو يعلم أنه قد يُقتل منهم عشرات لكن يعرف أن العاقبة للمسلمين.

فإذا قائد الجيش المسلم المولى لهذه القيادة من الخليفة المسلم أمر جنديًا بطريقة من طرق الانتحار العصرية يكون هذا نوعًا من الجهاد في سبيل الله عز وجل أما انتحار باجتهاد الشباب المتحمس كما نسمع اليوم عن أفراد يتسلقون الجبال، ويذهبون إلى جيش من اليهود ويقتلون منهم عددًا ثم يقتلون ، ما الفائدة من هذه الأمور؟

هذه تصرفات شخصية لا عاقبة لها لصالح الدعوة الإسلامية إطلاقًا؛ لذلك نحن نقول للشباب المسلم: حافظوا على حياتكم[1] .

* * *

---

(١) من شريط مسجل بصوته - رحمه الله - كما نقلها عنه د. سيد العفاني في كتاب تذكير النفس بحديث القدس (٤ / ٣٠)، وانظرها في «العمليات الاستشهادية» (ص / ٨٩ - ٩١).

فتوى سماحة الشيخ العلامة

عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ

السؤال: ما حكم الإسلام في مسلم ارتدى حزامًا ناسفًا، ثم دخل ضمن مجموعة من أعداء المسلمين وفجر نفسه ليقتل أكبر عددٍ ممكن منهم؟

الجواب: الحمد لله.

إن قيام الفرد من أفراد المسلمين بحمل هذا الحزام الناسف أو أية وسيلة متفجرة ثم انخراطه ضمن صفوف الأعداء ثم قيامه بتفجير ما يحمل بقصد قتل أكبر عدد ممكن من الأعداء وهو يعلم أنه أول من يُقتل.

أقول: إن هذا العمل ضرب من ضروب الجهاد المشروع وهذا الرجل قتل شهيدًا بإذن الله[1].

* * *

(١) نقله في كتاب العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي ص ١٠١ ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ. وذكر أن تاريخ الفتوى عام ١٤٠٠ هـ، وانظرها في المرجع السابق (ص / ٩٢).

فتوى فضيلة الشيخ
عبد الله بن سليمان المنيع ـ حفظه الله ـ

السؤال : هل تعد العمليات الانتحارية ضد أعداد الإسلام في الجهاد استشهاداً؟

الجواب: الحمد لله، لا شك أن العمليات الانتحارية في سبيل الله ضد أعداء الله ورسوله وأعداء المسلمين قربة كريمة يتقرب بها المسلم إلى ربه، ولا شك أنها من أفضل أبواب الجهاد في سبيل الله، ومن استشهد في مثل هذه العمليات فهو شهيد إن شاء الله.

ولنا من التاريخ الإسلامي في عهد النبوة وفي عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم مجموعة من صور الجهاد في سبيل الله، ومن أبرز صور جهاد البطولة والشجاعة النابعة من الإيمان بالله وبما أعده سبحانه للشهداء ما في قتال المرتدين وفي طليعتهم مسيلمة الكذاب وقومه، فقد كان لبعض جيوش الإسلام في هذه المعركة عمليات انتحارية في سبيل افتتاح حديقة مسيلمة.

ولكن ينبغي للمسلم المجاهد أن يحسن نيته في جهاده وأن يكون جهاده في سبيل الله فقط، وألا يلقي بنفسه إلى التهلكة في عملية يغلب على ظنه عدم الانتفاع منها، وألا يكون له تأول في الخروج على ولاة الإسلام. فإن دعوة الولاة ليست في الخروج عليهم، وإنما هي مناصحتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والالتزام الأدب في النصيحة والله المستعان[١] .

* * *

(١) مجموع فتاوى وبحوث فضيلته (٣ / ١٨٥ ـ ١٨٦) وانظرها في المرجع السابق (ص/ ٩٧ ـ ٩٨).

المقاطعة

«مقاطعة البضائع»

تعريف مقاطعة البضائع[١] :

المقاطعة : مفاعلة من القطع، يقال: قطعه يقطعه قطعًا.

والقطع: إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلاً [٢].

والقطع والقطيعة: الهجران ضِد الوصل[٣] .

والبضاعة: السلعة، وأصلها القطعة من المال الذي يتجر فيه، وقيل: جزء من أجزاء المال تبعثه للتجارة[٤].

والسلعة: ما تُجر به والمتاع،وجمعها :سِلع[٥].

قال في المنجد الأبجدي: (المقاطعة: عدم التعامل مع شخصٍ أو شركة أو مؤسسة أو دولة ،ومنه مقاطعة بلد لمنتجات وحاصلات بلدٍ آخر)[٦].

وقال في المعجم الوسيط: (المقاطعة : الامتناع عن معاملة الآخرين اقتصاديًا أو اجتماعيًا وفق نظام جماعي مرسوم)[٧].

وشاع استعمال المقاطعة في الامتناع عن شراء منتجات من يحارب المسلمين أو

---

(١) انظر «المقاطعة» رؤية شرعية د/ هاني بن عبد المجيد (ص / ١٣ ـ ١٤) دار الهدي النبوي - دار الفضيلة.

(٢) لسان العرب (٨ / ٢٧٦)؛ والقاموس المحيط، ص ٩٧١ .

(٣) لسان العرب (٨ / ٢٨٠).

(٤) لسان العرب (٨ / ١٥)؛ والقاموس المحيط، ص ٩٤٢ .

(٥) لسان العرب (٨ / ١٦٠)؛ والقاموس الفقهي ، ص ١٨٠ .

(٦) المنجد الأبجدي ص ٩٨٧ .

(٧) المعجم الوسيط (٢ / ٧٤٦)، ورمز لها بمحدثة. والمراد أنها لفظ استعمله المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة العامة.

يعـينهم ،دون الامتناع عن البـيع وذلك لأن أهل الإسـلام صاروا مـسـتـهلكين ـ في الغالب وقدم الإنتاج فيهم.

والمقاطعة الاقتصادية نوع من العقـوبات المستخدمة في القانون الدولي في الوقت المعاصـر، وقبل اسـتـخدمتـها الهند على المنتـجات البريطـانية لغرض دفع الاحـتلال البريطاني لها[1].

❊ ❊ ❊

(١) دائرة المعارف الحديثة. أحمد عطيـة الله، ص ٦٤٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٥١م.

حكم التعامل مع الكفار[١]

لا تخلو التجارة مع الكفار أن تتم في بلاد الإسلام أو في بلاد الكفر.

فأما التجارة إلى أرض الكفر - وهي بلد الحرب [٢] - فقد اختلف فيها أهل العلم على قولين:

الأول: وهو مذهب الإمام مالك وأصحابه [٣] ،وابن حزم[٤] وهو أن التجارة إلى أرض الحرب حرام.

الثاني: جوازه وهو مذهب جمهور أهل العلم[٥].

ووجه القول الأول أن دخول المسلم لبلد الشرك سبب لجريان أحكام المشركين عليه، وإذا كانت الهجرة واجبة على من أسلم في دار الحرب ، لئلا تجري عليه أحكام المشركين، فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم حيث تجري عليه أحكامهم[٦].

واستدل الجمهور بما ورد عن الصحابة في خروجهم للتجارة إلى أرض الكفر في حياة النبي ﷺ ، فمن ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه خرج إلى الشام في تجارة قبل موت النبي ﷺ [٧].

---

(١) انظر «المقاطعة» رؤية شرعية [ص / ٣٠ - ٣٩].

(٢) اتفق أهل العلم على أن ما سوى دار الإسلام فهي دار كفر ودار حرب، ودار الحرب قد تكون بيننا وبينهم موادعة ومعاهدة، وقد لا تكون بيننا وبينهم موادعة، انظر: أحكام أهل الذمة (١ / ٢٧٥)؛ كشاف القناع (٣ / ٤٣).

(٣) المدونة (٣ / ٢٧٨)؛ المقدمات المهدات (٣ / ٣٤٥) ؛ للدهوني رسالة مستقلة في هذه المسألة عنونها بالرسالة الوجيزة المحررة في أن التجارة إلى أرض الحرب وبعث المال إليها ليس من فعل البررة.

(٤) المحلى (٧ / ٣٤٩)، (٩ / ٦٥).

(٥) المبسوط (١٠ / ٨٩)؛ مغنى المحتاج (٢ / ١٠)، الإقناع (٢ / ١٢٠).

(٦) الرسالة الوجيزة المحررة، ص ١٥٩ .

(٧) الاستيعاب (١ / ٣١٧)؛ وانظر: تخريج الدلالات السمعية، ص ٦٩٧ .

وبعث النبي ﷺ سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحًا[١].

وكذا بما ورد عن الحسن قال: كتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تجار المسلمين إذا دخلوا دار الحرب أخذوا منهم العشر، قال: فكتب إليه عمر: خذ منهم إذا دخلوا إلينا مثل ذلك: العشر[٢].

وهذا يدل على أن خروج المسلمين للتجارة في بلاد الحرب جائز لإقرار عمر وأبي موسى عليه. والظاهر رجحان أدلة الجمهور لأنها تتناول عين محل النزاع وهي أخص من دليل المالكية ومن وافقهم، فتكون مستثنية لعمومها حاكمةً عليها.

وقد اختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله: «وإذا سافر الرجل إلى دار الحرب ليشتري منها جاز عندنا كما دل عليه حديث تجارة أبي بكر رضي الله عنه»[٣].

وأما التعامل في بلاد المسلمين بيعًا وشراءً مع الكفار فالأصل فيه الإباحة.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ، ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ: أبيعًا أم عطية - أو قال: أم هبة؟ - قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة[٤].

وبوَّب عليه البخاري: باب البيع والشراء مع المشركين وأهل الحرب.

وأمر النبي ﷺ سلمان الفارسي بأن يكاتب، والمكاتبة شراء العبد نفسه من سيده، وكان سيده يهوديًا[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ / ١٤٩).

(٢) سنن البيهقي، كتاب الجزية، باب ما يؤخذ من الذمي ومن الحربي إذا دخل بلاد الإسلام بأمان، برقم (١٩٢٨٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ١٥).

(٤) صحيح البخاري كتاب البيوع باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب رقم (٢٢١٦).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح معلقًا مجزومًا به، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي، ووصله أحمد في مسنده (٥ / ٤٤٣)، انظر: تغليق التعليق (٣ / ٢٦٤)، فتح =

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى من يهودي طعامًا إلى أجل[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قُبض رسول الله ﷺ وإن درعه مرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعًا من شعير أخذها رزقًا لعياله[٢] .

قال الحافظ ابن حجر: «تجوز معاملة الكفار فيما لم يتحقق تحريم عين المتعامل فيه، وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ومعاملاتهم فيما بينهم»[٣] .

وهذا الأصل العام الذي قدمناه من جواز التعامل مع الكفار سواء سافر المسلم لبلد الكفار، أو جاء الكافر لبلد المسلمين يستثنى منه مسائل يمكن باستقراء كلام الفقهاء أن نجملها في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أنه لا يجوز أن يبيع المسلم على الكفار ما يستعينون به على قتال المسلمين، كالسلاح، لقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾[٤] .

وهذا من موارد الاتفاق بين أهل العلم[٥] ،ونقل النووي الإجماع عليه[٦] ،وإن اختلفوا في تعيين ما يعد معينًا على قتال المسلمين.

قال ابن حزم: «ولا يحل أن يحمل إليهم سلاح ولا خيل، ولا شيء يتقوون به

=الباري (٤ / ١٨٠)؛ مجمع الزوائد (٩ / ٣٣٥).

(١) صحيح البخاري كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة رقم (٢٠٦٨) ؛وصحيح مسلم، البيوع برقم (١٦٠٣).

(٢) أحمد في مسنده (٥ / ١٣٧)؛ سنن الدارمي كتاب البيوع، باب في الرهن، رقم (٢٥٧٨)؛ سنن الترمذي أبواب البيوع، باب الرخصة في الشراء إلى أجل برقم (١٢١٤)، وقال: حديث حسن صحيح؛ سنن النسائي، كتاب البيوع، باب مبايعة أهل الكتاب رقم (٤٦٥٥)، ابن ماجه أبواب الرهون برقم (٢٤٣٩)، وإسناده على شرط البخاري، انظر: إرواء الغليل (٥ / ٢٣١).

(٣) فتح الباري (٩ / ٢٨٠).

(٤) سورة المائدة: ٢ .

(٥) فتح القدير (٥ / ٤٦١)، قوانين الأحكام الشرعية ص ٣١٩، المغني (٦ / ٣١٩).

(٦) المجموع (٩ / ٣٥٤).

على المسلمين . . .

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[١] ففرض علينا إرهابهم ومن أعانهم بما يحمل إليهم فلم يرهبهم بل أعانهم على الإثم والعدوان»[٢] .

وسئل ابن تيمية عن معاملة التتار، فأجاب: «يجوز فيها ما يجوز في معاملة أمثالهم، ويحرم فيها ما يحرم في معاملة أمثالهم. . فأما إن باعهم أو باع غيرهم ما يعينهم به على المحرمات كبيع الخيل والسلاح لم يقاتل به قتالاً محرمًا فهذا لا يجوز. . . وفي السنن عن النبي ﷺ: «**لُعن في الخمر عشرة لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها وشاربها وآكل ثمنها**»[٣] فقد لعن العاصر، وهو إنما يعصر عنبًا يصير عصيراً، والعصير حلال: يمكن أن يُتخذ خلاً ودبسًا وغير ذلك»[٤] .

واختلف أهل العلم هل هذا في أهل الحرب أو يتناول أهل الذمة كذلك[٥] .

وأما المعاهدون فالظاهر أن كلام الفقهاء يتناولهم[٦] ، لأنهم محاربون، وإنما طرأ العهد عليهم وهو غير مؤبد بخلاف أهل الذمة . كما أن أهل الذمة تحت يد المسلمين بخلاف أهل العهد.

وقد صرح بذلك السرخسي فقال: «ولا يمنع التجار من حمل التجارات إليهم إلا الكراع والسلاح والحديد، لأنهم أهل حرب وإن كانوا موادعين . . ألا ترى أنهم بعد

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠ .

(٢) المحلى (٧ / ٣٤٩).

(٣) أحمد (٢ / ٧١)؛ سنن البيهقي كتاب الأشربة والحد فيها برقم (١٧٨٢٧)؛ الحاكم في المستدرك كتاب الأشربة (٤ / ١٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وحسنه الألباني في الإرواء ١٥٢٩٠).

(٤) مجموع فتاواه (٢٩ / ٢٧٥).

(٥) انظر: المجموع للنووي (٩ / ٣٥٤)، فتح الباري (٥ / ١٤٣).

(٦) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي ، ص ٥١٧ .

مضي المدة يعودون حربًا للمسلمين»[١] .

ونقل ذلك التسولي في أجوبته [٢] عن بعض فقهاء المالكية.

وقد بحث الحافظ في فتح الباري[٣] ذلك عند تناوله لحديث جابر رضي الله عنه في قتل كعب بن الأشرف وفيه أن محمد بن مسلمة أتاه فقال: أردنا أن تسلفنا وَسْقًا أو وسقين، فقال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم ، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسب أحدهم، فيقال: رُهن بوسقٍ، أو وسقين؟ هذا عارٌ علينا. ولكنا نرهنك اللأمة - يعني السلاح [٤] .

وتناول في شرحه أنه لو لم يكن معتادًا عندهم رهن السلاح عند أهل العهد لما عرضوه عليه، إذ لو عرضوا عليه ما لم تجر به عادتهم لاستراب بهم.

وفيما تناوله نظر عندي، إذ لازمه أن يُقال بجواز رهن النساء والأبناء، فإنهم لم يمتنعوا لتحريمه كما هو ظاهر، وإنما كان فعلهم كله من الحيلة والمخادعة الجائزة في الحرب والله أعلم.

المسألة الثانية: أنه يحرم أن يبيع المسلمون على الكفار ما يحتاجونه ويضرهم بيعه.

فإذا كان بالمسلمين حاجة إلى سلعة من السلع فلا يسوغ بيعها للكفار، وهذا ظاهر؛ إذ المسلم أولى بالانتفاع بهذه السلعة.

ولذا لما ذكر ابن عابدين جواز بيع الطعام على أهل الحرب قال: «ولا يخفى أن هذا إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى الطعام، فإن احتاجوه لم يجز» [٥] .

---

(١)المبسوط (١٠ / ٨٨ - ٨٩).

(٢)ص: ١٤٢ .

(٣)(٥ / ١٤٣).

(٤)صحيح البخاري، كتاب الرهن باب رهن السلاح برقم (٢٥١٠)، صحيح مسلم كتاب الجهاد، باب قتل كعب بن الأشرف برقم (١٨٠٢١) .

(٥)حاشيته (٤ / ١٣٤).

وهذا الحكم حكم مصلحي، وسيأتي لهذا مزيد تفصيل.

المسألة الثالثة: أن يحرم أن يشتري المسلمون ما لا يحل من أنواع المحرمات وما لا يجوز التعاقد عليه.

وهذا ظاهر من معرفة شروط البيع، وإذا حرم التعاقد على شيء مع المسلمين فتحريم التعاقد عليه مع الكفار أولى[١].

* * *

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٩ / ٢٧٥)؛ أحكام أهل الذمة (١ / ١٦٧).

الإضرار باقتصاد الكافر المحارب من طرق الجهاد المشروع [١]

فقد استعمل النبي ﷺ التضيـيق والضغط الاقتصادي بتلك السرايا والبعوث التي سيرها لمهاجمة قوافل قريش التجـارية فقد بعث النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص فقال: اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار فإن عيراً لقريش ستمر بك. [٢].

وخرج النبي ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش في غزوة بواط[٣] .

كما خرج لغزوة العشيرة لاعتراض قافلة لقريش في طريقها إلى الشام ولما عادت خرج يريدها[٤] .

وغزوة بدر إنما كان سببها طلبه عير أبي سفيان[٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال: « **هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها** » فانتدب الناس[٦] .

إلى غيـر ذلك من شواهد كثـيرة .وكما اسـتعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب فـقد اسـتعمله أبو بصير لما خـرج إلى سيف البحـر ولحق به أبو جندل بعد صلح الحديبـية واجتمع إليهما عصابة ممن أسلم من قريش لا يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم[٧] .

---

(١) انظر المقاطعة «رؤية شرعية» [ص / ٥٢ ـ ٥٤].

(٢) مغازي الواقدي (١ / ١١)؛ السيرة لابن هشام (٢ / ٢٨٧)؛ طبقات ابن سعد (٢ / ٧).

(٣) السيرة لابن هشام (٢ / ٢٨٤) ، طبقات ابن سعد (٢ / ٩٨).

(٤) السيرة لابن هشام (٢ / ٢٨٤)؛ طبقات ابن سعد (٢ / ٩).

(٥) صحيح مسلم: كتاب الإمارة رقم (١٩٠١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) السيرة لابن هشام (٢ / ٢٨٤)، وصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣١)، وذكره الحافظ في فتح الباري (٦ / ٣٣٤) وسكت عنه.

(٧) صحيح البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، برقم (٢٧٣١).

بل وأبلغ من ذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن تضيق عليهم معيشتهم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشًا كذبوه واستعصوا عليه فقال: **«اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف»** فأصابتهم سنة حصت كل شيء حتى كانوا يأكلون الميتة وكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهْد والجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد إن قومك هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم... [١].

بل الحصار وقطع النخيل والثمار وإتلاف الزروع كله من أنواع الإضرار الاقتصادي وكله ثابت من هدي النبي ﷺ في تعامله مع أعدائه.

خلاصة المسألة [٢]:

١ ـ أن المقاطعة هي الامتناع عن معاملة أو تداول منتجات دولة من الدول وشاع استعماله في مقاطعة منتجات من يحارب المسلمين أو يعينهم.

٢ ـ للتعامل المالي مع الكفار أساليب متنوعة منها ما يكون الشراء فيه مباشرًا مع الكافر، ومنها ما يكون من خلال وسيط أو وكيل، أو من مسلم اشترى البضاعة من كافر أو نال امتياز إنتاجها.

٣ ـ البضائع قد يكون الحصول عليها لابد منه، وقد يكون دون ذلك، ومن قواعد الشرع مراعاة التخفيف في أمور الضروريات والحاجيات العامة ما لا يراعى في غيرها.

٤ ـ الأصل أن التعامل مع الكفار في البيع والشراء مباح ولو كانوا محاربين. ويستثنى من ذلك أنه لا يباع عليهم ما يتقوون به على قتال المسلمين، كما لا يبيع المسلم عليهم ما يحتاج المسلمون إليه، ولا يعقد معهم عقدًا محرمًا.

٥ ـ من قواعد الشرع العامة أن للوسائل أحكام المقاصد وأنه يعمل بالأرجح عند

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ⑬﴾ برقم (٤٨٢٣)؛ صحيح مسلم صفات المنافقين برقم (٢٧٩٨).

(٢) انظر «المقاطعة رؤية شرعية» [ص / ٧٦ ـ ٧٨].

تعارض المصالح والمفاسد في الفعل الواحد.

٦ ـ ثبت من فعل النبي ﷺ تخريب وإتلاف أموال المحاربين.

٧ ـ مقاطعة الكفار تتخذ صوراً وأحوالاً:

أ ـ فإذا أمر بها الإمام أو نهى عنها وجب امتثال أمره ونهيه.

ب ـ يجب الامتناع عن بيع ما يعين الكفار على قتال المسلمين.

ج ـ ولا يجوز أن يبيع المسلمون ما يحتاجونه على غيرهم.

د ـ وشراء البضائع من الكفار جائز ما لم يعلم ـ أو يغلب على ظنه ـ أن قيمته ستعين على قتال المسلمين.

هـ ـ إذا لم يعلم أن قيمة ما يشتريه تعين الكفار فإنه تستحب مقاطعتهم إذا وجد فيه مصلحة ولم يكن في ذلك إضرار بالمسلمين.

اللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

* * *

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء [١]

السؤال:

يتردد الآن دعوات لمقاطعة المنتجات الأمريكية . . . فهل نستجيب لهذه الدعوات؟

الجواب:

يجوز شراء البضائع المباحة أيًا كان مصدرها، ما لم يأمر ولي الأمر بمقاطعة شيء منها لمصلحة الإسلام والمسلمين، لأن الأصل في البيع والشراء الحل، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [٢] .

والنبي ﷺ اشترى من اليهود.

❊ ❊ ❊

فتوى فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ـ حفظه الله

السؤال:

لا يخفى عليكم ما يتعرض له إخواننا الفلسطينيون في الأرض المقدسة من قتل واضطهاد من قبل العدوان الصهيوني، ولا شك أن اليهود لم يمتلكوا ما امتلكوا من سلاح وعدة إلا بمؤازرة من الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا، والمسلم حينما يرى ما يتعرض له إخواننا لا يجد سبيلا لنصرة إخوانه وخذلان أعدائه إلا بالدعاء للمسلمين بالنصر والتمكين وعلى الأعداء بالذلة والهزيمة، ويرى بعض الغيورين أنه ينبغي لنصرة المسلمين أن نقاطع منتجات إسرائيل وأمريكا ، فهل يؤجر المسلم إذا قاطع تلك

---

(١) فتوى رقم (٢١٧٧٦) ، تاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٤٢١ هـ، وانظر المرجع السابق (ص / ٨٢).

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥ .

المنتجات بنية العداء للكافرين وإضعاف اقتصادهم ؟ وما هو توجيهكم حفظكم الله.

الجواب:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: يجب على المسلمين عمومًا التعاون على البر والتقوى ومساعدة المسلمين في كل مكان بما يكفل لهم ظهورهم وتمكنهم في البلاد وإظهار شعائر الدين وعملهم بتعاليم الإسلام وتطبيقه للأحكام الدينية وإقامة الحدود والعمل بتعاليم الدين، وبما يكون سببًا في نصرهم على القوم الكافرين من اليهود والنصارى، فيبذل جهده في جهاد أعداء الله بكل ما يستطيع، فقد ورد في الحديث: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**».

فيجب على المسلمين مساعدة المجاهدين بكل ما يستطيعونه وبذل كل الإمكانات التي يكون فيها تقوية للإسلام والمسلمين، كما يجب عليهم جهاد الكفار بما يستطيعونه من القدرة ، وعليهم أيضًا أن يفعلوا كل ما فيه إضعاف للكفار أعداء الدين فلا يستعملونهم كعمال للأجرة كتابًا أو حسابًا أو مهندسين أو خدامًا بأي نوع من الخدمة التي فيها إقرار وتمكين لهم بحيث يكتسحون أموال المؤمنين ، ويعادون بها المسلمين، وعلى المسلمين أيضًا أن يقاطعوا جميع الكفار بترك التعامل معهم، وبترك شراء منتجاتهم سواء كانت نافعة كالسيارات والملابس وغيرها، أو ضارة كالدخان بنية العداء للكفار وإضعاف قوتهم وترك ترويج بضائعهم، ففي ذلك إضعاف لاقتصادهم مما يكون سببًا في ذلهم وإهانتهم والله أعلم[1] .

❊ ❊ ❊

(١) منقولة من موقع فضيلته على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) على الرابط (www. ibn -jabraan. com) .
وانظر المرجع السابق [ص / ٨٣ ـ ٨٥].

حكم بقاء الكفار المستمر والمؤقت في جزيرة العرب [(١)]

إن بقاء الكفار في جزيرة العرب قسمان:

دائم، ومؤقت. فأما البقاء الدائم فيها فلا يجوز لأنه لا يجوز أن تكون وطنًا لغير المسلمين لقوله ﷺ: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا**» وقول عائشة رضي الله عنها: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان» وقد تقدم ذكرهما قريبًا وذكر من رواهما فلهذين الحديثين وأمثالهما لا يجوز أن تكون هذه الجزيرة وطنًا لغير الإسلام، ولا يجوز أن يوجد فيها أماكن للعبادة غير مساجد المسلمين .

وأما البقاء المؤقت فجائز لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾ [(٢)] ولأن الخليفتين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يبادرا إلى إخراج الكفار من هذه الجزيرة وأيضًا فإن الذي قتل عمر رضي الله عنه وتحققت له الشهادة التي أخبر بها الرسول ﷺ كافر. فقد روى البخاري قصة مقتل عمر وبيعة عثمان رضي الله عنهما وفيها قول عمر رضي الله عنه «الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام» [(٣)] .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر «بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير» د/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر [ص / ١٨ ـ ٢٠) ط جمعية إحياء التراث الإسلامي .

(٢) سورة التوبة: ٦ .

(٣) الحديث: صحيح رواه البخاري في «صحيحه » (٣٧٠٠).

من الذي يتولى إخراج الكفار من جزيرة العرب [1]

تواطأ العالم في هذا الزمان على أن كل بلد يدخله من ليس من أهله بإذن من حكومة دولة ذلك البلد، أطلق على ذلك الإذن اسم (تأشيرة دخول) ومن دخل أي بلد بهذا الإذن يكون له الأمان على نفسه وماله والدخول إلى جزيرة العرب لغير المسلمين لا يجوز إلا في زمن مؤقت وينبغي أن يكون ذلك الدخول لما تدعو الحاجة إليه وما لا تدعو الحاجة إليه كالخدم والسائقين ينبغي أن يقتصر فيه على المسلمين.

والذي يتولى إخراج الكفار من جزيرة العرب بعد دخولهم إياها ولاة الأمر فيها فيتولى الإخراج من حصل منه الإذن بالدخول ولا يجوز لأحد غيرهم القيام بشيء من ذلك.

وما حصل من بعض الشباب من الاعتداء على بعض هؤلاء المستأمنين بالقتل والإيذاء بما هو دونه مخالف لهدي الإسلام وهو من الإجرام والإفساد في الأرض والإساءة إلى سمعة الإسلام والمسلمين.

يوضح ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يحصل من أحد منهم الاعتداء على أحد من الكفار بالقتل وما دونه بزعم الإخراج من جزيرة العرب لعلمهم أن الذي يتولى الإخراج هم ولاة الأمور.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر المرجع السابق (ص / ١٩ ـ ٢٠).

فتاوي كبار أهل العلم
في هذا العصر في التفجيرات والاغتيالات[١]

١ ـ قرار هيئة كبار العلماء حول حوادث التخريب:

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة «الطائف» ابتداء من ١٢ /١/ ١٤٠٩ هـ إلى ١٨ / ١ / ١٤٠٩هـ: «بناء على ما ثبت من وقوع عدة حوادث تخريب ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء، وتلف بسببها كثير من الأموال والممتلكات والمنشآت العامة في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها وقام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة والحاقدة، ومن ذلك:

نسف المساكن، وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة، ونسف الجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها ، وحيث لوحظ كثرة وقوع مثل هذه الجرائم في عدد من البلاد القريبة والبعيدة، وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع مثل هذه الأعمال التخريبية ، فقد رأى مجلس كبار العلماء ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبيًا، سواء كان موجهًا ضد المنشآت العامة والمصالح الحكومية، أو كان موجهًا لغيرها بقصد الإفساد والإخلال بالأمن.

---

(١) انظر «تلخيص فتنة التفجيرات والاغتيالات ـ الأسباب ـ الآثار ـ العلاج»، سيد محمد المنياوي. تقديم الشيخ مصطفى إسماعيل السليماني (ص / ١٦٤ ـ ١٨٤)، ط. المكتبة الإسلامية، والأحاديث الموجودة كاملة بتحقيقنا.

وقد اطلع المجلس على ما ذكره أهل العلم من أن الأحكام الشرعية تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضروريات الخمس، والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة وهي: الدين والمال والنفس والعرض والعقل. وقد تصور المجلس الأخطار العظيمة التي تنشأ عن جرائم الاعتداء على حرمات المسلمين في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، وما تسببه الأعمال التخريبية من الإخلال بالأمن العام في البلاد، ونشوء حالة الفوضى والاضطراب، وإخافة المسلمين وممتلكاتهم.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حفظ للناس أديانهم وأبدانهم وأرواحهم وأعراضهم وعقولهم بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام والخاص، ومما يوضح ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن والاطمئنان، وردع من تسول له نفسه الإجرام والاعتداء على المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم ، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وغيرها على السواء لقوله سبحانه: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾[3] .

والله تعالى يقول: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[4] .

---

(١) سورة المائدة: ٣٢ .

(٢) سورة المائدة: ٣٣ .

(٣) سورة المائدة: ٣٣ .

(٤) سورة البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [١] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى: «ينهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح ، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ، ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى الله تعالى عن ذلك». ا هـ.

وقال القرطبي: «نهى سبحانه وتعالى عن كل فساد، قلَّ أو كَثُرَ ـ بعد صلاح ـ قلَّ أو كَثُرَ ـ، فهو على العموم على الصحيح من الأقوال».

وبناء على ما تقدم ولأن ما سبق إيضاحه يفوق أعمال المحاربين الذين لهم أهداف خاصة يطلبون حصولهم عليها من مال أو عرض ، وهؤلاء هدفهم زعزعة الأمن وتقويض بناء الأمة، واجتثاث عقيدتها ، وتحويلها عن المنهج الرباني.

فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يأتي:

أولاً: من ثبت شرعًا أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض التي تزعزع الأمن بالاعتداء على النفس والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك فإن عقوبته القتل، لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد، ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بأعمال تخريبية؛ ضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع الطريق فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة.

ثانيًا: أنه لابد قبل إيقاع العقوبة المشار إليها في الفقرة السابقة من استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من جهة المحاكم الشرعية وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى، براءة للذمة واحتياطًا للأنفس، وإشعارًا بما عليه هذه البلاد من التقيد بجميع

---

(١) سورة الأعراف: ٥٦ .

الإجراءات اللازمة شرعًا لثبوت الجرائم وتقرير عقابها.

ثالثًا: يرى المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه» [1].

مجلس هيئة كبار العلماء

* * *

---

(١) انظر مجلة «مجمع الفقه الإسلامي» العدد الثاني (ص / ١٨١)، قرار رقم (١٤٨) الصادر في الدورة الثانية والثلاثين بتاريخ ١٢ / ١ / ١٤٠٩ هـ.

٢ ـ قرار هيئة كبار العلماء حول حادث التفجير الذي وقع في الرياض في حي العُليًا (١)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه، وبعد:

فإن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية علمت ما حدث من التفجير الذي وقع في حي «العُلَيَّا» بمدينة «الرياض» قرب الشارع العام، ضحوة يوم الإثنين ٢٠ / ٦ / ١٤١٦ هـ، وأنه قد ذهب ضحيته نفوس معصومة، وجُرح بسببه آخرون، ورُوّع آمنون، وأُخيف عابر السبيل.

ولذا: فإن الهيئة تُقرر أن هذا الاعتداء آثم، وإجرام شنيع، وهو خيانة وغدر، وهتك لحرمات الدين في الأنفس والأموال والأمن والاستقرار، ولا يفعله إلا نفس فاجرة، مشبعة بالحقد والخيانة والحسد والبغي والعدوان، وكراهية الحياة والخير، ولا يختلف المسلمون في تحريمه، ولا في بشاعة جرمه وعظيم إثمه، والآيات والأحاديث في تحزيم هذا الإجرام وأمثاله كثيرة ومعلومة.

وإن الهيئة إذ تقرر تحريم هذا الإجرام ، وتُحذر من نزعات السوء، ومسالك الجنوح الفكري، والفساد العقدي، والتوجه المردي، وإن النفس الأمارة بالسوء إذا أرخى لها المرء العنان ذهبت به مذاهب الردى، ووجد الحاقدون فيها مدخلاً لأغراضهم وأهوائهم التي يبثونها في قوالب التحسين، والواجب على كل من علم شيئًا عن هؤلاء المخربين أن يبلغ عنهم الجهة المختصة.

وقد حذر الله ـ سبحانه ـ في محكم التنزيل من دعاة السوء والمفسدين في الأرض، فقال: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي**

---

(١) انظر «مجلة مجمع الفقه الإسلامي» العدد الثاني (ص / ١٨١) قرار رقم (١٤٨) الصادر في الدورة الثانية والثلاثين بتاريخ ١٢ / ١ / ١٤٠٩ هـ.

الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٢) .

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يهتك ستر المعتدين على حرمات الآمنين، وأن يكفَّ البأس عنا وعن جميع المسلمين، وأن يحمي هذه البلاد وسائر بلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، وأن يوفق ولاة أمرنا وجميع ولاة أمر المسلمين لما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه خير مسؤول.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مجلس هيئة كبار العلماء

❊ ❊ ❊

(١) سورة المائدة: ٣٣ .

(٢) سورة البقرة: ٢٠٤ ٢٠٦ .

بيان من هيئة كبار العلماء
حول أحداث الرياض

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه... أما بعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٣ / ٣ / ١٤٢٤ هـ استعرض حوادث التفجيرات التي وقعت في مدينة الرياض مساء يوم الإثنين ١١ / ٣ / ١٤٢٤ هـ، وما حصل بسبب ذلك من الناس من المسلمين وغيرهم.

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام قد جاءت بحفظ الضروريات الخمس، وحرمت الاعتداء عليها وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل.

ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة، والأنفس المعصومة في دين الإسلام إما أن تكون مسلمة، فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب العظام.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(١) .

ويقول سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٢) الآية.

قال مجاهد رحمه الله: في الإثم. وهذا يدل على عظم قتل النفس بغير حق.

ويقول النبي ﷺ : «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين**

---

(١) سورة النساء: ٩٣ .

(٢) سورة المائدة: ٣٢ .

التارك للجماعة»[١] .

ويقول النبي ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»**[٢] متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»[٣] .

ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يومًا إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

كل هذه الأدلة وغيرها كثير تدل على عظم حرمة دم المرء المسلم وتحريم قتله لأي سبب من الأسباب إلا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فلا يحل لأحد أن يعتدي على مسلم بغير حق.

يقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ الأنصاري فطعنته برمحي حتي قتلته فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: **«يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»**.

قلت: كان متعوذاً فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[٤] .

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦)، والترمذي (١٤٠٢)، والنسائي (٤٠١٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، وابن ماجه (٢٥٣٤)، وأحمد (١ / ٣٣٨٢)، والدارمي (٢٢٩٨).

(٢) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) حديث صحيح: رواه الترمذي في «السنن» (١٣٩٥)، والنسائي (٣٩٨٧).

(٤) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٤٠٢١)، ومسلم (٩٦)، وأبو داود =

وهذا يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك، وهم مجاهدون في ساحة القتال لما ظفروا به وتمكنوا منه نطق بالتوحيد، فتأول أسامة رضي الله عنه قتله على أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي ﷺ عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل على حرمة دماء المسلمين وعظيم جرم من يتعرض لها.

وكما أن دماء المسلمين محرمة فإن أموالهم محرمة محترمة بقول النبي ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[١].

وهذا الكلام قاله النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة، وأخرج البخاري ومسلم نحوه في خطبة يوم النحر.

ومما سبق يتبين تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق.

ومن الأنفس المعصومة في الإسلام: أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[٢]. أخرجه البخاري.

ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه كما قال النبي ﷺ: «**لم يرح رائحة الجنة**»[٣].

وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم

= (٢٦٤٣)، وأحمد (٥ / ٢٠٠).

(١) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (١٦٥٢)، والترمذي (٢١٩٣)، وأحمد (١ / ٢٣٠).

(٢) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٩٥)، والنسائي في «السنن» (٤٧٥٠)، وابن ماجه في السنن (٢٦٨٦)، وأحمد (٢ / ١٨٦).

(٣) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٩٥)، والنسائي (٤٧٥٠)، وابن ماجه (٢٦٨٦) وأحمد (٢ / ١٨٦).

واحدة، يقول النبي ﷺ: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم**» (١).

ولما أجارت أم هانئ رضي الله عنها رجلاً مشركًا عام الفتح، وأراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله، ذهبت للنبي ﷺ فأخبرته، فقال ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**» (٢).

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر لمصلحة رآها، فلا يجوز التعرض له ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله، إذا تبين هذا فإن ما وقع في مدينة الرياض من حوادث التفجير أمر محرم لا يقره دين الإسلام، وتحريمه جاء من وجوه:

١ ـ أن هذا العمل اعتداء على حرمة بلاد المسلمين وترويع للآمنين فيها.

٢ ـ أن فيه قتلاً للأنفس المعصومة في شريعة الإسلام.

٣ ـ أن هذا من الإفساد في الأرض.

٤ ـ أن فيه إتلافًا للأموال المعصومة.

وإن مجلس هيئة كبار العلماء إذ يبين حكم هذا الأمر ليحذر المسلمين من الوقوع في المحرمات المهلكات، ويحذرهم من مكائد الشيطان، فإنه لا يزال بالعبد حتى يوقعه في المهالك، إما بالغلو بالدين، وإما بالجفاء عنه ومحاربته ـ والعياذ بالله ـ والشيطان لا يبالي بأيهما ظفر من العبد؛ لأن كلا طريقي الغلو والجفاء من سبل الشيطان التي توقع صاحبها في غضب الرحمن وعذابه.

وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتل أنفسهم بتفجيرها داخل في عموم قول النبي ﷺ: «**من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة**»(٣). أخرجه أبو عوانة في مستخرجه من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

---

(١) حديث صحيح: رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٨١).

(٢) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٣٥٠، ٣٠٠٠، ٦٨٠٦)، ومسلم (١٧٠٢).

(٣) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه»، ومسلم (١١٠)، والنسائي (٣٧٧٠)، وأبو داود (٣٢٥٧)، وأحمد (٤ / ٣٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا**»[1] . وهو في البخاري بنحوه.

ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني من تسلط الأعداء عليها من كل جانب، وهم يفرحون بالذرائع التي تبرر لهم التسلط على أهل الإسلام وإذلالهم واستغلال خيراتهم، فمن أعانهم في مقصدهم وفتح على المسلمين وبلاد الإسلام ثغرًا لهم فقد أعان على انتقاص المسلمين والتسلط على بلادهم وهذا من أعظم الجرم.

كما أنه يجب العناية بالعلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة وذلك في المدارس، والجامعات، وفي المساجد، ووسائل الإعلام، كما أنه تجب العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق ، فإن الحاجة بل الضرورة داعية إليه الآن أكثر من أي وقت مضى، وعلى شباب المسلمين إحسان الظن بعلمائهم والتلقي عنهم، وليعلموا أن مما يسعى إليه أعداء الدين الوقيعة بين شباب الأمة وعلمائها، وبينهم وبين حكامهم حتى تضعف شوكتهم وتسهل السيطرة عليهم.

فالواجب التنبيه لهذا، وقى الله الجميع كيد الأعداء، وعلى المسلمين تقوى الله في السر والعلن والتوبة الصادقة الناصحة من جميع الذنوب، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، نسأل الله أن يصلح حال المسلمين ويجنب بلاد المسلمين كل سوء ومكروه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

رئيس المجلس

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٥٤٤٢)، ومسلم (١٠٩)، والترمذي (٢٠٤٤)، والنسائي (١٩٦٥)، وأبو داود (٣٨٧٢)، وابن ماجه (٣٤٦٠)، وأحمد (٢ / ٤٧٨) والدارمي (٢٣٦٢).

صالح بن محمد اللحيدان.. عبد الله بن سليمان المنيع.. عبد الله بن عبد الرحمن الغديان ... د/ صالح بن فوزان الفوزان.. حسن بن جعفر العتمي.. محمد بن عبد الله السبيل.

د/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.. محمد بن سليمان البدر.. د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي.

محمد بن زيد آل سليمان ... بكر بن عبد الله أبو زيد.. د/ عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان.

د/ صالح بن عبد الله بن حميد.. د/ أحمد بن علي سير المباركي... د/ عبد الله بن علي الركبان.

د/ عبد الله بن محمد المطلق.

❊ ❊ ❊

كلمة محدث العصر
صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين
الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في التحذير من إثارة الفتن مع الحكام[(١)]

فقد قال ـ رحمه الله تعالى : «ثم كنت ـ ولا أزال ـ أقول لهؤلاء الذين يدندنون حول تكفير حكام المسلمين: هَبُوا أن هؤلاء كفار كفر ردة وأنهم لو كان هناك حاكم أعلى عليهم ، واكتشف منهم أن كفرهم كفر ردة ـ لوجب على ذلك الحاكم أن يطبق فيهم الحد، فالآن ما تستفيدون أنتم من الناحية العلمية إذا سلمنا جدلاً أن كل هؤلاء الحكام كفار كفر ردة؟ ماذا يمكن أن تعملوه؟ هؤلاء الكفار احتلوا من بلاد الإسلام، ونحن هنا ـ مع الأسف ـ ابتلينا باحتلال اليهود لفلسطين؛ فماذا نستطيع نحن وأنتم أن نعمل مع هؤلاء، حتى تستطيعوا أنتم أن تعملوا مع الحكام الذين تظنون أنهم من الكفار؟

هلا تركتم هذه الناحية جانبًا، وبدأتم بتأسيس القاعدة التي على أساسها تقوم قائمة الحكومة المسلمة، وذلك باتباع سنة رسول الله ﷺ التي ربى أصحابه عليها، ونشأهم على نظامها وأساسها، وذلك ما نُعبر عنه في كثير من مثل هذه المناسبات، بأنه لابد لكل جماعة مسلمة، تعمل بحق لإعادة حكم الإسلام ـ ليس فقط على أرض الإسلام ـ بل بحقٍّ الأرض كلها؛ تحقيقًا لقوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [(٢)] .

وقد جاء في بعض الأحاديث الصحيحة أن هذه الآية ستحقق فيما بعد، فلكي يتمكن المسلمون من تحقيق هذا النص القرآني ، هل يكون الطريق بإعلان ثورة على هؤلاء الحكام الذين يظنون كفرهم كفر ردة؟!.

ثم مع ظنهم هذا ـ وهو ظن خاطئ ـ لا يستطيعون أن يعملوا شيئًا، ما هو

---
(١) انظر «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (٥٦).
(٢) سورة الصف: ٩ .

المنهج؟ ما هو الطريق؟ لا شك أن الطريق: هو ما كان رسول الله ﷺ يدندن حوله، ويُذكر أصحابه به في كل خطبة: «**وخير الهدي هدي محمد**ﷺ» فعلى المسلمين كافة ـ وبخاصة منهم من يهتم بإعادة الحكم الإسلامي ـ أن يبدأ من حيث بدأ رسول الله ﷺ ، وهو ما نُكني نحن عنه بكلمتين خفيفتين: (التصفية والتربية)؛ ذلك لأننا نحن نعلم حقيقة يغفل عنها أو يتغافل عنها ـ في الأصح ـ أولئك (الغلاة) الذين ليس لهم إلا إعلان تكفير الحكام، ثم لا شيء ، وسيظلون يعلنون كفر الحكام، ثم لا يصدر منهم إلا (الفتن) والواقع في هذه السنوات الأخيرة التي تعلمونها بدءاً من فتنة الحرم المكي ، إلى فتنة مصر، وقتل السادات، وذهاب دماء كثير من المسلمين الأبرياء، ثم أخيراً في سوريا، ثم الآن في مصر، والجزائر ـ مع الأسف ـ كل هذا بسبب أنهم خالفوا كثيراً من نصوص الكتاب والسُّنة، وأهمها: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[1] .

إذا أردنا أن نقيم حكم الله في الأرض ، هل نبدأ بقتال الحكام ـ ونحن لا نستطيع أن نقاتلهم ؟ أم نبدأ بما بدأ به الرسول عليه الصلاة والسلام؟ لا شك أن الجواب:

﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ بماذا بدأ رسول الله ﷺ ؟ تعلمون أنه بدأ بالدعوة بين الأفراد الذين كان يظن فيهم الاستعداد لتقبل الحق، ثم استجاب له من استجاب، كما هو معروف في السيرة النبوية ، ثم التعذيب والشدة التي أصابت المسلمين في مكة، ثم الأمر بالهجرة الأولى والثانية إلى آخر ما هناك حتى وطَّد الله عز وجل الإسلام في المدينة المنورة وبدأت هناك المناوشات، وبدأ القتال بين المسلمين والكفار من جهة، ثم اليهود من جهة أخرى، إذًا لابد أن نبدأ نحن بتعليم الناس الإسلام، كما بدأ الرسول ﷺ لكن نحن الآن لا نقتصر على التعليم؛ لأنه دخل الإسلام ما ليس منه، وما لا يمت إليه بصلة، بل دخل عليه ما كان سببًا في تهدم الصرح الإسلامي، فلذلك كان من الواجب على الدُّعاة: أن يبدأوا بتصفية هذا

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١ .

الإسلام مما دخل فيه، والشيء الثاني: أن يقترن مع هذه التصفية تربية الشباب المسلم الناشئ على هذا الإسلام المصفى.

ونحن إذا درسنا الجماعات الإسلامية القائمة الآن منذ نحو قرابة قرن من الزمان لوجدنا كثيراً منهم لم يستفيدوا شيئًا، رغم صياحهم ، ورغم ضجيجهم بأنهم يريدونها حكومة إسلامية وسفكوا دماء أبرياء كثيرين بهذه الحجة، دون أن يستفيدوا من ذلك شيئًا، فلا نزال نسمع منهم العقائد المخالفة للكتاب والسنة، والأعمال المنافية للكتاب والسنة.

وبهذه المناسبة نقول: هنالك كلمة لأحد الدُّعاة، كنت أتمنى من أتباعه أن يلتزموا بها، ويحققوها ، وهي : (أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم ، تقم لكم على أرضكم)؛ لأن المسلم إذا صحح عقيدته بناءً على الكتاب والسنة، فلا شك أنه من وراء ذلك ستصلح عبادته، وستصلح أخلاقه وسلوكه... إلخ، لكن هذه الكلمة الطيبة ـ مع الأسف ـ لم يعمل بها هؤلاء الناس، فظلوا يصيحون بإقامة الدولة المسلمة دون جدوى، وصدق فيهم قول ذلك الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجري على اليبس

لعل في هذا الذي ذكرته كفاية، جوابًا على هذا السؤال [١] .

* * *

(١) انظر «المجلة السلفية» (١ / ١٤١٥).

كلام صاحب الفضيلة
الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله
حول التفجيرات

قال ـ رحمه الله تعالى ـ في الشريط الأول / الوجه أ من «أصول التفسير»:

«. . . ولما ظهرت قضية الإخوان الذين يتصرفون بغير حكمة، ازداد تشويه الإسلام في نظر الغربيين، وغير الغربيين، وأعني بهم: أولئك الذين يُلْقون متفجرات في صفوف الناس، زعمًا منهم أن هذا من الجهاد في سبيل الله!! والحقيقة أنهم أساؤوا إلى الإسلام، وأهل الإسلام أكثر بكثير مما أحسنوا، ماذا أنتج هؤلاء؟ هل أقبل الكفار على الإسلام؟ أو ازدادوا نفرة منه؟ ازدادوا نفرة منه، وأهل الإسلام يكاد الإنسان يغطي وجهه لئلا يُنسب إلى هذه الطائفة المرجفة المروعة، والإسلام بريء منهم ، حتى بعد أن فُرض الجهاد ما كان الصحابة ﷺ رضي الله عنهم يذهبون إلى مجتمع الكفار يقتلونهم أبدًا إلاَّ بجهاد له راية، من وليٍّ قادر على الجهاد، أما هذا الإرهاب: فهو ـ والله ـ نقص على المسلمين، أقسم بالله؛ لأننا نجد نتائجه، ما فيه نتيجة طيبة نافعة أبدًا، بل هو بالعكس، فيه تشويه السمعة، ولو أننا سلكنا الحكمة، فاتقينا الله في أنفسنا، وأصلحنا أنفسنا أولاً، ثم حاولنا إصلاح غيرنا بالطرق الشرعية، لكان نتيجة هذا نتيجة طيبة». ا هـ.

وفي شريط: «الحادث العجيب في البلد الحبيب»، تسجيلات سبيل المؤمنين، وهو خطبة جمعة لفضيلته بخصوص التفجيرات التي وقعت في «الخُبَر»، وقد تكلم على وجوب الوفاء بالعقود التي أعطيت للمعاهدين المستأمنين، وذكر أن هذا الفعل معصية لله، فإن قتل المعاهد يوجب لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، وأن صاحبه لا يقبل منه صرف ولا عدل، وذكر مفاسد هذا الفعل ، فعدَّ منها تشويه صورة الإسلام في الخارج ، والإشارة بأصابع الاتهام لمن استقام على هذا الدين، وأن العامة

سينظرون نظرة عداء وتـخوف وحذر وتحذير من المستـقيمين جميـعًا، وذكر أن بعض الآباء حذروا أبناءهـم من جميع المسـتقـيمين، وأن هذا الحادث يوجب الـفوضى في المملكة ـ حرسها الله وجميع بلاد المسلـمين ـ وأنها أولى البلاد بالأمن؛ لوجود الكعبة المشرفة وغيرها، وأن الحجاج والمعتـمرين لن يصلوا إليها من جميع الجهات ، إلا من خلال أرض المملكة ، فإذا عمت الفوضى في المملكة لم يُحج البيت العتيق!!

وأنكر الشـيخ ـ رحمه الـله تعالى ـ على من يطلق لسـانه في القضـاة والحكام الذين أصدروا الحكم على الجناة، ووصف الحكم بأنه قد جمع أقوى أدوات الحكم وطرقه، وأن هذا الحكم يردع غير الجناة، وقال: «ونحن لا نشك في حكامنا الحاكمين والمنفذين».

وذكر أن هذا العـمل تابع للعاطفـة الهوجـاء والمنهج المنحرف، وأنه كـيف يطهر القذر بما هو أقذر منه؟!

وذكر الجرحى من الأطفال والنساء والشيوخ، ثم قال: هل ضميره لا يتحرك لمثل هذه الفواجع؟!».

وفي نهاية الشـريط ألحق به سؤال حول الحـادث نفسه ، فـأجاب الشيخ ـ رحـمه الله: «لا شك أن هذا العـمل لا يرضاه أحـد، وكل عـاقل ـ فضـلاً عن المؤمن ـ لا يرضاه، فـفيـه إساءة إلى الإسـلام في الداخل والخارج، والإسـلام من ذلك بريء، فهؤلاء في الحقيقة أساؤوا إلى الإسلام ، ونسأل الله أن يجازيهم بعدله».

وقال: «الواجب على طلاب العلم أن يبـينوا أن هذا المنهج منهج خبـيث، منهج الخوارج الذين استباحوا دماء المسلمين وكفُّوا عن دماء المشركين.

قال: وإن هؤلاء: إما جاهلون، وإما سفهاء، وإما حاقدون.

قال: فهم جاهلون؛ لأنهم لا يعرفون الشرع، الشرع يأمر بالوفاء بالعهد، وأوفى دين: هو دين الإسلام ـ والحمد لله.

قال: هم سفهاء أيضًا؛ لأنه سيترتب على هذه الحادثة من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ليست هذه وسيلة إصلاح، حتى يقولوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1] ،

(١) سورة البقرة: ١١ .

بل هم المفسدون في الواقع.

قال: أو حاقدون على هذه البلاد وأهلها: لأننا لا نعلم - والحمد لله - بلادًا تنفِّذ من الإسلام مثل ما تنفذه هذه البلاد... وذكر - رحمه الله تعالى - سلامة المملكة من القبور التي تعبد من دون الله، وكذا الكنائس والحكم بغير ما أنزل الله، وغير ذلك...

ثم قال: «ماذا يريدون؟ ماذا يريدون من فعلهم هذا؟ أيريدون الإصلاح؟ والله ما هم بمصلحين، إنهم المفسدون !! ولكن علينا أن نعرف كيف يذهب الطيش والغيرة - التي هي غبرة، وليست غيرة - إلى هذا الحد؟!».

وكان من دعائه في الخطبة وفي جوابه عن هذا السؤال، أن قال: «اللهم اقض على الفساد والمفسدين، واجعل كيدهم في نحورهم، وتدبيرهم تدميراً عليهم، يا رب العالمين، اللهم من أراد بنا سوءاً فافضحه، واكشف أمره، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يُخزي هؤلاء، وأن يطلع ولاة الأمور عليهم، وعلى من خطط لهذه الجرائم حتى يحكموا فيهم بحكم الله عز وجل». اهـ. ملخصًا وبتصرف يسير يُوضح المعنى.

* * *

رسالة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية ـ حفظه الله تعالى ـ عند اصطدام الطائرتين بمبنى التجارة العالمي بأمريكا

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فنظراً لكثرة الأسئلة والاستفسارات الواردة إلينا، حول ما جرى في الولايات المتحدة الأمريكية منذ أيام، وما موقف الشريعة منها؟ وهل دين الإسلام يقر مثل هذه التصرفات، أم لا؟

فأقول ـ مستعيناً بالله الواحد القهار ـ: إن الله ـ سبحانه ـ قد منَّ علينا بهذا الدين الإسلامي، وجعله شريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان، مصلحة أحوال الأفراد والجماعات، تدعو إلى الصلاح والاستقامة والعدل والخيرية، ونبذ الشرك والشر، والظلم والجور والغدر، وإن من عظيم نعم الله علينا نحن المسلمين: أن هدانا لهذا الدين، وجعلنا من أتباعه وأنصاره، فكان المسلم المترسم لشريعة الله، المتبع لسنة رسول الله ﷺ، المستقيم حق الاستقامة على هذا الدين هو الناجي السالم في الدنيا والآخرة. هذا، وإن ما جرى في الولايات المتحدة الأمريكية من أحداث خطيرة، راح بسببها آلاف الأنفس لمن الأعمال التي لا تقرها شريعة الإسلام، وليست من هذا الدين، ولا تتوافق مع أصول الشريعة، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن الله سبحانه أمر بالعدل، وعلى العدل قامت السماوات والأرض، وبه أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، يقول الله ـ سبحانه ـ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾(١) .

---

(١) سورة النحل: ٩٠ .

ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] .

وحكم الله ألا تحمل نفس إثم نفس أخرى، لكمال عدله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2] .

الوجه الثاني: أن الله ـ سبحانه ـ حرَّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرمًا، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**» وهذا لجميع عباد الله ـ مسلمهم وغير مسلمهم ـ لا يجوز لأحد منهم أن يظلم غيره، ولا يبغي عليه، ولو مع العداوة والبغضاء، يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3] فالعداوة والبغضاء ليستا مسوغًا شرعيًا للتعدي والظلم.

وبناءً على ما سبق؛ يجب أن يعلم الجميع ـ دولاً وشعوبًا ، مسلمين وغير مسلمين ـ أمورًا:

أولها: أن هذه الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة ـ وما كان من جنسها من خطف لطائرات، أو ترويع للآمنين، أو قتل أنفس بغير حق ـ ما هي إلا ضرب من الظلم والجور والبغي، الذي لا تقره شريعة الإسلام؛ بل هو محرم فيها، ومن كبائر الذنوب.

ثانيها: أن المسلم المدرك لتعاليم دينه، العامل بكتاب الله وسنة نبيه، ينأى بنفسه أن يدخل في مثل هذه الأعمال؛ لما فيها من التعرض لسخط الله، وما يترتب عليها من الضرر والفساد .

ثالثها: أن الواجب على علماء الأمة الإسلامية أن يبينوا الحق في مثل هذه

---

(١) سورة الحديد: ٢٥ .

(٢) سورة النجم: ٣٨ .

(٣) سورة المائدة: ٨ .

الأحداث، ويوضحوا للعالم أجمع شريعة الله، وأن دين الإسلام لا يقر أبدًا مثل هذه الأعمال.

رابعـها: على وسائـل الإعلام، ومن يقف وراءها، ممن يلصق التـهم بالمسلمين، ويسعى بالطعن في هذا الدين القـويم، ويصمه بما هو منه براء، سعيًا لإشـاعة الفتنة، وتشويه سـمعة الإسـلام والمسلمين، وتأليب القلوب وإيغار الصـدور ـ يجب عليه أن يكف عن غـيه، وأن يعلم أن كل منصف عـاقل يعرف تعاليـم الإسلام، لا يمكن أن يصفـه بهذه الصـفات ، ولا أن يلصق به مـثل هذه التهم؛ لأنه على مـر التاريخ لم تعرف الأمم، من المتبـعين لهذا الدين، الملتزمين به إلا رعاية الحقوق، وعـدم التعدي والظلم.

هذا ما جرى بيانه، إيضاحًـا للحق، وإزالة للبس، والله أسأل أن يلهمنا رشدنا، ويهدينا سبل السلام، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المفتي العام للمملكة العربية السعودية.

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

❊ ❊ ❊

كلمة صاحب الفضيلة
الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر
ـ متع الله به، وحفظه ـ.

لقد أصدر فضيلته رسالة بعد الأحداث التي جرت في الرياض وغيرها من مدن المملكة ـ حرسها الله وجميع بلاد المسلمين ـ بعنوان: «بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟! وَيْحَكُم ... أفيقوا يا شباب!!»[(١)]، ولقد حذر فيها ـ فضيلته ـ من اتباع الهوى، ومن اتباع حدثاء الأسنان ـ مع الإعراض عن أهل العلم الراسخين ـ وذكر حاجة الأمة إلى الرجوع إلى العلماء الكبار، وحذر من اتباع طريق الخوارج، ثم قال: «بعد هذا التمهيد أقول: ما أشبه الليلة بالبارحة! فإنَّ ما حصل من التفجير والتدمير في مدينة الرياض، وما عُثر عليه من أسلحة ومتفجِّرات في مكة والمدينة في أوائل هذا العام (١٤٢٤ هـ) هو نتيجة لإغواء الشيطان وتزيينه الإفراط والغلو لِمَن حصل منهم ذلك، وهذا الذي حصل من أقبح ما يكون في الإجرام والإفساد في الأرض، وأقبح منه أن يزيِّن الشيطان لِمَن قام به أنَّه من الجهاد، وبأيِّ عقل ودين يكون جهاداً قتل النفس وتقتيل المسلمين والمعاهدين وترويع الآمنين وترميل النساء وتيتيم الأطفال وتدمير المباني على من فيها؟!».

ثم أورد ـ حفظه الله تعالى ـ الأدلة الدالة على تعظيم أمر القتل وخطره في الشرائع السابقة وفي شريعتنا والعلم عند الله تعالى[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) هي رسالة في غاية الأهمية لهؤلاء الذين وقعوا في شباك هذا الفكر الضال، كذا هي من الأهمية بمكان للشباب الذين تفوقهم العواطف والمشاعر، إضافة إلى أنها مهمة أيضًا لطلاب العلم.

(٢) انظر «تلخيص فتنة التفجيرات والاغتيالات» الأسباب ـ الآثار ـ العلاج» تأليف ـ سيد محمد المنياوي تقديم الشيخ ـ مصطفى إسماعيل السليماني من [ص / ١٧٦ ـ ١٨٤].

الآثار السيئة للتكفير والتفجير على المسلمين[١]

لقد اشتدت غربة الإسلام في هذا الزمان وزهد الكثيرون من أهله فيما فيه من الحق والهدى الذي نزل من الحكيم الخبير ،واعتاضوا بذلك أنظمة وضعها البشر ونتيجة لذلك حل بالمسلمين الضعف والهوان وأحاطت بهم أنواع الفتن.

ومن ذلك ما وقع في البلاد الإسلامية وغيرها من تكفير وتفجير أطلق عليه اسم الإرهاب جر على المسلمين الويلات والخطوب من أبنائهم وأعدائهم.

وكانت بداية ذلك في أول الأمر اختطاف الطائرات ثم تحول إلى التفجير الذي فيه التقتيل وتدمير المباني وغيرها على من فيها وقد عظمت المصائب على المسلمين بعد تدمير عمارتين شاهقتين في الغرب أطلق عليه أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ومن الآثار السيئة التي ترتبت على هذه الأحداث ما يلي:

١ ـ تدخل أصحاب العمارتين الشاهقتين في شؤون قطرين من الأقطار الإسلامية هما أفغانستان والعراق وما نتج عن ذلك من فوضى قتل فيها أهل هذين القطرين بعضهم بعضًا .ولا شك أن القضاء على حزب البعث في العراق نعمة كبيرة على أهل العراق وغيرهم ولكن المصيبة بعد ذلك في بقاء هذا التدخل . ونسأل الله عز وجل الذي خلص أهل العراق من البعثيين أن يخلصهم من الذين قضوا عليهم وأن يصلح أحوالهم ويجمع كلمتهم على الخير والهدى.

٢ ـ الإساءة إلى سمعة الإسلام وذلك بإضافة أعداء الإسلام الأعمال الإجرامية التي يقوم بها بعض شباب المسلمين إلى الإسلام ،والإسلام دين الحق والعدل وحفظ حقوق كل ذي حق من المسلمين وغيرهم وهو بريء من كل ما يضاف إليه زورًا بسبب التصرفات الشاذة الطائشة من بعض أبناء المسلمين .

٣ ـ اتهام مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية بأنها سبب التكفير وما تبعه من تفجير في هذه البلاد وهذا من مكايد الشيطان لإخلاء المناهج مما فيها من الخير،

---

(١) انظر «بذل النصح والتذكير» (ص / ٥١ ـ ٦٠).

وهنا النعيق بالاتهام جاء من الخارج وممن في قلوبهم مرض من الداخل والمناهج بحمد الله بريئة من التهم ومتهمها هو المتهم والذين ابتلوا بالتكفير والتفجير في هذه البلاد لم يحصل ذلك لهم من المناهج الدراسية بل دخل عليهم من أبواب شر لا صلة لها بالمناهج ألبتة ،وقد اعترف بذلك بعض الذين قبض عليهم منهم والذي حصل من هؤلاء الشباب هو كالذي حصل من أهل التكفير والتفجير في الجزائر من قبل لا صلة ولا علاقة لشذوذ وانحراف هؤلاء وهؤلاء بالمناهج الدراسية . ومناهج التعليم وضعت في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله ولم يحصل لدارسيها إلا الخير ولم تتهم بشيء فلماذا تأخر الاتهام إلى هذا الوقت؟ وكان للتعليم قبل إنشاء وزارة المعارف مديرية عامة مقرها مكة المكرمة وكان مديرها العام الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله وهو من أهل العلم والفضل وقد وضعت مناهج التعليم في ذلك الوقت ،ولما أنشئت وزارة المعارف بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله في عهد الملك سعود رحمه الله كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ أول وزير للمعارف فأقر مناهج التعليم ثم تتابع على الوزارة بعده أربعة وزراء والمناهج التعليمية على ما هي عليه لم توجه إليها تهمة في هذه العهود المتتابعة وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما حصل بعدها من تفجير في بلاد الحرمين وغيرها ولد هذا الاتهام الذي كان قبل ذلك في عالم الأموات وليست المصيبة في هذا الاتهام نفسه وإنما المصيبة في أن يجد قبولاً وأن يفكر في تغييرها.

٤ ـ التراجع الذي حصل لمسيرة الدعوة إلى الإسلام ونشر هدايته في الأرض ، فبعد تلك الأحداث حصل تراجع وانحسار لتلك الدعوة التي فيها الخير للبشرية فتوقف كثير من الأنشطة الدعوية المباركة كما وجه إليها من تهمة دعمها للإرهاب وفي الوقت الذي أخذت فيه الدعوة إلى الإسلام في الانحسار فإن دعوة النصارى إلى باطلهم آخذة في الانتشار.

٥ ـ محاولة الضغط على الدول العربية وبالأخص المحافظ منها على الإسلام بما سمي إصلاحات نحو الأخذ بالديمقراطية المزعومة . ومن المعلوم أن الأنظمة الديمقراطية الجهة التشريعية فيها فئة معينة من البشر ،وأما الإسلام فإن التشريع فيه من

خالق البشر وليس ذلك لأحد من البشر والدستور في المملكة العربية السعودية الكتاب والسنة بهما وعليهما قامت الدولة السعودية في عهودها الثلاثة وقد مضى على ذلك أكثر من قرنين فكيف يفكر في تصدير الديمقراطية للأخذ بها بدلاً من شريعة خالق البشر؟! وما ذلك إلا من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولا شك أن عز المسلمين وفلاحهم وصلاحهم لا يكون إلا بالالتزام بشرع الله ونبذ كل ما يخالفه وقد قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[1] .

وقال: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾[2] .

وقال: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[3] .

وقال الرسول ﷺ في أول وصيته لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك**»[4] أخرجه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».

وغير خاف أن الذنوب والخطايا سبب العقوبات العاجلة والآجلة للكفار والمسلمين. قال الله عز وجل عن قوم نوح: ﴿ **مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا** ﴾[5] .

وقال تعالى: ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ**

---

(١) سورة محمد: ٧ .

(٢) سورة الحج: ٤٠ ، ٤١.

(٣) سورة النور: ٥٥ .

(٤) الحديث: رواه الترمذي (٢٥١٦) .

(٥) سورة نوح: ٢٥.

يَظْلِمُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(٤) .

وإن هدى الله هو الهدى وماذا بعد الحق إلا الضلال وإن تنازل المسلمين عن شيء من دينهم يسخط ربهم ولا يرضى أعداءهم قال الله عز وجل : ﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(٥) . وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾(٧) .

وقال تعالى : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٨).

والله جل وعلا له ملك السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير ،هو كاسر الأكاسرة ،وقاصم القياصرة ،ومذل الجبابرة ،ومهلك الفراعنة وفي ألفاظ الأذان (الله أكبر) ست مرات وفي كل ركعة من ركعات الصلاة (الله أكبر) خمس مرات ،والله أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم ،قدرته فوق كل قدرة ،وبطشه أشد من كل بطش .

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٠ .
(٢) سورة النحل: ١١٢ .
(٣) سورة الرعد : ١١ .
(٤) سورة الشورى: ٣٠ .
(٥) سورة يونس: ٣٢ .
(٦) سورة البقرة: ١٢٠ .
(٧) سورة آل عمران: ١٤٩، ١٥٠ .
(٨) سورة آل عمران: ١٢٠ .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⁽٦⁾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⁽٧⁾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ⁽٨⁾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⁽٩⁾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ⁽١٠⁾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ⁽١١⁾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⁽١٢⁾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⁽١٣⁾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾(١) .

وقال: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٢) .

وعند الله من أنواع العقوبات العاجلة ما لا يخطر ببال متكبر كالصواعق المحرقة والفيضانات الكاسحة والرياح العاتية والزلازل المدمرة والأمراض المزمنة. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾(٣) .

وقال: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٤) .

وقال: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾(٥) .

وقال: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٦) .

❊ ❊ ❊

(١) سورة الفجر: ٦ ـ ١٤ .
(٢) سورة هود: ٨٣ .
(٣) سورة الرعد: ١١ .
(٤) سورة آل عمران: ١٧٨ .
(٥) سورة الأنفال: ٥٩ .
(٦) سورة النور: ٥٧ .

وجوه مخالفة الشباب المفتونين بالتكفير والتفجير للإسلام(١)

لقد كثرت وجوه مخالفة الشباب المفتونين بالتكفير والتفجير للإسلام وتنوعت، وكل واحد منهم لو اقتصر عليه كفى به لمن أتى به مصيبة فكيف بها مجتمعة ومتنوعة وهذه جملة من تلك المخالفات مع ذكر الأدلة الدالة على شدتها وخطورتها .

الأول: تكفير المسلمين: قال ﷺ: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»(٢) .

وقال ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه : «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله! وليس كذلك إلا حار عليه**»(٣) .

وإذا كان هذا الوعيد في تكفير رجل واحد فكيف بتكفير أمة ؟!

الثاني: قتل المسلمين بغير حق: قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا﴾(٤) .

وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٥) .

وقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٦) .

وقال ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(٧) .

---

(١) انظر «بذل النصح والتذكير...» [ص ٤٠ - ٦٠] .

(٢) الحديث: صحيح - رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٢١٦) واللفظ له.

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم (٢١٧).

(٤) سورة النساء: ٩٢ .

(٥) سورة النساء: ٩٣ .

(٦) سورة المائدة: ٣٢ .

(٧) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

وقال ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»(١) .

وقال جندب بن عبد الله رضي الله عنه «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه فمن استطاع ألاّ يأكل إلا طيبًا فليفعل ،ومن استطاع ألا يحال بينه وبين الجنة بملء كف من دم هراقه فليفعل »(٢) رواه البخاري .

وقال الحافظ في الفتح بعد أن ذكر له طريقًا مرفوعًا عند الطبراني: «وهذا لو لم يرد مصرحًا برفعه لكان في حكم المرفوع لأنه لا يقال بالرأي وهو وعيد شديد لقتل المسلم بغير حق» (٣) .

الثالث: قتلهم أنفسهم :قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾(٤) .

وقال ﷺ : «**من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة**»(٥) .

الرابع: قتل المعاهدين: قال ﷺ : «**من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»(٦) .

وأما قتلهم خطأ فقد قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** ﴾(٧) .

الخامس: ترويع الآمنين: قال ﷺ : «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٨) .

---

(١) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٨٦٢).
(٢) الحديث صحيح: رواه البخاري (٧١٥٢) .
(٣) فتح الباري (١٣/ ١٣٠) .
(٤) سورة النساء: ٢٩، ٣٠ .
(٥) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٠٤٧) ، ومسلم (١٧٦).
(٦) الحديث صحيح: رواه البخاري (٣١٦٦).
(٧) سورة النساء: ٩٢ .
(٨) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٨٧٤) ، ومسلم (١٦١).

وروى الإمام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: «حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**»[1].

السادس: إتلافهم أموال غيرهم: قال الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[2].

وقال ﷺ: «**ومن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»[3] رواه البخاري. وإذا كان هذا فيمن أخذ أموال الناس دينًا وهو لا يريد أداءها فكيف بمن أتلف أموالهم بالتفجير والتدمير؟!

السابع: استيلاؤهم على مراكب غيرهم بالتهديد بالسلاح إذا عثر عليهم للهرب بها قال ﷺ: «**لا يحل لامرئ أن يأخذ مال أخيه بغير حق**»[4] رواه أحمد بإسناد حسن. وقال ﷺ في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم**»[5] أخرجه البخاري.

الثامن: إخفاء بعضهم نفسه بارتدائه لبس النساء: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»[6] أخرجه البخاري.

ووقوع هؤلاء الشباب في هذه المخالفات وغيرها ناتج عن فهومهم الخاطئة للنصوص وعدم رجوعهم للعلماء، وقد قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في**

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٣٦٢)، وأبو داود (٥٠٠٤).

(٢) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٣) الحديث صحيح: رواه البخاري (٢٣٨٧).

(٤) الحديث رواه أحمد (٢٣٦٠٥) بإسناد حسن.

(٥) الحديث صحيح: رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٦) الحديث صحيح: رواه البخاري (٥٨٨٥).

الدين»[١] فإن مفهومه أن من لم يرد الله به خيراً لم يفقهه في الدين.

والواجب على هؤلاء الشباب أن يتقوا الله في إسلامهم وفي أنفسهم وفي أهليهم وفي أمتهم وأن يتفقهوا في الدين وأن يرجعوا إلى أهل العلم ليسلموا من التخبط الذي أوقعهم في تلك المخالفات الكثيرة للإسلام وأن يتركوا الظلم لأنفسهم ولغيرهم فقد قال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[٢] أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه وأن يحذروا أن يكونوا من أهل الإفلاس في الآخرة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٣] أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن على هؤلاء الشباب أن يكونوا مؤمنين مسلمين مجاهدين مهاجرين حقًا؛ ففي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح[٤] عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**» فلو أن هؤلاء الشباب جاهدوا أنفسهم في طاعة الله لهجروا الخطايا والذنوب وسلم المسلمون من ألسنتهم وأيديهم، وأمنهم الناس على أموالهم وأنفسهم، لكنهم ركبوا رؤوسهم وابتعدوا عن العلماء فوقعوا فيما وقعوا فيه من قتل الأبرياء وتدمير المباني وغيرها وترميل النساء وتيتيم الأطفال. فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة فإن صبغة واحدة في النار تنسي كل نعيم في الدنيا ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه[٥] قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الحديث صحيح.

(٢) الحديث صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٩٥٨) بإسناد صحيح.

(٥) الحديث صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧).

«يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النـار يوم القيامة فيـصبغ في النار صبغـة ثم يقال: «يا ابن آدم هل رأيت خـيراً قط ؟ هل مـر بك نعيم قط؟ فـيقـول : لا والله يارب . ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصـبغ صبغة في الجنة. فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فـيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط ». وإن حرارة النار في الآخرة تفوق حـرارة النار في الدنيا بسبعين ضعفًا ففي صحـيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ناركم جزء من سبـعين جزءاً من نار جهنم**» قيل يارسول الله إن كـانت لكافية قال: « **فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها** » [(١)] .

وأسأل الله عـز وجل أن يثبت المهـتدين من الشبـاب المسلمين على هداهم ،وأن يزيدهم هدى ،وأن يتفضل بالهداية علـى من وقع منهم في الردى ويعيذهم من شرور أنفسهم ويهيئ لهم من أمرهم رشداً .

* * *

---

(١) الحديث صحيح: رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

منع الفساد في الأرض[١]

الفطر السليمة والعقول المستقيمة تأبى الفساد وترفضه، وتدعو إلى الإصلاح، وإلى ترسيخ قواعد الأمن والاستقرار.

إنها تحارب انتهاك حقوق الناس والسطو عليها بدون سبب معقول وتحارب أسباب الخوف والفزع، وترفض القتال العشوائي الذي تثيره النعرات الجاهلية، أو يصدر عن الهوى أو حب التسلط والملك.

فسفك الدماء وإبادة الناس، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم والاعتداء على معابدهم ومساجدهم بالهدم والإهانة، وتحريق الثمار والزروع.. كل ذلك إذا لم يكن موافقًا لهدي الإسلام وروح الشريعة، فهو ـ دون ريب ـ فساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل والله تعالى لا يحب الفساد.

والأدلة على منعه والنهي عنه متواترة، نسوق بعضها:

١ ـ يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[٢].

٢ ـ ويقول تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[٣].

ففي تينك الآيتين يحذر الله أشد التحذير من اتخاذ الإفساد مسلكًا من مسالك التعامل مع الآخرين بأي وجه كان، ولا سيما إذا كان الإنسان صاحب ولاية وزعامة على الناس ﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾.

٣ ـ وجعل الإسلام عقوبة المحاربين ـ وهم الجماعة من المسلمين يترصدون للمسلمين في الأماكن النائية فينتهكون حرماتهم وحقوقهم ـ فجعل عقوبتهم القتل، أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من البلاد ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ**

(١) انظر «الاستعانة بغير المسلمين» [ص / ٤٩ ـ ٥١].

(٢) سورة الرعد: ٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] .

هذا حكم الإسلام في الإفساد والتخريب.

ولهذا فالإسلام لما شرع الجهاد وضع له من الشروط والضوابط والقيود ما ينأى به عن مستوى الحروب الطاحنة التي تقع بين الناس بدافع الطمع أو الحقد، فلا تبقي ولا تذر وتكون نتائجها الفساد والخراب.

ولعل أهم تلك الضوابط:

١ ـ وجوب تبليغ الناس دعوة الإسلام وتوضيحه لهم.

٢ ـ دعوتهم إلى الدخول فيه.

٣ ـ فإن لم يقبلوا الإسلام دعوا إلى دفع الجزية.

٤ ـ فإن لم يدفعوها أنذروا بالحرب والقتال.

٥ ـ فإن دعوا إلى السلم والصلح وجنحوا لهما فلا مانع من تلبية دعوتهم، وعقد هدنة مؤقتة أو مطلقة معهم.

٦ ـ فإن لم يفعلوا شيئًا من ذلك قوتلوا عندئذٍ.

٧ ـ لكن لا يُقتل إلا من يقاتل أو يشارك في المعركة ، أما النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ومن لم يشارك فلا يجوز قتله.

٨ ـ ولا يجوز إحراق الحيوانات بدون ضرورة.

٩ ـ كما لا ينبغي إحراق الزروع والثمار والأشجار بدون حاجة وسبب. . هذه وصايا الإسلام.

ومنه نعلم ، أن علاقة المسلمين بغيرهم قائمة على احترام الحقوق، فلا يجوز اتخاذ الإفساد سبيلاً من سبل التعامل معهم، ولا يجوز منه إلا ما ألجأت إليه الضرورة واقتضته مصلحة الإسلام والمسلمين.

---

(١) سورة المائدة: ٣٣ ـ ٣٤ .

حقيقة الروح [1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١٣ / ٣٤١): «ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة: أن الروح عين قائمة بنفسها، تفارق البدن، وتنعم ، وتعذب، ليست هي البدن، ولا جزء من أجزائه، ولما كان الإمام أحمد رحمه الله ممن نص على ذلك كما نص عليه غيره من الأئمة؛ لم يختلف أصحابه في ذلك».

وقال في موضع آخر (٩ / ٩٣٠٣) «والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة، وليست من جنس الأجسام المتحيزات المشهودة المعهودة، وأما الإشارة إليها؛ فإنه يشار إليها، وتصعد، وتنزل، وتخرج من البدن، وتُسَلُّ منه؛ كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية» ثم قال:

«وأما قول القائل: أين مسكنها من الجسد؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد؛ فإن الحياة مشروطة بالروح؛ فإذا كانت الروح في الجسد؛ كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح؛ فارقته الحياة».

الروح مخلوقة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٢١٦): «روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين». وقال تلميذه العلامة ابن القيم[2] : «والذي يدل على خلقها وجوه. . .»، وذكر اثنى عشر وجهًا:

---

(١) انظر «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد » للشيخ / الفوزان [ص ٢١٢ ـ ٢١٥].

(٢) الروح: ١ / ١١٥ .

منها: قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[(١)] ؛ فهذا اللفظ عام، لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفاته؛ فإنها داخلة في مسمى اسمه؛ فالله سبحانه هو الإله الموصوف بصفات الكمال، وهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[(٢)] وهذا الخطاب لروحه وبدنه، وليس لبدنه فقط؛ فإن البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل، وإنما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾[(٣)] وهذا الإخبار إما أن يتناول أرواحنا وأجسادنا كما يقوله الجمهور، وأما أن تكون واقعًا على الأرواح قبل خلق الأجساد كما يقوله من يزعم ذلك، وعلى التقديرين؛ فهو صريح في خلق الأرواح.

ومنها: النصوص الدالة على أن الإنسان عبد بجملته، وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه، بل عبودية الروح أصل، وعبودية البدن تبع؛ كما أنه تبع لها في الأحكام، وهي التي تحركه وتستعمله، وهو تبع لها في العبودية.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[(٤)] ؛ فلو كانت روحه قديمة؛ لكان الإنسان لم يزل شيئًا مذكوراً؛ فإنه إنما هو إنسان بروحه لا بدنه.

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في صحيح البخاري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[(٥)] ، والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

---

(١) سورة الرعد: ١٦ .
(٢) سورة مريم: ٩ .
(٣) سورة الأعراف: ١١ .
(٤) سورة الإنسان: ١ .
(٥) صحيح: أخرجه البخاري معلقًا في أحاديث الأنبياء ووصله في الأدب المفرد ومسلم برقم (٤٧٧٣).

ومنها : أن الروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب.

كيفية قبض روح المتوفى وما لها بعد وفاته:

قد جاء بيان كيفية التوفى ومآل الروح بعده في حديث البراء بن عازب الطويل، وهذا نصه: عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ ، فقعد، وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» ثلاث مرات، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة ، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : يا أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء ، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة ؛ إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان ابن فلان ؛ بأطيب أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ، فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال : فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له : ما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي ؛ فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة . قال : فيأتيه من**

روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له : من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : يا رب! أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله وغضب . قال : فتفرق روحه في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها ؛ لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة ؛ إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون : فلان ابن فلان؛ بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له ، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1] فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى» فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول: من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر! فيقول: أنا

---

(١) سورة الأعراف: ٤٠ .
(٢) سورة الحج: ٣١ .

عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة»[(١)] .

رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وأبو عوانة وابن حبان في «صحيحيهما».

قال شارح الطحاوية: «وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد في الصحيح».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما الحديث المذكور في قبض روح المؤمن وأنه يصعد بها إلى السماء التي فيها الله؛ فهذا حديث معروف جيد الإسناد، وقوله: «فيها الله»: بمنزلة قوله تعالى: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** ﴾[(٢)] . انتهى[(٣)]

.

قال العلامة ابن القيم: «الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت: فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم؛ كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء ، لا جميعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره. ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة. ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس: هنيئًا له الجنة! فقال النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده؛ إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارًا في قبره**»[(٤)] ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**» .
رواه أحمد، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤١٢٧) والنسائي برقم(١٩٧٤) وابن ماجه برقم (١٥٣٨) وأحمد برقم (١٧٨٠٣) .

(٢) سورة الملك: ١٦ ـ ١٧ .

(٣) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٧١).

(٤) صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٩٠٨) ومسلم برقم (١٦٦).

بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تـعلُ روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضيـة، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كمـا لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتـسب في الدنيا معرفـة ربها ومحبـته وذكره والأنس به والتقرب إليه فهي أرضية سفليـة لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانـت في الدنيا عاكـفة على محـبة الله وذكره والقـرب إليه والأنس به تكون بعـد المفارقة مع الأرواح العـلوية المناسبة لـها، فالمرء مع من أحـب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضـها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث ويجعل روحه ـ يعني المؤمن ـ مع النسم الطيب أي الأرواح الطيبة المشاكلة فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

ومنها: أرواح تكون في تنور الزناة والزاني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعـيدها وشقيها مسـتقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض.

❊ ❊ ❊

هل الروح والنفس شيء واحد أم شيئان متغايران(١)

اختلف الناس في ذلك: فمن قائل: إنهما شيء واحد وهم الجمهور. ومن قائل: إنهما متغايران.

والتحقيق أن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على أمور:

منها الروح؛ يقال: خرجت نفسه؛ أي: روحه، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾(٢) .

ومنها الذات: يقال: رأيت زيدًا نفسه وعينه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾(٣) .

ومنها : الدم؛ يقال: سالت نفسه، ومنه قول الفقهاء: ما له نفس سائلة، وما ليس له نفس سائلة، ومنه يقال: نفست المرأة إذا حاضت ونفست إذا نفسها ولدها، ومنه النفساء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ويقال: النفوس ثلاثة أنواع، وهي:

النفس الأمارة بالسوء: التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي.

والنفس اللوامة : وهي التي تذنب وتتوب؛ ففيها خير وشر، ولكن إذا فعلت الشر؛ تابت وأنابت، فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولا تتلوم ؛ أي: تتردد بين الخير والشر.

والنفس المطمئنة : وهي التي تحب الخير والحسنات، وتبغض الشر والسيئات، وقد صار ذلك لها خلقًا وعادة.

فهذه صفات وأحوال لذات واحدة ؛ لأن النفس التي لكل إنسان وهي نفس

---

(١) انظر «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» [٢١٧ ـ ٢١٨].

(٢) سورة الأنعام: ٩٣ .

(٣) سورة النور: ٦١ .

واحدة.

والروح أيضًا تطلق على معان:

منها: القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(١) .

ومنها : جبريل؛ قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾(٢)

ومنها: الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه ورسله؛ قال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(٣) ، سمى روحًا لما يحصل به من الحياة النافعة، فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها ألبتة، وسميت الروح روحًا لأن بها حياة البدن. وتطلق الروح أيضًا على الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه.

وتطلق الروح على ما سبق بيانه،وهو ما يحصل بفراقه الموت، وهي بهذا الاعتبار ترادف النفس ويتحد مدلولهما، ويفترقان في أن النفس تطلق على البدن وعلى الدم، والروح لا تطلق عليهما. والله أعلم.

* * *

(١) سورة الشورى: ٥٢ .

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣ .

(٣) سورة غافر: ١٥ .

فتنة القبر وعذابه ونعيمه

الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ومن ذلك الإيمان بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه.

وذلك أن بين الموت الذي تنتهي به الحياة الأولى وبين البعث الذي تبتدئ به الحياة الثانية ـ وبعبارة أخرى: بين القيامة الصغرى والقيامة الكبرى ـ فترة جاءت تسميتها في القرآن الكريم برزخًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(١).

والبرزخ لغة: الحاجز بين الشيئين.

وفي هذا البرزخ نموذج من الجزاء الأخروي؛ فهو أول منزل من منازل الآخرة، ففيه سؤال الملكين ثم العذاب أو النعيم.

سؤال الملكين:

ويسمى بفتنة القبر، وهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم.

وهي عامة للمكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم، وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين: فقيل: لا يفتنون لأن المحنة إنما تكون للمكلفين. وقيل: يفتنون.

وحجة من قال: إنهم يسألون: أنه يشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

* * *

(١) سورة المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

عذاب القبر وأدلته من القرآن الكريم

قيل: إن القرآن الكريم لم يتعرض لعذاب القبر مطلقًا، وإنما ورد ذكره في السنة النبوية فقط فهل حقًا لا يوجد آيات في القرآن تدل على عذاب القبر؟

هذا القول زور وبهتان عظيم، فإن القرآن الكريم، قد نوه على عذاب القبر.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[١] .

قال أبو سعيد الخدري: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه.

ورفعه بعضهم إلى النبي ﷺ .وقال الحافظ ابن كثير: والموقوف أصح.

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال: « **عذاب القبر** ».

وقال الحافظ ابن كثير: وإسناده جيد[٢] .

ويجب أن نعلم أن مذهب السلف الصالح وأئمتهم أن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن ويحصل لها معها النعيم أو العذاب. ثم إذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين.

الدليل الثاني: يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقيل في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾[٣] :هو عذاب القبر؛ لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾[٤] وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا، فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر[٥] .

---

(١) سورة طه: ١٢٤ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٤ ـ ٥٤٥) ط. دار الأندلس. بيروت.

(٣) سورة الطور: ٤٧ .

(٤) سورة الطور: ٤٥ .

(٥) انظر «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» ص ١٥٢ ـ ١٥٣، ط دار الريان للتراث.

ويقول ابن قيم الجوزية: فهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو الأظهر ؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا.

الدليل الثالث: ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[١].

وقد احتج بهذه الآية ابن عباس رضي الله عنهما في عذاب القبر ، وهذا مما يدل على فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه ، فإنه سبحانه أخبر أن لهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنهم بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا فدل على إثبات عذاب القبر.

وبهذا قال البراء بن عازب، ومجاهد، وأبو عبيدة كما قال ذلك الحافظ ابن كثير[٢] .

الدليل الرابع: قوله عز وجل: ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[٣] فذكر الله عز وجل عذاب الدارين دار البرزخ ودار القرار ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره.

قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور[٤] ويوضح هذا قوله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة**»[٥].

---

(١) سورة السجدة: ٢١ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٤١٤ ـ ٤١٥)، ط. دار الأندلس بيروت . وانظر كتاب «عذاب القبر» للشيخ محمد الزغبي . ط. دار المنار.

(٣) سورة غافر: ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٤٢ ـ ٤٤)، ط. الأندلس . بيروت.

(٥) الحديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (٣ / ٢٤٣) باب الميت يعرض عليه مقعده (٨٩) (ح) (١٣٧٩)، ومسلم في صحيحه (٤ / ٢١٩٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) (ح) (٦٥ / ٢٨٦٦).

الدليل الخامس: في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [(١)].

وقد قال طائفة من المفسرين: يقال لها ذلك عند الموت؛ لأنه خطاب للنفس التي تجردت عن البدن وخرجت منه.

قلتُ: ويؤكد هذا حديث سعيد بن جبير قال: قرأت عند النبي ﷺ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا لحسن، فقال له النبي ﷺ: «**أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت**».

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الحديث: وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن ابن يمان وهذا مرسل حسن[(٢)] .

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [(٣)].

فذكر الله عز وجل هاهنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية، إذ هي أهم وأولى بالذكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ [(٤)].

---

(١) سورة الفجر: ٢٧ ـ ٣٠ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٦٥٨ ، ٦٥٩)، ط. دار السلام ـ الفيحاء.

(٣) سورة الواقعة: ٨٣ ـ ٩٦ .

(٤) سورة التكاثر: ١ ـ ٤ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ :ما ينزل بكم من عذاب القبر. ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ : في الآخرة إذا دخل بكم العذاب. فالأول: في القبر. والثاني: في الآخرة ، فالتكرير للحالتين[(١)] .

وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [(٢)] يعني : في القبور.

وقال الحافظ ابن كثير : والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي صرتم إليها ودفنتم بها .

وهذا ما تيسر لنا جمعه من آيات القرآن الكريم التي توضح عذاب القبر. وهذا يدل على فساد المخالفين، ندعو الله لهم ولنا بالهداية فهو القادر على كل شيء.

* * *

---

(١) انظر: «التذكرة» (ص١٥١ ـ ١٥٣)، ط. دار الريان للتراث.

(٢) الحديث ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٥ / ٢٣٤ ، ٢٣٥) كتاب التفسير (ح) (٣٣٦٦) وقال: حديث غريب. وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم. وذكره ابن كثير (٤ / ٨٦٦) ولم يعقب عليه.

أدلة عذاب القبر في السنة

السنة النبوية زاخرة بأحاديث كثيرة تبين وتوضح وتشير إلى عذاب القبر وشدته، اذكر بعضًا من هذه الأحاديث لتكون لنا عونًا على الذكرى؟

أدلة السنة كثيرة ومنها أحاديث بلغت حد التواتر في إثبات عذاب القبر، ولا ينكر هذا إلا من أعمى الله قلبه وبصره فهو لا يدري النور من الظلام، والهدى من الضلال، والغي من الرشاد ،وإلى الله المرجع والمآب، وهو الأعلم بالصواب. وإليك جملة من الأحاديث:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما يُعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول** ـ ويروى : **لا يستنزه من البول ـ وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**». ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة وقال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[١] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل رسول الله يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى القبر ثم قال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» قالها مرارًا. ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع عن الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج نفسه تسيل كما يسيل قطر السقاء ، ثم تنزل ملائكة من السماء**

---

(١) الحديث صحيح: أخرجه البخاري (١ / ٣١٧) كتاب الوضوء (٤) (ح) (٢١٦) وفي (٣ / ٢٢٣) كتاب الجنائز (٢٣) باب (٨١) (ح) (١٣٦١) وفي (١٠ / ٤٦٩) كتاب الأدب (ح) (٦٠٥٢)، ومسلم في صحيحه (١ / ٢٤٠ ، ٢٤١) كتاب الطهارة (٢) (ح) (١١١ / ٢٩٢)، وأخرجه أبو داود (٢٠)، وكذا النسائي (١ / ٢٨ ، ٣٠)، والترمذي (٧٠)، وراجع «رياض الصالحين» برقم (١٥٣٧) بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي.

بيض الوجـوه كـأن وجوههم الـشمس، مـعـهـم أكفـان من أكـفـان الجنة، وحنوط من حنوطها فـيجلسون منه مـد البصر فـإذا قبضـها الملك لم يدعـوها في يده طرفة عين».
قال: «فذلك قول الله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾[(١)]».

قال: «فتخـرج نفسه كأطيب ريح وجـدت بها الملائكة فلا يأتون على جند فـيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقال: فلان ـ بأحسن أسمائه ـ حتى ينتهوا به إلى السمـاء الدنيا فيفتح له، ويشيعه من كل سمـاء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقال: اكتبوا له كتابه في عليين وما أدراك ما عليون، كتاب مرقوم يشهـده المقربون فيكتب في عليـين ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإني وعـدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى».

قال: «فـيرد إلى الأرض وتعـاد روحه فـيأتيـه ملكان شـديدا الانتهـار فينهـرانه، ويجلسانه، فيقولان: من ربك، وما دينك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما بيديه؟ فيقول: جاء بالبينات من ربنا، فآمنت به وصدقت»، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [(٢)].

قال: فينادي منادٍ من السماء: صدق عبـدي، فألبسوه من الجنة، وأَرُوه منزله منها. فيـفسح لـه مد البـصر، ثم قـال: ويمثل له عمله في صـورة رجل حسن الوجـه، طيب الريح، حـسن الثياب، فـيقـول له: أبشر بما أعـد الله لك، أبشر برضـوان الله، وجنات النعيم، فـيقول: بَشَّرَكَ الله بخـير، من أنت ؟ فوجهك الذي جـاء بالخير، فيـقول: هذا يومك الذي كنت توعـد، أنا عملك الصـالح، فو الله مـا علمتك إلا كنت سـريعًا في طاعة الله، بطيـئًا عن معصـية الله، فجزاك الله خـيرًا، فيقول: يا رب أقم الـساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي ».

---

(١) سورة الأنعام: ٦١ .

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧ .

قال: «فإن كان فاجراً، وكان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، جاءه ملك الموت، فجلس عند رأسه فقال: اخْرُجي أيتها النفس الخبيثة، اخْرُجي بسخط الله وغضب، فتنزل ملائكة سود الوجوه، معهم مسوح (كساء فيه شعر) من النار، فإذا قبضها الملك، قاموا، فلم يدعوها في يده طرفة عين تتفرق، فيستخرجها، وقد تقطع منها العروق، والعصب كالسفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن جيفة وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان ـ بأسوأ أسمائه ـ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فلا تفتح لها، فيقولون: رُدُّوها إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيرمي به من السماء»، وتلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١).

قال: «فيعاد إلى الأرض، فتعاد فيه الروح، ويأتيه ملكان شديدَا الانتهارِ، فينهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولون: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد. فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك فقلته».

قال: «فيقال له: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا بطيئًا في طاعة الله، سريعًا إلى المعصية».

قال: «فيقيض الله أصم أبكم، ومعه مرزبة، لو ضرب بها جبلاً لصار ترابًا فيضربه ضربة فيسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم يقال: افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له بابًا إلى النار» (٢).

---

(١) سورة الحج: ٣١.

(٢) الحديث صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة» (٤ / ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤)، وابن ماجه في=

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة: **«اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات...»**(١) .

ويقول ﷺ : **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر»**(٢) .

ويقول ﷺ : **«إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منها فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»**(٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: **«نعم، عذاب القبر حق»**.

فقالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى إلا تعوذ بالله من عذاب القبر(٤) .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لولا أن تدافنوا**

= السنن (١٥٤٨)، والنسائي (٤ / ٧٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢١٩)، والطيالسي (٧٥٣)، والحاكم (١ / ٣٧، ٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأقره ووافقه الذهبي. وأحمد في «المسند» (٤ / ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وقال الحافظ العراقي: وضعفه ابن حبان. وراجع «إحياء علوم الدين» (٥ / ١١٢) تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. وصححه الشيخ الألباني، وراجع صحيح الجامع (١٦٧٦).

(١) الحديث صحيح: أخرجه البخاري (٢ / ٣١٧) كتاب الأذان (١٠) باب (١٤٩) (ح) (٨٣٢)، ومسلم في صحيحه (١ / ٣١٢) كتاب المساجد (٥) (ح) (١٢٩ / ٥٨٩).

(٢) الحديث حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٦٥٨٢ ـ ٦٦٤٦) من طريقين عن عبد الله بن عمر، والترمذي من أحد الوجهين. وقال الشيخ الألباني: وله شواهد عن أنس وجابر بن عبد الله وغيرهما، فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح، راجع المشكاة (١٣٦٧)، وأحكام الجنائز ص٣ ، وصحيح الجامع برقم (٥٧٧٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الحديث الصحيح: أخرجه البخاري (٣ / ٢٣٢) كتاب الجنائز (٢٣) باب (٨٦) (ح) =

لدعوت الله أن يسمعـكم من عذاب القبر» ثم قال: «**تعوذوا بالله من عـذاب القبر»** فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر.

ثم قال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر..**»[1].

ونكتفي بهذه الأحاديث؛ لأن أحاديث عذاب القبـر كثيرة جدًا ولقد بسطتها في غير هذا الموضع فـمن شاء فليراجع كتاب «جـامع الحياة البرزخيـة» طبعة دار الغد الجديد.

* * *

= (١٣٧٢)، ومـسلم في صحـيحـه (١ / ٤١١) كتـاب المساجـد (٥) باب (٢٤) (ح) (١٢٥ / ٥٨٦).

(١) الحديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيـحه (٤ / ٢٢٠٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) (ح) (٦٧ / ٢٨٦٧).

الحساب[(١)]

الحساب لغة: العدد، وشرعًا: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[(٢)].

وكان النبي ﷺ يقول في صلاته: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**» فقالت عائشة رضي الله عنها: ما الحسابُ اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه**» رواه أحمد. وقال الألباني: إسناده جيد[(٣)].

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفة الحساب للمؤمن: «أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته». وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين متفق عليه من حديث ابن عمر[(٤)].

---

(١) انظر «لمعة الاعتقاد ـ شرح وتعليق ابن عثيمين رحمه الله، تحقيق أشرف عبد المقصود. [ص١١٧ ـ ١٢١].

(٢) سورة الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٦ / ٤٨) وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٨٨٥) واللفظ لأحمد.

وقال الألباني في تخريج السنة (٢ / ٤٢٩): «إسناده صحيح» اهـ.

وأصل الحديث في الصحيحين عند البخاري (١٠٣)، (٦٥٣٦)، (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦) (٧٩) عنها بلفظ: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، قلت: أوليس يقول الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك».

(٤) البخاري: كتاب المظالم: باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين) (٢٤٤١).

ومسلم: كتاب التوبة: باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨) (٥٢) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ وهم سبعون ألفًا من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب . متفق عليه[١] وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعًا « أن مع كل واحد سبعين ألفًا» قال ابن كثير: حديث صحيح وذكر له شواهد[٢] .

وأول من يحاسب هذه الأمة لقول النبي ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق**» متفق عليه[٣] ، وروى ابن ماجه عن ابن عباس

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (٦٥٤١). ومسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠) (٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي الباب: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عند البخاري (٥٨١١) (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) (٣٦٧) وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: عند مسلم (٢١٨) (٣٧١).

(٢) حسن: حديث ثوبان عند الطبراني في الكبير (١٤١٣) وأحمد (٥ / ٢٨٠ ، ٢٨١) من طريق محمد بن إسماعيل الحمصي حدثني أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفًا لا يحاسبون مع كل ألف سبعين ألفًا» وسكت عنه الهيثمي في (المجمع (١٠ / ٤٠٧) ولم يتكلم عليه بشيء. مع أن فيه محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصي.

قال أبو داود : لم يكن بذاك وقال أبو حاتم :لم يسمع من أبيه شيئًا . راجع التهذيب (٩ / ٥١ ، ٥٢) والمغني في الضعفاء للذهبي (٢ / ٥٥٥). وللحديث شواهد كثيرة ذكرها ابن كثير في النهاية (٣٢٢ ـ ٣٣٠) منها حديث أنس عند البزار فيه أبو عاصم العباداني لين الحديث كما في التقريب. ومنها حديث أبي أمامة: عند أحمد (٥ / ٢٦٨) والترمذي (٣٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦) وصححه ابن حبان (٢٦٤٢ ـ موارد).

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري عند ابن أبي عاصم في السنة (٨١٤) وضعف إسناده الألباني في تخريج السنة (٢ / ٣٨٥) وغير ذلك من الشواهد . وراجع النهاية لابن كثير .

وبالجملة فالحديث حسن على أقل أحواله بهذه الشواهد.

(٣) الحديث بهذا اللفظ : عند مسلم كتاب الجمعة: باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٦) (٢٢) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما ولفظه عند البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) (٢١): «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا» من حديث أبي هريرة.

مرفوعًا «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب**» الحديث(١) .

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبي ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ،فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**» رواه الطبراني في الأوسط وسنده لا بأس به إن شاء الله ، قاله المنذري في الترغيب والترهيب(٢) ص (٢٤٦) (ج ١) وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لقول النبي ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**» متفق عليه(٣) .

الميزان:

الميزان ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد .وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾(٤) .

وقوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾(٥) .

وقال ﷺ : «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان في الميزان**»(٦) وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

وهو ميزان حقيقي له كفتان لحديث صاحب البطاقة قال ﷺ : «**فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة**»(٧) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٠) وأحمد (١ / ٢٨٢ / ٢ / ٢٧٤ ، ٣٤٢ والبيهقي في دلائل النبوة (٥ / ٤٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما،وقال البوصيري في الزوائد (٣ / ٣١٧): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٤١٣) والنسائي (١ / ٢٣٢) وابن ماجه (١٤٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ١٨٥).

(٣) البخاري: كتاب الديات: باب قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[النساء: ٩٣] (٦٨٦٤)، ومسلم: كتاب القسامة: باب المجازاة بالدماء في الآخرة، (١٦٧٨) (٢٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) سورة الأعراف: ٨ ، ٩.

(٥) سورة الأنبياء: ٤٧ .

(٦) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٤٥٧٢ ـ الألباني.

(٧) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٧٧٦ ـ الألباني.

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعـدد، قال بعضهم :هو متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال لأنه لم يرد إلا مجموعًا في القرآن وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعـضهم :هو مـيزان واحد لأنه ورد في الحـديث مفـردًا، وأما جمـعه في القرآن فباعتبار الموزون ، وكلا الأمرين محتمل.

والذي يوزن العمل لظاهر الآية، وقـيل :صحائف العمل لحديـث البطاقة وقيل: العامل نفسه لحديث أبي هريرة المرفوع: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يـوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»[١] .

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن[٢] .

الحوض:

من خصائص النبي ﷺ يوم القـيامة التي اختص بها نبيـه أن أعطاه حوضًا واسع الأطراف ، مـاء هذا الحـوض أبيض من اللبن وأحلى من العـسل وريحـه أطيب من المسك وأكوابه كنجوم السماء. فقـد صح عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيـزانه كنجوم السماء من يشرب منهـا فلا يظمأ أبدًا**»[٣] .

وفي رواية لمسلم: «**ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء**».

واختلف العلمـاء في مكان هذا الحوض فقـال بعضهم كالغـزالي والقرطبي: إنه يكون بعـد الصراط؛ لأن البـخـاري أورد أحاديث الحـوض بعـد أحاديث الشـفاعـة وأحاديث الصراط.

وهذا الحوض لا يشرب منه كل أحد ؛ فقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن مسـعود أن النبي ﷺقال: «**أنا فرطكم على الحوض وليـرفعن إلي رجال**

---

(١)انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٢٤٠٧ الألباني.

(٢)مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ٦ / ٦٤ ـ ٦٥ .

(٣)انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣١٦١ الألباني.

منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وورد في نفس الصحيحين بنحوهما أيضًا .

وقال القرطبي في هذه الأحاديث: «قال علماؤنا رحمهم الله تعالى: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع .

ثم يقول: إن البعد قد يكون في حال ويقربون بعد ذلك بالمغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد»[1] اهـ.

الصراط[2] :

ومما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة الصراط الذي ينصبه الله ـ عز وجل ـ فوق جهنم موصلاً إلى جنته ، فمن خف عليه ونجا دخل الجنة، ومن تعثر عليه هلك ووقع في النار وبئس القرار عياذًا بالله من حال أهل البوار.

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعْدان هل رأيتم السعدان؟»**.

قالو: نعم يا رسول الله .

قال: **«فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل»**[3] .

(١) القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٢ بتصرف، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص/ ١٦٣ ـ ١٦٤].

(٢) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة [ص / ١٩٤ ـ ١٩٧].

(٣) رواه البخاري (١١ / ٤٤٥) الرقاق.

الجنة والنار:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، ونحن لا نستفيض في وصف الجنة والنار، وإن كان الإيمان بكل ما ثبت من صفتهما واجب على كل مسلم، ولكن يمكن الرجوع إلى كتب الرقائق.

ونحصر البحث هنا في أمور:

الأول: كونهما حقًا لا ريب فيهما ولا شك، والنار دار أعداء الله، والجنة دار أولياء الله.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وعن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» (٣).

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن كما قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (٥)، وأخبر عن مكانها فقال: ﴿عِندَ سِدْرَةِ

---

(١) سورة البقرة: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) سورة يونس: ٧ ـ ١٠.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٥) سورة الحديد: ٢١.

الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ (١) ، وقال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢).

فالجنة فوق السماء السابعة سقفها عرش الرحمن، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه في وسط الجنة وأعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن**».

وقال عز وجل عن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (٤) .

وقال عز وجل: ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٥) .

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون في الزمهرير**» (٦) .

الثالث: في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبدًا، ولا يغني من فيهما قال الله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧) .

وقال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (٨) . هذا في حق الجنة وأهلها.

وقال تعالى مخبرًا عن النار وأهلها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٩).

---

(١) سورة النجم: ١٤ ، ١٥ .
(٢) سورة الذاريات: ٢٢ .
(٣) سورة البقرة: ٢٤ .
(٤) سورة الفرقان: ١١ .
(٥) سورة الإنسان: ٣١ .
(٦) رواه البخاري (٦ / ٣٣٠) بدء الخلق، ومسلم (٥ / ١١٩) المساجد، والترمذي (١٠ / ٦٠) صفة جهنم، وأحمد (٢ / ٢٣٨).
(٧) سورة التوبة: ١٠٠ .
(٨) سورة الحجر: ٤٨ .
(٩) سورة الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٥ .

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[(١)] .

وقال عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[(٢)] .

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول** : هل تعرفون هذا ؟ **فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون . فيقول** : هل تعرفون هذا ؟ **فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت**» ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾[(٣)] . وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»[(٤)] .

الرابع: يجب أن نعتقد أن عصاة الموحدين تمسهم النار بقدر جنايتهم، ثم يخرجون منها برحمة الله ـ تعالى ـ ثم بشفاعة الشافعين وهم يسكنون الطبقة العليا من النار التي لا يبقى فيها أحد من الموحدين، وأنهم يخرجون منها ويدخلون جنة الله عز وجل ـ ويأتي عليها يوم وهي تصفق أبوابها ليس بها أحد، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ خلافًا لمن استدل بها على فناء النار.

قال ابن القيم رحمه الله: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب ـ كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض ـ وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة ؛ فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض[(٥)] .

---

(١) سورة الجن: ٢٣ . (٢) سورة البقرة: ١٦٧ .

(٣) سورة مريم: ٣٩ .

(٤) رواه ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٤١٥) الرقاق، ومسلم (١٨ / ١٨٤ ، ١٨٥) صفة الجنة.

(٥) الوابل الصيب (١١).

فناء النار:

مسألة فناء النار من المسائل العقدية التي تعددت أقوال العلماء فيها والمتعين كما قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في فتاوى العقيدة[١]: إنها مؤبدة ولا يكاد يُعرف عن السلف سوى هذا القول، ولهذا جعلها العلماء من عقائدهم بأن نعتقد ونؤمن بأن النار مؤبدة أبد الآبدين. وهذا الأمر لا شك فيه لأن الله تعالى ذكر التأبيد في ثلاثة مواضع من القرآن:

الأول: في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[٢].

الثاني: في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[٣].

الثالث: في سورة الجن: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[٤].

ولو ذكر الله التأبيد في موضع واحد لكفى فكيف وقد ذكره الله في ثلاثة مواضع. وأما ما نُقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بقولهم بفناء النار فهذا دليل عليه لا تصريحًا ولا تلميحًا من كتبهم كما حقق في ذلك الدكتور علي عبد الله جابر في رسالته الرد على من اتهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في فناء النار.

والجهم بن صفوان قال بفناء النار بل كذلك بفناء الجنة وهذا ضلال في الاعتقاد حتى أنشد ابن القيم فيه أبياتًا قال فيها:

وقضى بأن النار لم تخلق ولا ... جنات عدن بل هما عدمان

فإذا هما خلقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان

---

(١) مجموع فتاوى العقيدة - محمد بن صالح العثيمين ١ / ٥٥، وانظر معجم ألفاظ العقيدة [ص/ ٣٢٤ - ٣٢٤].

(٢) سورة النساء: ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٦٤.

(٤) سورة الجن: ٢٣.

الشهادة بالجنة أو النار للمعين[١] :

قوله: (ولا يشهد على أحد ولا يشهد له بعمل خير ولا شر) هذه مسألة الشهادة بالجنة أو النار للمعين؛ فلا يشهد لمعين بجنة، ولا يشهد له بنار إلا بدليل من الكتاب والسنة، أما من لم يدل دليل على أنه من أهل الجنة حتى ولو كان صالحًا مؤمنًا فلا يشهد له، لأننا لا ندري بم يختم له، وكذلك العاصي أو الكافر لا نجزم أنه من أهل النار، لأنه قد يتوب ونحن لا ندري، قال ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فلا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[٢] الأعمال بالخواتيم، والخواتيم لا يعلمها إلا الله علام الغيوب سبحانه وتعالى، لكننا نخاف على أهل المعاصي ونرجو لأهل الطاعات ولا نجزم، بل نرجو للمطيعين ولا نجزم، ونخاف على العصاة ولا نجزم ، هذا بالنسبة للمعينين، أما بالنسبة للعموم: فنجزم أن أهل الإيمان من أهل الجنة، ونجزم أن الكفار من أهل النار، قال الله تعالى في النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٣] وقال في الجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤] هذا من حيث العموم أما من حيث الأفراد والمعينين فهذا يوكل إلى الله سبحانه وتعالى، لكننا نتعامل معهم فيما يظهر، نتعامل مع أهل الطاعة فيما يظهر، ونتعامل مع أهل المعاصي فيما يظهر لنا، نحكم على الظاهر فقط، لا على المصير والعاقبة فهذه بيد الله سبحانه وتعالى.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر «شرح السنة» [ص / ١٣٣ ـ ١٣٤] .

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران: ١٣١ .

(٤) سورة آل عمران: ١٣٣ .





أسئلة هامة والأجوبة عليها

ما معنى الطاغوت ؟ (١)

والطاغوت: اسم لكل ما عُبد من دون الله، فكل معبود من دون الله يسمى طاغوتًا. فالأصنام والأشجار والأحجار والكواكب المعبودة من دون الله كلها طواغيت. وهكذا من عُبد وهو راضٍ كفرعون ونمرود وأشباههما يقال له طاغوت.

وهكذا الشياطين طواغيت؛ لأنهم يدعون إلى الشرك . وأما من عُبد من دون الله ولم يرض بذلك كالأنبياء والصالحين والملائكة فهؤلاء ليسوا طواغيت، وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعا إلى عبادته من جن وإنس.

أما الرسل والأنبياء والصالحون والملائكة فهم بُرآء من ذلك، وليسوا طواغيت، لأنهم أنكروا عبادتهم وحذروا منها وبينوا أن العبادة حق الله وحده سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾(٢) ، يعني ينكر عبادة غير الله ويتبرأ منها ويجحدها ويبين أنها باطلة ﴿ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ يعني يؤمن بأن الله هو المعبود بالحق، وأنه هو المستحق للعبادة ، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم رب كل شيء ومليكه ، العالم بكل شيء، والقاهر فوق عباده ، وهو فوق العرش فوق السموات سبحانه وتعالى، وعلمه في كل مكان.

❊ ❊ ❊

لماذا يتكلم الله بصيغة الجمع والمفرد ؟ (٣)

س: لماذا يتكلم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أحيانًا بصيغة الجمع؟

الجواب:

الحمد لله .

الجواب نوعان:

---

(١) انظر أركان الإسلام [ص / ٤٣ ـ ٤٤].

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦ .

(٣) انظر فتاوى العقيدة [ص / ٤٦].

أولاً: الجواب الإجمالي: على كل مؤمن أن يعتقد أن أفعال الله لم تكن إلا لحكم جسيمة وغايات محمودة ولا يلزم من ذلك أن تتضح لكل أحد وهذا نوع من أنواع الابتلاء والاختبار كما قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[١] .

ثانيًا: الجواب التفصيلي: أن القرآن جاء بلغة العرب ، ولغة العرب يصح فيها إطلاق لفظ الجمع على الواحد، كما يصح إطلاق لفظ المفرد على الواحد لكن إطلاق لفظ الجمع يكون من باب التعظيم ولا أحد أعظم من الله فيكون إطلاق لفظ المفرد لإثبات كونه واحدًا لا شريك له وإطلاق لفظ الجمع لإثبات عظمته سبحانه.

ولابن تيمية كلام يفيدنا في هذه المسألة قال رحمه الله في مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٨ : «وأما القرب ـ معنى قرب الله ـ فذكر تارة بصيغة المفرد كقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾[٢] وفي الحديث: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[٣] وتارة بصيغة الجمع كقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٤] وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ ﴾[٥] ، ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾[٦] أما قوله نتلو، ونقص ونحوه فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه، فإذا فعل أعوانه فعلاً بأمره قال: نحن فعلنا، كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد وهزمنا هذا الجيش ، ونحو ذلك ، والله أعلم.

* * *

(١) سورة هود: ٧ .

(٢) سورة البقرة: ١٨٦ .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٤) الذكر والدعاء ـ باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، من حديث أبي موسى الأشعري .

(٤) سورة ق: ١٦ .

(٥) سورة القصص: ٣ .

(٦) سورة الأعراف: ١٠١ .

سؤال : نريد معرفة مدة خلق السموات والأرض وما بينهما بالدليل ؟

الجواب[١] : الثابت والصحيح الذى دلت عليه الأدلة الصحيحة: أن الله خلق العالم كله سماواته وأرضه وما بينهما فى ستة أيام ، كما أخبر بذلك فى كتابه بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [٢] ، وقول الله تعالى :﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[٣] ، وقوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ [٤] ، وغير ذلك من الآيات الكثيرة . والأيام هى الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق ؛ لأنه اليوم السابع ومنه سمى السبت وهو القطع ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فأما الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه بلفظ «خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد ،وخلق الشجر فيها يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ،وخلق النور يوم الأربعاء ،وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة ، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » [٥] .

فقد أخرجه الإمام أحمد والنسائي ومسلم عن غير وجه ، وفيه استيعاب الأيام السبعة ، وقد تكلم البخاري وغير واحد من أئمة الحديث على أن هذا الحديث من رواية أبى هريرة عن كعب الأخبار ، وليس مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، وإنما وهم بعض الرواة في رفعه إلى النبي ﷺ ، وعلى ذلك فإن هذا الحديث الموقوف لا يقوى على معارضة الآيات والأحاديث الصحيحة المرفوعة ، فلا يحتج به عليها ، وبذلك يزول الإشكال ويتم الجمع بينهما .

---

(١) انظر اللجنة الدائمة (٢٠١٦٤) .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

(٣) السجدة: ٤ .

(٤) ق : ٣٨ .

(٥) الحديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (٢٧/ ٢٧٨٩) .

لله الخلق والأمر[(١)]

س : ما معنى قوله تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾[(٢)] ؟

الجواب:

الحمد لله.

إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء ومن ذلك خلق السماوات والأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما من السماوات الطباق والأرضين المهاد والكواكب النيرة والنجوم المضيئة والجبال الراسية والمعادن المتنوعة والأشجار المختلفة والمياه النافعة والحيوانات المختلفة والرياح المتجددة والملائكة العظام والإنس والجان والطير والحيوان والجماد والنبات: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾[(٣)] .

إن هذه المخلوقات العظيمة تدل على عظمة الخالق، وكثرتها تدل على قدرة الخالق ،وألوانها وأجناسها تدل على خبرة الخالق واختلاف وظائفها ومنافعها يدل على حكمة الخالق وحفظها وتدبيرها يدل على حياة الخالق وعلمه وقدرته وقوته وذلك هو: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[(٤)] .

إن ربنا الذي علم كل شيء وملك كل شيء وخلق كل شيء: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[(٥)] .

سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ما شاء كان ،وما لم يشأ لم يكن، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٦)] .

---

(١) انظر فتاوى العقيدة [ص ٤٧ ـ ٤٩].
(٢) سورة الأعراف: ٥٤ .
(٣) سورة لقمان: ١١ .
(٤) سورة البقرة: ٢٥٥ .
(٥) سورة الأعراف: ٥٤ .
(٦) سورة يس: ٨٢ .

ربنا على كل شيء قـدير يخلق ما يشاء كـيف يشاء: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١) .

ربنا قوي عزيز: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾(٢) .

ربنا بكل شيء عليم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

ربنا الذي خلقنا وخلق أرزاقنا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾(٤) .

ربنا لطيف خبير: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(٥) .

ربنا عليم قدير: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾(٦) .

ربنا جـواد كريم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٧) .

ربنا حكيم عليم: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)

---

(١) سورة النور: : ٤٥ .

(٢) سورة لقمان: ١٠ .

(٣) سورة المجادلة: ٧ .

(٤) سورة فاطر: ٣ .

(٥) سورة لقمان: ١٦ .

(٦) سورة الشورى: ٤٩ ـ ٥٠ .

(٧) سورة غافر: ٦٤ .

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾[١] .

ربنا الذي خلق البشرية كلها من نفس واحدة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[٢] .

ربنا قوي قدير: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[٣] .

ربنا خلق كل شيء: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٤] .

ربنا محيط بكل شيء: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[٥] .

الأمر كله لله: ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[٦] .

وتدبير الأمور بيد الله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[٧]

أمرنا الله ألا نعبد إلا إياه، ولا نحتكم لأحد سواه: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[٨] .

أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٩] .

أمرنا الله بالأخلاق الحسنة ونهانا عن الأخلاق السيئة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

---

(١) سورة الفرقان: ٤٧ ـ ٤٩ .
(٢) سورة النساء: ١ .
(٣) سورة فاطر: ٤١ .
(٤) سورة الزمر: ٦٢ .
(٥) سورة النساء: ١٢٦ .
(٦) سورة الروم: ٤ .
(٧) سورة هود: ١٢٣ .
(٨) سورة يوسف: ٤٠ .
(٩) سورة آل عمران: ١٣٢ .

وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

أمرنا الله بالتعاون على الخير وحذرنا من كل شر بقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٢) .

الخلق والأمر والملك لله وحده: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

والقلوب مفطورة على الإقرار بأن الملك والخلق لله وحده دون سواه: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٤).

أيها الناس ألا تجيبون؟ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ (٥).

أفلا تعقلون: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (٦).

أفلا تفكرون: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٧).

---

(١) سورة النحل: ٩٠ .
(٢) سورة المائدة: ٢ .
(٣) سورة المائدة: ١٢٠ .
(٤) سورة المؤمنون: ٨٤ ـ ٩٠ .
(٥) سورة الأنعام: ٤٦ .
(٦) سورة القصص: ٧١ ـ ٧٢ .
(٧) سورة الواقعة: ٥٨ ـ ٦٢ .

أفلا تبصرون: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾[١] .

أفلا تنظرون: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[٢] .

أفلا تعقلون؟ من سخر الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والنجوم إنه الله وحده كما قال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

وإذا كان الله هو الذي يخلق وهو الذي يرزق وهو الذي يدبر الأمر وهو الذي يعلم كل شيء فهو الذي يستحق العبادة دون سواه لأنه حي قيوم خالق رازق عالم قادر وغيره عاجز ضعيف لا يخلق ولا يرزق ولا يملك نفعًا ولا ضرًا: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[٤] .

من كتاب (أصول الدين الإسلامي) للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري.

س: ما رأيكم في إنكار توحيد الحاكمية، وهل إفراده بقسم مستقل خروج عن مذهب السلف، وفي أي أنواع التوحيد يدخل هذا القسم؟

الجواب:

الحمد لله: توحيد الحاكمية، لا يجوز إنكاره، فهذا من أنواع التوحيد، ولكنه داخل في توحيد العبادة بالنسبة للحاكم نفسه كشخص، أما بالنسبة له هو يعني: التوحيد، فهو داخل في توحيد الربوبية، لأن الحاكم هو الله تعالى.

---

(١) سورة الواقعة: ٦٣، ٦٤ .
(٢) سورة الواقعة: ٦٨ ـ ٧٤ .
(٣) سورة النحل: ١٢ .
(٤) سورة النحل: ١٩ ـ ٢٢ .

فيجب أن يكون الرب المتصرف هو الذي له الحكم فهو يكون داخلاً في توحيد الربوبية من حيث الحكم والأمر والنهي والتصرف، أما من حيث التطبيق والعمل فالعبد مكلف باتباع حكم الله فهو من توحيد العبادة من هذه الجهة.

وجعله قسمًا رابعًا ليس له وجه، لأنه داخل في الأقسام الثلاثة، والتقسيم بلا مقتضى يكون زيادة كلام لا داعي له، والأمر سهل فيه على كل حال، إذا جعل قسمًا مستقلاً فهو مرادف، ولا محذور فيه(١).

يعاني من وساوس الشيطان في ذات الله(٢)

س : رجل يوسوس له الشيطان بوساوس عظيمة فيما يتعلق بالله عز وجل - وهو خائف من ذلك جدًا فماذا يفعل؟

الجواب:

الحمد لله.

ما ذكر من جهة مشكلة السائل التي يخاف من نتائجها ، أقول له: أبشر بأنه لن يكون لها نتائج إلا النتائج الطيبة ، لأن هذه وساوس يصول بها الشيطان على المؤمنين، ليزعزع العقيدة السليمة في قلوبهم، ويوقعهم في القلق النفسي والفكري ليكدر عليهم صفو الإيمان ، بل صفو الحياة إن كانوا مؤمنين.

وليست حاله بأول حال تعرض لأهل الإيمان، ولا هي آخر حال، بل ستبقى ما دام في الدنيا مؤمن . ولقد كانت هذه الحال تعرض للصحابة رضي الله عنهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء أناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال: «**أوقد وجدتموه؟**». قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**»(٣) . وفي الصحيحين عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: « **يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول: من**

(١) فتوى الشيخ عبد الله الغنيمان ،وانظر فتاوى العقيدة (ص / ٥٠).

(٢) انظر: فتاوى العقيدة (ص/ ٢٦ ـ ٢٨).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٢) الإيمان/ باب: بيان الوسوسة في الإيمان من حديث أبي هريرة.

خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[(١)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جاءه رجل فقال: إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حممة أحب إلي من أن أتكلم به، فقال النبي ﷺ : «**الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة**»[(٢)] رواه أبو داود .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب (الإيمان) : والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره. كما قالت الصحابة : يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: «**ذاك صريح الإيمان**»[(٣)] وفي رواية ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[(٤)] أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلوب هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه، فهذا عظيم الجهاد، إلى أن قال: (ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعباد من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم، لأنه (أي الغير) لم يسلك شرع الله ومنهاجه، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه، وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله تعالى) ا هـ.

فأقول لهذا السائل : إذا تبين لك أن هذه الوساوس من الشيطان فجاهدها وكابدها ،واعلم أنها لن تضرك أبدًا مع قيامك بواجب المجاهدة والإعراض عنها، والانتهاء عن الانسياب وراءها ، كما قال النبيﷺ : «**إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم**»[(٥)] متفق عليه.

وأنت لو قيل لك : هل تعتقد ما توسوس به؟ وهل تراه حقًا ؟ وهل يمكنك أن

---

(١) صحيح : تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٤٠)، وأبو داود (٥١١٢).

(٣) صحيح : وتقدم.

(٤) صحيح : وتقدم.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٥٢٨) العتق/ باب: الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق وغيره ، ومسلم (١٢٧ / الإيمان/ باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب من حديث أبي هريرة.

تصف الله سبحانه به؟ لقلت: ما يكون لنا أن تكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم، ولأنكرت ذلك بقلبك ولسانك، وكنت أبعد الناس نفوراً عنه، إذن فهو مجرد وساوس وخطرات تعرض لقلبك، وشباك شرك من الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، ليرديك ويلبس عليك دينك.

ولذلك تجد الأشياء التافهة لا يلقى الشيطان في قلبك الشك فيها أو الطعن، فأنت تسمع مثلاً بوجود مدن مهمة كبيرة مملوءة بالسكان والعمران في المشرق والمغرب ولم يخطر ببالك يومًا من الأيام الشك في وجودها أو عيبها بأنها خراب ودمار لا تصلح للسكنى، وليس فيها ساكن ونحو ذلك، إذ لا غرض للشيطان في تشكك الإنسان فيها ولكن الشيطان له غرض كبير في إفساد إيمان المؤمن، فهو يسعى بخيله ورجله ليطفئ نور العلم والهداية في قلبه، ويوقعه في ظلمة الشك والحيرة، والنبي ﷺ بين لنا الدواء الناجع الذي فيه الشفاء، وهو قوله: «**فليستعذ بالله ولينته**»(١). فإذا انتهى الإنسان عن ذلك واستمر في عبادة الله طلبًا ورغبة فيما عند الله زال ذلك عنه بحول الله، فأعرض عن جميع التقديرات التي ترد على قلبك في هذا الباب وها أنت تعبد الله وتدعوه وتعظمه، ولو سمعت أحدًا يصفه بما توسوس به لقتلته إن أمكنك، إذن فما توسوس به ليس حقيقة واقعة بل هو خواطر ووساوس لا أصل لها.

ونصيحة تتلخص فيما يأتي:

١ ـ الاستعاذة بالله والانتهاء بالكلية عن هذه التقديرات كما أمر بذلك النبي ﷺ.

٢ ـ ذكر الله تعالى وضبط النفس عن الاستمرار في هذه الوساوس.

٣ ـ الانهماك الجدي في العبادة والعمل امتثالاً لأمر الله، وابتغاء لمرضاته، فمتى التفت إلى العبادة التفاتًا كليًا بجد وواقعية نسيت الاشتغال بهذه الوساوس إن شاء الله.

٤ ـ كثرة اللجوء إلى الله والدعاء بمعافاتك من هذا الأمر.

وأسأل الله تعالى لك العافية والسلامة من كل سوء ومكروه(٢).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج/ ١ ص ٥٧ ـ ٦٠.

متى يخرج المسلم من الإسلام؟[١]

لا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام إلا بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام المعروفة ، ويزول عذره.

قوله: **(حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل)** إذا جحد القرآن أو بعضه أو السنة الصحيحة أو بعضها، أو أنكر شيئًا في القرآن، أو أنكر شيئًا في السنة الصحيحة: فهذا يحكم عليه بالردة؛ لأنه مكذب لله ولرسوله، ما لم يكن جاهلاً أو مقلدًا أو متأولاً فهذا يبين له، فإذا بين له وأصر فإنه يحكم عليه بالردة.

والمراد بآثار رسول الله ﷺ الأحاديث.

وقوله: **(أو يرد شيئًا من آثار رسول الله** ﷺ **)** أي: فإنه يكفر ، وهذه قاعدة عظيمة عند أهل السنة والجماعة يخالفون بها فئتين.

الفئة الأولى: الخوارج، والغلاة، الذين يكفرون بالكبائر التي دون الشرك.

الفئة الثانية: فئة المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، ما دام الإنسان مؤمنًا بقلبه، فإنه لا يضره شيء من المعاصي، ولو ترك الأعمال كلها ولم يعمل شيئًا، فإنه مؤمن كامل الإيمان.

أما أهل السنة والجماعة فكما ذكر المؤلف: أنهم وسط بين الطائفتين؛ فيقولون: الكبائر تختلف: إن كانت من الشرك أو الكفر الأكبرين فإنها تخرج من الملة بالإجماع ، وأما إذا كانت ليست كفرًا ولا شركًا، وليست تكذيبًا لكتاب الله، ولا لسنة رسول الله ، ولا تركًا للصلاة، ولا دعاء لغير الله، أو ذبحًا لغير الله، وإنما هي كبيرة دون ذلك فهذه لا يخرج بها العبد من الإسلام خلافًا للخوارج والمعتزلة، ولكنها تضر المؤمن، وتنقص إيمانه، وتضعفه خلافًا للمرجئة؛ الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية. فهذا هو المذهب الوسط الذي يحصل به الجمع بين نصوص الوعيد ونصوص الوعد.

الخوارج والمعتزلة أخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد.

---

(١) انظر «شرح السنة» (ص / ١٥١ _ ١٥٢).

المرجئة على العكس: أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد. وكلتا الطائفتين ضالة.

وقوله: (**أو يصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله**) يُصلي لقبر يتقربُ إليه، أو يسجدُ لصنمٍ، أو يذبحُ لغير الله ويعمل شيئًا من العبادات لغير الله، فهذا مشرك كافر، خارج من الملة. وما دون ذلك فأهل السنة وسط فيه بين المرجئة وبين الخوارج.

قوله: (**وإذا فعل شيئًا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام**) إذا فعل شيئًا من ذلك، يعني صلى لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو عمل عبادة لغير الله؛ وجب عليك أن تخرجه من الملة، ووجب عليك أن تعتقد أنه كافر، ولا تقل: لا يهمني هذا ، أو لا أدري عنه، بل يجب عليك أن تكفر الكافر والمشرك، وأن تفسق العاصي مرتكب الكبيرة التي دون الشرك، لابد من بيان الحق في هذا الأمر .

قوله: (**فإذا لم يفعل شيئًا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة**) أي: في الظاهر لنا، وسريرته إلى الله.

* * *

حكم نداء الملائكة والطلب منهم قبل النوم[1]

س: اشتهر عند بعض العوام أن يقول أحدهم قبل النوم: يا ملائكة الحفظ أيقظوني في الساعة كذا أو عند وقت كذا ؟

الجواب:

الحمد لله.

هذا لا يجوز ،بل هو من الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء لغير الله وطلب من الغائب، فهو كالطلب من الجن والأصنام والأموات لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) انظر فتاوى العقيدة (ص / ٤٢ ـ ٤٣).

(٢) سورة الجن: ١٨ .

يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[١] فسمى سبحانه دعاء غيره من الأموات والأصنام والجن والملائكة شركًا به سبحانه وقال عز وجل: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾[٢] .

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾[٣] .

فسمي الداعين لغيره كافرين ، وهذا يعم جميع المدعوين من دون الله من أموات أو أصنام أو جن أو ملائكة، ولا يستثنى من ذلك إلا الحي الحاضر القادر لقول الله سبحانه في قصة موسى: ﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** ﴾[٤] .

ومن هذا الشرك قول بعض الناس: يا جن خذوه يا سبعة خذوه، أو يا جن الظهيرة خذوه، أو يا جن الشعب الفلاني أو يا جن بلد فلان ، فهذا كله شرك أكبر ودعوة لغير الله من الغائبين ، فإذا قال: يا ملائكة الله أيقظوني أو احفظوني فهذا شرك أكبر، أو يا جن البيت احفظوني أو أيقظوني فهذا شرك أكبر نعوذ بالله من ذلك. والواجب على المسلم أن يحذر ذلك وأن يستغيث بالله وحده ويسأله وحده ففيه الكفاية سبحانه، وهو القادر على كل شيء وهو القائل عز وجل: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[٥] ، والقائل سبحانه: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[٦] ويقول النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٧] .

نسأل الله أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقه في دينه والسلامة من أسباب غضبه إنه سميع قريب [٨].

---

(١) سورة فاطر: ١٣ ـ ١٤ .
(٢) سورة الجن: ٦ .
(٣) سورة المؤمنون: ١٧ .
(٤) سور القصص: ١٥ .
(٥) سورة غافر: ٦٠ .
(٦) سورة البقرة: ١٨٦ .
(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ٢٣٨)، من حديث ابن عباس، وكذا الترمذي وأحمد في «مسنده».
(٨) كتاب (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ـ م / ٧، ص / ١٨٠ .

ما الذي يتضمنه الإيمان بالكتب السماوية ؟

الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله رحـمة للخلق وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الآخرة والدنيا.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقّا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منهـا باسمه كالقرآن الذي نزل على مـحمدﷺ ، والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى .

والزبور الذي أوتيه داود، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها كأخبـار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأعمال ما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن.

وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن[٢] .

❊ ❊ ❊

(١) شرح ثلاثة الأصول ـ محمد بن صالح العثيمين ـ ص ٩١ .

ما الفرق بين الكرسي والعرش؟ (١)

الجواب:

الحمد لله.

الكرسي هو موضع قدمي الرحمن عز وجل على أصح الأقوال فيه، والعرش أكبر من الكرسي. والعرش هو أعظم المخلوقات، وعليه استوى ربنا استواءً يليق بجلاله، وله قوائم ويحمله حملة من الملائكة عظام الخلق.

وقد أخطأ من جعلهما شيئًا واحدًا.

وهذه أدلة ما سبق مع طائفة من أقوال أهل العلم:

عن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين(٣):

هذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها، فيكون لها حكم الرفع، لأن ابن مسعود لم يُعرف بالأخذ من الإسرائيليات.

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل هذا الحديث(٤):

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

---

(١) انظر فتاوى العقيدة [ص / ١٥ ـ ١٨] لأصحاب الفضيلة الشيخ ناصر السعدي، والشيخ العثيمين، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. والشيخ ابن باز، والشيخ ابن جبرين، والشيخ الفوزان.

(٢) رواه ابن خزيمة في التوحيد (١٠٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠١).

(٣) القول المفيد ٣ / ٣٧٩.

(٤) شرح كتاب التوحيد.

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء.

وعرش الرحمن هو أعظم المخلوقات، وأوسعها .

قال تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(١) ، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(٢) . وقال تعالى: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾(٣) .

قال القرطبي : خص العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه(٤). ا هـ.

وقال ابن كثير: ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين، وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل(٥).

وقال رحمه الله:

﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ أي: صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، و﴿ الْمَجِيدُ ﴾: فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عز وجل، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح.

والمجيد: المتسع عظيم القدر.

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»(٦) .

---

(١) سورة المؤمنون: ١١٦ .

(٢) سورة التوبة: ١٢٩ .

(٣) سورة البروج: ١٥ .

(٤) تفسير القرطبي (٨ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٥) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٧٤ .

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٩٨) أحاديث الأنبياء / باب: قول الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ومسلم (٢٣٧٤) الفضائل / باب: من فضائل موسى ﷺ من حديث أبي سعيد.

وللعرش حملة يحملونه:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾(١) .

وهم على خلقة عظيمة :

وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»(٢).

والحديث: قال عنه الحافظ ابن حجر: إسناده على شرط الصحيح.

والعرش فوق الكرسي بل فوق كل المخلوقات:

قال ابن القيم (٣) :

إنه إذا كان سبحانه مباينًا للعالم فإما أن يكون محيطًا به أو لا يكون محيطًا به، فإن كان محيطًا به لزم علوه عليه قطعًا ضرورة علو المحيط على المحاط به، ولهذا لما كانت السماء محيطة بالأرض كانت عالية عليها، ولما كان الكرسي محيطًا بالسماوات كان عاليًا عليها ولما كان العرش محيطًا بالكرسي كان عاليا، فما كان محيطًا بجميع ذلك كان عاليًا عليه ضرورة ولا يستلزم ذلك محايثته لشيء مما هو محيط به ولا مماثلته ومشابهته له.

والعرش ليس هو الملك وليس هو الكرسي :

قال ابن أبي العز الحنفي :

وأما من حرَّف كلام الله وجعل العرش عبارة عن الملك ، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(٤) ، وقوله : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

(١) سورة غافر: ٧ .

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) السنة / باب: في الجهمية، من حديث جابر وصححه الألباني.

(٣) الصواعق المرسلة ٤ / ١٣٠٨ .

(٤) سورة الحاقة: ١٧ .

الْمَاءِ﴾[١] ؟ أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية، وكان ملكه على الماء ويكون موسى ﷺ آخذًا بقائمة من قوائم الملك؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول.

وأما الكرسي فقال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[٢] ، وقد قيل: هو العرش، والصحيح: أنه غيره نُقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره .

روى ابن أبي شيبة في كتاب (صفة العرش) والحاكم في (مستدركه) وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى».

وقد روي مرفوعًا، والصواب: أنه موقوف على ابن عباس. . .

قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض**».

وهو كما قال غير واحد من السلف: بين يدي العرش كالمرقاة إليه[٣] .

وقال الشيخ ابن عثيمين[٤] :

هناك من قال: إن العرش هو الكرسي لحديث: «**إن الله يضع كرسيه يوم القيامة**»، وظنوا أن الكرسي هو العرش.

وكذلك زعم بعض الناس أن الكرسي هو العلم، فقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي: علمه.

والصواب: أن الكرسي موضع القدمين، والعرش هو الذي استوى عليه الرحمن سبحانه ، والعلم :صفة في العالم يُدرك فيها المعلوم. والله أعلم.

---

(١)سورة هود: ٧ .

(٢)سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٣)شرح الطحاوية ٣١٢ ـ ٣١٣ .

(٤)القول المفيد ٣ / ٣٩٤ .

ما أقسام المخالفة لأمر الله ؟[١]

المخالفة لأمر الله قسمان:

قسم يوجب الردة، ويبطل الإسلام بالكلية، ويكون صاحبه كافرًا كالنواقض .

والقسم الثاني: لا يبطل الإسلام ولكن ينقصه ويُضعفه ، ويكون صاحبه على خطرٍ عظيم من غضب الله وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف مرتكبها أنها معاص، ولكن لا يستحلها، كالذي مات على الزنا، أو على الخمر، أو على عقوق الوالدين، أو على الربا ونحو ذلك. . فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٢] ؛ لأنه ليس بكافر لكونه لم يستحل هذه الأمور ، وإنما فعلها اتباعًا للهوى والشيطان. أما من استحل الزنا أو الخمر أو الربا فإنه يكفر كما تقدم بيان ذلك.

فينبغي التنبه لهذه الأمور، والحذر منها، وأن يكون المسلم على بصيرة من أمره. وهذا الذي ذكرناه هو قول أهل السنة والجماعة وأصحاب رسول الله ﷺ ، رضوان الله عليهم وأتباعهم بإحسان.

* * *

الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وما وصفه به رسوله ﷺ وكذا الإيمان بأن القرآن كلام الله من الثوابت عند أهل السنة نرجو توضيح ذلك؟[٣]

من الثوابت المحكمة عند أهل السنة الإيمان بأنه ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٤] المتضمن لإثبات الوصف ونفي الكيف، بلا تشبيه ولا تعطيل، وهم بهذا وسط بين المشبهة الذين غلوا في الإثبات، فصاروا يعبدون صنمًا، والمعطلة الذين

(١) انظر أركان الإسلام، ابن باز [ص / ٦١].

(٢) سورة النساء: ١١٦ .

(٣) انظر «الثوابت والمتغيرات» (ص / ١٤١ ـ ١٤٢) .

(٤) سورة الشورى: ١١ .

غلوا في التنزيه ، فصاروا يعبدون عـدمًا. وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١) فسبح نفسه ـ تعالى ـ عما وصـفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامـة ما قالوه من النقص والعيب.

قال أبو زرعة وأبو حاتم ـ رحمهما الله ـ، في اعتقادهما: (وأن الله ـ عز وجل ـ على عرشه بائن من خلقـه، كما وصف نفسه في كتـابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ويقول شـيخ الإسلام ابن تيمـية (٢): (فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفتـه به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبـته لنفسه، وينفي عنه ما نـفاه عن نفســه وقد علم أن طريقـة سلف الأمة وأئمـتها إثبـات ما أثبـته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ـ ذم الـذين يلحدون في أسمائه وآياته، كمـا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ الآية(٤).

فطريقتهم إثبـات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثبـاتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعـطيل، كما قـال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٥) وفي قوله: رد للتشبيه والتمثيل. وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل)(٦).

---

(١) سورة الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي: ١ / ١٧٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٠. (٤) سورة فصلت: ٤٠.

(٥) سورة الشورى: ١١.

(٦) مجموع الفتاوى: ٣ / ٢٦٧.

الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود:

فهذا الذي اتفق عليه سلف الأمة وعامة أهل السنة.

يقول سفيان الثوري: (القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كفر)(١) .

وقال أحمد بن حنبل : (والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق)(٢) .

وقال علي بن المديني: (والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق ، فإن كلام الله ـ عز وجل ـ ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، يؤمن به، ولا يناظر فيه أحدًا)(٣) .

وقال البخاري: وإن كلام الله غير مخلوق لقوله: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ** ﴾(٤) .

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: (قال ابن عيينة: فبين الله الخلق من الأمر، لقوله: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(٥) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (... فإن مذهب سلف الأمة وأهل السنة، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود)(٦) .

* * *

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي: ١ / ١٥١ .
(٢) المرجع السابق ١/١٥٧.
(٣) المرجع السابق ١/١٦.
(٤) سورة الأعراف : ٥٤ .
(٥) المرجع السابق: ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٦) مجموع الفتاوى: ١٣ / ٤٠١ .

ما الفرق بين الحب في الله والحب مع الله

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والفرق بين الحب في الله والحب مع الله وهذا من أهم الفروق وكل أحد محتاج بل مضطر إلى الفرق بين هذا وهذا ؛ فالحب في الله هو من كمال الإيمان والحب مع الله هو عين الشرك. والفرق بينهما أن المحب في الحب تابع لمحبة الله فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله فإذا أحب ما أحبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله وأنبياءه وملائكته وأولياءه لكونه تعالى يحبهم ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم وعلامة هذا الحب والبغض في الله أنه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبًا لإحسانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضًا إذا وصل إليه من جهته من يكرهه ويؤلمه إما خطأ وإما عمدًا مطيعًا لله فيه أو متأولاً أو مجتهدًا أو باغيًا نازعًا تائبًا والدين كله يدور على أربع قواعد حب وبغض ويترتب عليهما فعل وترك فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الإيمان بحيث إذا أحب أحب لله وإذا أبغض أبغض لله وإذا فعل فعل لله وإذا ترك ترك لله وما نقص من أصنافه هذه الأربعة نقص من إيمانه ودينه بحسبه وهذا بخلاف الحب مع الله فهو نوعان نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك ونوع يقدح في كمال الإخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الإسلام.

فالأول كمحبة المشركين لأوثانهم وأندادهم قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (١) وهؤلاء المشركون يحبون أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم مع الله كما يحبون الله فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد وشدة بغضها وبغض أهلها ومعاداتهم ومحاربتهم وبذلك أرسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه وخلق النار لأهل هذه المحبة الشركية وخلق الجنة لمن حارب أهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته . فكل من عبد شيئًا من لدن عرشه إلى قرار أرضه فقد اتخذ من دون الله إلهًا ووليًا وأشرك به كائنًا ذلك المعبود ما كان ولابد أن يتبرأ منه أحوج ما كان إليه.

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥ .

والنوع الثـاني محـبة ما زينـه الله للنفوس من النسـاء والبنين والذهب والفـضة والخيل المسومة والأنعـام والحرث فيحبها محـبة شهوة كمحبـة الجائع للطعام والظمآن للماء ،فهـذه المحبة ثلاثة أنواع فإن أحبهـا لله توصلاً بها إليه واستعـانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصـلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها وهذا حاله أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونًا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمـره وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كـمال محبـته لله والمحبة فـيه وإن كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلهـا والظفر بها وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالمًا لنفسه متبعًا لهواه.

فالأولى محبة السابقين، والثانية محبة المقتصدين، والثالثة محبة الظالمين(١) .

* * *

• نرجو تعريف الكرامة وفوائدها وأنواعها؟(٢)

الكرامة أمر خـارق للعادة يظهره الله تعـالى على يد ولي من أوليائه تكريمًا له أو نصرة لدين الله ، وهي ثابتة بالشرع والمشاهدة وإنكارها مكابرة، ودليل ثبوتها ما ذكره الله في القرآن عن أصحاب الكهف وغيرهم. وفوائد الكرامة:

١ـ بيان قدرة الله.

٢ـ نصرة الدين أو تكريم الولي.

٣ـ زيادة الإيمان والتثبيت للولي الذي ظهرت على يديه وغيره.

٤ـ إنها من البشرى لذلك الولي.

٥ـ إنها معجزة للرسول الذي تمسك الولي بدينه لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق.

والكرامة نوعان:

أ ـ من العلوم والمكاشفات: بأن يحصل للولي من العلم ما لا يحـصل لغيره أو

(١) الروح ـ لابن قيم الجوزية (١ / ٢٥٤).

(٢) انظر معجم ألفاظ العقيدة ـ مرجع سابق.

يكشف له من الأمور الغائبة عنه ما لا يكشف لغيره كما حصل لعمر بن الخطاب حين كُشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا المحصورة في العراق فقال لقائدها واسمه «سارية بن زنيم» : الجبل يا سارية فسمعه القائد فاعتصم بالجبل.

ب ـ في القدرة والتأثيرات: بأن يحصل للولي من القدرة والتأثيرات ما لا يحصل لغيره كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء(١) .

❊ ❊ ❊

من هم أهل الفترة؟

أهل الفترة(٢) :

أهل الفترة هم أقوام لم تبلغهم دعوة وهم قسمان:

القسم الأول: من قامت عليه الحجة وعرف الحق لكنه اتبع ما وجد عليه آباءه وهذا لا عذر له فيكون من أهل النار.

القسم الثاني: من لم تقم عليه الحجة فإن أمره إلى الله عز وجل ولا نعلم عن مصيره وهذا ما لم ينص الشارع عليه . أما من ثبت أنه في النار بمقتضى دليل صحيح فهو في النار(٣) .

❊ ❊ ❊

هل الحركة صفة ثابتة لله (٤)

صفة الحركة لله فيها للعلماء ثلاثة مذاهب، كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(٥) :

أ ـ نفي الحركة مطلقًا وهو قول الجهمية والمعتزلة.

---

(١) مجموع فتاوى العقيدة ـ محمد بن صالح العثيمين ٤ / ٣١٠ .

(٢) انظر مجموع ألفاظ العقيدة [ص / ٥٥].

(٣) انظر مجموع فتاوى العقيدة ـ لابن عثيمين (٢ / ٤٨).

(٤) انظر معجم ألفاظ العقيدة .

(٥) مجموع الفتاوى ٥ / ٥٧٧ .

ب ـ إثبات هذه الصفة وهو قول الهشامية والكرامية.

ج ـ الإمساك عن النفي والإثبات وهو اختيار جمهور من أهل الحديث والصوفية كابن بطة وغيره.

وكثير من أهل السنة يقولون: إن المعنى صحيح لكن لا يطلق هذا اللفظ لعدم مجيء الأثر به كما ذكر ذلك ابن عبد البر وغيره في كلامهم على حديث النزول.

والقول المشهور عند أهل السنة هو الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة من أنه يأتي وينزل ،وغير ذلك من الأفعال اللازمة.

ويقول العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتابه إزالة الستار عن الجواب المختار:

«النصوص في إثبات الفعل والمجيء والاستواء والنزول إلى السماء الدنيا إن كانت تستلزم الحركة لله، فالحركة له حق ثابت بمقتضى هذه النصوص ولازمها، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة، وإن كانت هذه النصوص لا تستلزم الحركة لله تعالى، لم يكن لنا إثبات الحركة له بهذه النصوص، وليس لنا أيضًا أن ننفيها عنه بمقتضى استبعاد عقولنا لها، أو توهمنا أنها تستلزم إثبات النقص، وذلك أن صفات الله تعالى توقيفية، يتوقف إثباتها ونفيها على ما جاء به الكتاب والسنة، لامتناع القياس في حقه تعالى، فإنه لا مثل له ولا ند ، وليس في الكتاب والسنة إثبات لفظ الحركة أو نفيه، فالقول بإثبات نفيه أو لفظه قول على الله بلا علم»[١] اهـ.

❊ ❊ ❊

هل الجهة ثابتة لله أو منفية عنه؟[٢]

نريد بهذه الترجمة أن نُبين: هل الجهة ثابتة لله تعالى، أو منتفية عنه؟

والتحقيق في هذا: أنه لا يصح إطلاق الجهة على الله ـ تعالى ـ لا نفيًا، ولا إثباتًا، بل لابد من التفصيل:

---

(١) إزالة الستار عن الجواب المختار ـ ص ٣٢ العثيمين.

(٢) انظر «فتح البرية بتلخيص الحموية» [ص / ٣٧ ـ ٣٨].

فإن أُريد بها جهة سُفلٍ فإنها منتفية عن الله، وممتنعة عليه؛ لأن الله ـ تعالى ـ قد وجب له العلو المطلق بذاته وصفاته.

وإن أُريد بها جهة علو تُحيط به، فهي منتفية عن الله، وممتنعة عليه ـ أيضًا ـ فإن الله أعظم وأجل من أن يُحيط به شيء من مخلوقاته، كيف وقد وسع كرسيه السماوات والأرض؟

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١) .

وإن أُريد بها جهة علو تليق بعظمته وجلاله من غير إحاطة به، فهي حق ثابتة لله ـ تعالى ـ واجبة له. قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتابه «الغنية»(٢) : «وهو سبحانه بجهة العلو، مستوٍ على العرش محتو على الملك». اهـ.

ومعنى قوله: «محتوٍ على الملك»؟ أنه محيط بالملك تبارك وتعالى.

فإن قيل: إذا نفيتم أن يكون شيء من مخلوقات الله محيطًا به، فما الجواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ ، وأجمع عليه المسلمون من أن الله سبحانه في السماء؟

فالجواب: إن كون الله في السماء لا يقتضي أن السماء تُحيط به، ومن قال ذلك فهو ضال، إن قاله من عنده ، وكاذب أو مخطئ، وإن نسبه إلى غيره؛ فإن كان من عرف عظمة الله تعالى وإحاطته بكل شيء، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، وأنه يطوي السماء كطي السجل للكتب، فإنه لن يخطر بباله أنه شيئًا من مخلوقاته يمكن أن يُحيط به سبحانه وتعالى.

وعلى هذا فيخرج كونه في السماء على أحد معنيين:

الأول ـ أن يراد بالسماء العلو، فيكون المعنى: أن الله في العلو؛ أي: في جهة العلو، والسماء بمعنى العلو ثابت في القرآن . قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ

---

(١) سورة الزمر: ٦٧ .

(٢) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق في معرفة الآداب الشرعية» باب معرفة الصانع عز وجل (ص ٩٤).

﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾[١] أي: من العلو لا من السماء نفسها ؛ لأن المطر ينزل من السحاب .

الثاني: أن تجعل «في» بمعنى «على» فيكون المعنى: أن الله على السماء، وقد جاءت «في» بمعنى: «على» في مواضع كثيرة من القرآن وغيره. قال الله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾[٢] أي : على الأرض.

* * *

نريد معرفة أنواع المضاف إلى الله جل شأنه[٣]

المضاف إلى الله نوعان[٤] :

الأول : أعيان.

الثاني : صفات.

أما الصفات فإنها إذا أضيفت إلى الله جل شأنه دلت الإضافة على أنها إضافة وصف لله سبحانه وتعالى قائم به، فهي ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها، بل لابد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه عُلِمَ أنها صفة له سبحانه وتعالى كالعلم والقدرة والكلام.. إلخ.

وأما الأعيان: إذا أضيفت إليه سبحانه وتعالى فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترط فيها المخلوق، مثل: كونها مخلوقة ومملوكة ومقدرة ونحو ذلك فهذه إضافة عامة مشتركة، كقوله سبحانه وتعالى :﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾[٥] .

وقد يضاف لمعنى يختص به المضاف عن غيره، مثل: بيت الله، وناقة الله ، وعبد الله ، وروح الله، فهذه تقتضي التشريف والعناية ، وأنها امتازت عن غيرها من الأعيان بما يناسب السياق.

---

(١) سورة الأنفال: ١١ .

(١) سورة التوبة: ٢ .

(٣) انظر «تحرير الاعتقاد» ا . د / أحمد بن منصور آل سبالك (ص / ١٥٧ ـ ١٦٠).

(٤) توضيح المقاصد، لابن عيسى ، ١/ ٣١٨ .

(٥) سورة لقمان: ١١ .

وإن مما يعلم من استعمال اللغة في مواردها أن تعلق المضاف بالمضاف إليه تختلف نسبته تبعًا لاختلاف علاقته بالمضاف إليه، فتارة يُرَادُ بالإضافة تعريف المضاف، وأخرى يُرَادُ بها تخصيصه، وهذا النوع من الاختلاف في الإضافة اللغوية يجري في نظيره في الإضافة الشرعية، فكانت الإضافة فيها تختلف بحسب علاقة المضاف بالمضاف إليه، فما كان منه ذاتًا منفصلة مستقلة بذاتها متميزة بصفاتها مختصة بلوازمها، وأضيفت إلى رب العالمين مع العلم أنه ما هنا إلا خالق ومخلوق، علم بالضرورة أن الإضافة هنا إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، ومدبر إلى مدبره، وهو في هذه الإضافة له مقتضيان:

أحدهما: أن تقتضي إضافته إلى الله بيان ذله وخنوعه وكمال من أوجده وأتقن صنعته، فكان في أحسن تقويم، وأفضل نظام.

الثاني: أن تقتضي تشريف المضاف وتعظيمه في نفسه لما خصه به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه[1] .

فالإضافة الأولى أشرف من الأخيرة، نظرًا لأنها دالة على فضل الخالق ذاته، والثانية دالة على فضل المخلوق المربوب بإضافته إلى خالقه وموجوده، وذلك في أشياء خاصة اقتضت حكمة الله إضافتها إلى نفسه ؛ ليدل على شرفها ، وكمال العناية بها، كما في قوله: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[2] .

وقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[3] .

وما كان منه معنى من المعاني التي لا تستقل بنفسها، بل لابد من تعلقها بالذوات، وأضيفت إلى الرب ـ جل وعلا؛ فإضافتها إليه إضافة صفة لموصوفها، وهي مقتضية لعدة أمور:

١ ـ نسبة الصفة إليه وحكمها، ومنع نسبتها ونسبته لغيره.

---

(١) توضيح المقاصد، لابن عيسى ، ١ / ٣١٩ .

(٢) سورة الشمس : ١٣ .

(٣) سورة الحج: ٢٦ .

٢ـ أن تترتب عليها آثارها، وأن تنسب هذه الآثار للموصوف بها.

٣ ـ أن يُشتق له منها اسم.

ولا يشكل على ذلك ما ورد في الجنة من قول الله مخاطبًا لها: (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي)[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالرحمة هنا عين قائمة بنفسها لا يمكن أن تكون صفة لغيرها » ، فإن الرحمة المضافة إلى الله أنواع:

أحدها: أن تضاف إضافة الصفات، كما في البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٢].

الثاني: أن تضاف إضافة المخلوقات ، كما في الحديث المتقدم.

ونسبة الصفة إلى الموصوف تأتي في القرآن على مراتب هي:

الأولى : نسبة الاسم إلى الاسم ، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[٣] .

الثانية: نسبة فعل إلى اسم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾[٤] .

الثالثة: الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥] .

الرابعة: الخبر بالجملة الفعلية عن الاسم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَلِمَ

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب: ونقول هل من مزيد.

(٢) سورة الفاتحة: ١ .

(٣) سورة الذاريات: ٥٨ .

(٤) البقرة: ١٨٧ .

(٥) سورة البقرة: ٢٨٢ .

أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾[١] .

فعلم بذلك أن هذه المراتب ترجع إلى استعمالين:

الأول منهما: استعمال المفرد، وشرطه إضافة الصفة لفظًا أو معنى، كقوله: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾[٢] .

وقوله: ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[٣] . وإضافة الموصوف؛ كقوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ ﴾[٤] .

الثاني: استعمال الجملة ، وهي إما إخبار بجملة اسمية، أو جملة فعلية، وإذا وضح لنا الفرق بين أنواع المضاف إليه، فليعلم أن ما أضيف إلى الله على أنه خلق له لا خلاف فيه بين طوائف الأمة المحمدية، وقد وقع الخلاف في الأول بين أهل السنة والجماعة ومن خالفهم، فأهل السنة والجماعة على إثبات هذا لله رب العالمين على ما يليق بجلاله وعظمته .

والمعتزلة ومن نحا نحوهم على نفيه، بدعوى أنه لا تعلم هذه الصفات إلا للمحدثات[٥] .

* * *

ما المراد بمصطلح اللفظية؟[٦]

مصطلح اللفظية مصطلح يراد به من قالوا : إن لفظي بالقرآن مخلوق. وقال أئمة أهل السنة رحمهم الله : «من قال إن لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون به غير بدعة الجهمية ، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدهما الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له، والثاني التلفظ وهو فعل

(١) سورة المزمل: ٢٠ .
(٢) سورة البقرة: ٢٥٥ .
(٣) سورة فصلت: ١٥ .
(٤) سورة الذاريات: ٥٨ .
(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٦ / ١٤٤ ـ ١٤٦ .
(٦) انظر «معجم ألفاظ العقيدة» مرجع سابق.

العبد وكسبه وسعيه ، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال : إن لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهو بدعة أخرى من بدع الاتحادية» (١) .

واللفظية على قسمين :

قسم لفظية نافية: وهم الذين قالوا بأن قراءتنا للقرآن مخلوقة . وأول من قال بذلك الكرابيسي والأصفهاني.

وقسم لفظية مثبتة: وهم الذين قالوا بأن قراءتنا للقرآن غير مخلوقة وأن التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء(٢) .

* * *

نرجو إلقاء الضوء على فرقة الاتحادية (٣)

«الاتحادية» تزعم بأن الله هو هذه الأكوان وعمموا الله بكل موجود في هذا الكون، وهؤلاء كما قال ابن القيم شارح القصيدة النونية أكفر من النصارى لأن النصارى قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فقط ولم يقولوا بأنه الأكوان جميعها ، ولهذا أنشد ناظم النونية الإمام ابن القيم أبياتًا في ذلك قال فيها:

حاشا النصارى أن يكونوا مثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وقالوا : إن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء وهو قول بقية الاتحادية ، لكن ابن عربي أقربهم إلى الإسلام وأحسن، أما في مواضع كثيرة ، فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر ، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات ، ولهذا كثير

---

(١) معارج القبول ـ حافظ حكمي ١ / ٢٠٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية ١٤ / ٤٢١ ، بتصرف .

(٣) انظر معجم ألفاظ العقيدة [ص /١٩ـ٢١] .

من العباد يأخذون من كلامه سلوكه ، فينتفعون بذلك ، وإن كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله، وأما صاحبه الصدر الرومي، فإنه كان متفلسفًا، فهو أبعد عن الشريعة والإسلام، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم متروحنا متفلسفًا، والآخر فيلسوفًا متروحنا، يعني الصدر الرومي ، فإنه كان قد أخذ عنه ، ولم يدرك ابن عربي، وهو في كتاب «مفتاح غيب الجمع والوجود» وغيره يقول: إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات ، فإذا تعين لم يقل: إنه هو ، ويفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لا يوجد في الخارج مطلقًا ، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة، فحقيقة قوله إنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة، ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات ، ولهذا يقول هو وشيخه: إن الله تعالى لا يرى أصلاً ، وإنه ليس في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده ، تعالى الله عما يقولون(١) .

وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم، وأعمقهم في الكفر، فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت، كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوي ما دام محجوبًا ، فإذا انكشف حجابه، ورأى أنه ما ثم غير، يتبين له الأمر، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات، حتى حكي عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا حرام عليكم. وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا، وكان يقول: أنا ما أتمسك بشريعة واحدة، وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء ، وشعره في صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل: لحم خنزير في طبق صيني، وصنف للنصيرية

---

(١) شرح القصيدة النونية ـ ابن عيسى ١ / ١٤٢ .

عقيدة ،وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه. وأما ابن سبعين فإنه في البدء والإحاطة يقول أيضًا بوحدة الوجود،وأنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك، لكن لم يصرح، هل يقول بمثل قول التلمساني، أو قول الرومي، أو قول ابن عربي، وهو إلى كلام التلمساني أقرب ،لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني ، وآخر يقال له: البلناني من مشايخ شيراز، ومن أشعارهم:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه[١]

والاتحاد نوعان: اتحاد عام الذين يزعمون أن الله هو عين وجود الكائنات، واتحاد خاص وهو قول يعقوبية النصارى أن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا وصارا شيئًا واحدًا[٢] .

* * *

نريد إلقاء الضوء بإيجاز على الكرامية؟

الكرامية:

هم أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وهم طوائف عدة اشتهروا بالتشبيه في صفات الله والقول في الإرجاء، ومذهب الكرامية أن كلام الله حادث، قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلمًا بكلام، بل ما زال عندهم قادرًا على الكلام وهو عندهم لم يزل متكلمًا بمعنى أنه لم يزل قادرًا على الكلام وإلا فوجود الكلام عندهم في الأزل ممتنع كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم كالمعتزلة، وهم يقولون : إنه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته، ولا يقولون: إن الأصوات المسموعة والمداد الذي في المصحف قديم بل يقولون إن ذلك محدث، وقالوا ذلك خوفًا من التسلسل، فشاركوا الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم[٣] .

---

(١) شرح القصيدة النونية، ابن عيسى ١ / ١٤٣ .

(٢) التحفة المهدية، فالح بن مهدي ٢٥٢ .

(٣) شرح القصيدة النونية ـ ابن عيسى ١ / ٢٩٨ بتصرف.

قال ابن القيم في نونيته:

وهمُ فقالوا لم يقم بالله لا — فعل ولا قول فتعطيلان
لفعاله ومقاله شر وأبطل — حلول حوادث بيان
تعطيله عن فعله وكلامه — شر من التشنيع والهذيان
هذي مقالات ابن كرام وما — ردوا عليه قط بالبرهان

كذلك اشتهر ابن كرام بالتشبيه في صفات الله . وقال ابن كرام : إن الله مستقر على عرشه وأنه في جهة فوق وأطلق عليه اسم الجوهر، وقال : إن الله مماس لعرشه وبعض أصحابه استبدلوا لفظ المماسة بالملاقاة وقالوا: لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش إلا أن يحيط بالعرش إلى أسفل ولذلك امتنعوا من لفظ المماسة[(١)] .

* * *

نريد إلقاء الضوء على الفرقة الناجية؟

الفرقة الناجية :

الفرقة الناجية هي الفرقة التي تتمسك بما كان عليه النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والإخلاص والمعاملة، والنقص من هذه الأمور لا يخرج الإنسان عن كونه من الفرقة الناجية لكن لكل درجات مما عملوا، والنقص في جانب التوحيد ربما يخرجه عن الفرقة الناجية مثل الإخلال بالإخلاص وكذلك في البدع ربما يأتي ببدعة تخرجه عن كونه من الفرقة الناجية.

وجاء ذكر الفرقة الناجية بوصفها في الحديث الذي صح عن النبي ﷺ أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة والنصاري على اثنتين وسبعين فرقة، وأن أمة محمد ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قال : ما كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه[(٢)] [(٣)] .

---

(١) الفرق بين الفرق ـ الإسفراييني ـ ص ٢١٦ ـ بتصرف ، وانظر معجم ألفاظ العقيدة.
(٢) انظر صحيح الجامع الصغير برقم ١٨٠٢ ـ الألباني.
(٣) مجموع فتاوى العقيدة ، محمد بن صالح العثيمين ١ / ٣٨ ، ٣٩، وانظر معجم ألفاظ العقيدة.

آراء العلماء في دخول المجالس النيابية[١]

رأي الشيخ السلفي عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفي سنة ١٣٧٦ هـ في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ الآية[٢].

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في الفوائد المتحصلة من هذه الآية: «ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئًا منها.

وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، وأهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه، بسبب رهطه. وأن هذه الروابط، التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك . لأن الإصلاح مطلوب، حسب القدرة والإمكان. فعلى هذا، لو سعى المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جمهورية، يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادتها وجعلهم عملة وخدمًا لهم. نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين وهم الحكام فهو المتعين. ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة . والله أعلم) [٣].

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق معلقًا: وأنت ترى هنا أن مدار هذه الفتوى وهذا الاستنباط من الآية الكريمة على القاعدة الفقهية (ارتكاب أخف الضررين) فلأن يسعى المسلمون ليكون لهم شركة في الحكم مع الكفار يصونون بذلك أعراضهم

---

(١) آراء العلماء المعاصرين في دخول المجالس النيابية ـ د/ صالح الرقب رئيس قسم العقيدة بجامعة غزة الإسلامية ووكيل وزارة الأوقاف ـ بتصرف.

(٢) سورة هود: ٩١ .

(٣) تفسير عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢ / ٢٨٩).

وأموالهم ويحمون دينهم خيرًا ولا شك مما أن يعيشوا تحت وطأة الكفار بلا حقوق تصون شيئًا من دينهم وأموالهم.

ومما يمكن الاستدلال به في هذا المقام تولى العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله نوع ولاية في القضاء في بلدة «شنقيط » موريتانيا قبل هجرته إلى المدينة المنورة.

فقد جاء في كتابه «الرحلة إلى مكة» ما نصه: أعماله في البلاد: كانت أعماله رحمه الله كعمل أمثاله من العلماء: الدرس والفتيا، ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه، ورغم وجود الحاكم الفرنسي إلا أن المواطنين كانوا عظيمي الثقة فيه فيأتونه للقضاء بينهم، ويفدون إليه من أماكن بعيدة أو حيث يكون نازلاً. طريقته في القضاء: كان إذا أتى عليه الطرفان استكتبهما رغبتهما في التقاضي إليه وقبولهما ما يقضي به ثم يستكتب المدعي دعواه ويكتب جواب المدعى عليه أسفل كتابة الدعوى، ويكتب الحكم مع الدعوى والإجابة ويقول لهما : اذهبا بها إلى من شئتما من المشايخ أو الحكام.

رأي العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

ما أفتى به الشيخ عبد العزيز بن باز وذلك في مواطن كثيرة ولإخوة يبلغون حد التواتر، ومن معنى قوله أنه يشرع الدخول إلى المجالس الانتخابية من أجل إحقاق الحق ،والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .وقد قيد كثير من الإخوة السائلين فتوى والدنا وشيخنا عبد العزيز بن باز على ذلك النحو الذي أثبتناه.

وقد نقلت كذلك فتوى مطبوعة للشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ في مجلة لواء الإسلام العدد الثالث ذو القعدة سنة ١٤٠٩ هـ، يونيو سنة ١٩٨٩ ، ونقلها عن المجلة الشيخ مناع القطان في كتاب (معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية) وقد جاءت جوابًا لسائل يسأل عن شرعية الترشيح لمجلس الشعب، وحكم الإسلام في استخراج بطاقة انتخابات بنية انتخاب الدعاة والإخوة المتدينين لدخول المجلس . فأجاب الشيخ

قائلاً : (إن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى**» لذا فلا حرج في الالتحاق بمجلس الشعب إذا كان المقصود من ذلك تأييد الحق وعدم الموافقة على الباطل، لما في ذلك من نصر الحق والانضمام إلى الدُّعاة إلى الله. كما أنه لا حرج كذلك في استخراج البطاقة التي يستعان بها على انتخاب الدُّعاة الصالحين ، وتأييد الحق وأهله، والله الموفق)(١) .

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق معلقًا: وأنت ترى هنا أن سماحة الشيخ رحمه الله اعتمد في فتواه على أمور:

أولاً: أن هذه نية صالحة في تأييد الحق وعدم الموافقة على الباطل.

ثانيًا: أن في الدخول إلى مجلس الشعب نصراً للحق، وانضمامًا إلى الدعاة وتأييدًا لهم.

فإذا أضفت هذا المعنى إلى ما سبق من قول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي اتضحت لك الصورة أكبر ،وأن الدخول إلى هذه المجالس تقليل للشر، وتأييد للحق.

رأي الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله:

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه (مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية): وبهذا أيضًا أفتى سماحة والدنا وشيخنا محمد صالح العثيمين شفاهًا لعدد كبير من الإخوة طلاب العلم الذين سألوه عن حكم الترشيح للمجالس النيابية، فأجابهم بجواز الدخول، وقد كرر عليه بعضهم السؤال مع شرح ملابسات الدخول إلى هذه المجالس ، وحقيقة الدساتير التي تحكم وكيفية اتخاذ القرار فكان قوله ـ حفظه الله في ذلك (ادخلوها أتتركوها للعلمانيين والفسقة) وهذه إشارة منه ـ حفظه الله ـ إلى أن المفسدة التي تتأتى بعدم الدخول أعظم كثيراً من المفسدة التي تتأتى بالدخول إن وجدت .

---

(١) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية للشيخ مناع القطان ص ١٦٦) .

أما الشيخ مناع القطان فقد دافع في كتابه (معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية) عن مشاركة الحركة الإسلامية في مجلس الشعب وانتقد من هاجمهم لأنهم اعتبروا المشاركة في المجلس كفراً فقال: (والمشاركة في مجلس النواب والبرلمان لا تعني المشاركة في التشريع بغير ما أنزل الله ما دام العضو يعلن على الملأ استنكاره ومعارضته ويبدي حكم الإسلام في ذلك ويجهر في القول في إيمان وشجاعة. وليس في هذا ما يخل بالعقيدة) .

حكم الانتخابات العامة والقبلية في الكويت[1]

السؤال:

ما حكم الانتخابات الموجودة في الكويت ، علمًا بأن أغلب من دخلها من الإسلاميين ورجال الدعوة فتنوا في دينهم؟ وأيضًا ما حكم الانتخابات الفرعية القبلية الموجودة فيها يا شيخ؟

الإجابة:

أنا أرى أن الانتخابات واجبة، يجب أن نعين من نرى أن فيه خيراً، لأنه إذا تقاعس أهل الخير من يحل محلهم؟ أهل الشر، أو الناس السلبيون الذين ليس عندهم لا خير ولا شر أتباع كل ناعق فلابد أن نختار من نراه صالحًا.

فإذا قال قائل: اخترنا واحدًا لكن أغلب المجلس على خلاف ذلك، نقول: لا بأس هذا الواحد إذا جعل الله فيه بركة وألقى كلمة الحق في هذا المجلس سيكون لها تأثير ولابد لكن ينقصنا الصدق مع الله، نعتمد على الأمور المادية الحسية ولا ننظر إلى كلمة الله عز وجل.

ماذا تقول في موسى عليه السلام عندما طلب منه فرعون موعدًا ليأتي بالسحرة كلهم واعده موسى ضحى يوم الزينة - يوم الزينة هو: يوم العيد لأن الناس يتزينون

---

(١)لقاء الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين رحمه الله. . رقم الشريط ٢١١ .

يوم العيد ـ في رابعة النهـار وليس في الليل ، في مكان مستو فاجتـمع العالم، فقال لهم موسى عليـه الصلاة والسلام: ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾(١) كلمة واحدة صارت قنبلة.

قال الله عز وجل: ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾(٢) الفاء دالة على الترتيب والتـعقيب والسببـية، من وقت ما قال الكـلمة هذه تنازعوا أمرهم بينهم، وإذا تنازع الـناس فهو فشل كمـا قال الله عز وجل: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾(٣) ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾(٤) .

والنتيجة أن هؤلاء السحرة الذين جاؤوا ليضادوا موسى صاروا معه ،ألقوا سجداً لله، وأعلنوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ﴾(٥) وفـرعون أمـامهم، أثرت كلمـة الحق من واحد أمامه أمة عظيمة زعيمها أعتى حاكم.

فأقول: حـتى لو فرض أن مجلس البرلمان ليس فيـه إلا عدد قليل من أهل الحق والصواب سينفعون ، لكن عليهم أن يصدقوا الله عز وجل، أما القول: إن البرلمان لا يجوز ولا يجوز مشاركة الفاسـقين، ولا الجلوس معهم، هل نقول: نجلس لنوافقهم؟ نجلس معهم لنبين لهم الصواب.

بعض الإخوان من أهل العلم قالوا: لا تجوز المشـاركة ، لأن هذا الرجل المستقيم يجلس إلى الرجل المنحرف، هل هذا الرجل المستقيم جلس لينحرف أم ليقيم المعوج؟ نعم ليقيم المعوج، ويعدل منه، إذا لم ينجح هذه المرة نجح في المرة الثانية.

السائل: الانتخابات الفرعية القبلية يا شيخ.

الجواب: كله واحد أبداً رشح من تراه خيراً، وتوكل على الله.

---

(١) سورة طه: ٦١ .

(٢) سورة طه: ٦٢ .

(٣) سورة الأنفال: ٤٦ .

(٤) سورة طه: ٦٢ .

(٥) سورة طه: ٧٠ .

حكم حلق اللحية للتجنيد الإجباري والاختياري[1]

السائل: يا شيخ ممكن سؤال.

الشيخ: تفضل.

السائل: إذا كان الإنسان مجبراً على حلق اللحية فماذا يترتب عليه؟[2]

الشيخ: إذا كان مجبراً حقًا فلا يترتب عليه شيء مطلقًا، ولكني أخشى ألاَّ يكون مجبراً حقًا.

السائل: إذا كان تحت نظام معين مثلاً. مثل الجيش على سبيل المثال ، النظام في الجيش لا يسمح بتربية اللحية ماذا يفعل؟

الشيخ: من أجل هذا أنا قلت إن كان مجبراً حقًا فليس عليه إثم . أما إن كان ليس مجبراً حقًا فالإثم عليه كما هو على غيره فالآن أنت ضربت مثلاً بالجيش.

السائل: نعم.

الشيخ: الجيش الخدمة فيه كما تعلمون جميعًا قسمان:

إجباري واختياري فمن كان مجبراً على الخدمة وحلقت لحيته فهذا الذي يقال فيه لا إثم عليه، أما الذي كما يقولون اليوم يتطوع ليس مجبوراً على أن يعمل هذا ليس مجبوراً على أن يحلق.

ولذلك فلابد من ملاحظة أن الضرورة كما يقول العلماء والفقهاء « الضرورات تقدر بقدرها » كثير من الشباب اليوم يبتلى مْن أجل العيش أن يكون عاملاً أو موظفًا في البنك مثلاً ويقول لك: أنا مضطر نقول نحن جدلاً ولا أقول هنا كما قلت

---

(١) انظر شبكة الإمام الآجري.

(٢) والإجابة للشيخ الألباني رحمه الله من شريط له بعنوان «حكم التأمين وحلق اللحية» في الدقيقة (٢٠ ـ ٣٤).

بالنسبة لحلق اللحية لأن هناك فعلاً في اضطرار لكني أقول هنا جدلاً إذا كنت مضطرًا أن تعمل في مكان تستحل حرمات الله فلا ضير عليك لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

لكن هل صحيح أنك مضطر لتحصيل قوت نفسك وزوجك وولدك إن كنت متزوجًا ولك أولاد أن تعمل في البنك الذي يقول في مثله عليه السلام: «**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**» لا ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (١)، يقول رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن ما عند الله لا ينال بالحرام**».

وفي رواية أخرى: «**وإن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فأجملوا**» أي أحسنوا في طلب الرزق في موافقة الشرع.

الخلاصة أن كثيرًا من الناس يعتبرون أنفسهم مضطرين، وليسوا مضطرين. ولذلك فليتق الله مسلم ولا يجد لنفسه تأويلاً ـ بعيدًا ـ ليستحل ما حرم الله عز وجل بأدنى الحيل فإن الله عز وجل يعلم السر وأخفى.

أظن أنني أعطيتك الجواب إن شاء الله. ا هـ من كلام الشيخ رحمه الله .

وهذا كلام آخر له:

فقلت: يجب أن أبحث فيما عندي من الأشرطة عن الكلام ونشطت فوجدت كلام الشيخ الألباني رحمه الله في غير ذلك الشريط، وإن كان في هذا زاد تفصيلاً هو الشريط الرابع من سلسلة النور للشيخ رحمه الله.

(وهي غير سلسلة الهدى والنور) وإن شاء الله أضع كلامه في الشريط الأول في أقرب فرصة.

(١) سورة النساء: ٩٧ .

السائل: في بعض البلاد الإسلامية الالتحاق بالجيش فريضة على كل شاب عندما يكمل الدراسة من الجامعة أو الدراسة المتوسطة لزامًا عليه أن يدخل الجيش ولزامًا عليه أيضًا أن يحلق لحيته وإن لم يفعل نال العقوبة... (كلام غير واضح) تسعة أشهر هل يعتبر ضرورة أن يحلق لحيته؟ «فاستفسر منه الشيخ عن كلمة ووضحها».

الشيخ الألباني:

هذا السؤال يتكرر أنت حين تقول هل يعتبر ضرورة يحلق عني يحلق هو بنفسه.

أنا أقول: ليس هناك ضرورة توجب عليه أن يحلق لحيته بنفسه وإنما يحلقونها منه رغم أنفه.

أرأيت الفرق.

السائل: نعم.

الشيخ: طيب، فإذا هو لا يحلقها وإنما يحلقونها منه.

السائل: إن لم يفعل تعقد له محكمة (كلام غير واضح).

الشيخ: يا أخي افهم علي بارك الله فيك.

يجب أن نفرق بين الأمرين، أنا أعرف أنه إن لم يأتهم حليقًا كما يشاؤون أنهم سيعاقبونه إما بأن يحلقوا لحيته رغم أنفه كما يشاؤون وإما أن يزجوه بالسجن.

صحيح هذا أم لا؟.

السائل: نعم.

الشيخ:

فإذًا لا نقول هل هناك ضرورة ليحلق لحيته؟ لا ينبغي لمسلم أن يحلق لحيته يعني أن يأخذ الموس ويحلق لحيته بنفسه أو أن يذهب إلى الحلاق ليحلق له مثلاً لحيته.

لماذا؟

لأن هذا (كلمة غير واضحة (لواء) أو غيرها الكافر يفرض ذلك عليه يقول له بكل صراحة وهذا وقع في سوريا من بعض أصهارنا.

قال: أنا لا أحلق لحيتي وافعلوا ما شئتم. فماذا فعلوا به؟

أرسلوا إليه ثلاثة من عناصر الجيش، وتعلمون ربما أن الجيش في سوريا قسم كبير منهم علوي أو نصيري والأكثر هو سني هذه العناصر الثلاثة لما جاؤوا لصهري هذا يريدون أن يحلقوا لحيته رغم أنفه.

فقال لهم: اكفونا شركم وإلا لن تستطيعوا أن تحلقوا لحيتي إلا بعد أن تقوم معركة بيني وبينكم فاكفونا شركم فأنتم منا ـ يعني من أهل السنة ـ فرجعوا القهقري إلى رئيسهم وهو العلوي واعتذروا أننا لا نستطيع أن نقوم بهذا العمل لأن الرجل مُصِرٌّ فأرسل إليه عناصر من العلويين فدخل في معركة معهم ونال منهم ما أروى غيض قلبه لكن أخيرًا تغلبوا عليه وكتفوه وحلقوا لحيته رغم أنفه ثم سجنه.

فالرئيس سجنه، حبسه ما شاء ما أدري أسبوعين أو ثلاثة ثم بدأت اللحية تنبت سنة الله في خلقه فأخرج من السجن وإذا هو مربي لحيته فأجبره أيضًا مرة ثانية وهو يقول: افعلوا ما شئتم ثم تيسر له الاتصال بقائد كبير يكون قريبًا له، فحكى له القصة فهذا القائد الكبير اتصل مع المسؤولين الكبار هناك فأصدروا قرارًا بألاَّ يتعرضوا للعناصر فيما يتعلق باللحية فمن شاء تركها ومن شاء حلقها وهكذا وقع يوم كنت أنا في دمشق وأنا في اعتقادي أنه لو وجد أفراد من المسلمين الأقوياء في إيمانهم وفي سلوكهم وثبتوا ولم يحلقوا بأنفسهم كما يفعل الكثيرون بدعوى أن هذه ضرورة هنا لا ضرورة لأنهم هم إما أن يكلفوه بالحلق أو رغم أنفه فحينئذٍ من القواعد الفهقية أن المسلم إذا وقع بين شرين اختار أخفهما شرًا. لا شك أن يتولى المسلم حلق لحيته بنفسه فهذا شر كبير وأقل منه أن يحلقوا لحيته رغم أنفه فهذا هنا يقال ضرورة أما في الحال الأولى لا ضرورة وإنما غرضي أن أقول أن لو كان هناك في هذه الجيوش التي لا يزال نظامها قائمًا ، على بعض القوانين الكافرة توجب على أفراد الجيش أن يحلقوا لحاهم لو صمد عشرات من المسلمين صمود هذا الشخص الذي أشرت إليه آنفًا لاضطر الرؤساء في هذا الجيش أن يغيروا هذا النظام لا سيما وأن هذا النظام ليس نظامًا عامًا في كل جيوش القطر لقد كتب لي أن أسافر إلى أوروبا منذ عشرين سنة تقريبًا فكنت راكبًا السيارة مع بعض إخواننا ونحن نصعد في جبال الألب في سويسرا

فكنا نرى سيارات عسكرية وعليها أفراد من الجيوش ولهم لحى فكنت أسأل كيف هذا؟

يقول: هنا الجنود لهم الحرية من شاء أن يحلق يحلق ومن شاء أن يربي يربي.

وهم كفار فالمسلمون أولى بهذا إن لم ينعكس النظام ويوجب قائد الجيش على كل جندي أن يعفو لحيته وليس أن يحلقها فثبات بعض الشباب تجاه هذا القانون الكافر سيحملهم في النهاية على أن يغيروا هذا النظام الذي هو متلقى من نظام كافر.

قلت: صدق الشيخ الألباني رحمه الله لو كان كثير من مثل هذا الذي ثبت أثابه الله لتغيرت الأمور.

❊ ❊ ❊

حكم العمل في الوظائف العامة

القضاء، والنيابة، والمحاماة، في الدول الكافرة[(١)]

بعض الاعتراضات الواردة على هذا الاستدلال:

هناك بعض الاعتراضات يراد بها إبطال الاستدلال بهذه الآية وفيما يلي ذكر لبعضها:

الاعتراض الأول: إن يوسف عليه السلام لم يشارك في الحكم الجاهلي، بل فوض إليه الحكم كله، والملك أصبح تابعًا له، والدليل على ذلك أن إخوانه خاطبوه بلقب العزيز أكثر من مرة، وقد جاء في خطابهم: ﴿ **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[(٢)] ، ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا**

(١) انظر منتديات رسالة الإسلام. حكم العمل في الوظائف العامة، القضاء، والنيابة، والمحاماة، في الدول الكافرة . أ .د / صالح بن عبد الله الدرويش ـ الثلاثاء ٣ رجب ١٤٣١ هـ الموافق ١٥ ـ يونيو ٢٠١٠ .

(٢) سورة يوسف: ٧٨ .

وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾[١] فهو أصبح فوق القانون والدستور[٢] .

والرد على هذا الاعتراض:

ما أورده شيخ الإسلام حيث يقول: إن هذا المجتمع الكافر لابد أن يكون لهم عادة وسنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك، وأهل بيته ورعيته، ولا تكون جارية على سنة الأنبياء وعدلهم، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين الله، فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته، ما لم يكن يمكنه أن يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل في قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٣] [٤] .

وقول ابن تيمية واضح في أن يوسف لم يكن يملك الحكم كله، بل حتى خزائن الأرض ؛ لأن للملك كانت مصروفات خاصة لم يكن جائزًا ليوسف أن يتدخل فيها.

الاعتراض الثاني:

قد يقال: إن شرعنا لا يسمح بتولي الوظائف العامة في ظل حكم غير إسلامي، وأما تولي يوسف عليه السلام للوزارة فهو شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا ليس بشرع لنا إذا جاء في شرعنا ما ينقضه[٥] .

والرد عليها:

إن شرائع الأنبياء جميعًا متفقة في أن الحاكمية لله وحده، ويوسف عليه السلام واحد منهم، قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[٦] ويوسف عليه

(١) سورة يوسف: ٨٨ .

(٢) النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مطبوع على هامش تفسير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢ (١٩ / ١٣)، وانظر تفسير الزمخشري (٢ / ٤٨٢)، والمشاركة في الوزارة ، ص ٤٦، وتفسير القاسمي (٢٣٤ / ٩).

(٣) سورة التغابن: ١٦ .

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٥٦ ـ ٥٧).

(٥) انظر حكم المشاركة في الوزارة ص ٥٦، والمشاركة في الوزارة ص: ٤٠٠، وجريدة السبيل، العدد الثالث والعشرون ، ٢٩ آذار ١٩٩٤ ص ١٤ .

(٦) سورة يوسف: ٤٠ .

السلام يعلم هذا الحكم المقرر في جميع الأديان، وهو الذي تولى منصب عزيز مصر، وهو يقول للملك: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)] .

ومن جهة ثانية: إن النصوص التي تتكلم عن تمكين يوسف في الأرض تدل دلالة واضحة على أن هذا الحكم ليس خاصًا بيوسف دون سواه: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)] ، ثم إن دعوى أن هذا الحكم كان خاصًا بيوسف دون غيره تحتاج إلى دليل؛ لأن الأصل أن كل ما يذكر من سير الأنبياء وهديهم إنما يراد به التأسي والاقتداء، فكيف إذا جاءت النصوص القرآنية نافية الخصوصية مشيرة إلى العموم[(٣)] .

الاعتراض الثالث:

إن فرعون يوسف كان رجلاً مسلمًا صالحًا، وهو قول مجاهد[(٤)] .

وأجيب عنه: بأن هذا القول ليس عليه دليل.

ثانيًا: استدل على جواز تولي الوظائف العامة بموقف النجاشي، وهو ملك الحبشة في عهد النبي ﷺ، وقد هاجر إليه بعض أصحاب الرسول ﷺ بأمره واصفًا إياه بأنه ملك لا يظلم عنده أحد[(٥)] .

ونتيجة لإقامة هؤلاء الصحابة كان دخوله في الإسلام، دون أن يتمكن من إدخال تعديلات تذكر على حكمه في اتجاه تطبيق الإسلام؛ لأن ذلك لم يكن ميسورًا، بل لو حاول ذلك لربما نتج عنه تضييع ملكه، والمؤمنين ضيوفه[(٦)] .

---

(١) سورة يوسف: ٥٥ .

(٢) سورة يوسف: ٤٠ .

(٣) انظر هذا الرد في حكم المشاركة في الوزارة ص ٥٧ - ٦٠، الدعوة إلى الإسلام، هل حكم سيدنا يوسف عليه السلام بشريعة الكفر، مجلة الوعي، العدد ٧٨، السنة السابعة، ١٩٩٣م، ص ٢٠ .

(٤) انظر تفسير الكشاف (٤٨٢ / ٢) وتفسير النيسابوري (١٣ / ١٩).

(٥) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، (١ / ٢٥٥).

(٦) انظر مجموع الفتاوى (١٩ / ٢١٨ - ٢١٩). وجريدة السبيل، العدد الثالث والعشرون، ١٩٩٤، ص ١٤ .

وجه الاستدلال بهذا الدليل:

١ ـ أن النجاشي كان مسلمًا من بين الكفار .

٢ ـ وأنه لم يحكم شريعة الله، بل شريعة غيره، ومع ذلك اعتبره الرسول ﷺ رجلاً صالحًا وصلى عليه بعد موته.

وقد قال النبي ﷺ حين توفي: «**مات اليوم رجل صالح؛ فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة**»[(١)] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن؛ فإن قومه لا يقرونه على ذلك، وكثيرًا ما كان يعين الرجل من المسلمين بين التتار قاضيًا بل إمامًا، وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة، وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه، بل كانوا يحكمون بالشرائع التي يمكنهم الحكم بها [(٢)] .

الاعتراضات الواردة على هذا الاستدلال:

إن النجاشي الذي استقبل الصحابة المهاجرين لم يسلم وأن النجاشي الذي أسلم وصلى عليه النبي صلاة الغائب هو الذي دعاه الرسول ﷺ عندما أرسل الرسل إلى ملوك مجاورة ، وهو لم يدم في الحكم طويلاً ولذا لم يتمكن من تطبيق حكم الإسلام[(٣)] .

الرد عليها: وقد رد على هذا الاعتراض الدكتور عمر سليمان الأشقر بالتفصيل، وأثبت العكس، حيث يقول: إن البحث قادنا إلى أن النجاشي أصحمة الذي آمن بالرسول ﷺ هو النجاشي الذي آوى الصحابة عندما هاجروا إليه، وقد بقي في سدة الحكم أكثر من عشر سنوات، لا يستطيع أن يقيم شريعة الله في الدولة التي يقوم

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه في أكثر من موضع منها: كتاب المناقب، باب موت النجاشي (٣٥٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٣) انظر المشاركة في الوزارة ، ص: ٥٠، وحكم المشاركة في الوزارة ص ٧٧ .

على رأسها، ولكنه حقق الحماية والأمن للمهاجرين إليه، ولا شك أن أعداداً من قومه آمنوا بإيمانه [١] .

ثالثًا: القواعد العامة:

من مثل: إذا اجتمع مفسدتان روعي أعظمهما بارتكاب أخفهما[٢] ، والضرورات تبيح المحظورات[٣] ، وهذا يعني أنه إذا لم يكن بإمكان المسلمين الحصول على حقوقهم والحفاظ عليها إلا بارتكاب المحظور جاز لهم ذلك بقدر الضرورة؛ إذ تقدر بقدرها.

والأخذ بأعظم المصلحتين، ودفع أعظم المفسدتين[٤] ، ويعني ذلك أنه لو لم نشارك في هذه الحكومات فإن الظلم لن يخف، ولن يزول، بل سيزيد ، وأما لو شاركنا في الحكم فإننا على الأقل نخففه، أو نزيل بعضه، وهذا ما يطلبه منا ديننا.

يقول ابن تيمية واصفًا الذي لا يريد أن يرتكب الظلم القليل، وفي نفس الوقت يرتكب أعظمه وهو لا يدري قائلاً:

«والذي ينهي عن ذلك لئلا يقع ظلم قليل لو قبل الناس منه تضاعف الظلم والفساد عليهم، فهم بمنزلة من كانوا في طريق وخرج عليهم قطاع الطريق؛ فإن لم يرضوهم ببعض المال أخذوا أموالهم وقتلوهم؛ فمن قال لتلك القافلة: لا يحل لكم أن تعطوا لهؤلاء شيئًا من الأموال التي معكم للناس؛ فإنه يقصد بهذا حفظ ذلك القليل، الذي ينهى عن دفعه، ولكن لو عملوا بما قال لهم ذهب القليل والكثير، وسلبوا مع ذلك، فهذا مما لا يشير به عاقل، فضلاً أن تأتي به الشرائع؛ فإن الله تعالى بعث الرسل لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان[٥] .

وفي مكان آخر يقول شيخ الإسلام: «الولاية إذا كانت من الواجبات التي يجب تحصيل مصالحها من جهاد العدو، وقسم الفيء، وإقامة الحدود، وأمن السبيل: كان

(١) حكم المشاركة في الوزارة ص ٨٣ .
(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٨٩، والأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٧ .
(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٨٥، والأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٤ .
(٤) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٨٨، والأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٧ .
(٥) مجموع الفتاوى (٣٠ / ٣٥٧ ـ ٣٥٩).

فعلها واجبًا؛ فإذا كان ذلك مستلزمًا لتولية بعض من لا يستحق وأخذ بعض ما لا يحل، وإعطاء بعض من لا ينبغي، ولا يمكنه ترك ذلك؛ صار هذا من باب ما لا يتم الواجب أو المستحب إلا به، فيكون واجبًا أو مستحبًا، إذا كانت مفسدته دون مصلحة ذلك الواجب أو المستحب، بل لو كانت الولاية غير واجبة، وهي مشتملة على ظلم؛ ومن تولاها أقام الظلم، حتى تولاها شخص قصده بذلك تخفيف الظلم فيها، ودفع أكثره باحتمال أيسره: كان ذلك حسنًا مع هذه النية، وكان فعله لما يفعله من السيئة بنية دفع ما هو أشد منها جيداً »[١] .

ومن قول شيخ الإسلام هذا نرى أن النية لها أهمية كبرى في هذه المسألة ، بحسب النية يكون الأجر عند الله.

ويقول العز بن عبد السلام: «ولو استولى الكفار على إقليم عظيم فولوا القضاء لمن يقوم بمصالح المسلمين العامة، فالذي يظهر إنفاذ ذلك كله جلبًا للمصالح العامة ودفعًا للمفاسد الشاملة؛ إذ يبعد عن رحمة الشارع ورعايته لمصالح عباده تعطيل المصالح العامة، وتحمل المفاسد الشاملة؛ لفوات الكمال فيمن يتعاطى توليتها لمن هو أهل لها[٢] .

ولا بأس أن نشير هنا إلى كلام محمد عبده في جوابه على سؤال مضمونه: هل يجوز للمسلم المستخدم عند الإنجليز الحكم بالقوانين الإنجليزية ، وفيها الحكم بغير ما أنزل الله؟ فجاء الجواب:

«إن دار الحرب ليست محلاً لإقامة أحكام الإسلام، ولذلك تجب الهجرة منها، إلا لعذر أو مصلحة للمسلمين، يؤمن معها من الفتنة في الدين، وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته، ويقوي أحكام الإسلام بقدر الاستطاعة، ولا وسيلة لتقوية نفوذ الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة ، ولا سيما إذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم كالحكومة الإنجليزية.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٠ / ٥٢).

(٢) أبو محمد عز الدين بن عبد السلام ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار المعرفة ، بيروت، (١ / ٧٣ ـ ٧٤).

والمعروف أن قوانين هذه الدول أقرب إلى الشريعة الإسلامية من غيرها؛ لأنها تفوض أكثر الأمور إلى اجتهاد القضاء، فمن كان أهلاً للقضاء في الإسلام، وتولى القضاء في الهند بصحة قصد وحسن نية، وتيسر له أن يخدم المسلمين خدمة جليلة، والظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثمًا من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم في دينهم ودنياهم، وما نكب المسلمون في الهند ونحوها، وتأخروا عن الوثنيين إلا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة.

والظاهر مع هذا كله: أن قبول المسلم للعمل في الحكومة الإنجليزية في الهند ومثلها، فيما هو في معناها، وحكمه بقانونها هو رخصة تدخل في قاعدة ارتكاب أخف الضررين إن لم يكن عزيمة يقصد لها تأييد الإسلام، وحفظ مصلحة المسلمين، وذلك نعده من باب الضرورة التي تنفذ بها حكم الإمام الذي فقد أكثر شروط الإمامة، والقاضي الذي فقد أهم شروط القضاء ونحو ذلك[١].

رابعًا: استدلوا على جواز تولى العمل في هذه الحكومات بالمصالح التي تترتب عليها، وهي لا شك أكبر من المفاسد، نذكر هنا بعضًا منها:

درء المفاسد والمؤامرات عن المسلمين والإسلام في تلك الديار.

التسهيل في إنشاء وتكثير المراكز الإسلامية، والدعوية، والمدارس الإسلامية في تلك البلاد.

مطالبة مساواة المسلمين بغيرهم في الحقوق، والتعليم، واستخدام المرافق العامة ونحوها.

قد يكون البديل للمسلمين إذا امتنعوا عن المشاركة في الحكم أن يتمكن أعداؤهم إذا تسلموا مراكز الحكم من تسخير كل الإمكانات لمحاربة الإسلام وأهله[٢].

وأكبر مثال على ذلك هو ما حدث للمسلمين في يوغسلافيا في زمن الشيوعيين،

---

(١) تفسير المنار: (٦ / ٤٠٨) وما بعده.

(٢) انظر حكم المشاركة في الوزارة ص ٩٤، والمشاركة في الوزارة ص ٥٦، وما بعدها.

حيث لم يقبل الشيوعيون في الحكم إلا من كان شيوعيًا مثلهم، مما جعل كثيرًا من المسلمين يتظاهرون بالشيوعية؛ ليتمكنوا من المشاركة في السلطة، وقد نجح هؤلاء المسلمون في تحصيل بعض الحقوق والمساعدات التي لم نحصل عليها لو لم يكن هؤلاء يشاركون في الحكم.

ومن هنا نرى كيف أن العلماء قد تعرضوا إلى هذه المسألة وأجازوها للأدلة التي أوردوها، وهي لا شك قوية، وينبغي على المسلم وخاصة الذي يعيش في دولة غير إسلامية أن يفهمها ويعيها؛ لكي لا يقع في المأزق ويضيع مصلحة الإسلام والمسلمين، ولابد أن يعرف أن حكم الإسلام هناك حيثما توجد مصلحة الإسلام والمسلمين.

ومن كل ما سبق نستطيع أن نقول:

إنه لا يجوز للمسلم أن يخدم الكافر تحت أي ظرف من الظروف إلا في حال الضرورة القصوى؛ لأن المسلم عزيز، ولا يقبل أن يكون ذليلاً عند أحد، وعند الكافر من باب أولى.

لا يجوز للمسلم أن يعمل في عمل حرمه الإسلام سواء عند المسلم أو عند الكافر.

يجوز لبعض الناس الذين يظهر صلاحهم وقوتهم وقدرتهم على التغيير، أو الحكم بالشرع، ولو لم ينسب للشرع، بعد الاستفتاء الخاص: أن يتولوا الوظائف العامة إذا كان ذلك ضرورة ومصلحة للإسلام والمسلمين، كتولي منصب القضاء بين الأقليات الإسلامية، التي تقيم في بلاد الكفار، حيث ذكر بعض الحنفية أنه يجوز تقليد القضاء من السلطان الجائر، وإن كان كافرًا [(١)] ، ولكن لو ولاه المسلمون أنفسهم ليحكم بينهم كان أولى، وهكذا في غير القضاء من الأعمال الإدارية ، كإدارة المدارس والمستشفيات ونحوها.

إن وظيفة المحاماة أوسع في الرخصة لحرية الاختيار لدى المحامي، بل ينبغي للمسلمين أن يستغلوا هذه المهنة للمطالبة بحقوقهم والدفاع عن أنفسهم.

---

(١) حاشية ابن عابدين: (٥ / ٣٦٨).

والأصل عدم المشاركة في هذه الحكومات، ويستثنى من الأصل بشروط:

إذا كان ذلك نافعًا للمسلمين بحفظ حقوقهم، ويمنع أو يخفف الأذى الذي يقع عليهم، وحينئذ قد يكون بمقتضى السياسة الإسلامية مستحبًا أو واجبًا.

ويشترط ألا يكون ثمة موالاة للكفار إلا ما يقتضيه عمله، من مجاملة ومخالطة ونحوها، هذا ينبني على قاعدة الإمام مالك بن أنس المأخوذة من سياسة السنة، وسيرة الخلفاء الراشدين، وهي أن أحكام العبادات تبنى على العمل بظواهر النصوص من الكتاب والسنة، وأحكام السياسة والمعاملات الدنيوية تبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد، دون ظواهر النصوص، وإن تعارضا يؤول النص لمراعاة المصلحة (١).

* * *

---

(١) انظر فتاوى المنار: م٣٥ ص ١٢٧ الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي ص ٢٠٠، تفسير النيسابوري ١٣ / ١٩، وتفسير فتح القدير ٣ / ٣٥.


المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ تفسير الحسن البصري.
٣ ـ تفسير الطبري.
٤ ـ التفسير الكبير للرازي.
٥ ـ تفسير ابن أبي حاتم.
٦ ـ التفسير العظيم لابن كثير.
٧ ـ مختصر تفسير ابن كثير.
٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي.
٩ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ للسيوطي.
١٠ ـ تفسير النسفي.
١١ ـ تفسير «الكشاف» للزمخشري.
١٢ ـ التفسير القيم ـ لابن القيم.
١٣ ـ ملاك التأويل ـ للغرناطي.
١٤ ـ تفسير روح المعاني ـ للآلوسي.
١٥ ـ زاد المسير لابن الجوزي.
١٦ ـ تفسير الجلالين.
١٧ ـ فتح القدير للشوكاني.
١٨ ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا.
١٩ ـ البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي.
٢٠ ـ التفسير الميسر ـ وهبة الزحيلي.
٢١ ـ أضواء البيان ـ للشنقيطي.
٢٢ ـ تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان ـ للسعدي.

٢٣ ـ التحرير والتنوير لابن عاشور.
٢٤ ـ تفسير المراغي.
٢٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني.
٢٦ ـ صحيح مسلم بشرح النووي.
٢٧ ـ سنن أبي داود.
٢٨ ـ عون المعبود، شرح سنن أبي داود ـ لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ سنن الترمذي.
٣٠ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ المباركفوري.
٣١ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي والإمام السندي.
٣٢ ـ سنن ابن ماجه بشرح أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي.
٣٣ ـ مسند أحمد بتحقيق الأرناؤوط ومجموعته.
٣٤ ـ المصنف ـ لابن أبي شيبة.
٣٥ ـ المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني.
٣٦ ـ صحيح ابن حبان
٣٧ ـ صحيح ابن خزيمة.
٣٨ ـ سنن الدارمي.
٣٩ ـ شعب الإيمان ـ للبيهقي.
٤٠ ـ سنن الدارقطني ـ للإمام علي بن عمر الدارقطني.
٤١ ـ مسند الروياني ويليه المستدرك من النصوص الساقطة ـ للحافظ أبي بكر محمد بن هارون الروياني.
٤٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمي.
٤٣ ـ شرح السنة ـ للبغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.
٤٤ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ الألباني.
٤٥ ـ السلسلة الصحيحة ـ الألباني.

٤٦ ـ إرواء الغليل ـ الألباني.

٤٧ ـ السنة ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل.

٤٨ ـ الإيمان ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق الألباني.

٤٩ ـ كتاب الشريعة ـ للآجري.

٥٠ ـ طبقات الحنابلة ـ لابن رجب.

٥١ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكي.

٥٢ ـ السنة ـ الخلال.

٥٣ ـ الإبانة ـ ابن بطة.

٥٤ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ اللالكائي.

٥٥ ـ الإحكام ـ لابن حزم.

٥٦ ـ أصول السنة ـ ابن أبي زمنين.

٥٧ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية ـ ابن قيم الجوزية.

٥٨ ـ اعتقاد أئمة الحديث ـ أبو بكر الإسماعيلي.

٥٩ ـ صريح السنة ـ ابن جرير الطبري.

٦٠ ـ شرح السنة ـ البربهاري.

٦١ ـ الرسالة ـ الشافعي.

٦٢ ـ فضل علم السلف على علم الخلف ـ لابن رجب.

٦٣ ـ الموافقات ـ الشاطبي.

٦٤ ـ الاعتصام ـ الشاطبي.

٦٥ ـ الإيمان ـ ابن تيمية.

٦٦ ـ الفقه والمتفقه ـ الخطيب البغدادي.

٦٧ ـ الاعتقاد ـ البيهقي.

٦٨ ـ مسائل الإيمان ـ للقاضي أبي يعلى.

٦٩ ـ التمهيد ـ لابن عبد البر.

٧٠ ـ الصلاة ـ لابن القيم.

٧١ ـ الفوائد ـ لابن قيم الجوزية .
٧٢ ـ الإيمان ـ لابن أبي شيبة .
٧٣ ـ درء تعارض العقل مع النقل ـ ابن تيمية .
٧٤ ـ أحكام أهل الذمة ـ لابن قيم الجوزية .
٧٥ ـ طريق الهجرتين ـ لابن قيم الجوزية .
٧٦ ـ الفصل ـ لابن حزم .
٧٨ ـ الغلو ـ الأسباب والعلاج ـ ناصر عبد الكريم العقل .
٧٩ ـ الإيمان ـ حقيقته ـ خوارمه ـ نواقضه عند أهل السنة والجماعة ـ عبد الله الأثري .
٨٠ ـ تلخيص فتنة التفجيرات والاغتيالات ـ حمزة محمد المنياوي .
٨١ ـ فتاوى هيئة كبار العلماء .
٨٢ ـ فتاوى اللجنة الدائمة .
٨٣ ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ـ للمرداوي .
٨٤ ـ الآداب الشرعية ـ لابن مفلح .
٨٥ ـ الإقناع ـ للحجاري .
٨٦ ـ أصول الدين ـ للبغدادي .
٨٧ ـ أحكام أهل الذمة ـ لابن القيم .
٨٨ ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية .
٨٩ ـ الأحكام السلطانية ـ الماوردي .
٩٠ ـ الفتاوى الكبرى الفقهية ـ لابن حجر الهيتمي .
٩١ ـ المغني ـ لابن قدامة .
٩٢ ـ الفروق ـ للقرافي .
٩٣ ـ السيل الجرار للشوكاني .
٩٤ ـ حاشية الدسوقي .
٩٥ ـ فيض القدير ـ للمناوي .
٩٦ ـ قواعد الأحكام ـ للعز بن عبد السلام .

٩٧ ـ مرقاة المفاتيح ـ للقاري.

٩٨ ـ معالم السنن ـ الخطابي.

٩٩ ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ـ لابن قدامة بشرح وتحقيق وتعليق / ابن عثيمين.

١٠٠ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

١٠١ ـ معارج القبول ـ حافظ بن أحمد حكمي.

١٠٢ ـ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ـ لابن خزيمة.

١٠٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية ، بتحقيق الأرناؤوط.

١٠٤ ـ منهاج السنة ـ لابن تيمية.

١٠٥ ـ قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ـ ابن تيمية.

١٠٦ ـ الروح ـ لابن قيم الجوزية.

١٠٧ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـ لابن قيم الجوزية.

١٠٨ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ـ ابن تيمية.

١٠٩ ـ الإيمان ، ابن تيمية.

١١٠ ـ خلاصة الكلام في أركان الإسلام ـ د/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار.

١١١ ـ إقامة البراهين ويليها بعض الفتاوى ـ لابن باز.

١١٢ ـ ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية ، حافظ بن أحمد حكمي.

١١٣ ـ العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام للشيخ / ابن باز.

١١٤ ـ تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ـ د / عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.

١١٥ ـ الجنائز ـ أدلة وأحكام ـ للمؤلف.

١١٦ ـ عقيدة المؤمن ـ أبو بكر الجزائري.

١١٧ ـ لمن أرد رؤية النبي ﷺ في المنام.

١١٨ ـ أحكام الجنائز وبدعها ـ للألباني.

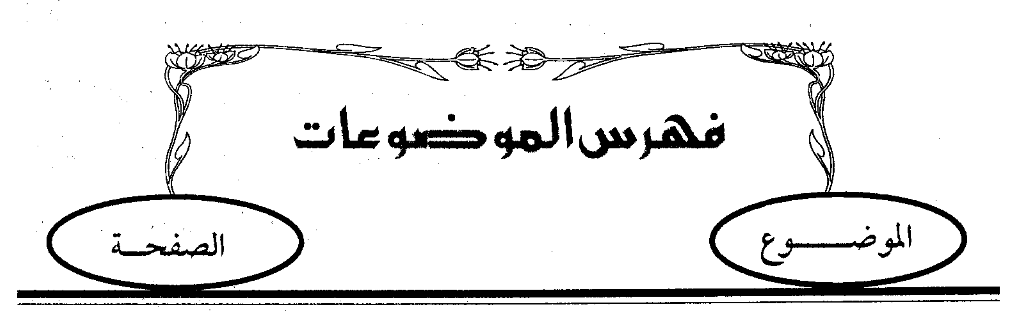
١١٩ ـ جامع الحياة البرزخية ـ للمؤلف.

١٢٠ ـ التوحيد ـ الدكتور / الفوزان.

١٢١ ـ العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير ـ د / أحمد فريد.
١٢٢ ـ سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين وبيان لعموم العذر في الدارين لأصول وفروع الدين ـ سيد الغباشي.
١٢٣ ـ تحرير الاعتقاد في الأسماء والصفات . د/ أحمد بن منصور آل سبالك.
١٢٤ ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية ـ ابن عثيمين.
١٢٥ ـ معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في الألفاظ ـ د/ بكر بن عبد الله أبو زيد.
١٢٦ ـ معجم ألفاظ العقيدة ـ عالم عبد الله فالح.
١٢٧ ـ شرح السنة ـ للبربهاري بشرح الشيخ/ الفوزان.
١٢٨ ـ الإلمام بشرح نواقض الإسلام ـ عبد العزيز بن ريس الريس .
١٢٩ ـ تحفة الإخوان ـ ابن باز.
١٣٠ ـ معالم الثقافة الإسلامية ـ عبد الكريم عثمان.
١٣١ ـ العلاقات الدولية في الإسلام للزحيلي.
١٣٢ ـ القانون والعلاقات الدولية في الإسلام ـ صبحي حمصاني.
١٣٣ ـ الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ـ علي علي منصور.
١٣٤ ـ أحكام المعاهدات ـ / د محمد طلعت الغنيمي.
١٣٥ ـ العلاقات الدولية في الإسلام ـ محمد أبو زهرة.
١٣٦ ـ المعيار المعرب ـ للونشريسي.
١٣٧ ـ موسوعة الفقه السياسي ـ د/ فؤاد النادي.
١٣٨ ـ الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ـ د/ صلاح الصاوي سلسلة تصدر عن مجلة البيان ـ كتاب البيان.
١٣٩ ـ ٥٠٠ جواب في العقائد ـ لجنة من العلماء ـ ابن باز، وابن عثيمين، والفوزان. إعداد / د أحمد بن عبد الله الشافعي ـ دار ابن حزم القاهرة.
١٤٠ ـ الإنصاف ـ رسالة عقدية ـ للمؤلف .
١٤١ ـ منهج الطائفة المنصورة ـ للشيخ / محمد عبد الملك الزغبي .

* * *


فهرس
الموضوعات


فهرس الموضوعات
الموضـــوع
الصفحـــة